

ممنوعة
الرسول المصطفى (ص)
بإصطفاؤه: محسن أحمد الخاتمي

زِيَارَةٌ

السَّوَالِ الْمَصْطَفَى
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

وَأَلَّهِ
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

بِدَعَاةِ أَوْشَرَكَ؟

عَبْدُ الْمَجِيدِ مِيرْدَامَادِي





زيارة

الرسول المصطفى

والله أعلم
بدعة أو شرع

میردامادی، عبد المجید، ۱۳۳۶ -
زیارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟ عبد المجید
میردامادی، به اهتمام محسن احمد الخاتمی
تهران: زرف، ۱۴۲۴ ق = ۲۰۰۴ = ۱۳۸۲.
ج ۱۷ (موسوعة الرسول المصطفى ﷺ).
ISBN 964 - 6536 - 80 - 8

عربی.
فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیبا.
کتابنامه: ص. [۵۷۳] - ۵۹۸، همچنین به صورت زیر نویس.
۱. محمد ﷺ، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ ق -
آرامگاه - زیارت - دفاعیه ها و ردیه ها.
۲. چهارده معصوم - آرامگاه - زیارت - دفاعیه ها و ردیه ها.
۳. زیارة - دفاعیه ها و ردیه ها.
الف. عنوان.

۲۹۷ / ۷۶۳۲

BP ۳۶۲ / ۶ / ۹

م ۸۲ - ۲۰۰۷

کتابخانه ملی ایران

زیارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

سید عبد المجید میردامادی

چاپ اول ۱۳۸۲

تیراژ: ۱۰۰۰ نسخه

چاپ و صحافی: سید الشهداء ﷺ

شابک: ۸ - ۸۰ - ۶۵۳۶ - ۹۶۴

قیمت: ۳۷۰۰ تومان

www.nikapub.com

نشر زرف - تهران - خیابان فخر رازی شماره ۱۱۱ - تلفن: ۶۴۰۱۷۲۷

زِيَارَةٌ

السُّوَالُ الْمَصْطَفِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَأَلَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بِدْعَةٌ أَوْ شُرْكٌ؟

عَبْدُ الْمَجِيدِ مِيرْدَادِ مَادِي



(١٧)

العنوان البريدي في لبنان:
بيروت- الغبيري ص.ب. ٢٥/١٣٨

العنوان البريدي في إيران:
مشهد - ص.ب. ٩١٣٧٥/٤٤٣٦

الفاكس: ٢٢٢٢٤٨٣ (٥١١ - ٠٠٩٨)

البريد الإلكتروني: emails
almawsouah@hotmail.com
almawsouah@yahoo.com

الموقع في الإنترنت:
www.almawsouah.org

كافة الحقوق محفوظة و مسجلة للنشر
الطبعة الأولى: بيروت ١٤٢٤ - ٢٠٠٤
الطبعة الثانية: قم ١٤٢٤ - ٢٠٠٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا
وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ
بِإِذْنِهِ ۝ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝

صَدَقَ اللَّهُ الْعَبْدَ الْعَظِيمَ

الأخزاب ٤٥ - ٤٦

كلمة الموسوعة

المشكلة كلُّ المشكلة هي أن البعض لا يريد أن يفهم الحقيقة ولا يحاول ذلك.

والحلُّ كلُّ الحل هو محاولة فهم الحقيقة والانصياع لها.

أما أنه يُطلق كلُّ منا على الآخر عناوين وصفاتٍ لاتليق بمجتمع متحضّر واعي، فهذا سوف لا يؤدي إلا إلى التمزق الأكثر والتفرّق الأوسع حيث التيه والتقهقر والضياع.

كافر.. مشرك.. زنديق.. ملحد.. مبدع.. كلُّ هذه العبارات التي نسمعها بين الحين والآخر - ومع الأسف الشديد - من بعض من يلصق نفسه بالدين، نسمعها تُطلق منهم على أحدٍ من إخوانهم في الدين، لا لشيء إلا لأنه وقف أمام ضريح الرسول المصطفى ﷺ في المدينة المنورة وقال بقلب ملؤه الحب لحبيب الله: السلام عليك يا رسول الله.

أو مدُّ يده إلى ذلك الضريح النور الذي تقدسه ملائكة السماء يتبرّك به كما لو كان يلثم يدي رسول الله ﷺ في حياته.

أو استشفع بنبي من أنبياء الله، أو بولي من أولياء الله وجعله الحبل بينه وبين الله كما أمر به القرآن.

والعجيب في أمر بعض هؤلاء شيثان، الأول: هو الجرأة في إطلاق هذه العبارات الشنيعة القاسية التي ترعد من صداها الجبال على المؤمنين.

والثاني: هو عدم الخضوع للاستدلال والبحث كأنّ في أسماعهم

الوقر وفي قلوبهم الغشاوة.

ولنحنا أمام هذه النزعة الجاهلية، لا طريق لنا إلا الاحتكام إلى العقل والقرآن والسنة الشريفة وسيرة المسلمين المستمرة من زمن الرسول ﷺ إلى يومنا هذا.

هذا الكتاب: زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟ مؤلفه الأخ الفاضل السيد الميردامادي، يجعلك أمام حقائق إسلامية ثابتة لا تقبل الشك، حيث ينصاع القارئ المنصف لما يحتويه من الإستدلال والبرهان في هذا المجال.

وفي هذه العجالة أودّ أن أشير إلى حقيقة عقلية دينية يتغافل عنها الكثيرون من أصحاب التشدد الديني، وهي أن الخيط الرفيع بين الفكر الديني والفكر المادي، هو أن الفكر الديني يلتزم بأن الموت ماهو الا نقلة نوعية من حياة سُفلى إلى حياة أكثر حيوية وفاعلية وديناميكية، كما يشير إليه القرآن في الآية ٦٤ من سورة العنكبوت بقوله: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

وبناءً على هذا، فإنني أستغرب ممن يلتزم بالدين، كيف لا يتعامل مع هذه الحقيقة القرآنية الواضحة التي ترسم معالم عالم الآخر، بأنها النسخة المتطورة الفاعلة المتحركة، وإن كانت الحياة الحقيقية تتجسد في ذلك العالم، فلا بد لنا ونحن نعيش هذه الحياة الدنيوية القاصرة أن نتفاعل مع تلك الحياة ونصنع جسوراً بيننا وبينها، وهل هناك جسر أقوى يمكن أن يتصوره المؤمن إلا في اعتبار أقطاب تلك الحياة وزعمائها أحياء يروننا ويسمعوننا ويتحاورون معنا ويتفاعلون مع آلامنا وآمالنا، وهل هناك أقطاب في الكون كله - في هذه الحياة وتلك الحياة - أكثر فاعلية وتأثيراً من الرسول المصطفى ﷺ وأهل بيته الكرام ﷺ حيث جعلهم الله الخليل

المتين بين الغيب والشهود؟

وهل هناك وسيلة للتعامل مع تلك الأنوار القدسية إلا زيارة قبورهم والتحاور مع أرواحهم والتفاعل مع مبادئهم التي ضحوا في سبيل تحقيقها بكل غالٍ ورخيص؟

أسأل الله تعالى أن يوفقنا لكل ذلك، ويفتح صدورنا لقبول كلمة الحق ويبعدنا عن العصبية والغرور إنه سميع مجيب.

محسن أحمد الخاتمي

مشهد المقدسة: ١٨ ربيع الثاني ١٤٢٤ هـ

١٧ حزيران ٢٠٠٣ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَهَيِّدٌ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه الرسول الأمين والبشير النذير الذي بعثه الله رحمة للعالمين وعلى أهل بيته الميامين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وجعلهم من بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وفرض مودتهم وطاعتهم والبراءة من أعدائهم.

أما بعد:

فقد تكالبت الأعداء على محاربة الإسلام وتخريب أركانه وتزييف بنيانه، بنشر الأكاذيب وزرع الفتن والاختلافات وإيجاد التفرقة بين صفوف المسلمين وإلقاء الشبهات حول الأصول الإسلامية وفروعها بهدف تشويش أذهان المسلمين عامة والشباب خاصة.

وما كان من الأصول والفروع الإسلامية أعظم أثراً وفائدة في تشييد حضارتهم وتقدمهم كانوا أكثر محاربة له، ومن الأمور التي لها أثر أساسي في تقدم المسلمين واعتقاداتهم وثقافتهم هي مسألة زيارة القبور عامة وقبور الأنبياء والأولياء خاصة.

فعندما يتأمل الإنسان ويتعمق في كنه المسألة وأثارها العميقة في المجتمع الإسلامي يرى أن الزيارة والحضور في مشاهد الأنبياء والأولياء لها سهم كبير في بقاء الدين ودوامه وحفظه من الاندساس، ولها دور فعال في الحضارة الإسلامية والأمور التربوية والاجتماعية، ونفس هذه الآثار أحسن دليل على مشروعيتها ورجحانها لو لم يكن في البين دليل غيرها، والحال أن الأدلة على مشروعيتها كثيرة جداً. فهنهي قبل البحث عن أدلة الزيارة الخوض في آثارها إجمالاً.

فنعول: إن أثر الزيارة يتجلى في أمور:

الأول: العقيدة والإيمان بالله جل جلاله، فكلما يحضر الإنسان عند قبور الأنبياء والأولياء خاصة خاتم الأنبياء وأوصيائه المعصومون الذين انقضت أيامهم في دعوة الناس إلى التوحيد وبذلوا مهجهم في سبيل تنامي عقولهم وتربيتهم وتزكيتهم، تترأى عند الزائر تلك الخصوصيات ويذكر كلماتهم وتوصياتهم ويذكر عبادتهم وقيامهم وقعودهم لله تعالى وجهادهم في سبيل إعلاء كلمته وكأنهم أحياء يسمع كلامهم ويرى حالهم ويرونه ويسمعون كلامه، فيرتكز عنده الإيمان بالله وتتقوى عنده فكرة التوحيد وعبادته وحده لا شريك له والبراءة من أعدائه والابتعاد عن كل ما ينسيه ذكر الله ويشغله عن عبادته.

ولا يزال هذا الأثر يحصل لكل من يزورهم ويحضر في مشاهدتهم مدى الزمان ويصير سبباً لبقاء واستمرار ذلك التراث الإسلامي الأصيل وصونه من الإندساس.

وهذا الأثر هو السبب الأصيل في مخالفة الأعداء لزيارة قبر النبي ﷺ والأئمة ﷺ وسائر من تبعهم من الصالحاء.

الثاني: وبموازاة تحكيم الفكرة التوحيدية خلال حضور المؤمن عندهم

يتقوى عنده الاعتقاد برسالتهم وإملاهم واتباعهم ونصرتهم والعمل بما أمروا به وحثوا عليه والاجتناب عما نهوا عنه.

الثالث: وبموازاة تحكيم تلك الأصول الثلاثة (التوحيد - النبوة - الإمامة) يتقوى عنده أصل آخر وهو الاعتقاد بيوم الجزاء وعالم البرزخ، وهذه الخصيصة عامة تشمل زيارة جميع القبور.

فإن الزائر لما يحضر عند القبور يذكر الموت وفناء العالم وعالم البرزخ وما فيه من بشارة وسرور للمؤمن ومحنة وعذاب للمنافق والكافر ويتذكر يوم الحساب وسائر مواقف القيامة، فيصير في صدد إصلاح نفسه وترك الذنوب والاستعداد للرحيل وترك الحرص على الدنيا ويتزهد فيها ويترك الظلم والعدوان ويتخذ العدل والإحسان.

ولذا ورد في الأحاديث: زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة، أو الموت أو تزهدكم في الدنيا^(١) و....

الرابع: إن في زيارة الأنبياء والأولياء ومن تكون لهم أرواح ملكوتية وأنوار قدسية أثراً عجبياً في روح الزائرين لهم، لأن نفس الحضور عند هؤلاء ومجالستهم - حيث إنا نعتقد بحياتهم وأنه لا فرق بين الحياة والمات بالنسبة إليهم - فيه آثار وضعية وهي ترشح وانتقال تلك الأنوار والمعنويات والصفات وما عندهم من الخصوصيات إلى شخص الزائر وهذا يتبع مراتب المعرفة والاستعداد في كسب الكمالات في زوارهم، فقد حصل لبعض زوارهم العارفين بحقهم العاملين بأوامرهم كثير من الترقبات المعنوية والروحية والعلمية ووصلوا إلى درجات الكمال من أثر الارتباط بهم والتردد إليهم والحضور عندهم حياً وميتاً، وحصل لبعض من كان أقل معرفة وأقل عملاً منهم آثار أقل وبحسب أرضيته واستعداده.

(١) ستوايك مصادرهما في الأدلة العامة.

وما تعرضت له من الآثار ليس صرف ادعاء، بل هو ثابت عند علماء النفس والأخلاق فضلاً عما ورد من الروايات الصحيحة في باب المجالسة وغيرها وفضلاً عما ورد في نفس أحاديث زيارة النبي ﷺ والمعصومين المتضمنة لذكر فوائد جمة لزوار قبورهم وسيأتي التعرض لها إن شاء الله تعالى وهكذا الأحاديث الواردة في الحث على مودتهم ومحبتهم وآثار محبتهم، فإن محبتهم ومودتهم هو الإكسير الأعظم والكبريت الأحمر، فكما أن الإكسير إذا وضع على الشيء الداني يصلحه ويغير ماهيته ويجعله ذراً ثميناً، هكذا حب النبي وآله صلوات عليهم أجمعين فإنه يوصل الإنسان إلى أرقى مراتب الكمال وأعلى الدرجات.

ومن أجل هذا الأمر نرى بعض علماء النفس والأخلاق يأمرّون من أراد أقرب الطرق وسرعة الوصول إلى معرفة الله والكمال والغلبة على النفس والشيطان وقهرهما، بكثرة الارتباط مع المعصومين ﷺ ومحبتهم، والحضور عند قبورهم، فإن مشاهدتهم محال نزول النسمات الرحمانية والبركات الألهية وهبوط الملائكة وأرواح الأنبياء، وحيث إن معنى الزيارة هو نفس الحضور عند المزور وزيارتهم حياً وميتاً من أظهر مصاديق المحبة فما يثبت للمحبة من الآثار العظيمة فهي ثابتة لزيارة قبورهم ﷺ قطعاً.

وهذه الفضائل والآثار هي التي أشار إليها سبحانه في كتابه بعد فرض المودة على المسلمين بقوله: ﴿وَمَنْ يَتَرَفَّحْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾^(١) وبقوله: ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾^(٢).

وفي ذيلها روي في المناقب عن محمد الباقر عليه السلام أنه قال: يقول الأجر الذي هو المودة في القربى التي لم أسألكم غيرها فهو لكم تهتدون بها

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) سبأ: ٤٧.

وتنجون من عذاب الله يوم القيامة^(١).

وعن أيوب السخيتاني عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد التوكل على الله فليحب أهل بيته، ومن أراد أن ينجو من عذاب القبر فليحب أهل بيته، ومن أراد الحكمة فليحب أهل بيته، ومن أراد دخول الجنة بغير حساب فليحب أهل بيته، فوالله ما أحبهم أحد إلا ربح في الدنيا والآخرة»^(٢).

وورد في الروايات الصحيحة عنه ﷺ: «من أحبنا أهل البيت فقد أصاب خير الدنيا والآخرة، فلا يشكن أحد أنه في الجنة».

الخامس: الآثار الدنيوية

ومن الآثار المترتبة على زيارة القبور هو استجابة الدعاء وقضاء الحاجات ورفع الكربات ونيل الغايات وشفاء الآلام والأمراض، وهي آثار لا حاجة في إثباتها إلى دليل وبرهان فإن وقوعها الخارجي وإذعان الناس عليها وكثرة ترددهم إلى تلك المزارات والازدحام عليها، أحسن علامة على ما في تلك المشاهد من البركات الإلهية والفيوضات الربانية والتسمات الرحمانية، وإلا لما ازدحموا عليها وما أكثروا زيارتها وما تحملوا تلك المشاق والزحمت من أجل الوصول إليها، وقد كتبت الكتب الكثيرة في ما حصل من الكرامات المعتبرة التي حصلت للزائرين في تلك المشاهد.

على أن في ما ورد من أحاديث زيارة القبور صراحة على تلك الآثار، وهي ثابتة في الجملة في زيارة قبور سائر المؤمنين أيضاً^(٣).

(١) يتابع المودة للقندوزي: ١٠٥ ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي: ٩٧ ط دار أنوار الهدى - بيروت.

(٣) كما ورد عن الإمام علي عليه السلام: «زوروا موتاكم، فإنهم يفرحون بزيارتكم، وليطلب الرجل حلجته عند قبر أبيه وأمه، بعد ما يدعو لهما. البحار: ١٠: ٩٧».

فما ظنك بقبور أهل بيت العصمة ﷺ الذين جعلهم الله عزوجل أبواباً لرحمته وسفنأً لنجاة خلقه وأماناً لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء^(١).

السادس: أثر الزيارة للمزور

إذا كان المزور من أحد المؤمنين فإنه ينتفع بزيارة الأحياء له وحضورهم عند قبره، حيث إن الإحياء عندما يحضرون على قبور آباءهم أو أقربائهم أو أحبائهم. يتفقدونهم بإهداء ثواب قراءة القرآن وذكر الصلوة على محمد وأهل بيته ﷺ، ويستغفرون لهم ويدعون لهم فينتفع المزور بهذه الأمور ويفرح بها ويدعو لزيارته ويستأنس به مادام عند قبره وقد وردت في هذه الآثار أيضاً روايات كثيرة ذكرها الأعلام في باب زيارة القبور وما ذكرته لك أيها القارئ من الآثار هي إشارات ملخصة، وإلا فالبحث عن كل واحد منها يحتاج إلى فصل مستقل وشرح طويل.

بيد أن هدفنا من ذكرها هو تمهيد وتوطئة لما هو الغرض الأصلي من تأليف الكتاب وهو إثبات مشروعية زيارة القبور عامة وقبر النبي ﷺ والأولياء والأوصياء ﷺ خاصة، فقد كان عملي القاصر في هذا الكتاب هو:

منهجنا:

أولاً: إثبات مشروعية زيارة عامة القبور من طريق الفطرة والكتاب والسنة والإجماع وسيرة المسلمين، وفي ضمن إثبات المشروعية بنحو عام تثبت مشروعية زيارة قبر النبي ﷺ وقبور الأئمة ﷺ بالأولوية، حيث إن قبورهم صلوات الله عليهم أجمعين من أشرف القبور وأعظمها شأنًا عند الله.

ثانياً: إثبات مشروعية زيارة قبر النبي ﷺ بالأدلة الخاصة ومن طرق

(١) قد ثبتت هذه الخصائص لأهل بيت النبوة بالأحاديث المتواترة التي رواها جمع كثير من أعلام المذاهب فراجع في مظانها.

العامّة وفي ضمن إثبات الرجحان لزيارة قبر النبي أثبتنا رجحان الزيارة لقبور أهل بيته عليهم السلام بدليل عدم الفصل بينهم وأنه كلما ثبت له عليه السلام من الفضائل والخصائص ثابت لهم عليهم السلام إلا النبوة.

وكان ترتيب الأدلة كالتالي:

١ - دليل الكتاب على زيارة قبر النبي عليه السلام وقد تعرضنا لكلمات المخالفين في الرد على الاستدلال بهذه الآية والجواب عنها.

٢ - دليل السنة على زيارة قبر النبي عليه السلام وقبور الأئمة عليهم السلام، فقد تعرضت أولاً لسرد الأحاديث النبوية المروية من طرق المذاهب الأربعة مع البحث عن سندها صحة وسقماً بنحو لا يبقى مجال للمخالف على ردها وعدم الاستدلال بها.

ومضافاً إلى إثبات صحة تلك الروايات ألحقت وأعضدت بها الروايات المروية عن طرق الإمامية تأييداً وتقوية لما ورد عن العامة.

وضمن سرد تلك الروايات من طرق الإمامية تعرضت لذكر الأحاديث المشتركة في الحث والتأكيد على زيارة النبي وفاطمة الزهراء والأئمة عليهم السلام. ومن بعدها ولأجل تكملة الباب أوردنا الروايات الخاصة المرغبة في زيارة قبور الأئمة عليهم السلام، عقبناها بالروايات الواردة في زيارة أبناء الأئمة التي ورد بعضها من طرق العامة أيضاً.

٣ - إجماع علماء الأمة الإسلامية على استحباب الزيارة وقد ذكرنا كلمات أعلام المذاهب الإسلامية حول الزيارة.

٤ - حكم العقل على رجحان زيارة قبر النبي والأئمة عليهم السلام.

٥ - سيرة المسلمين في زيارة قبر النبي عليه السلام وقبور الأولياء والصلحاء، وفي ضمنها تعرضنا لبعض الاتهامات الشيعة التي صدرت ضد الشيعة في زيارتهم لقبور الأئمة عليهم السلام، وإثبات أنها كلمات عدوانية وافتراءات شيطانية، حيث إن زيارة القبور ليست من مختصات الشيعة، بل هي مسألة مشتركة

بين جميع المذاهب الإسلامية ومتفق عليها.

٦ - لم نكتف بهذه الأدلة على كثرتها، فقد أضفنا إليها شواهد أخر تعطي درس التسالم وتؤكد مشروعية الزيارة وهي:

الف: المسائل الشرعية مثل مسألة تقديم الحج على الزيارة أو العكس وجواز الإستنابة في الزيارة والنذر، فقد وقع البحث فيها عند العلماء، وهي دليل آخر على جوازها وإلا لما وقع البحث في فروعها..

ب: الآداب الواردة من طرق العامة والإمامية في زيارة قبر النبي والأئمة ﷺ.

وبعد الفراغ من إقامة الدليل والبرهان تعرضنا لأدلة المخالفين وكلماتهم وذرائعهم في المنع من زيارة القبور والجواب عنها مفصلاً. وكان مناسباً أن نبحث في مسائل أخرى تشبث بها الخصم من أجل إيذاء المسلمين والمنع عن زيارة خير النبيين ﷺ والأئمة ﷺ وهي:

١ - التبرك بالقبور.

٢ - الطواف حول القبور والنذور لأهل القبور.

٣ - تعمير القبور وبناء المساجد حول القبور والصلاة عندها.

وأثبتنا بطلان ما ادعاه الخصم في المنع منها وتكفير المسلمين عليها. وختاماً اعتذارني من القارئ الكريم على إطالة الكلام أو النقص في البيان فإني مع بنك جهدي واجتهادي في الاستقصاء اعترف بقلة البضاعة وكوني في معرض الخطأ والنسيان.

وما توفيقني إلا بالله العلي العظيم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير العباد.

الفصل الأول
الأدلة على مشروعية
زيارة القبور

الأدلة على مشروعية زيارة القبور

فإذا سألت: ما الدليل على مشروعية زيارة القبور؟ خاصة زيارة قبر الرسول ﷺ والأئمة وسائر الأولياء والصلحاء؟

نقول في الجواب: إن مسألة زيارة القبور عموماً وزيارة قبر النبي ﷺ وسائر الأولياء خصوصاً، من المسائل المتفق عليها بين جميع الفرق والمذاهب الإسلامية، وقد اتفقت آراء علماء المذاهب الإسلامية على استحبابها، بل قال بعض علماء الظاهرية بوجوبها أخذاً بظاهر الأمر الوارد فيها، وحتى أن ابن عبد الوهاب وأتباعه لم يتظاهروا بالمنع عن أصل الزيارة، غير أن الباحث يفهم من خلال كلماتهم وتناقضاتهم وتكذيبهم للروايات، عدم اعتقادهم بمشروعية الزيارة مطلقاً.

ولأجل عدم الاختلاف ووجود التسالم لا نتعمق كثيراً في البحث عن أصل مشروعية زيارة القبور، بل نكتفي بذكر نبذة من الأدلة على المشروعية التي منها دليل الفطرة ودليل الكتاب والروايات الواردة في زيارة القبور واجماع العلماء وسيرة المسلمين، مضافاً إلى ما ورد في الكتاب من الآيات المرغبة في التفكير في الآخرة والدالة على فناء الدنيا وأنها هو ولعب، ومن المعلوم أن زيارة القبور من أهم موجبات ذلك التفكير، فتكون راجحة لذلك.

وإذا ثبت رجحانها بتلك الأدلة العامة ثبت رجحان زيارة قبر النبي

والأئمة ﷺ بنفس الأدلة لأن قبورهم منها، بل أعظمها وأشرفها، ومن المعلوم أن الغرض الأهم من البحث في جواز زيارة القبور هو إثبات رجحان زيارة قبر النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ.

١- الفطرة

من البديهي أن الإسلام دين الفطرة حيث إن أحكامه الكلية في مجالي العقائد والشريعة موافقة لفطرة الإنسان السليم، وتلك الأحكام والتعاليم التي جاءت بها الأنبياء وفي مقدمهم خاتمهم نبينا محمد ﷺ توحى إلى الفطرة البشرية وتنسجم معها وتبرزها بعدما كانت مكنونة، ولذا فالأنبياء والأوصياء قبل أن يكونوا معلمين للأمم كانوا مذكّرين بما أودع الله سبحانه في فطرتهم من الميل إلى عبادة من خلقهم وخلق السماوات والأرضين والتوجه والاتفات إلى ما وراء هذا العالم، ومذكّرين بما في فطرتهم من الجنوح إلى العدل والإنصاف ومكارم الأخلاق والنفرة من الظلم وردائل العادات.

فكأنك ترى أن الله سبحانه جعل الفطرة أول مدرسة يتعلم فيها الإنسان أصول المعارف ومكارم الأخلاق قبل أن يجعل لهم معلماً يعلمهم تلك الأمور ويهديهم إليها، وجعلها أحسن معين ومؤيد لما جاءت به أنبياءه ورسله من التعاليم الإلهية التي لولاها لعسرت عليهم هداية الخلق وتربيتهم وإنقاذهم من ظلمة الجهل والشرك، وهذه منة ولطف منه سبحانه وتعالى على الخلق.

ويؤيد ما ذكرنا ما ورد في كتابه جل جلاله من قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ

الْقَيْمِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ»^(١) فإن المراد من (الدين) كما ورد في التفاسير هو الاعتقاد بالله تعالى وبما أتى رسوله ﷺ من القوانين والتعاليم الإلهية، الخالصة من الشرك والوثنية. والمراد من (فطرة الله) هو الإسلام والتوحيد، فالدين قد وافق فطرة الإنسان التي أودعها الله فيه حين خلقه في الأصول.

ونظيرها ما ورد من قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾^(٢) فتلاحظ أن الله سبحانه وتعالى قد ألهم الإنسان معرفة حسن العدل والإحسان وهكذا قبح الظلم والطغيان وجعل الميل إلى مكارم الأخلاق والانزجار من رذائل العادات مكنوناً في فطرته، حتى أن الإنسان السليم الذي لم يتأثر بالمناهج الشيطانية يدرك المحاسن والمساوي والخير والشر بسبب فطرته، وعندما تأتيه تعاليم الأنبياء تراه مستعداً لقبولها وتطبيقها بولءٍ واشتياقٍ، لمطابقتها فطرته.

ويؤيده أيضاً ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المجال بقوله: (فبعث الله فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويشيروا لهم دفائن العقول)^(٣).

فتبين أن الشرائع السماوية قد استنطقت فطرة الأمم وذكرتهم بتلك النعمة المنسية بسبب اتباع الأهواء، وأبرزت لهم دفائن العقول التي جعلها الله في ذاتهم، فالشريعة الإلهية بموافقته للفطرة البشرية هي بمثابة المصابيح الموضوعة في الطرق التي هدفها إرانة الطريق وإضاءته لكل من

(١) الروم: ٣٠.

(٢) الشمس: ٨.

(٣) نهج البلاغة الخطبة الأولى.

مشى وسعى في طلب الحق، فكل فكرة وميل توحى إليه الفكرة السليمة وتؤيده حق، وكل فكرة وميل ترفضه الفطرة باطل.

فمن المثال تلاحظ أن الإنسان يميل ويهوى إلى الزواج والحياة الزوجية وينفر من التعزب والحياة الإنفرادية وذلك لأن الزواج مقتضى فطرته والعزوبة تناقض فطرته، وهكذا في كثير من الأمور الاجتماعية.

لا نطيل الكلام حول الفطرة، لأن الهدف كان إثبات كون الشريعة الإلهية توافق الفطرة، بل نفسها شريعة فطرية، ونستنتج منه ما نريد إثباته من مشروعية الزيارة.

فنقول: إن زيارة الإنسان لقبر أمه وأبيه، وقرباته وصديقه وكل من كان له حق عليه، ومن كان له صلة روحية وعلاقة قلبية أو مادية به، هي مما تميل إليه وترغب فيه النفوس السليمة في جميع الأمم ولا تخص ملة دون ملة ومذهباً دون مذهب، فإن كل إنسان سوي إذا فارق أعزائه وأحبائه يتأثر، وتراه يحاول في عدم قطع علاقته ومرادته بمن أحبه، بل يجسّد محبته وشوقه لغيره بأي صورة من الصور، فتارة يحتفظ بأثاره وكل ما فيه تذكّار له، وتارة ينصب صورته على الحيطان ويجعلها أمام عينه، وتارة من كثرة شوقه ومحبته أو من أجل إظهار وفائه ووده له يذهب إلى قبره ومزاره ويجلس عنده ويداوم على هذا العمل ما أمكنه حيث يتعاهد آخر مشهد له.

وليس هذا كله إلا من جهة الباعث الذاتي الفطري الموجود بين أفراد البشر مما يميل إليه جميع أفراد الأمم، وبما أن الشريعة توحى إلى الفطرة، فلا مجال للقول بمخالفة الشارع لتلك الأمور الفطرية، بل من المعلوم تأييدها وتثبيتها وترغيب الناس عليها.

نعم للشريعة الإلهية تحديدها وتنزيهاها من الخرافات، وتعليم الناس بالأداب الصحيحة، وعلى هذا الصعيد ترى السنة النبوية حثت على زيارة

القبور وذكرت آثارها وفوائدها الدنيوية والأخروية، ولو فرض وجود المنع في فترة من الزمن فهو من جهة وجود بعض الموانع التي سنتعرض لها في الكلام عن حديث (نهى النبي عن زيارة القبور).

فتحصل أن زيارة القبور عموماً أمر شرعي فطري ولا محذور فيه عقلاً ولا شرعاً، وإذا ثبت رجحان الزيارة بالنسبة إلى سائر القبور بالفطرة، فما بالك بقبور الأنبياء والأولياء، خاصة خاتم الأنبياء وأهل بيته النجباء صلوات الله عليهم أجمعين؟

وهل يمكن أن يقاس أحد من أفراد البشر بهم؟ فإن الفطرة البشرية تحكم بألوية زيارتهم وتعظيمهم وتجليلهم وحفظ آثارهم لما لهم من الفضل والكرامة والحق الجزيل على البشرية، بل كل الكائنات.

٢ - الكتاب العزيز

الدليل الثاني على مشروعية زيارة القبور، قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّا تَأْتِيهِمْ عَلَيْهِ وَلَا تَكُفِّرُ عَنْ قَبْرِهِمْ كَمَا كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(١). فقد نهى سبحانه وتعالى النبي ﷺ من الصلاة على المنافقين والحضور عندهم والوقوف على قبورهم وفيه تخذيل وتخقير لهم، وهذا النهي لا يكون خاصاً بالنبي ﷺ بل لجميع المسلمين، ومن الآية يظهر أن الصلاة على موتى المسلمين والوقوف على قبورهم والحضور عندهم بالدعاء وتلاوة القرآن والاستغفار كان أمراً مشروعاً فورد النهي للنبي وسائر المسلمين عن هذا العمل بالنسبة إلى المنافقين فقط، وبقي سائر المسلمين تحت أصل الجواز، وبها تثبت مشروعية زيارة قبور المسلمين

ورجحانها.

ويؤيد ما استظهرناه من المعنى قول أكابر المفسرين من العامة منهم البيضاوي في أنوار التنزيل، قال في ذيل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ ولا تقف عند قبره للدفن أو الزيارة^(١).

والسيوطي في تفسير الجلالين، قال في ذيل قوله: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾: لدفن أو زيارة^(٢).

والألوسي في تفسير روح المعاني، قال في ذيل قوله: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾: ويفهم من كلام بعضهم أن على بمعنى عند، والمراد: لا تقف عند قبره للدفن أو الزيارة والدعاء^(٣).

وقال البروسي في تفسير روح البيان في ذيل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾: أي ولا تقف عند قبره للدفن أو للزيارة والدعاء^(٤).

ونظيره قول غيرهم من مفسري العامة، وهكذا ورد في تفاسير الإمامية.

وإن خص بعض العامة القيام نفيًا وإثباتًا بوقت الدفن، لكن الحق مع من أخذ بالإطلاق.

والدليل على ذلك أن الآية بما أنها مركبة من جملتين:

الجملة الأولى: ﴿وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾ وبما أن أحداً

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي - تفسير سورة التوبة

(٢) تفسير الجلالين للسيوطي في تفسير سورة التوبة.

(٣) روح المعاني للألوسي ١٠: ١٥٥.

(٤) روح البيان للبروسي ٣: ٣٧٨

نكرة وردت في سياق النفي فهي تفيد العموم والاستغراق لجميع الأفراد، ولفظ أبداً أيضاً تفيد الاستغراق الزماني، فيكون معناها:

لا تصل على أحد منهم في أي وقت كان.

فمع الالتفات إلى هذين اللفظين يتضح أن المراد من النهي عن الصلاة على المنافق ليس منحصرأ في وقت الدفن، بل شامل لسائر الأزمنة من بعد موته، وبما أن صلاة الميت غير قابلة للتكرار في سائر الأزمنة، يعلم أن المراد من الصلاة في الآية هو مطلق الدعاء والترحم سواءً كان عند الدفن أو بعده.

مضافاً إلى أنه لو كان المراد هو الصلاة عند الدفن فقط لما كانت هناك حاجة إلى التأكيد بما يدل على الاستغراق الزماني وهو كلمة أبداً.

ويؤيد كون أبداً للاستغراق الزماني لا الفرادي أمران.

الأول: إن أبداً قد استعملت في العربية للاستغراق الزماني، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أُزْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾^(١)

الثاني: بما أن كلمة أحد في الآية قد أفادت الاستغراق الفرادي، فلا موجب للتأكيد بكلمة أبداً ويكون وجودها لغواً، فيتبين أن الاتيان بكلمة أبداً لبيان غرض آخر وهو الاستغراق الزماني، فثبت أن المراد هو النهي عن الترحم على المنافق وعن الاستغفار له، بالصلاة عليه عند الدفن أو غيرها في سائر الأوقات.

الجملة الثانية: ﴿وَلَا تَقْرَأْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ فقد عطفت هذه الجملة على الأولى، وكل ما يثبت للمعطوف عليه من الحكم والقيود فهو ثابت للمعطوف أيضاً، وعليه فكما ثبت العموم الاستغراقي في الجملة السابقة فهو ثابت أيضاً

٢٨ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

لهذه الجملة، وعليه فلا يصح أن يقال بأن المقصود من القيام على القبر هو القيام وقت الدفن فقط، بل يشمل سائر الأوقات أيضاً، لأن القيام عند القبر وقت الدفن غير قابل للتكرار كما في الصلاة على الميت.

ومن جانب آخر أن لفظ أبداً المقدر في الجملة الثانية يفيد إمكان تكرار هذا العمل فلا يحصى من الخضوع إلى القول بأن القيام على القبر لا يختص بوقت الدفن بل هو شامل لجميع الأزمنة.

فمع ما قدمنا من الدليل ثبت ما بيناه من المعنى في الآية الشريفة وهو: إن الله سبحانه نهى نبيه ﷺ عن مطلق الاستغفار والترحم على المنافق سواء كان بالصلاة أو مطلق الدعاء، ونهى عن مطلق القيام على القبر، سواء كان عند الدفن أو بعده، ومفهومه أن هذا العمل مشروع بالنسبة إلى المؤمن، وبه يثبت مشروعية زيارة قبر المؤمن في جميع الأزمنة والدعاء له وقراءة القرآن وإهداء ثوابه له، لأن الزيارة ليست إلا الحضور عند المذور والسلام والدعاء والصلاة من آدابها ولا دخالة لها في حقيقتها وسيأتي الكلام عن مفهوم الزيارة إن شاء الله.

فإذا ثبت بهذه الآية مشروعية زيارة قبور المؤمنين عامة يثبت أيضاً بالأولية زيارة قبره ﷺ وقبور أهل بيته ﷺ، ومن أعز شأناً وأقرب منزلة عند الله منهم صلوات الله عليهم أجمعين؟

٣ - السنة المطهرة

١ - عن أنس بن مالك مرفوعاً، قال النبي ﷺ: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها؛ فإنها تذكركم الموت»^(١).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ١: ٣٧٥ وصححه، ولنا كلام حول نهى رسول الله ﷺ عن الزيارة سيأتي قريباً.

٢ - عن أنس بن مالك مرفوعاً عنه عليه السلام: «إني نهيتكم عن زيارة القبور، فمن شله أن يزور قبراً فليزر، فإنه يُرَقَّ القلب، ويدمع العين، ويذكر الآخرة، ولا تقولوا هجرأ»^(١).

٣ - عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإنها تذكركم الآخرة، ونهيتكم عن نبيذ الجرّ فانتبذوا في كل وعله، واجتنبوا كل مسكر، ونهيتكم عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث فكلوا وتزودوا وادخروا»^(٢).

٤ - عن ابن أبي مليكة، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إئتوا موتاكم فسلموا عليهم وصلوا عليهم، فإن لكم فيه عبدة».

قال ابن أبي مليكة: ورأيت عائشة تزور قبر أخيها عبد الرحمن ابن أبي بكر، ومات بالحبشي وقبر بمكة^(٣).

٥ - عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من عبد يمرّ على قبر رجل مسلم يعرفه في الدين، فيسلم عليه إلا عرفه، ورد عليه السلام»^(٤).

٦ - عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من رجل يزور قبر أخيه، ويجلس عنده، إلا استأنس وردّ عليه حتى يقوم»^(٥).

٧ - عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً عنه عليه السلام: «إني نهيتكم عن زيارة

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣: ٢٣٧، ٢٥٠ والحاكم في المستدرک ١: ٣٧٦ وصححه

هو، وأقره الذهبي، والبيهقي في سننه الكبرى ٤: ٧٧.

(٢) المصنف لعبد الرزاق بن همام الصنعاني ١: ٥٦٩ ط توزيع المكتب الإسلامي.

(٣) المصنف لعبد الرزاق ٣: ٥٧ ط توزيع المكتب الإسلامي

(٤) أهوال القبور - ابن رجب الحنبلي الدمشقي: ١٤٢.

(٥) أهوال القبور ابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي: ١٤٣.

٣٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

القبور فزوروها فإن فيها عبرة»^(١).

هذه نبذة من أحاديث زيارة القبور وقد لاحظت ما فيها من الآثار والفوائد للزائر والمزور، وستوافيك أحاديث أخرى ذكرتها في ضمن أقوال العلماء في زيارة القبور.

٤ - الإجماع

وقد اتفقت أقوال العلماء من جميع المذاهب الإسلامية على استحباب زيارة قبور المسلمين وخاصة قبور الأنبياء والمرسلين والأولياء المقربين، بل قال بعض الظاهرية بوجوبها عملاً بظاهر الأمر، نعم قال بعضهم بكراهة زيارة النساء لسائر القبور، ولا حاجة لتطويل الكلام في الإجماع، بل نكتفي بذكر كلمات بعضهم.

قال القسطلاني في المواهب اللدنية: قد أجمع المسلمون على استحباب زيارة القبور، كما حكاه النووي، وأوجبها الظاهرية، فزيارته مطلوبة بالعموم والخصوص، لما سبق - أي لما سبق من الروايات - ولأن زيارة القبور تعظيم، وتعظيمه ﷺ واجب، ولهذا قال بعض العلماء: لا فرق في زيارته ﷺ بين الرجال والنساء وإن كان محل الإجماع على استحباب زيارة القبور للرجال، وفي النساء خلاف، والأشهر في مذهب الشافعي الكراهة^(٢).

وقال السبكي في شفاء السقام: واعلم أن العلماء مجمعون على أنه يستحب للرجال زيارة القبور، بل قال بعض الظاهرية بوجوبها، للحديث

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣: ٥٨ وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٢) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني ٣: ٤٠٥.

المذكور، وعن حكى إجماع المسلمين على الاستحباب أبو زكريا النووي^(١).

وقال السمهودي في وفاء الوفا: وأجمع العلماء على استحباب زيارة القبور للرجال، كما حكه النووي، بل قال بعض الظاهرية بوجوبها وقد اختلفوا في النساء وقد امتاز القبر الشريف بالأدلة الخاصة.

ثم ذكر أن السبكي قال: ولهذا أقول: إنه لا فرق في زيارته ﷺ بين الرجال والنساء.

وذكر السمهودي أقوال بعض آخر من العلماء في أولوية زيارة قبره ﷺ وأنه لا خلاف في زيارته ﷺ بالنسبة إلى النساء.

فقال: والزيارة باعتبار القصد تنقسم إلى أربعة أقسام:

فقد تكون مجرد تذكّر الآخرة وهو مستحب لحديث: «زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة». فمن لا يزور القبور أو يمنع منها لا يريد تذكّر الموت والآخرة لان الدنيا قد غرته واطمأن بها.

وقد تكون لأجل الدعاء لأهل القبور كما ثبت في زيارة أهل البقيع.

وقد تكون للتبرك بأهلها إذا كانوا من أهل الصلاح، وفي هذا القسم قال الشارمساحي المالكي: إن قصد الإنتفاع بالميت بدعة إلا في زيارة المصطفى ﷺ وقبور الأنبياء والمرسلين.

وقال السبكي: هذا الاستثناء صحيح، وحكمه في غيرهم بالبدعة،

(١) شفاء السقام: ١٨٤ ط الرابع. وقد ناقش السبكي حول ادعاء كراهة الزيارة

للنساء لغير قبر النبي، وأثبت عدمها، ثم قال: ولكن مقصودنا إثبات الاستحباب به بخصوصه، للأدلة الخاصة، بخلاف غيره ممن لا يستحب زيارة قبره بخصوصه، بل لعموم زيارة القبور، وبين المعنيين فرق كما لا يخفى، فزيارته ﷺ مطلوبة بالعموم والخصوص.

فيه نظر.

ولا ضرورة هنا لتحقيق الكلام فيه؛ لأن مقصودنا أن زيارة قبر المصطفى ﷺ وغيره من الأنبياء والمرسلين للتبرك بهم مشروع، وقد صرح به^(١).

وقال الدمياطي: إن زيارة قبور الأنبياء والصحابة والتابعين والعلماء وسائر المرسلين للبركة أثر معروف^(٢).

وقال الغزالي: كل من تبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد موته، ويجوز شد الرحال لهذا الغرض.

وقد تكون الزيارة لأداء حق أهل القبور، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أنس ما يكون الميت في قبره إذا زاره من كان يحبه في دار الدنيا».

وعن ابن عباس مرفوعاً عنه ﷺ: «ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن يعرفه من الدنيا فسلم عليه إلا عرفه ورده عليه السلام»^(٣).

(١) شفاء السقام ١٩٠ ط الرابعة.

(٢) لا يخفى أن السهمودي ذكر كلام الدمياطي والغزالي تأييداً لما قاله في القسم الثالث (قد تكون للبركة).

(٣) وفي موضع آخر حول هذا الحديث، قال السهمودي: ورواه ابن عبد البر وصححه، كما نقله ابن تيمية، لكن بلفظ «ما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام» وفاء الوفاء ٤: ١٣٥١.

وحكى عن عبد الحق في كتاب العاقبة من حديث عائشة عنه ﷺ «ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده إلا استأنس به حتى يقوم» وعن ابن أبي الدنيا، عن أبي هريرة عنه ﷺ «إذا مر الرجل بقبر يعرفه فسلم عليه رد عليه

وروي عنه عليه السلام: «من زار قبر أبويه في كل جمعة أو أحدهما كتب باراً وإن كان في الدنيا قبل ذلك بهما عاقاً».

وقال السبكي: وزيارة قبره عليه السلام فيها هذه المعاني الأربعة، فلا يقوم غيرها مقامها^(١).

انتهى كلام السمهودي حول زيارة القبور وقد ذكرته لما يشتمل من الأبعاد المختلفة.

والحاصل: أنه إذا كانت زيارة القبور مشروعاً ومستحبةً بجميع أنحاء القصد منها؛ فإنها مترتبة بنحو أكمل على زيارة قبر النبي وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، ولا يُفترق بينه وبين أهل بيته؛ لأنهم من نوره، ولحمهم من لحمه، ودمهم من دمه، وورثة علمه وجميع صفاته وقضائله إلا النبوة، فما ثبت له ثبت لهم أيضاً.

وهناك أقوال أخر للأعلام حول زيارة القبور ذكرتها في مسألة زيارة النساء للقبور ستوافيك عن قريب.

السلام وعرفه وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام .
ثم قال السمهودي: والآثار في هذا المعنى كثيرة، وقد ذكر ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ج ٢: ١٧٨ كما نقله ابن عبد الهادي أن الشهداء، بل كل المؤمنين إذا زارهم المسلم وسلّم عليهم عرفوا به، وردوا عليه السلام. فإذا كان هذا في أحد المؤمنين فكيف بسيد المرسلين عليه السلام انتهى كلامه. وفاء الوفا ٤: ١٣٥١.

ولاحظت أنه أراد في ضمن ذكر أحاديث زيارة قبور المسلمين وإثبات أنهم يعلمون بمن يزورهم ويستأنسون به ويردون عليه إثبات مشروعية زيارة قبره عليه السلام وثبوت هذه الخصائص له عليه السلام بالأولوية، وهذا هو غرضنا من ذكر الأدلة العامة.

(١) وفاء الوفا ٤: ١٣٦٣.

٥ - السيرة

زيارة النبي ﷺ للقبور

عن عائشة: كان ﷺ يخرج إلى البقيع فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون غداً مؤجلون، وأنا بكم إن شله الله لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد»^(١).

وعن أبي هريرة: أن رسول الله أتى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأنا إن شله الله بكم لاحقون، ووددت إننا قد رأينا إخواننا».

قالوا أو لسنا إخوانك يا رسول الله؟

قال: «بل أنتم أصحابي وإخواني الذين لم يأتوا بعد»، قالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمك يا رسول الله! قال: «أرأيت لو أن رجلاً له خيل غر محجلون بين ظهري خيل دهم بهم، ألا يعرف خيله!» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم، فيقال إنهم بدلوا بعدك، فأقول سحقاً سحقاً»^(٢).

وفي هذا الحديث إشارة إلى الفتنة التي وقعت بعده ﷺ وكان يحذر الناس كراراً من الوقوع فيها ومخالفة أمره ووصيته.

وعن ابن جريج قال: حدثت أن النبي ﷺ كان ينطلق بطوائف من

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، والبيهقي في السنن ٤ : ٧٩ وج ٥ : ٢٤٩ والشريفي في المغني ٢ : ٣٥٧ وغيرهم.

(٢) مسند ابن حنبل ٢ : ٤٠٨، السنن الكبرى للبيهقي ٤ : ٧٨ ط دار المعرفة بيروت، شعب الايمان ٣ : ١٦.

أصحابه إلى دفنى البقيع، فيقول: «السلام عليكم يا أهل القبور، لو تعلمون مما يحاكم الله مما هو كائن بعدكم»، ثم يلتفت إلى أصحابه، وفيهم يؤمنذ الأفاضل، فيقول: «أنتم خير أم هؤلاء؟» فيقولون: نرجوا أن لا يكونوا خيراً منا هاجرنا كما هاجروا وجاهدنا كما جاهدوا، فيقول: «بل هم خير منكم، قد مضوا ولم يأكلوا من أجورهم شيئاً، وإنكم تأكلون من أجوركم، فإن هؤلاء قد مضوا، وقد شهدت لهم، وإني لا أدري ما تحدثون بعدي»^(١).

هذا الحديث وما قبله فضلاً على ما فيه من مشروعية زيارة القبور، فيه دلالة أيضاً على وقوع الفتنة بعد النبي ﷺ وتنبئها لأصحابه بأن الفضل والفخر لمن وقع في الفتنة وثبت فيها على دينه وإيمانه والعمل بوصية نبيه، وليس الفضل في مصاحبته أو المهاجرة معه وإن كان فيه شيء من النفاق.

ثم إن قوله ﷺ: «لا أدري» ليس معناه عدم علمه ﷺ بمن يسقط في الفتنة، بل معناه التشكيك في إيمانهم حتى يكونوا في حذر ويؤيده تصريحه ﷺ لبعضهم وتحذيرهم من التخلف.

وروي أن النبي ﷺ زار قبر أمه آمنة عند رجوعه من الحديبية في طريقه إلى الأبواء فأصلحه وبكى عنده وبكى المسلمون لبكائه^(٢).

ورود هذا الحديث بإضافة مردودة لعدم تناسبها مع شأن النبي ﷺ ووالديه، ومخالفتها لقوله تعالى: ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾^(٣) وطائفة من الروايات المصرحة بطهارة آباء النبي ﷺ وإيمانهم.

(١) المصنف لعبد الرزاق ٣: ٥٧٥.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ١١٦/١.

(٣) الشعراء: ٢١٩.

أما مخالفتها للآية الشريفة، فلما قاله أكثر مفسري العامة والإمامية من أن أحد الوجوه في الآية الكريمة: هو أن الله تعالى نقل روحه الشريفة من صلب ساجد إلى ساجد. وفي بعضها: يعني قلبه من صلب نبي إلى صلب نبي آخر حتى أخرجه نبياً، رواه البزار وابن أبي حاتم من طريقين عن ابن عباس^(١)، وهذا الوجه لا ينافي سائر ما ذكر من الوجوه، بل ويؤيده قوله ﷺ: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات»^(٢) وبما أن الكافر نجس لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾^(٣) فلا بد أن يكون آباؤه ﷺ مؤمنين بالله جل جلاله.

ويؤيده أيضاً الروايات التي تدل على أن آباء وأجداد النبي المصطفى ﷺ من أشرف الأبناء إلى آدم، وقد أوردها البخاري في صحيحه والبيهقي في دلائل النبوة وغيرها.

ومن طرق الإمامية:

قال الإمام الباقر ﷺ في ذيل الآية: في أصلاب النبيين صلوات الله عليهم أجمعين، وقال الباقر والصادق ﷺ في توضيح هذه الجملة: في أصلاب النبيين نبي بعد نبي حتى أخرجه من صلب أبيه عن نكاح غير سفاح من لذن آدم^(٤).

وقال النبي ﷺ: «لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام

(١) تفسير ابن كثير، دمشق ١٥٥: ٦ ط دار الكتب العلمية بيروت، معالم التنزيل

للبيهقي ٢٨٠: ٤

(٢) تفسير الفخر الرازي ٢٤: ١٧٤

(٣) التوبة: ٢٨.

(٤) مجمع البيان ٧: ٣٢٤.

المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا، لم يدنسني بدنس الجاهلية^(١).

ولا ينبغي الإشكال على ضرورة كون آبائه عليهم السلام مؤمنين، بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزِقْ^(٢)، لَأَنَّ الْجَوَابَ أَنَّ أَرَزِقَ لَمْ يَكُنْ أَبَاهُ، بَلْ كَانَ عَمَّهُ وَالْأَبُ قَدْ يُطْلَقُ عَلَى الْعَمِّ، كَمَا قَالَ أَبْنَاءُ يَعْقُوبَ لَهُ: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ آبَائُنَا وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ^(٣) فَسَمُوا إِسْمَاعِيلَ أَبَا لَهُ مَعَ أَنَّهُ كَانَ عَمًّا لَهُ وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْمُؤِيدَاتُ كَثِيرَةٌ.

هذا وقد ألفت في هذه المسألة كتب كثيرة لأئمة المذاهب، وأثبتوا ما ذهبنا إليه، منها ما ألفه السيوطي وسماه مسالك الخفاء في إسلام والذي المصطفى فراجع.

والحاصل: أن الذيل المذكور في الرواية مردود من جميع الجهات، فالذي يهمننا كدليل من هذه الرواية، هو نفس الزيارة المتفق عليها.

زيارة وصي الرسول المصطفى عليه السلام للقبور

قد ورد في الروايات الكثيرة ما يدل على أن وصي الرسول المصطفى أمير المؤمنين عليه السلام قد زار القبور وكلم الموتى، بل يظهر من بعضها أن الموتى قد أجابوه، منها: ما جاء في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، عن كميل بن زياد، قال: خرجت مع علي بن أبي طالب فقال: يا أهل القبور يا أهل الوحشة ما الخبر عندكم.... ثم التفت إلي فقال: يا كميل لو أذن

(١) مجمع البيان ٤ : ٩٠ ، بحار الأنوار ١٥ : ١١٧ ح ٦٣ ، تفسير نور الثقلين ٤ / ٦٩ .

(٢) الأنعام : ٧٤ .

(٣) البقرة : ١٣٣ .

لهم في الجواب لقالوا: إن خير الزاد التقوى^(١).

وفي أمالي الطوسي مسنداً عن صهيب بن عباد بن صهيب عن جعفر بن محمد رضي الله عنه قال: مر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالمقبرة - ويروى بالمقابر - فسلم، ثم قال: السلام عليكم يا أهل المقبرة والتربة، اعلموا أنّ المنازل بعدكم قد سكنت، وأنّ الأموال بعدكم قد قُسمت، وأنّ الأزواج بعدكم قد نكحت، فهذا خبر ما عندنا، فما خبر ما عندكم؟

فأجاب هاتف من المقابر يُسمع صوته ولا يُرى شخصه: عليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، أما خبر ما عندنا، فقد وجدنا ما عملنا، ورجعنا ما قدمنا، وخسرنا ما خلفنا، فالتفت إلى أصحابه فقل: أسمعتم؟

قالوا: نعم يا أمير المؤمنين، قل: فتزودوا فإن خير الزاد التقوى^(٢).

وهذا الحديث فيه تنبيه ودرس وتوعية للإنسان من جهة ترك الانهماك والحرص على الدنيا الدنية الفانية وترك المعاصي والتعدي على حقوق الآخرين.

فلإنسان الذي يرى عاقبة أعزائه وأصدقائه إلى أين كانت وإنهم قد سكنوا البيوت الموحشة المظلمة المملوءة من الدود والعقارب، وصارت أيديهم خالية مما كانوا يملكونه في دار الدنيا، ولم يبق لهم إلا عملهم، فإن كان صالحاً فهم في رغد وعيش وسرور، وإن كان سيئاً فهم في العذاب والندامة يقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً.

فيجواب: كلا إنها كلمة هو قائلها، فالكيس من استعد لسفر آخرته وعمل لها وترك الحرص على الدنيا والانهماك في المعاصي واللذات الفانية.

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ١١: ٢٢٠

(٢) أمالي الطوسي ٥٥: ٧٦ ح ٤٥

زيارة بضعة الرسول فاطمة البتول للقبور

قد ورد في بعض الأخبار أنّ فاطمة سلام الله عليها كانت تزور قبر عمها حمزة سيد الشهداء كل جمعة، فتصلي وتبكي عنده^(١).
وورد في بعضها أنها كانت تأتي قبور الشهداء بين الیومین والثلاثة، فتبكي عندهم وتدعو.

زيارة الحسين بن علي عليه السلام للقبور

جاء في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، أنه قال إسحاق بن إبراهيم: بلغني أنّ الحسين بن علي أتى مقابر الشهداء فطاف بهم، وقال:
ناديت سكان القبور فأسكتوا وأجابني عن صمتهم ندب الحشى^(٢)

زيارة عائشة للقبور

ورد أن عائشة زارت قبر أخيها عبد الرحمن، فلما اعترضها عبد الله، قالت: نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور ثم أمر بزيارتها^(٣).

زيارة ابن عمر للقبور

ورد عن نافع أنه قال: كان ابن عمر يمرّ على قبر واقد أخيه، ويقف عليه فيدعو له ويصلي عليه^(٤).

-
- (١) أخرجه البيهقي في سننه ٤ : ٧٩، ثم قال رواه مسلم في الصحيح عن يحيى بن يحيى وغيره، والحاكم في المستدرک ١ : ٢٧٧.
 - (٢) مختصر تاريخ دمشق ٧ : ١٣٢
 - (٣) رواه الحاكم في المستدرک ١ : ٣٧٦، والبيهقي في السنن الكبرى ٤ : ٧٨ ط دار المعرفة بيروت.
 - (٤) المصنف لعبد الرزاق ٣ : ٥٧٠.

٤٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

وهنا نقول: إن هذه نماذج من السيرة في زيارة القبور وإنما اقتصرنا على ذكر سيرة مؤسس الشريعة ووصيه وخليفته وابنته الصديقة الطاهرة وابنه الشهيد وزوجته وابن عمر لتكون حجة على أهل الذريعة، وأما عمل سائر المسلمين من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وسائر المسلمين فهو أوضح من أن يحتاج إلى سرد وتطويل الكلام وستتعرف على نبذة منه في سائر فصول الكتاب.

والحاصل أن الأدلة والأخبار متظافرة على استحباب زيارة القبور، ولا حاجة إلى التفصيل فيها أكثر مما قدمنا.

على أن في ما ورد من الروايات الدالة على أن حرمة المسلم ميتاً كحرمة حياً، كفاية على رجحان الزيارة، فمشروعية زيارة القبور أوضح من الشمس في رابعة النهار.

فعليه إذا كانت زيارة قبور المؤمنين مشروعة وممدوحة، فزيارة قبره الشريف وقبور الأئمة ﷺ وسائر الأنبياء والأولياء بطريق أولى. ومن أعظم منه ومن أهل بيته شأناً؟ فهم أحق بهذا الأمر الراجح.

فتحصّل من جميع ما قدمناه أن أحد الأدلة على مشروعية زيارة قبر النبي والأئمة ﷺ ورجحانها، هي الأدلة العامة التي تدل على استحباب زيارة القبور، وكان الغرض من ذكرها جعلها كدليل مستقل لمشروعية زيارة قبره وقبور أهل بيته ﷺ.

الكلام في النهي الوارد عنه ﷺ في الزيارة

وأما النهي الأول الوارد فيها، مثل قوله ﷺ: «إني كنت قد نهيتكم وأمثاله، فمع الغضب عن أنه لم يأت من طرق أهل البيت ﷺ الذين هم أدري بما في البيت وبناءً على تسليمه، فالظنون قوياً أنه إنما نهى عن زيارة

قبور المشركين والتفخر بالآباء والأحساب كما كان سائداً في الجاهلية.

ومن المحتمل أن النهي قد صدر لأجل أن أكثر الأموات في أول الإسلام كانوا من المشركين، فنهى النبي عن زيارتهم باعتبار الأعم الأغلب، ولكن لما كثر المؤمنون بينهم رخص فيها بإذن الله، وأشار إلى ما فيها من فوائد، كتذكّر الموت والآخرة و... .

ولا ينبغي الشك في أن هذه الآثار والفوائد هي حكمة كاملة للترخيص والتحريض عليها، والأمر بها.

ويحتمل أيضاً أن النهي عن زيارة القبور كان في ابتداء الإسلام فقط؛ لأنها كانت موجبةً للجبين والتراجع والضعف عن الجهاد، فنهى الرسول ﷺ عن الزيارة في هذا الطرف لا غير، ولكن لما قوي الإسلام واستحكمت قواعده أمرهم بها، لما فيها من الفضل، وقد أشار إلى هذين الإحتمالين الأخيرين بعض الأعلام والله العالم.

ولكن مهما كان سبب النهي فهو منسوخ، والروايات السابقة أنبأت عن ذلك بوضوح.

مكتبة الجواهر الفخيمة
بمكة المكرمة
تأسست سنة ١٣٣٠ هـ - ١٩١١ م
تحت إشراف لجنة - الزاوية

أثر الزيارة دليل على صحتها

ثم إن زيارة القبور يترتب عليها آثار أخلاقية وروحية مهمة، فإن من يشاهد هذه القبور ويتذكر من دُفن فيها من أصدقائه وأقربائه، خصوصاً أولئك الذين كانوا في الحياة أكثر ولها وطمعاً وحرصاً عليها، والذين جمعوا ما جمعوا من الأموال وشيدوا العمارات الشاهقة وغير ذلك مما كان بالتعدي على حقوق الآخرين وسفك الدماء ومعصية الله سبحانه، ومنع الحقوق، وقد تركوها إلى غيرهم وصارت أيديهم منها صفرات فلم يبق عليهم سوى وبالها ووزرها وحسابها.

فهذا التذکر والتفکر يرجع الإنسان إلى نفسه ويصمّم على ترك الطمع والحرص على الدنيا الدنيّة، ويغيّر أعماله وحالاته الرذيلة، ويسعى في تحصيل الصفات العالية والعمل للأخرة.

ولهذا ورد الأمر بالذهاب إلى محل آثار الماضين والسلطين واستحباب قراءة ﴿كُمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾^(١).
وإلى هذه الآثار أشار النبي ﷺ بقوله: «تذکرکم الموت، تذکرکم الآخرة، تزهدکم في الدنيا و...».

وفي زيارة قبور الأنبياء والأولياء والصلحاء والحضور عندهم أيضاً تترتب آثار عجيبة مضافاً لما تقدّم، فإنها توجب تقرب الإنسان من الله وتبعّله عن الشيطان، حيث إن بعض هؤلاء المزورين كانوا في حياتهم مظهرين لعبادة الله وتوحيده ومصاديق لجميع الصفات العالية، فلماً يحضر الزائر عندهم يذكر تلك الخصوصيات والأعمال العظيمة والمواقف الشريفة والعبادة والتسك والقداسة التي كانت عندهم ﷺ.

ويذكر مواعظهم ويسألهم كل ذلك ويستحضره وكأنه يعيش بينهم، فتحصل عنده صفة الانتباه والوعي لأجل أن يمشي على طريقهم ويحقق أهدافهم، وينال ما نالوا ووعدوا به.

ولذا نرى أن قاطبة زوار قبر النبي والمشاهد المشرفة أكثر مواظبة على ذكر الله والصلاة وتلاوة القرآن في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، بل صارت قبورهم محلاً للاجتماعات والمواظب الدينية التي تحثّ الناس للتوجه إلى الله والابتعاد عن الجحيت والطاغوت وكلّ ما يشغلهم عن ذكر الله، فهذه الاعتاب تصير سبباً لتركيز كلمة التوحيد في قلوب المسلمين، فأين هذا من الشرك بالله العظيم؟ فمن اليقين أن من منع عن

هذا الأمر القويم يكون قد صدَّ عن الله العظيم وصار في خدمة أعداء الدين.

الكلام في زيارة النساء للقبور

وهنا بحث آخر وتساؤل هل الرخصة في زيارة القبور مخصوصة بالرجال، أو عامة تشمل النساء أيضاً؟

الجواب: إنَّ الاستفادة أولاً من الروايات الدالة على الرخصة من بعد النهي، أو الدالة على النسخ بتعبير البعض، هو الإطلاق، والشمول لكلا الصنفين.

ويؤيد هذا الإطلاق ما روي في وفاء الوفا عن ابن أبي شيبه عن أبي جعفر: أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ كانت تزور قبر حمزة وترمه وتصلحه وقد علّمته بحجر^(١).

ورواه يحيى بنحوه عن أبي جعفر، عن أبيه علي بن الحسين، وزاد: فتصلي هناك وتدعو وتبكي حتى ماتت^(٢).

وروى الحاكم عن علي بن الحسين: أن فاطمة كانت تزور قبر عمها حمزة كلَّ جمعة فتصلي وتبكي عنده^(٣).

ويؤيده أيضاً ما قام به النبي ﷺ، فقد زار البقيع مع زوجته عائشة، حيث روت عن النبي ﷺ: «أن جبرئيل أتاه، فقال له: إنَّ ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم»، قالت: قلت له: كيف أقول لهم يا رسول

(١) وفاء الوفا ٣: ٩٣٢.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) نفس المصدر السابق، المصنف لابن عبد الرزاق ٣: ٥٧٢.

الله؟ قال: «قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين...»^(١).
فلو لم يكن الأمر شاملاً للنساء لنهى النبي عائشة حين سألته عن
كيفية الزيارة ولم يعلمها.

والخلاصة أنه قد استدل كثير من أعلام الشيعة والسنة بهذه العمومات
والمؤيدات على شمول الرخصة للنساء وعدم التفرقة بينهما.

إلا أن في أهل السنة من يرى الكراهة لزيارة النساء للقبور ولا ترى
من أفتى بالحرمة إلا بعض الوهابية.

دليل القائلين بالكراهة للنساء

والسبب لهذه الفتيا هو وجود رواية ظاهرها مفيد للنهي منقولة من
طرق مختلفة.

الطريق الأول: عن أبي صالح يحدث عن ابن عباس قل: لعن رسول
الله زائرات القبور والمتخذين عليها المسجد والسروج^(٢).

الطريق الثاني: روى ابن ماجه، حدثنا أزهر بن مروان، حدثنا عبد
الوارث، حدثنا محمد بن جحافة، عن أبي صالح، عن ابن عباس: لعن رسول
الله زائرات القبور^(٣).

الطريق الثالث: روى ابن ماجه بأسانيد عن سفيان، عن عبد الله
بن عثمان بن خشم، عن عبد الرحمن بن سليمان، عن عبد الله بن حسان
بن ثابت، عن أبيه مثله^(٤).

(١) صحيح مسلم: ٣ ص ٦٤ باب ما يقال عند دخول القبور.

(٢) سنن أبي داود: ٢: ٨٧، والسنن الكبرى للبيهقي: ٤: ٧٨.

(٣) سنن ابن ماجه: ١: ٥٠٢ كتاب الجنائز، السنن الكبرى: ٤: ٧٨.

(٤) سنن ابن ماجه: ١: ٥٠٢، السنن الكبرى: ٤: ٧٨.

الطريق الرابع: من أبي هريرة وهو:

حدثنا محمد بن خلف العسقلاني أبو نصر حدثنا محمد بن طالب، حدثنا أبو عوانة، عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة مثله، وقد رواه أبو داود بلفظ زوارات القبور ونقله ابن تيمية منه في رسالة زيارة القبور^(١).

وهذه الرواية على فرض تسليم سندها مع اختلاف طرقها، ففي بعضها عن ابن عباس وبعضها عن حسان بن ثابت، عن أبيه وبعضها عن أبي هريرة ومع الغرض عن القدرح فيها لا اضطراب متنها - ففي بعض الطرق وردت بكلمة زائرات باسم الفاعل، وبعضها بصيغة المبالغة (زوارات) وفي بعضها قد سقطت الجملتان الأخيرتان (والمتخذين عليها المساجد والسُرج) -.

فهي منسوخة بما ذكرنا من الروايات العامة الدالة على الترخيص؛ فإن ورود هذه الروايات كان متأخراً عن تلك الروايات الناهية.

وأفضل دليل على النسخ وإثبات الترخيص، هو زيارة رسول الله ﷺ في أواخر عمره الشريف^(٢) مع عائشة وتعليمه إياها وعدم منعها، وهكذا

(١) المصدر السابق، وقد تعرض السيد الأمين لسنده في كشف الارتباب وأثبت ضعفه لما فيه من الضعفاء، فراجع: ٣٢٧.

(٢) كما ورد عن محمد بن عمر، حدثني إبراهيم بن إسماعيل بن عبد الرحمن المخزومي، عن أبيه عن عائشة قالت: وثب رسول الله ﷺ من مضجعه من جوف الليل، فقلت: أين بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ قال: «أمرت أن أستغفر لأهل البقيع». قالت: فخرج رسول الله ﷺ وخرج معه مولاه أبو رافع، فكان أبو رافع يحدث، قال: استغفر رسول الله ﷺ لهم طويلاً ثم انصرف وجعل يقول: «يا أبا رافع إني قد خيرت بين خزائن الدنيا والحلذ ثم الجنة، وبين لقاء

زيارة فاطمة ؑ الشهداء وعمها، وهكذا زيارة عائشة لقبر أخيها عبد الرحمن واعتراض عبد الله عليها وقولها في الجواب: نهى رسول الله عن زيارة القبور ثم أمر بزيارتها كما تقدم في الروايات.

فإذا ثبت سقوطها بالضعف سنداً أو الاضطراب متناً، مضافاً إلى النسخ، فلا حاجة إلى البحث في دلالتها، وأنها هل تدل على الكراهة أو الحرمة، بل تبقى زيارة النساء تحت عموم الأدلة المرخصة الدالة على الاستحباب، مضافاً لما ذكرنا من زيارة رسول الله ﷺ وفاطمة ؑ وعائشة.

ربي والجنة، فاخترت لقله ربي». ويظهر منها أنه كان في آخر عمره الشريف. سنن النبي لابن سعد: ٤٦٢.

وأيضاً: أخبرنا محمد بن عمر، حدثني إسحاق بن يحيى بن طلحة، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، عن أبي مؤهبة مولى رسول الله ﷺ قال قال رسول الله ﷺ في جوف الليل: «يا أبا مؤهبة إنني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فانطلق معي». فخرج وخرجت معه حتى جاء البقيع، فاستغفر لأهله طويلاً ثم قال: «لِيَهْنِكُمْ ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضاً، يتبع آخرها أولها، الآخرة شرّ من الأولى». ثم قال: «يا أبا مؤهبة، إنني قد أعطيت خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقله ربي والجنة. فقلت: بأبي أنت وأمي فخذ خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة. فقال: «يا أبا مؤهبة، قد أخذت لقله ربي والجنة. فلما انصرف ابتداءً وجعه فقبضه الله ﷻ». سنن النبي لابن سعد ٤٦٣.

وهذه الرواية أيضاً صريحة بأن الزيارة كانت في آخر عمره الشريف، وتثبت نسخ النهي السابق. وفيها إشارة إلى الفتن التي كان يحذر الناس منها، كما تقدم سابقاً

نعم لو لم نقل بضعفها واضطرابها أو نسخها بالعمومات المرخصة وعمل النبي ﷺ وفاطمة وعائشة، وبقيت هذه الرواية بلا معارض، فكلمة (اللعن) تدل على الكراهة لا الحرمة، حيث إن هذه الكلمة قد وردت في كثير من الروايات مثل قوله ﷺ: «في وصيته لعلي عليه السلام: «وكره أن ينام الرجل في بيت وحده، يا علي لعن الله ثلاثة، أكل زاده وحده، وراكب الفلاة وحده، والنائم في بيت وحده...»^(١).

وقوله ﷺ: «ملعون من ألقى كفه على الناس»^(٢).

وقال الإمام الحجة عليه السلام: ملعون من أخرج العشاء إلى أن تشتبك النجوم ملعون ملعون من أخرج الغداة إلى أن تنقضي النجوم»^(٣).

ولم يقل أحد بدلالاتها على الحرمة، ولم أدر كيف ثبتت لهم الحرمة من هذه الرواية فقط، فإن مفادها هو البعد عن رحمة الله كما في كتب اللغة، اللعن: هو الإبعاد والطرده من الخير، وقيل: الطرد والابعاد من الله^(٤).

(١) الوسائل ٢: ٥٨٢ أحكام المساكن.

(٢) الوسائل ٦: ١٨.

(٣) الاحتجاج للطبرسي ٤٧٩، الوسائل ٤: ١٤٧ باب ٢١ من أبواب المواقيت طبع مؤسسة آل البيت. ومثل ما روي في كتاب جامع الأخبار عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل مع كل واحد ثمانون ألف فقالوا يا محمد الجبار يقرئك السلام ويقول بلغ أمتك أنه من مات مفارق الجماعة لا يجد راحة الجنة وإن كان أكثر عملاً من أهل الأرض لا أقبل منه صرفاً ولا عدلاً يا محمد تارك الجماعة عندي ملعون وعند الملائكة ملعون وقد لعنتهم في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، يا محمد تارك الجماعة يصبح ويمسي في لعنة الله...» جمع الأخبار للشيخ محمد السيزواري من أعلام القرن السابع: ١٩٨ طبع مؤسسة آل البيت.

(٤) لسان العرب: ١٢ حرف اللام.

نعم قد أفتى عدّة من علماء الجمهور بالكراهة، وأكثرهم قد علّل ذلك بجزعهم وعدم صبرهم أو افتتان الرجال عند حضورهم وإليك متن كلام بعضهم:

أقوال علماء الجمهور في زيارة النساء للقبور

١- قال الشيخ منصور علي ناصف من علماء الأزهر في كتاب «التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول»: الأمر في زيارة القبور للندب عند الجمهور، وللجوب عند ابن حزم ولو مرة واحدة في العمر.

وقال أيضا: زيارة النساء للقبور جائزة بشرط الصبر وعدم الجزع وعدم التبرّج وأن يكون معها زوج أو محرم منعاً للفتنة، لعموم الحديث الأول، ولقول عائشة: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ إلى آخره ولزيارة عائشة قبر أخيها عبد الرحمن، فلما اعترضها عبد الله قالت... إلى آخره^(١).

٢- قال الشيخ عبد الباسط بن الشيخ علي الفخوري المفتي ببيروت في كتابه «الكفاية لذوي العناية»: يسنّ زيارة القبور للرجال وتكره للنساء إلا القبر الشريف وكذا قبور بقية الأنبياء والصالحين...^(٢).

٣- قال الشيخ أبو البركات حسن بن عمار بن علي المكنى بابن الاخلاص الوفائي الشرنبلالي الحنفي المتوفى ١٠٦٩هـ في حاشية غرر الأحكام: زيارة القبور مندوبة للرجال، وقيل تحرم على النساء، والأصح أن الرخصة ثابتة لهما...^(٣).

٤- قال فقهاء المذاهب الأربعة: زيارة القبور مندوبة للاتعاظ وتذكّر

(١) التاج الجامع للأصول ١: ٣٨١ الطبعة الخامسة - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٢) الكفاية لذوي العناية: ٨٠.

(٣) حاشية غرر الأحكام المطبوعة بهامش درر الأحكام ١: ١٦٨

الأخرة، وتؤكد يوم الجمعة ويوماً قبلها ويوماً بعدها وينبغي للزائر الاشتغال بالدعاء والتضرع والاعتبار بالموتى وقراءة القرآن للميت فإن ذلك ينفع الميت على الأصح...^(١).

ثم قالوا: ولا فرق في الزيارة بين كون المقابر قريبة أو بعيدة، بل يندب السفر لزيارة الموتى خصوصاً مقابر الصالحين، أما زيارة قبر النبي فهي من أعظم القرب، وكما تندب زيارة القبور للرجال تندب أيضاً للنساء العجائز اللاتي لا يخشى منهن الفتنة إن لم تؤدّ زيارتهن إلى الندب أو النياحة وإلا كانت محرّمة.

فقد اتضح لك من خلال كلمات الأعلام أنّ هذه الكراهة التي قال بها بعضهم من جهة بعض المفاصد التي تحصل تارة خلال زيارتهن، وإلا فنفس زيارتهن لا منع فيها، وكما تندب وتستحب للرجال تندب للنساء أيضاً.

وقد أجاب عن هذا الاشكال (المفسدة) ابن حجر الهيثمي المتوفى ٩٧٣هـ لما سئل عن زيارة قبور الأولياء في زمن معين مع الرحلة إليها هل تجوز؟ مع أنه يجتمع عند تلك القبور مفاصد كثيرة كاختلاط النساء بالرجال، وإسراج السُرج الكثيرة وغير ذلك، بقوله:

زيارة قبور الأولياء قريبة مستحبة وكذا الرحلة إليها... إلى أن قال وما أشار إليه السائل من تلك البدع أو المحرمات، فالقربات لا تترك لمثل ذلك، بل على الإنسان فعلها وإنكار البدع، بل وإزالتها إن أمكنه، وقد ذكر الفقهاء في الطواف المندوب فضلاً عن الواجب أنه يفعل ولو مع وجود النساء وكذا الرمي، لكن أمره بالبعد عنهن، وكذا الزيارة يفعلها لكن يبعدُ عنهن وينهى عما يراه محرّماً، بل ويزيله إن قدر...

(١) كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ١: ٤٢٤.

٥٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

ثم قال: ومن أطلق المنع من الزيارة خوف ذلك الاختلاط يلزمه إطلاق منع نحو الرمي والطواف، بل الوقوف بعرفة أو مزدلفة والرمي إذا خشي الاختلاط أو نحوه، فلما لم يمنع الأئمة شيئاً من ذلك مع أن فيه اختلاطاً أي اختلاط، وإنما منعوا نفس الاختلاط لا غير، فكذلك هنا، ولا تغترّ بخلاف من أنكر الزيارة خشية الاختلاط؛ فإنه يتعين حمل كلامه على ما فصلناه وقرّرناه، وإلا لم يكن له وجه، وزعم أن زيارة الأولياء بدعة لم تكن في زمن السلف، ممنوع، ويتقدير تسليمه فليس كل بدعة ينهى عنها، بل قد تكون البدعة واجبة فضلاً عن كونها مندوبة كما صرحوا به^(١).

وقد تبين إلى هنا أنّ زيارة النساء كزيارة الرجال مندوبة ولا يصح التفريق بينهما، ولهذا نرى أن المانعين الذين منعوا من زيارة النساء للقبور قد استثنوا قبر النبي ﷺ من المنع، حيث رأوا أنّ أصل منعهم لا يرتكز على منطلق وبرهان، فتنازلوا عن تلك الحدة، وجوزوا لمن زيارة قبر النبي ﷺ في وقت معين.

آداب الزيارة

ولزيارة القبور آداب قد ذكرها الأعلام وهي دليل آخر على المشروعية، نذكر بعضها:

وهي:

- ١ - أن يكون الزائر على طهارة.
- ٢ - أن يأتي من قبل رجلي الميت لا من قبل رأسه.
- ٣ - قراءة ما تيسر من القرآن ويستحب قراءة يس والتوحيد.

(١) الفتاوى الحديثة الفقهية ٢: ٩٧٣ وراجع الغدير ٥: ١٧٥.

٤ - رشّ القبر بالماء الطاهر.

٥ - التصديق عنهم.

٦ - أن يكثر من الدعاء والاستغفار لهم.

كيفية الزيارة

فقد وردت زيارات كثيرة بألفاظ مختلفة عن النبي والأئمة عليهم السلام وعن أعلام المذاهب، وهي تنبئنا عن التوسعة للزائر.

ومن الزيارات ما روتها عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله قال: قولي:

«السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، يرحم الله المستقدمين منا وإنا إن شاء الله بكم لاحقون».

ومنها: ما روي عن علي أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان إذا دخل المقبرة قال: (السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة والحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات، اللهم اغفر لنا ولجميعنا وتجاوز بعفوك عنا وعنهم، ثم يقول: الحمد لله الذي جعل لنا الأرض كفاتاً أحياءً وأمواتاً، والحمد لله الذي منها خلقنا، وإليها معادنا، وعليها محشرنا طوبى لمن ذكر المعاد، وعمل الحسنات وقنع بالكفاف، ورضي عن الله عز وجل).

واعلم أن الآداب الواردة والزيارات الكثيرة التي رواها الأعلام تزيدنا دليلاً أيضاً على مشروعية الزيارة ورجحانها لقبور المؤمنين، ثم إن شرف الزيارة وكمالها وثوابها يدور مدار شرف المزور وكماله وقربه عند الله، فكلما كان قربه من الله واتصاله بالعوالم الغيبية أقوى وأكمل تكون كذلك مرتبة زيارته حتى تكون زيارته كزيارة الله تنزيلاً وتشريعاً لا حقيقة.

الفصل الثاني

الأدلة على جواز زيارة

قبر النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام

وسائر الأولياء

الأدلة على جواز زيارة

قبر النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام وسائر الأولياء

أما الجواب عن مشروعية زيارة قبر النبي ﷺ وسائر الأئمة والأولياء عليهم السلام، هو كما قلنا في أوّل بحث زيارة القبور أنه من المتسالم عليه بين جميع الفرق الإسلامية، ولا نجد أيّ مخالف لها بين المسلمين المتقدمين والمتأخرين، وقلنا سابقاً إنّ نفس المانعين لم يعترضوا على أصل الزيارة ظاهراً، بل قالوا بعدم جواز شد الرحال إليها، لكن الذي يُظهره عملهم وتناقضهم في الكلام هو المنع مطلقاً.

وقد ذكرنا الأدلة العامة لرجحان زيارة القبور مطلقاً، سواء كان نبياً أو غير نبي.

وكما قلنا سابقاً: إنّ نفس هذه الأدلة العامة كافية لإثبات رجحان زيارة قبر الرسول والأئمة عليهم السلام؛ لأن قبر النبي ﷺ من أعظم القبور وأشرفها، لعظمة من ضمنه وشرافته، فإذا ثبت رجحان زيارة سائر القبور فقبره ﷺ بطريق أولى، وإذا كانت في زيارة سائر القبور تلك الآثار ففي زيارة قبره اضعاف مضاعفة.

ولكن مضافاً إلى ذلك، هناك أدلة كثيرة تحث وتؤكد على محبوبة زيارة قبر الرسول المصطفى ﷺ وأهل بيته المعصومين عليهم السلام تبعاً له؛ لأنهم أوصيائه وخلفائه ووراث علمه وخلقه وجميع صفاته وما ثبت له إلا النبوة، فكل فضيلة ومزية ثبتت له بالدليل، التي منها زيارة قبره، فهي

٥٦ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

ثابتة لهم تبعاً، مضافاً إلى ما ورد من الروايات الخاصة التي تحث على زيارتهم، وسنذكرها إن شاء الله.

الأدلة على

مشروعية زيارة الرسول

صلى الله عليه وآله

الدليل الأول: القرآن الكريم

الدليل الثاني: السنة

الدليل الثالث: الإجماع

الدليل الرابع: العقل

الدليل الخامس: سيرة المسلمين والصالحين

الدليل السادس: ما يستفاد من الفروع والآداب

المذكورة للزيارة

الدليل الأول

القرآن الكريم

الدليل الأول:

القرآن الكريم

فقد حث على زيارته ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾^(١).

مفهوم الزيارة

رقيب الاستدلال بالآية ينبغي بيان مفهوم الزيارة:

فالمراد من الزيارة: هو نفس الحضور والوفود والمجيء عند المزور إكراماً له واستثناساً به، والمزور سواء كان مكاناً أو انساناً، والإنسان سواءً كان نبياً أو إماماً أو أحد الأولياء والعلماء، أو كان من الأقرباء أو الأصدقاء.

والحضور سواء كان لطلب الاستغفار أو بدونه، وسواء كان للاطلاع والرؤية أو العبادة، وأما التسليم فليس داخلياً في معناها، بل من آدابها، فإن من حضر في مكان كان من أدبه أن يسلم على من حلّ فيه.

وهذا التسليم تازه يكون بنحو خاص واردة في السنة.

وتارة لا يكون كذلك بل يسلم بأي نحو شاء، وهكذا الاستغفار

(١) النساء ٦٤.

والدعاء ليسا داخلين في معنى الزيارة، بل هما من الأمور المستحبة التي تقع في الأمكنة المقدسة الشريفة التي شأ شرف عند الله.

وقد استعملت الزيارة بهذا المعنى في موارد من القرآن منها: ﴿أَلْيَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾^(١) فإن زُرْتُمْ قد تعمل بمعنى الحضور واللقاء.

ويؤيد ما ذكرناه من المعنى، ما حققه العلامة المامقاني من المعنى اللغوي واليك ملخصاً منه:

إن الزيارة من العبادات المطلوبة شرعاً والسنة المؤكدة نقلاً وعملاً، بل ورد أن الوالي يجبر الناس على بعض الزيارات إن تركوها رأساً، كزيارة النبي ﷺ.

وحقيقتها: الحضور لدى المزور إكراماً له واستئناساً به، وصرح جمع من اجلاء أهل اللغة بأن الزيارة لغة: القصد، يقال زاره يزوره زيارة: قصده، ومنه زار أخاه أى قصده ابتغاء وجه الله، وحقيق على الله أن يكرم زواره: أى قاصديه، واللهم اجعلني من زوارك: أى من القاصدين لك الملتجئين إليك.

وفي النهاية الأثرية ومجمع البحرين وغيرهما: إن الزيارة في العرف: قصد المزور إكراماً له وتعظيماً له وإستئناساً به. ولازم كون الزيارة بمعنى القصد صدق الزيارة مع تحقق قصد المزور وتحقيق مانع من اللقاء لفقد المزور أو حدوث مانع من الوصول إليه ونحو ذلك^(٢).

(١) التكاثر

(٢) النهاية لابن أثير: ٢: ٣١٨ زور، مجمع البحرين ٢: ٣٢٠ زور، لسان العرب ٤:

كلام المامقاني في معنى الزيارة

قال المامقاني: ولي فيه تأمل: فإن المعنى الحقيقي للزور - بالفتح - في اللغة: هو وسط الصدر أو ما ارتفع منه إلى الكتفين، أو ملتقى أطراف عظام الصدر حيث اجتمعت، والزيارة بالمعنى المبحوث عنها من ذلك، فهي بمعنى مقابلة الصدر بالصدر، ولذا فسرناها بالحضور، لفقد ذلك المعنى بمجرد القصد من دون تحقق الحضور.

وهذا الذي ذكرته من كون الزيارة بالمعنى المبحوث عنه مأخوذة من الزور بمعنى وسط الصدر قد خطر بالبال، وكنت منه على ريبة، إلى أن عثرت على تصريح أبي طاهر محمد بن يعقوب في القاموس بذلك، فحصل لي الاطمئنان به. قال: - بعد عد جملة من معاني الزور التي منها المضي إلى شخص للقاءه إكراماً له - ما ترجمته: يقال زاره يزوره زواراً: الزائر يلتقي بصدرة، أو يقصد لقاء صدر المزور، وذلك من لوازم المواجهة^(١). انتهى ما في القاموس.

ثم قال المامقاني ويمكن استشمام هذا الذي ذكرناه من قوله في تاج العروس: والزور مصدر زار يزوره زورا: أي لقيه بزوره أو قصد زورا أي وجهته، كما في البصائر، بناء على كون يزوره في قوله لقيه بزوره - بالباء الموحدة الجارة - فيكون معناه: أي لقيه بصدرة^(٢)، فتدبر جيداً.

والحاصل: الأظهر أن الزيارة لا تحصل بدون ملاقة المزور والحضور عنده.

وأما إعطاء الثواب له عند عدم الملاقة، فلنية الخير التي هي خير من العمل، وقولهم: خير الزيارة فقدان المزور، مجاز.

(١) القاموس المغيث ٢: ٤٢.

(٢) تاج العروس ٣: ٢٤٥ الزور.

ويؤيد ذلك قوله ﷺ في رسالة ابن أبي عمير: وتسلم على الأئمة ﷺ من بعيد كما تسلم من قريب، غير أنك لا يصلح أن تقول: أتيتك زائراً، بل تقول موضعه: قصدتك بقلبي زائراً إذ عجزت عن حضور مشهدك، ووجهت سلامي إليك لعلمي بأنه يبلغك ﷺ، فاشفع لي عند ربك عز وجل، وتدعو بما أحببت^(١).

هذا ما انتخبته من كلام المامقاني ﷺ.

ويؤيد ما قاله من أن إطلاق الزيارة على زيارتهم من بعيد مع عدم الحضور، إطلاق مجازي ومساعي ومن باب إعطاء الثواب، روايات أخر وردت في باب زياراتهم ﷺ.

فإذا كان المراد من الزيارة هو الحجى والحضور عند المزور فهذه الآية دلت على الحث على الحجى والحضور عند الرسول ﷺ، أي على زيارته.

وإذا ثبت رجحان الحضور - الزيارة - وطلب الشفاعة منه في حياته ﷺ ثبت أيضاً بعد مماته، لما قد ثبت بالأدلة المعتبرة المتفق عليها بين الجمهور بأنه ﷺ حيّ عند ربّه مرزوق يرى مقام الزائر ويسمع سلامه ويردّ جوابه، وأن أعمال الأمة تعرض عليه ويستغفر لهم ويحمد الله على حسناتهم، وستأتي الأحاديث في هذا المقام.

فإذا ثبت عدم الفرق بين حياته الظاهرية وحياته البرزخية، فلا مانع من زيارته بعد مماته وطلب الإستغفار منه، وطلب حل المشكلات، وطلب الدعاء منه، فالأمر بالجمع يمتد إلى ما بعد مماته.

بل وقد ثبتت الحياة لسائر الموتى من الأولياء والشهداء والمؤمنين وغيرهم وتفصيل المطلب يأتي في محله.

قصة الأعرابي

وهنا قصة معروفة للأعرابي تؤيد الاستدلال بهذه الآية، وقد ذكرها أكثر علماء الجمهور بطرقهم عند ذكر هذه الآية واستحسنوا ذكرها وليس هذا إلا من أجل دلالتها الواضحة على المطلب، وهو رجحان زيارته ﷺ مطلقاً، حياً وميتاً، وسواء كان بشد الرحال أو بدونه.

قال السبكي: والآية وإن وردت في أقوام معينين في حالة الحياة، فتعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف في الحياة وبعد الممات^(١).

ثم قال السبكي فيما حكاه عنه السمهودي: والعلماء فهموا من الآية العموم لحالتي الموت والحياة، واستحبوا لمن أتى القبر أن يتلو هذه الآية ويستغفر الله.

ثم قال: وحكاية الأعرابي في ذلك مشهورة نقلها جماعة من الأئمة عن العُتبي واسمه محمد بن عبيد الله بن عمر وأدرك ابن عيينة وروى عنه وقد حكاه المصنفون في المناسك من جميع المذاهب واستحسنوها ورأوها من أدب الزيارة وذكرها ابن عساكر في تاريخه، وابن الجوزي في مشير الغرام الساكن وغيرهما بأسانيدهم إلى محمد بن حرب الهلالي قال:

دخلت المدينة فأتيت قبر النبي ﷺ فزرته وجلست بحذائه، فجاء أعرابي فزاره ثم قال: يا خير الرسل إن الله أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ...﴾ وإني جئتكم مستغفراً لذنبي، مستشفعاً بك إلى ربي، ثم بكى وأنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهنّ القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

(١) شفاء السقام: ١٨٣

ثم استغفر وانصرف، فغلبتني عيني فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال لي: يا عتي الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له بشفاعتي، فاستيقظت فخرجت اطلبه، فلم أجده^(١).

ثم ذكر السهمودي هذه القصة بطريقتين آخرين عن علي ﷺ .

الأول: قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان في كتابه مصباح الظلام عن ابن سعيد السمعاني أنه روي عن علي بن أبي طالب ﷺ: أنهم بعد دفنه ﷺ بثلاثة أيام جاءهم أعرابي فرمى بنفسه على القبر الشريف على ساكنه أفضل الصلاة والسلام، وحثا من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله ما وعينا عنك، وكان فيما أنزله عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي إلى ربي، فنودي من القبر الشريف: إنه قد غفر لك.

الثاني: قال: وروى ذلك أبو الحسن علي بن إبراهيم بن عبد الله الكرخي، عن علي بن محمد بن علي، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الطائي قال: حدثني أبي عن أبيه، عن سلمة بن كهيل، عن ابن صادق، عن علي بن أبي طالب ﷺ، فذكر الحديث. انتهى ما في وفاء الوفا^(٢).

فتحصل: إن هذه الآية في غاية الوضوح في الدلالة على مشروعيتها

(١) وفاء الوفا ٤: ١٣٦١.

وقد ذيله أبو الطيب أحمد بن عبد العزيز بأبيات وقال:

وفيه شمس التقى والدين قد غربت من بعدما أشرقت من نورها الظلم
حاشا لوجهك أن يبلى وقد هُديت في الشرق والغرب من أنواره الأمم

(٢) وفاء الوفا ٤: ١٣٦١. وجاءت هذه القصة في تفسير القرطبي أيضا، ورواها ابن

كثير في تفسيره عن الشيخ أبي منصور الصباغ

زيارة قبره ﷺ والاستغفار عنده وطلب الاستغفار منه والتوسل به وطلب الشفاعة منه والمجيء عنده والذي من أحد لوازمه السفر وشد الرحل كما صدر من الأعرابي، وإنه لا فرق بين حياته ومماته، فهي تفيد العموم لحالي الحياة والممات للمزور وهكذا الحضر والسفر للزائر.

إن قلت: كيف يستفاد منها العموم لحالي الحياة والممات؟

قلنا: من وقوع الفعل ﴿جَاءُوكَ﴾ في سياق الشرط، فإن الفعل إذا وقع في سياق الشرط أفاد العموم؛ لأنه يصير في معنى النكرة، لتضمّنه مصدراً منكرأً، والنكرة في سياق النفي أو الشرط تكون للعموم.

فالآية الشريفة طالبة للمجيء إليه ﷺ في جميع الحالات؛ لوقوع ﴿جَاءُوكَ﴾ فيها في حيز الشرط الذي يدل على العموم.

ولأجل فهم العموم نرى كثيراً من المفسرين يذكرون معها حكاية العتبي أو (الأعرابي) الذي جاء إلى القبر الشريف، وهكذا نجد أكثر فقهاء المذاهب يذكرون هذه الآية في مناسك الحج عند الكلام في زيارة قبر النبي الأعظم وآدابها، فإن هذه التفاسير الموجودة والمناسك التي صنّفها علماء المذاهب كلها تظهر صدق دعوى الاستدلال بالآية على مشروعية مطلق الزيارة.

وبعنوان المثال إليك كلمة واحد منهم وهو العلامة أبو محمد ابن قدامة الحنبلي، الذي قال فيه ابن تيمية: ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من ابن قدامة، فإنه قد ذكر هذه الآية في المغني في صفة زيارة المصطفى ﷺ ما نصه:

ثم تأتي القبر فتولي ظهره وتستقبل وسطه وتقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا نبي الله وخيرته من خلقه...

إلى أن قال بعد الثناء والصلوة على النبي: اللهم إنك قلت وقولك الحق: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ الخ وقد أتيتك مستغفراً من ذنوبي، مستشفعاً بك إلى ربّي فأسألك يا رب أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حياته، اللهم اجعله أوّل الشافعين، وأنجح السائلين، وأكرم الآخرين والأوليين، برحمتك يا أرحم الراحمين، ثم يدعو لوالديه وإخوانه المسلمين أجمعين^(١) انتهى كلامه مع التلخيص.

وقد أنكر بعض المانعين دلالة الآية على العموم، فقال: إذ تستعمل ظرفاً لما مضى وليست ظرفاً للمستقبل، لم يقل الله سبحانه (ولو أنهم إذا ظلموا...) بل قال: ﴿إِذْ ظَلَمُوا﴾، فالآية تتحدّث عن أمر قد وقع في حياة الرسول ﷺ، واستغفار الرسول بعد مماته أمر متعذر؛ لأنه إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث، كما قال الرسول ﷺ: «صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

فلا يمكن للإنسان بعد موته أن يستغفر لأحد، بل ولا يستغفر لنفسه أيضاً؛ لأن العمل انقطع^(٢). انتهى كلامه.

فلاحظ هذا الشخص كيف تحدّى وتجاسر على صاحب الرسالة المحمدية حيث جعله أقل من الشهداء، وحتى من سائر الموتى الذين ثبتت الحياة البرزخية لهم بعد موتهم واستغفارهم ودعائهم ووو كما سيأتي في محله.

والجواب عنه: أولاً: إنّ إذ لا تستعمل في الماضي فقط، بل تستعمل في المستقبل أيضاً ولها معان أخرى ذكرها ابن هشام في مغني اللبيب، وقد

(١) المغني لابن قدامة ٣: ٥٩٠.

(٢) هو محمد بن صالح العثيمين، في فتاواه ١: ٨٩ ولاحظ رفع المنارة ٦١.

صَرَحَ به الأزهري، فقال في تهذيب اللغة: العرب تضع (إذ) للمستقبل
و(إذا) للماضي^(١). وله شواهد في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَعُوا عَلَى النَّارِ﴾^(٢) وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَعُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾^(٣)
وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ﴾^(٤) وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ
الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٥) ففي جميع هذه الآيات قد
استعملت (إذ) للمستقبل.

وثانياً: إن استغفاره ﷺ غير متعذر وعمله غير منقطع، كيف وقد
صَحَّ عنه ﷺ: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون»^(٦).

وقال ﷺ: «مرت على موسى وهو قائم يصلي في قبره»^(٧).

وورد أن النبي ﷺ صلى إماماً بالأنبياء ﷺ في الإسراء، وكانوا قد
ماتوا جميعاً، وراجعهم موسى ﷺ في الصلاة.

فإذا ثبتت حياة الأنبياء ثبتت حياته بطريق أولى؛ لأنه منهم، بل
أكملهم وأشرفهم وأعظمهم درجة عند الله، وهكذا ثبتت صلواته

(١) تهذيب اللغة ١٥: ٤٧.

(٢) الأنعام: ١٢٧.

(٣) الأنعام: ١٣٠.

(٤) الأنعام: ٩٣.

(٥) السجدة: ١٢.

(٦) أخرجه البيهقي في حياة الأنبياء ٢: ٤٤ وأبو يعلي في مسنده ٦: ١٤٧ وأبو نعيم

في أخبار أصبهان ٢: ٤٤ وابن عدي في الكامل ٢: ٧٣٩، وقال الهيثمي في المجمع

٨: ٢١١ ورجال أبي يعلي ثقات والحديث له طُرق.

(٧) أخرجه مسلم: ٤/١٨٤٥ وأحمد: ٣/١٢٠ والغوي في شرح السنة: ١٣/٣٥١ وغيرهم.

واستغفاره، فإن الصلاة دعاء وتضرع واستغفار.

فمع هذه الأحاديث الصحيحة المتواترة كيف يقول بانقطاع عمله وتعذر استغفاره؟!

والحال أنه قد صح عنه ﷺ: «حياتي خير لكم تحدثون وأحدث لكم، ووفاتي خير لكم تُعرض عليّ أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت لكم»^(١).

فما أصرح من هذا الحديث الشريف؟! وليت شعري هل أنه علم بهذه الأحاديث الصريحة، ولكن تبع هواه، أم كان من الجاهلين فتجراً بجهله بالمداخلة في أمر الدين؟

وما أدري هل نسي آية حياة الشهداء وأنهم يرزقون؟ أو تصور أن رتبته ﷺ أقل من ربتهم؟ العياذ بالله من الغفلة والنسيان.

وفضلاً عن جميع ما قدمناه، فإن استغفار الرسول ﷺ قد حصل لجميع المؤمنين والمؤمنات سواء من أدرك حياته ومن لم يدركها، فقد قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(٢).

وهذه مئة منه على المؤمنين والمؤمنات، وخصوصية من خصوصيات رسول رب العالمين، ولهذا قال عاصم بن سليمان التابعي لعبد الله بن سرجس الصحابي: استغفر لك رسول الله ﷺ؟ فقال: نعم ولك، ثم تلا هذه الآية، رواه مسلم^(٣).

(١) قال عنه الحافظ العراقي في طرح الشريب: ٢٩٧/٣ إسناده جيد، وقال الهيثمي في

المجمع: ٢٤/٩ رواه البزار ورجاله رجال الصحيح وصححه السيوطي وغيره.

(٢) سورة محمد: ١٩.

(٣) صحيح مسلم ٨٦/٧ كتاب الفضائل باب إثبات خاتم النبوة وفي طبعة أخرى:

١٨٢٣/٤ ولاحظ الشمائل للترمذي رقم ٢٢.

وهذا الاستغفار شامل لجميع من جاء عنده واستغفر من ذنبه وطلب الاستغفار منه سواء كان في حياته أو بعدها، فإذا تحققت تلك الأمور الثلاثة، إذن يجدون الله تواباً رحيماً ولا يخص طائفة خاصة دون أخرى^(١)؛ لأن العموم المستفاد منها ينافي تلك الخصوصية، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وعليه فتعمم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف في الحياة وبعد الممات. والعجب! من كلمته هذه (إذا مات انقطع عمله) كيف تجاوز في القول عن قدوته ابن تيمية الذي كان كثير المغالطة والتناقض في كلامه، لكن مع هذا قال في كتابه (الصارم المسلول على شاتم الرسول):

وهو ﷺ في ترقُّ وارتفاع إلى يوم الدين، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة ومقرَّر في كتب الخصائص ودلائل النبوة والشفاعة وشروحه.

فقد قال ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»^(٢).

ثبت بهذا الحديث أن جميع الأعمال الصالحة التي تصدر عن الأمة المحمدية إنما هي بدعوة الرسول ﷺ للأمة الإسلامية فتوابها راجع إليه وهو ينتفع به قطعاً من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيء.

فعمله مستمر ما دامت الأمة تعمل بما دعى إليه، فكيف يقال إذا

(١) خلافاً لما قال بعضهم أنها قد وردت في طائفة خاصة في حياته ﷺ وعليه فلا يصح الاستدلال للعموم. ولا يخفى أنه ورد في التفسير أنها نزلت في شأن المنافقين الذين تعاهدوا فيما بينهم لئن أمات الله محمداً لا يردوا هذا الأمر في بني هاشم، فراجع التفسير.

(٢) سنن الترمذي (الجامع الصحيح) ٥: ٤٢ ح ٢٦٧٤، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

مات انقطع عمله؟!!!.

وفي هذا الصدد قال ابن تيمية في الفتاوى: ثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال: من دعى إلى هدى... ومحمد ﷺ هو الداعي إلى ما تفعله أمته من الخيرات، فما يفعلونه له فيه من الأجر مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء. انتهى كلام ابن تيمية^(١).

وهو مع كثرة ما يعاند ويتناكد اعترف بهذه المقامات الروحية؛ فقولته: فما يفعلونه له ﷺ فيه من الأجر مثل أجورهم دليل واضح على أن مجرد موت الرسول ﷺ لا يعني الانقطاع عن الدنيا، وهو ما يفرض على المسلمين الآن وفي كل عصر أن يتعاملوا مع الرسول ﷺ من هذا المنطلق، وزيارته ﷺ تحقق هذا المبدأ، وهي اعتراف ضمني للارتباط بين المسلم ونبية ﷺ.

ودليل ذلك أن ابن تيمية من جانب لما أراد منع الناس من زيارته والحضور عنده والسفر إليه ﷺ، قال: إنه حي يعلم بمن يسلم عليه ويرى مقامه ويردّ سلامه وينبغي تعظيمه والسلام والصلاة عليه في أي مكان ولا حاجة من الحضور عنده وشد الرحل إليه وهذا ليس فيه أي دليل.

ولكن لما أراد إنكار الشفاعة والتوسل به إلى الله وطلب الحاجة منه، خالف مقالته السابقة. وبهذا قد صدق في حقه: «إن كنت لم تستح فاصنع ما شئت».

وإليك كلمة أخرى لابن القيم - تلميذ ابن تيمية - في حياة الرسل بعد مماتهم قال في جملة من كلام له: والرسل أكمل حالة منه (أي الشهيد) بلا شك، وهذا ظاهر التبيان، فلذلك كانوا بالحياة أحق من شهدائنا، بالعقل والبرهان، وبأن عقد نكاحه ﷺ لم يفسخ، فمساؤه في عصمة

(١) الفتاوى لابن تيمية: ١/١٩١.

وصيان، ولأجل هذا لم يحلّ لغيره منهن واحدة مدى الأزمان، أفليس في هذا دليل، أنه حيّ لمن كانت له أذنان^(١).

وأيضاً قال عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في رسالته:
والذي نعتقده أن رتبة نبينا أعلى مراتب المخلوقين، وأنه حي في قبره حياة برزخية أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها في التنزيل؛ إذ هو أفضل منهم، وأنه يسمع سلام المسلم عليه، وتسُنُّ زيارته إلا أنه لا تشد الرحال إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه^(٢).

وبعد هذه الكلمات التي أضفتها لتلك البيّنات يتضح لك الصواب، ويظهر لك ما في قلب هذا المخالف من العناد وفي عقله من الفساد، حيث لم يكتف بمقالة أسلافه المغويبات، وقد بلغ تجاسره على الساحة المحمدية إلى أعلى حد، فأنكر حياته وأدعى انقطاع عمله.

وختاماً في البحث عن الآية الشريفة، نقول لك أيها القارئ العزيز:
لو ابتعدت عن التعصب والانتماء إلى هذا وذاك، لرأيت في هذه الآية الشريفة أكبر دليل وبرهان على مشروعية زيارة سيد الأنام، وعموميتها لحالي الحياة والمات وتأكدها في حق من كان قريباً أو بعيداً من المقام.

وإذا ثبت رجحان زيارته والتوسل به إلى الله، فيثبت أيضاً رجحان زيارة أهل بيته والتوسل بهم كما قدمنا، لأنهم خلفائه وأوصيائه وورثة علمه وجميع صفاته إلا النبوة، فلا يصح التفريق بينهم.

وبعد هذا الكلام لا يبقى لك أيّ إبهام ولا شبهة ولا ظلام، والله المستعان من الهلكات والنيران.

(١) التونية مع شرح ابن عيسى: ٢ / ٢١٠.

(٢) الهدية السنية، الرسالة الثانية.

٧٤ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

على أن الاستدلال لا يقف على ما تقدم؛ ففي السنة النبوية ﷺ والتي هي عدل القرآن ما يبيط اللثام عن مشروعية الزيارة، نسردها لك كالتالي:

الدليل الثاني

السنة

أولاً:

الأحاديث الواردة من طرق العامة

وبعد وقوفك أيها القارئ العزيز على الأدلة العامة الحاتة على زيارة مطلق القبور وزيارة قبور الأولياء والصالحين، ووقوفك أيضاً على الدليل من القرآن في الحث على زيارة النبي ﷺ وطلب الدعاء والاستغفار منه، نذكر لك ما ورد من الروايات التي جاء فيها الحث على زيارة خصوص قبر النبي الأعظم صلوات الله عليه وآله، وهي أحاديث كثيرة قد أخرجها أئمة المذاهب الأربعة وحفاظها في الصحاح والمسانيد وذكرها جمع كثير من علماء السنة والإمامية على اختلاف مذاهبهم.

ونحن إن شاء الله نذكرها على كثرتها واختلاف طرقها واختلاف مضامينها مع البحث فيما وقع فيها من الخدشة والتضعيف.

وهي تنقسم من حيث المضامين على أقسام، فقسم منها ما يشير إلى ما يترتب على الزيارة من الآثار والفوائد التي من أهمها شفاعة الرسول لزارته وشهادته له بها يوم القيامة ونيل جواره ﷺ.

وقسم منها يشير إلى أن زيارته بعد وفاته كزيارته حياً من حيث الثواب والأجر والآثار، وقسم منها ما يحذر من ترك زيارته ويشير إلى ما فيه من الجفاء له ﷺ وعدم أداء حقه.

أما الطائفة الأولى المشيرة إلى: «الشفاعة - الشهادة - الجوار»:

الرسول المصطفى يشفع لزواره

الحديث الأول: رواه الدارقطني في السنن والبيهقي والهندي وغيرهم بالأسانيد من طريق موسى بن هلال العبدي، عن عبيدالله (أو عبدالله) بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من زار قبري وجبت له شفاعتي»^(١).

فهو صريح في الحث على زيارته بعد مماته، وأن هذه الزيارة توجب وتقتضي شفاعته ﷺ للزائر.

أما الكلام في سنه على نحو الاختصار:

فقد بسط الكلام الحافظ تقي الدين السبكي في طريق هذا الحديث في شفاء السقام، وقل: والرواة جميعهم إلى موسى بن هلال ثقة لا ريب فيهم، وموسى بن هلال، قال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به وهو من مشايخ أحمد بن حنبل، وأحمد لم يكن يروي إلا عن ثقة. وقد صرح الخصم بذلك في الردّ على البكري.

ثم ذكر شواهد لقوة سنه فقال: وبذلك تبين أن أقل درجات هذا

(١) سنن الدارقطني ٢: ٢٧٨ ح ١٩٤، وسنن البيهقي ٥: ٢٤٥، وكنز العمال للهندي ٥: ١٣٥ ح ١٢٣٧١ و١٥: ٦٥١ برقم ٤٢٥٨، وشعب الإيمان ٣: ٤٩٠ ح ٤١٥٩، ومجمع الزوائد ٤: ٢، والدر المنثور ١: ٥٦٩... وانظر شفاء السقام ٦٥ والغدير ٥: ٩٣ ومصادره الكاملة.

أقول: إن الحديث سواء كان رواه موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر الذي هو الأصح أو عبد الله بن عمر فلا إشكال فيه، فقد تعرض له الحافظ السبكي وصاحب رفع المنارة مفصلاً، ومن أراد التفصيل وجواب بعض الإشكالات الواردة فليراجع كتاب رفع المنارة وشفاء السقام.

الحديث أن يكون حسناً إن نوزع في دعوى صحته، إلى أن قل: وبهذا بل بأقل منه يتبين افتراءً من ادعى: أن جميع الأحاديث الواردة في الزيارة موضوعة.

فسبحان الله! أما استحي من الله ومن رسوله في هذه المقالة التي لم يسبقه إليها عالم ولا جاهل لا من أهل الحديث ولا من غيرهم؟ ولا ذكر أحد موسى بن هلال ولا غيره من رواة حديثه هذا بالوضع ولا اتهمه به فيما علمنا، فكيف يستجيز مسلم أن يطلق على كل الأحاديث التي هو واحد منها أنها موضوعة؟! ولم ينقل إليه ذلك عن عالم قبله، ولا ظهر على هذا الحديث شيء من الأسباب المقتضية للمحدثين للحكم بالوضع، ولا حكم منتهٍ مما يخالف الشريعة، فمن أي وجه يحكم بالوضع عليه لو كان ضعيفاً؟ فكيف وهو حسن أو صحيح؟!^(١)

هذا ملخص كلام السبكي حول الحديث وقد حقق في رجاله وطرقه تحقيقاً لا يبقى معه أي شبهة لمن أراد الإطلاع على الحقائق، ينبغي للباحث الرجوع إليه.

وذكر صاحب الغدير عليه السلام طرق هذا الحديث، وأسماء من نقله من الحفاظ وأئمة المذاهب ما يبلغ عددهم ٤٠ شخصاً، ولولا لزوم التطويل لذكرتهم جميعاً حتى لا يبقى أي خفاء وعذر، ولكن أوصيك أيها القارئ الكريم المراجعة إليه لازدياد يقينك^(٢).

ومن المتأخرين المعاصرين الشيخ سعيد محمود ممدوح صاحب رفع المنارة في أحاديث الزيارة الذي بذل جهده في هذا الباب ولم يبق شيئاً من الإشكالات والشبهات في الأحاديث إلا أجاب عنها وأعطى الحق فيها صحةً وضعفاً وابتعد في تحقيقه عن أي تعصب فقد تعرض لهذا الحديث

(١) شفاء السقام: ٦٥ - ٨٠ ط الرابعة، وانظر الكامل لابن عدي ٨: ٦٩.

(٢) الغدير ٥: ٩٢.

مفصلاً وصححه واعتمد عليه وهو بحث رجالي مستقل ولا مجال هنا لنقله، والطالب لهذه الأبحاث يمكنه المراجعة إلى ذلك الكتاب^(١).

أقول:

لكن من بعد هذا التحقيق الدقيق الذي ذكرناه من الحافظ السبكي الذي قد أدى حق البحث في زيارة قبر النبي الأعظم ﷺ وأنصف وتبعّد عن العصبية والأهواء النفسانية وهكذا صاحب الغدير العلامة الأميني (ره) حيث بذل جهده في إحقاق الحق في جميع الأمور الاعتقادية ودفع الشبهات الخارجية.

العجب من بعض المنحرفين الذين تبعوا ميولهم النفسانية وصدّوا عن الحقائق الإلهية، فكل باطل طابق ميولهم أخذوه وكل حق خالف أهوائهم طرحوه، ومنهم ابن عبد الهادي تلميذ ابن تيمية الذي تبعّد عن الحق وروّج آرائه بنشر الأباطيل وتكذيب الأساطين وعلماء الدين، حيث أخذ يحاول في الرد على الحافظ تقي الدين السبكي بالتشبّه بكل قشة وخذشة والاستدلال بكل ضعيف وتكلم بكلمات ينقض بعضها بعضاً، فنراه تعنّت أشد التعنّت في ردّ الأحاديث عند كلامه على الرجال وأطال الكلام جداً بنقل ما يراه موافقاً لرأيه في الجرح للأحاديث ولم يذكر من التعديل والتوثيق إلا ما وافق رأيه، وكرر كلماته إلى حدّ اللغو في الكلام.

فمن ذلك أنه ذكر أبحاثاً خارجة عن المقصود كالبحت المتعلق بالمرسل وطرق هذا الحديث «من زار قبري وجبت له شفاعتي» حيث كان في أحد طرقه حفص بن سليمان القارئ، وأطال الكلام في تضعيفه ونقل الأقوال فيه، ولكن ترك البحث عن طريق موسى بن هلال العبدي، لعدم تمكنه من الجرح فيه وعدم القول في تضعيفه، فهل هذا من الانصاف؟!!

وقد وسّع الكتاب بتكرار ذكر فتاوى ابن تيمية عقيب كل حديث،

(١) رفع المنارة للشيخ سعيد محمود معدوح : ٢٢٩ طبع دار الإمام النووي _ عمان.

- كما هو شأن أكثرهم - من غير أن يكون في تكرارها شيء جديد، بحيث لو حذفنا المكررات لما بقي من كتابه إلا جزءٌ صغير.

وإنك لما تطالع كتابه (الصارم المنكي في الرد على السبكي) لا ترى فيه إلا الافتراء والتناقض، وترى أن جميع من تأخر عنه من المانعين قد أخذ بطريقته الباطلة وأفكاره السافلة، من غير تدقيق وتحقيق، بل أكثر ما ترى منهم من الجرح في الأحاديث والتمسك بالناكير مأخوذة منه وليس عندهم شيء جديد، بل اتخذوا نفس طريقته بتكرار الكلمات وطرح الشبهات، فلاحظ كتاب (تبيه زائر المدينة) فتراه كما ذكرت لك يطابق النعل بالنعل، وليس هو إلا العمى والجهل والردى، فعافانا الله وإياكم منه.

ثم إنهم قد عرضوا^(١) عن هذا الحديث لتعدد طرقه واختلاف ألفاظه، فقالوا: إن الحديث قد روي عن ابن عمر بطريقتين.

١- الأول عن حمص بن أبي داود وهو حفص بن سليمان القارئ الكوفي، عن أبي ليث، عن مجاهد، عن ابن عمر، وقد ضعفه بحفص بن سليمان.

وأما ليث بن سليم فقالوا فيه: إنه مضطرب الحديث أو أنه قد اختلط أخيراً أو أنه إمام القراءة وليس شيء - على كلامهم - في الحديث أو تركوه.

هذا حاصل ما ذكر من النقد في هذا الطريق ونهاية ما فيه هو الضعف لا الوضع.

٢- الثاني عن موسى بن هلال البصري، عن عبد الله بن عمر أو

(١) كما في تبيه زائر المدينة لصالح السدلان: ٢١، من الكتب التي نشرت ووزعت

عبيد الله بن عمر، عن نافع.

وهذا الطريق لصحته لا يتكلمون^(١) فيه بالتضعيف والتوثيق أبداً، بل تراهم يتطرقون إلى الطريق الأول فقط، وهذا تدليس منهم وكتمان للحقائق واتباع للهوى!

ويرد عليهم أولاً: إنكم تعتقدون بأن تعدد الطرق لا يوجب الخدشة، بل يوجب تقويتها، فلماذا تطرحون هذا الحديث وتضعفونه؟

هذا مضافاً إلى أنه لو كان تعدد الطرق واختلاف الألفاظ موجباً للتضعيف فلماذا تستدلون بحديث شد الرحال الذي لا دلالة فيه على مدعاكم مع أنه نقل بطرق متعددة وألفاظ مختلفة، وحديث لعن الله زوارات القبور، فإنه أيضاً قد ورد بطرق متعددة وألفاظ مختلفة، وهل هذا إلا تدليس وتناقض في الكلام؟

وهذا دليل على اضطرابهم الكامل في الاستنباط، وإنهم يفتنون على ما تهوى أنفسهم في كثير من الأحيان.

وأما الجواب عن طريق حفص بن سليمان وليث بن أبي سليم فسيأتي إن شاء الله مفصلاً في الحديث السابع.

الحديث الثاني: رواه أحمد بن عمر البزار في مسنده عن قتيبة عن عبد الله بن إبراهيم، عن عبد الرحمان بن زيد، عن أبيه، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «من زار قبري حلَّت له شفاعتي»^(٢).

وهذا الحديث كالحديث السابق من ناحية المضمون، إلا أن في الحديث الأول كلمة «وجبت» في هذا الحديث كلمة «حلَّت» مضافاً إلى أن

(١) كما في تنبيه زائر المدينة أيضاً: ٢١.

(٢) مسند البزار (لاحظ كشف الأستار للهيتمي ١/٢٣٧ ط الأولى).

طريقه إلى ابن عمر يختلف عن الأول ولهذا أوردناه منفردا.

ومن ناحية السند: فقد وقع الإشكال والتضعيف في عبد الله بن ابراهيم وعبد الرحمان بن زيد بن أسلم، فضعفهما بعض، وقال بمتابعتهما وكتابة حديثهما بعض آخر، وعلى فرض الضعف فهو قابل للاستناد به تأييدا للحديث الصحيح الأول، وهكذا سائر الأحاديث الواردة، وتعاضد الأحاديث موجب لتقويتها وجبران ضعفها.

قال الحافظ السبكي: وإذا كان المقصود من هذا الحديث تقوية الأول به وشهادته له، لم يضر ما قيل في هذين الرجلين، إذ ليس راجعا إلى تهمة كذب ولا فسق، ومثل هذا محتمل في المتابعات والشواهد^(١).

أقول: وبهذا قد تبرء السبكي من الحكم على هذا الحديث بالصحة، فهو لا يقول بصحته، وعليه فقول ابن عبد الهادي: «إنَّ المستدل بالحديث عليه أن يبين صحته»^(٢)، زور وخروج عن قواعد البحث لأن السبكي ما استدل به ولا حكم بصحته، بل جعله شاهداً ومتابعاً لا يشترط فيها الصحة، وهذا واضح حتى على المبتدئ بعلم الحديث!!

الحديث الثالث: رواه الطبراني في الكبير والأوسط والدارقطني في أماليه، وأبو بكر المقرئ في معجمه من رواية مسلمة بن سالم الجهمي، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن سالم، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «من جاثني زائرا لا يعمله (أو تعلمه) حاجة إلا زيارتي كان حقاً علي أن أكون له شفيعاً يوم القيامة»^(٣).

(١) شفاء السقام الطبعة الرابعة ص ٨٣.

(٢) الصارم المنكي: ٤٢.

(٣) المعجم الكبير للطبراني: ١٢ / ٢٩١ رقم ١٣١٤٩ والأوسط: ١٥٧ والمجمع

للهيتمي: ٢٢ / ٤ ووفاء الوفا للسهمودي ٣ / ١٣٣٩.

وفي نقل: لا تحمله إلا زيارتي، وفي آخر: لم تنزعه حاجة...، وفي رابع: لا ينزعه إلا زيارتي كان حقاً على الله عز وجل... وفي خامس للغزالي: لا يهّمه إلا زيارتي... على حسب الاختلاف في النقل.

هذا الحديث باطلاقه يحث على الزيارة في الحياة وبعد الممات.

وقد أخرج جمع من أئمة الحديث والحفاظ الذين لا يُستهان بهم وبعديتهم.

منهم: الحافظ ابن السكن البغدادي في كتابه (السنن الصحاح) حيث جعل في آخر كتاب الحج: (باب ثواب من زار قبر النبي ﷺ) ولم يذكر في الباب غير هذا الحديث، وذلك منه حكم بأنه مجمع على صحته بمقتضى الشرط الذي شرطه في الخطبة.

وأما خطبته فهي: أما بعد فإنك سألتني أن أجمع لك ما صح عندي من السنن الماثورة التي نقلها الأئمة من أهل البلدان الذين لا يطعن عليهم طاعن فيما نقلوه، فتدبرت ما سألتني عنه فوجدت جماعة من الأئمة قد تكلفوا ما سألتني من ذلك، وقد وعيت جميع ما ذكره وحفظت عنهم أكثر ما نقلوه، واقتديت بهم وأجبتك إلى ما سألتني من ذلك في جميع ما يحتاج إليه من أحكام المسلمين.

فأول من نصب نفسه لطلب صحيح الآثار، البخاري، وتابعه مسلم، وأبو داود، والنسائي، وقد تصفحت ما ذكره وتدبرت ما نقلوه فوجدتهم مجتهدين فيما طلبوه، فما ذكرته في كتابي هذا مجملاً فهو مما اجمعوا على صحته، وما ذكرته بعد ذلك مما يختاره أحد من الأئمة الذين سميتهم فقد بينت صحته في قبول ما ذكره، ونسبته إلى اختياره دون غيره، وما ذكرته مما يتفرد به أحد من أهل النقل للحديث، فقد بينت علته ودلت على

انفراجه دون غيره، وبالله التوفيق^(١).

قال الحافظ السبكي بعد ما نقل هذه الخطبة: وابن السكن هذا امام حافظ ثقة كثير الحديث واسع الرحلة، سمع بالعراق والشام ومصر وخراسان وما وراء النهر من خلائق، إلى آخره^(٢).

أقول: ومع تصحيح عالم مقبول عند جهابذة العلم مثل ابن السكن لهذا الحديث لا يبقى أي مجال للبحث عن رجاله وإطالة الكلام فيه والجواب عن كلمات مثل ابن عبد الهادي الذي من عادته ودأبه تضعيف ما لا يعجبه، وبأي نحو كان، ولو بمخالفته لقواعد الحديث، وكأنه غفل في هذا الحديث عن تصحيح ابن السكن له، الذي هو أفهم وأعلم وأقدم منه في هذا الفن، ومع هذا كله إذا أردت تفصيل الكلام في البحث عن رجاله وردّ الإشكالات فيه فراجع رفع المنارة وشفاء السقام.

الحديث الرابع: رواه أبو داود الطيالسي عن سوار بن ميمون أبي الجراح العبدي، عن رجل من آل عمر، عن عمر، قال: سمعت رسول الله يقول:

(١) شفاء السقام: ٨٧ الطبعة الرابعة.

(٢) شفاء السقام ص ٨٨ و ٨٩ الطبعة الرابعة.

قال صاحب رفع المنارة: عند ما رتب ابن حزم كتب السنة جعل (صحيح ابن السكن) ثالث الكتب بعد الصحيحين، راجع تذكرة الحفاظ (١١٥٣/٣) وفي رفع المنارة ص ٣٠١، وقال في المتن: الحافظ ابن السكن صحح هذا الطريق بمفرده، فما بالك وهذا الطريق متابع لموسى بن هلال البصري! فهو مقبول، حسب القواعد.

أقول: متابعة موسى بن هلال لروايته عن عبيد الله أو عبد الله بن عمر تقدمت في الحديث الأول ص ٧٨.

من زار قبري، أو (من زارني) كنت شفيحاً له أو شهيداً، ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله عز وجل في الآمنين يوم القيامة^(١).

من المعلوم أن كلام النبي ﷺ ناظر إلى من مات على الإيمان والعمل الصالح وإلا لكان من خالف النبي وردّ على قوله والمنافق والمشرک الذي مات في مكة أو المدينة آمناً يوم القيامة!!!

أما الكلام في سنه:

قال السبكي: وسوار بن ميمون روى عنه شعبة لما سنذكره في الحديث السابع، ورواية شعبة عنه دليل على وثوقه عنده، فلم يبق في الإسناد من يُنظر إليه إلا الرجل الذي من آل عمر، والأمر فيه قريب، لا سيما في هذه الطبقة التي هي طبقة التابعين.

وأما قول البيهقي: هذا إسناد مجهول، فإن كان سببه جهالة الرجل الذي من آل عمر، فصحيح، وقد بينا قرب الأمر فيه^(٢)، وإن كان سببه عدم علمه بحال سوار بن ميمون، فقد ذكرنا رواية شعبة عنه وهي كافية.

وقد روى البيهقي أيضاً رواية شعبة عنه في غير السنن، كما سنذكره في الحديث السابع^(٣)، انتهى كلام السبكي.

ومن بعد هذه المقدمات المؤيدة للحديث، نقول: مع هذا لا حاجة

(١) مسند أبي داود الطيالسي: ١٢ / ١ وقد ذكر هذا الحديث البيهقي في السنن الكبرى ٢٤٥/٥ وفي شعب الإيمان: ٤٨٨ / ٣ وابن عساكر في تاريخه من جهة الطيالسي.

(٢) أقول: وتنجبر هذه العلة بالتابعة. ثم إن السبكي قد جعله حديثاً سابقاً ولكني أوردته هنا ولم أفرزه بعنوان مستقل لوجود الاختلاف فيه كما سيأتي.

(٣) شفاء السقام: ١٠٣ ط الرابعة.

لنا للاصرار على صحة سند الحديث، فإنه حتى لو أقررنا بضعفه لا محذور في نقله تأييداً وتقوية لسائر أحاديث الباب التي قد ثبتت صحة بعضها، فإن الأحاديث الضعيفة إذا لم يثبت كذبها ووضعها وكانت ضعيفة، بالأخص إذا كانت من جهة جهالة الراوي أو تفرده أو عدم متابعتة، يقوِّي بعضها بعضاً، خصوصاً مع وحدة مضامينها وعمل القوم بها، وإن المسألة ليست من اصول الدين، فإن التسامح في العمل بدالة السنن إذا كانت من هذا القبيل ثابتٌ عند الكل.

حديث آخر من سوار بن ميمون:

قد أخرجه أبو جعفر العقيلي والبيهقي وغيرهما من رواية سوار بن ميمون المتقدم على وجه آخر غير ما سبق.

... حدثنا أبو جعفر محمد بن عمر العقيلي، حدثنا محمد بن موسى قال: حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي، حدثنا عبد الملك بن ابراهيم الجدِّي، حدثنا شعبة عن سوار بن ميمون، عن هارون بن قزعة، عن رجل من آل الخطاب، عن النبي ﷺ قال:

«من زارني متعمداً كان في جوارى يوم القيامة، وزاد الشحامي: ومن سكن المدينة وصبر على بلائها كنت له شهيداً أو شفيعاً، ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله في الأمنين أو من الأمنين يوم القيامة»^(١).

قال الشيخ عماد في رفع المنارة في ذيل هذا الحديث: وقال العقيلي: والرواية في هذا لينة. فاختلف حديث شعبه وأبي داود الطيالسي، وخلافهما يرجع لأمرين:

الأول: قال شعبة عن سوار بن ميمون، عن هارون بن قزعة، ولم

(١) اقول: هذا هو الحديث السابع في شفاء السقام.

يذكر أبو داود، هارون بن قزعة.

الثاني: الاختلاف فيمن رفع الحديث، وهذا الاختلاف لا مدخل لشعبة ولأبي داود الطيالسي فيه، فكلاهما من كبار الحفاظ الثقات خاصة أولهما، فتوهيم أحدهما - كما نقل ابن عبد الهادي - فيه نظر، فقد حكم ابن عبد الهادي بوهم أبي داود الطيالسي من جهتين: الأولى: أنه وهم باسقاط هارون بن قزعة من روايته، الثانية: أن ذكر عمر، وهم من الطيالسي. كذا قال ابن عبد الهادي في الصارم المنكي ص ١٣٥!! وهذا عجيب من ابن عبد الهادي فإن أبا داود الطيالسي حافظ ثقة امام مصنف حدث بما تحمّله، فلا مدخل له فيه.

والصواب: إن هذا الإختلاف راجع إلى سوار بن ميمون، فإنه ممن لا ترجمة له في كتب الرجال ولا ينبغي أن يوهم الطيالسي ويترك سوار بن ميمون، أو ميمون ابن سوار - كما قيل في بعض الروايات - غير المعروف.

والحاصل: أن الحديث ضعيف بهذا الإسناد^(١).

أقول: وإنما لم أفرز هذا الحديث بهذا الإسناد بعنوان حديث مستقل من جهة الاختلاف فيه.

الحديث الخامس: رواه البيهقي في شعب الإيمان والسهمي في تاريخ جرجان ومن طريقه السبكي في شفاء السقام وابن أبي الدنيا في كتاب القبور، كلهم من طريق محمد بن اسماعيل بن أبي فديك عن سليمان بن يزيد الكعبي ابن المثني، عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال:

«من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شفيحاً وشهيداً يوم القيامة»^(١).

(١) لاحظ رفع المنارة ص ٢٧٧.

وفي رواية: «من مات في أحد الحرمين بعث من الأمنين يوم القيامة ومن زارني عتسباً كان في جوارى يوم القيامة»، وفي ثالث بزيادة «وكنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة».

فقد أخرجه جمع كثير من الحفاظ وأئمة الحديث ما يتجاوز عددهم العشرين^(١).

قال السبكي: هذه الأسانيد الثلاثة دارت على محمد بن اسماعيل بن فديك وهو يجمع عليه.

وسليمان بن يزيد ذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن حاتم الرازي: إنه منكر الحديث ليس بقوي^(٢).

وقال الشيخ ممدوح في سليمان بن يزيد بعد ذكر الأقوال فيه: فإن أعرضت عن تحسين الترمذي وتصحيح الحاكم له وتوثيق ابن حبان، فالرجل ضعفه من النوع الخفيف الذي يزول بمجئ متابع أو شاهد له.

وتبقى علة أخرى في هذا السند وهي الانقطاع بين سليمان بن يزيد وأنس بن مالك، فإن سليمان من أتباع التابعين.

وقال بعد ذكر طريق آخر لهذا الحديث عن أنس: هذا الطريق إذا ضُم إلى سابقه إستفاد الحديث قوة، فإن قال قائل: إنه مشبه بالحسن يكون قد أصاب، وكم احتج الأئمة الفقهاء بأقل من هذا وبمثله في الأحكام، بل بمفرده تثبت مشروعية الزيارة^(٣).

(١) شفاء السقام ص ١١٠ - ١١٢ ط ٤ وراجع رفع المنارة ص ٢٦٨ - ٢٦٩.

(٢) الغدير ج ٥ ص ١٠٣.

(٣) الثقات ٦: ٣٩٥، شفاء السقام: ١١٠ - ١١٢، رفع المنارة: ٢٦٨ - ٢٦٩.

(٤) رفع المنارة: ٢٦٨ - ٢٦٩.

٩٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

الحديث السادس: أخرجه أبو جعفر العقيلي في (الضعفاء) في ترجمة فضالة بن سعيد ابن زميل المازني^(١).

وابن عساكر في تاريخ دمشق، كما في شفاء السقام ووفاء الوفا ونيل الأوطار للشوكاني^(٢).

قال العقيلي: حدثنا سعيد بن محمد الحضرمي، حدثنا فضالة بن سعيد بن زميل المازني، حدثنا محمد بن يحيى المازني، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي ومن زارني حتى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً». أو قال: «شفيعاً»

وأما ما رواه ابن عساكر عن العقيلي بنفس الإسناد فيه: «من رآني في المنام كان كمن رآني في حياتي». والباقي سواء

وهذا الحديث مضافاً إلى ما فيه من التصريح بالشفاعة والشهادة في يوم القيامة - كما في الأحاديث المتقدمة -، فيه تصريح بأن زيارته ﷺ في مماته لا تقل من حيث الفضيلة والثواب عن زيارته حياً.

نعم: إن رؤيته ومصاحبته وسماع كلامه فيها من الخصوصيات التي لاتدرك بعد الممات، وهذا مما لا شك فيه عند كل مسلم جاهل فضلاً عن عالم.

فما قاله ابن تيمية وأتباعه في رد هذا الحديث وأمثاله من الفرق بين

(١) الضعفاء للعقيلي: ٤٥٧/٣ وفيه: إن ابن زميل قال بلفظ (كنت له شهيداً) كما في شفاء السقام.

(٢) شفاء السقام ص ١١٢ ط ٤، ووفاء الوفا: ٢ ص ٤١٠ ونيل الأوطار للشوكاني: ٤ ص ٣٢٥ - ٣٢٦.

من شاهده وسمع منه ومن لم يره ويسمع منه، صرف مكابرة وعناد وإغواء للغافلين، وإلا فلا يعتن بها أي مسلم متفقه سليم معتقد بيوم الدين.

أما سنده: فقد وقع الكلام في ثلاثة وهم فضالة بن سعيد المازني وشيخه محمد بن يحيى المازني وابن جريج، وقد فصل الكلام في البحث عنهم ونقل الأقوال فيهم الشيخ عمدوح في رفع المنارة وكان حاصل تحقيقه فيهم بانشائي.

أولاً: إن محصل كلام العقيلي في فضالة بن سعيد بن زميل المازني: إنه لئن في هذا الإسناد، واللين أقل الضعف، بخلاف ما قال الذهبي فيه، من أن حديثه موضوع على ابن جريج، فإن مقالته دعوى بلا برهان، ولا ذكر دليلاً شهد على صحتها، وكلام العقيلي هنا اقوى وأقعد.

وثانياً: إن محمد بن يحيى بن قيس المأربي (المازني) وثقه الدارقطني في سؤالات البرقاني وابن حبان وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل برواية جمع عنه، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

لكن قال ابن حزم فيه: مجهول، فقبول توثيق الدارقطني وابن حبان هو الموافق لقواعد الحديث، وقول من علم حجة مقدم على من لم يعلم.

وأما قول ابن عدي في الكامل: أحاديثه مظلمة منكورة، فهو سرف منه وليس من الإنصاف، فإن هذا القول مستند لذكر حديثين له في ترجمته، الأول منه موضوع في فضل البلدان من جهة خطاب بن عمر، والثاني حديث في الاستقطاع أخرجه أصحاب السنن وصححه ابن حبان.

وعلى أي حال فإن الخطب في مثل ذلك سهل لا يستحق معه أن يقال في الرجل أحاديثه مظلمة منكورة، فإن هذا الوصف لمن كان غالب أحاديثه كذلك لا حديث أو حديثان.

وقال الذهبي في الكاشف: وثق.

والحاصل: أن أكثر ما يمكن أن يقال فيه هو: لَيِّن الحديث، وقد حَسَّن الترمذي من قيل فيه مثل ذلك.

فأتضح: إن ما قاله ابن عبد الهادي في محمد بن يحيى (الرجل مختلف فيه) هو تشدد منه وبعُدُّ عن الإنصاف، فإنه قد تشبَّث في جرحه وتضعيفه بكلام ابن عدي المستند إلى حديث فضل البلدان المحمول على خطاب بن عمر الهمداني المجهول فقط، وكأنه غفل أو لم يكفه توثيق الدارقطني وابن حبان له^(١).

أقول: ومن المعلوم إن من كان قصده إنكار أحاديث الزيارة وردها، ليس من العجيب أن يحاول في ردها بليّ نحو كان حتى لو خرج عن الإنصاف وقواعد الحديث.

وثالثاً: إن ابن جُريج وهو عبد الملك ابن عبد العزيز بن جُريج، قد ظن بعضهم أنه مدلس ولم يصرح بالسماع.

والجواب: إن هذا الحديث يرويه ابن جريج عن عطاء وروايته عنه محمولة على السماع صرح أو لم يصرِّح، فإنه قال: إذا قلتُ: قال عطاء، فأنا سمعته منه وإن لم أقل سمعت، فتبين أنّ هذه ليست بعلّة حتى ترد في اسناد الحديث.

فتحصل من جميع ما ذكرنا في إسناد هذا الحديث: أن غاية ما يمكن أن يقال على فرض التنزّل فيه، إن فيه راو مجهول تفرد بهذا الحديث، فهذا الإسناد ضعيف فقط بسبب فضالة بن سعيد لا غير ويمكن أن ينجبر بغيره، بل ويمكن أن يكون شبيهاً بالحسن على رأي جماعة من الحفاظ.

فهذا الحديث وحده يقضي على قولهم المتهافت أنّ أحاديث الزيارة

كلها ضعيفة بل موضوعة، فكيف ولهذا الحديث نظائر أقوى منه، فنسأل الله تعالى الإنصاف في الغضب والرضا حتى لا نزل ونخطئ^(١).

عزيزي القارئ: إنني قد حاولت في رعاية الإختصار في المباحث السننية والرجالية ولكن مع هذا قد أطيل الكلام في بعض الموارد؛ صوتاً وتحفظاً للأذهان الخالية عن الانحراف والإغواء الذي يحصل من تدليس هؤلاء المخالفين المضلين.

فأنت إذا كنت على يقين من دينك ولم تؤثر عليك تلك الكلمات الخاوية، وكنت تميل من التفصيل، فمن حَقِّك أن تكتفي بمطالعة ما يغنيك وترك ما يُملك.

وأما إذا كنت غير مقتنع بهذا المقدار من البيان وكان قد بقي في ذهنك شيء، فراجع ما كان أكثر تفصيلاً مثل رفع المنارة للشيخ ممدوح فالإنصاف إنه ما أبقي كلمة أو شبهة سننية إلا أجاب عنها.

الحديث السابع: أخرجه يحيى بن الحسن بن جعفر في أخبار المدينة باب ما جاء في زيارة قبر النبي ﷺ عن محمد بن يعقوب، عن عبد الله بن وهب، عن رجل، عن بكر ابن عبد الله، عن النبي ﷺ: «من أتى المدينة زائراً لي وجبت له شفاعتي يوم القيامة، ومن مات في أحد الحرمين بعث آمناً»^(٢).

هذا الحديث أيضاً صريح في الحث والتأكيد على زيارة النبي خصوصاً مع شد الرحل، مع ما لها من الآثار والفوائد التي منها الشفاعة في يوم القيامة والأمن من الفرع الأكبر.

(١) لاحظ رفع المنارة ص ٦٦٨.

(٢) شفاء السقام: ١١٥ ووفاء الوفا: ٤: ١٣٤٨ والدرة الثمينة لابن النجار ص ٣٩٧

ورفع المنارة للمدوح، ولاحظ الغدير ٥: ١٠٥.

أما سنده: فقد حقق فيه الشيخ ممدوح وقال: محمد بن يعقوب هو الأسدي الزبيري المدني أبو عمر، قال عنه أبو حاتم والنسائي: لا بأس به. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: مستقيم الحديث^(١).

وقال الحافظ في التقريب: صدوق، وعبد الله بن وهب هو الثقة الحافظ الفقيه^(٢).

ثم قال الشيخ ممدوح: أما بكر بن عبد الله فالذي يظهر لي أنه المزني البصري فهو تابعي ثقة ثبت جليل كما في التقريب^(٣)، فعلى هذا فالحديث مرسل، ولو لا الرجل المبهم لكان صحيح الإسناد.

واحتمل السيد السمهودي أنّ بكر بن عبد الله هو المزني المذكور أو هو بكر بن عبد الله بن الربيع الأنصاري الصحابي المترجم له في الإصابة^(٤).

ووقع في الصارم المنكي بكير بن عبد الله بالياء^(٥)، وهو تصحيف من الناسخ.

أقول: إن لم يكن تصحيفاً - وهو بعيد - فإن عبد الله بن وهب يروي في جامعه عن بكير بن عبد الله الأشج المدني ثم المصري بواسطة واحدة، وبكير بن عبد الله الأشج من تابعي التابعين.

والأرجح فيما سبق - والله أعلم - إن بكر بن عبد الله هو المزني، ومع الاحتمالات الثلاثة المذكورة، فالحديث ضعيف الإسناد فقط.

(١) التهذيب: ٥٣٣/٩.

(٢) تقريب التهذيب: ٥١٤.

(٣) تقريب التهذيب: ١٢٧.

(٤) الإصابة ١: ٢٠٥، وفاه الوفا ٤: ١٣٤٨.

(٥) الصارم المنكي: ٣٤٣.

فمن مجانبة قواعد الحديث، قول ابن عبد الهادي في الصارم: وهو حديث باطل لا أصل له، وخبر معضل لا يعتمد على مثله وهو من أضعف المراسيل وأوهى المنقطعات^(١).

قلت: تزيد الرجل جداً وبالغ وتعت وتشدّد، فاستاد الحديث ليس فيه إلا الرجل المبهم، وإمامه أحمد بن حنبل وغيره من أئمة الفقه والحديث يحتجون بالمرسل. ولم يذكر ابن عبد الهادي دليل مقولته، لأن قواعد الحديث لا توافقه.

ومن تعصب الألباني، قوله في رده على الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي (ص ١٠٩): وهذا باطل كما قال ابن عبد الهادي إلى آخره. فعمدته ابن عبد الهادي الذي ما استطاع أن يقيم صلب دعوته المتهاوية، ثم جاء الألباني يردّد الصدى لا غير، وهذا هو التقليد المذموم، فأين البحث منه أو عن قلده هنا؟

والمتبع يجد أن المحدثين لا يزيدون في مثل هذا على قولهم: مرسل، ضعيف الإسناد، ومثله ينجبر بغيره، نسأل الله تعالى السلامة والصون^(٢). تمّ كلام الشيخ ممدوح.

أقول:

قد أجاد الشيخ ممدوح في البحث في هذا الحديث وهو كما قال: الحديث مرسل ولو لا الرجل المبهم لكان صحيح الإسناد.

وهذا ليس بمشكل عند أئمة الحديث، فقد استدل أئمة المذاهب واحتجوا بالمرسل، مثل أحمد بن حنبل وغيره في الفقه والأحكام الشرعية،

(١) الصارم المنكي: ٣٤٣.

(٢) رفع المنارة: ٢٧٢ - ٢٧٣.

٩٦ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

فضلاً عن هذه المسألة، ومعه لا يعتنى بقول المعاندين، حيث قد ابنتى مذهبهم على العناد والتحكم والقول بلا دليل.

وأما ما دلّ على أن زيارته ﷺ بعد مماته في الثواب والآثار والفضيلة مثل زيارته في حياته مضافاً إلى ما في الحديث السادس فهو كالتالي:

الحديث الثامن: قوله ﷺ: «من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي».

الدلالة: هذا الحديث صريح في استحباب زيارته ﷺ بعد الحج وشد الرحال إليه، وإن آثار وثواب زيارته ميتاً مثل ثواب زيارته حياً، وقد تعرضنا عن الجواب لابن تيمية وأتباعه في إنكار هذا الحديث لأجل الفرق بين من شاهده ومن لم يشاهده.

السند: فقد أخرجه جمع كثير من أئمة الحديث والحفاظ ما يتجاوز عددهم ٢٥ نفرأ ذكرهم الأميني في الغدير^(١). منهم الدارقطني والطبراني في الكبير والأوسط وغيرهما من طريق حفص بن سليمان (بن أبي داود) القارئ الكوفي، عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي».

وقد أخرجه بعضهم بنفس الطريق وفيه (كان) بدل كأنما، وفي غير واحد من طرقه زيادة: «وصحبي»^(٢).

ولا يخفى أن حفص بن سليمان هو حفص بن أبي داود نفسه، وقد اتفقت الآراء على ذلك، فبعض عبّر عنه بابن أبي داود وبعض بابن

(١) راجع الغدير ٥ : ٩٩.

(٢) راجع شفاء السقام: ٩٠.

سليمان، والتنوع في نقل الاسم لا يؤثر في الراوي إذا لم يكن مردداً.

وقد وقع الكلام فيه من حيث الجرح والتضعيف، فقد ضعفه بعض وبالغ وشدّد في تضعيفه بعض آخر، وقال: إنه كذاب متروك يضع الحديث.

ولكن قال الحافظ السبكي: وعندني أنّ هذا القول سرف، فإن هذا الرجل إمام قراءة، فكيف يعتقد أنه يقدم على وضع الحديث والكذب، ويتفق الناس على الأخذ بقراءته؟!

وإنما غاية أنه ليس من أهل الحديث، فلذلك وقعت المنكرات والغلط الكثير في روايته، وقد قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألته - يعني أباه أحمد - عن حفص بن سليمان المنقري، فقال: هو صالح.

وروى عثمان بن أحمد الدقاق عن حنبل بن إسحاق، قال: قال أبو عبد الله: وما كان بحفص بن سليمان المنقري بأس.

وحسبك بهذين القولين من أحمد وهما مقدمان على من روى عن أحمد خلاف ذلك فيه^(١).

أقول: هو كما قاله السبكي، كيف يمكن أن يكون الرجل الذي هو إمام القراءة - كما اعترفوا به - ومن هو من أكبر القراء وصاحب القراءة المتداولة بين المسلمين المعروفة بقراءة (حفص عن عاصم)، ومن يعتمد على قراءته المسلمون، كذاباً، وضاعاً؟ فإن الكذب والوضع يسلب الثقة عن الإنسان، ومهما كان المنقول أهم وأعظم لزم كون ناقله أوثق وأصدق، فكيف يمكن أن يكون هكذا والناس يعتمدون عليه ويثقون به ويأخذون بقراءته؟ فاعتماد الناس عليه في القراءة دليل واضح على ثقتهم به من

(١) شفاء السقام: ٩٥ - ٩٦ ولاحظ الهامش

جميع الجهات التي منها نقل الحديث.

ومن هذا الكلام يتضح جوابنا عن كلام الذهبي الذي حاول أن يعتذر عن هذه النسبة الشنيعة بقوله في ترجمة عاصم: ما زال في كل وقت يكون العالم إماماً في كل فن مقصراً في فنون، وكذلك كان حفص بن سليمان ثبناً في القراءة واهياً في الحديث، وكان الأعمش بخلافه، كان ثبناً في الحديث ليناً في القراءة.

والجواب عنه: إن نسبة الوهن أو الضعف أو الخلط غير نسبة الكذب والوضع، فإن الكذاب والوضع لا يعتمد عليه في شيء.

نعم يمكن أن يكون رجل إماماً ومتبحراً في علم وضعيفاً ووهناً في علم آخر وأين هذا من نسبة الكذب والوضع على من ثبت القرآن وقراءته في قلبه.

وهكذا تجدهم لا يحفظون حرمة القرآن، فيتهمون أكبر قرائه بمثل هذا من دون أن ينتبهوا إلى أين ينتهي كلامهم؟

ولكن الذي أحتمله أن هذا التشدد والمبالغة في الجرح في مثل حفص وأستاخة عاصم هو من جهة أنهما كانا كوفيين وأهل الكوفة أكثرهم كانوا يميلون لأهل البيت ويوالونهم، ولهذا كانوا متروكين ومتهمين والحال أن الرجلين لم يكونا من المواليين.

وهذا ليس من الإنصاف ويُعدُّ خروجاً عن قواعد الحديث والتحقيق بأن يترك شخص من جهة أنه كوفي أو شيعي من غير أن يثبت كذبه، وتفرد به بالحديث أيضاً لا يكون سبباً لتكذيبه مع وجود الشواهد والمتابعات.

والحاصل أنه مع تأييد السبكي له خصوصاً مع ما أورده من القولين لأحمد في توثيقه، وما نُقل في مجمع الزوائد في توثيق أحمد لحفص بن أبي

داود القارئ^(١)، ما أظن أن يبقى لك تأمل في توثيق مثل هذا الرجل في هذا الحديث.

متابعات الحديث: ثم إنه لو سلمنا ضعف هذا الحديث بحفص، لكنه لم ينفرد به، فقد جاء في معجمي الطبراني متابعته، فقد روى الطبراني عن أحمد بن رُشدِين، عن علي بن الحسن بن هارون الأنصاري، عن الليث ابن بنت الليث بن أبي سليم قال: حدثني جدتي عائشة بنت يونس امرأة الليث، عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال رسول ﷺ: «من زار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي».

ووردت متابعات آخر من طريق جعفر بن سليمان الضبيعي، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من حج بعد وفاتي وزار قبري كان كمن زارني في حياتي».

وهذه المتابعة تكفي لجبران ضعفه وتفرده وإدخاله في الحسن.

ثم إنه لا يشترط في المتابعة أن يكون المتابع صحيحاً، بل حتى لو كان ضعيفاً يكفي للتقوية، وعليه فلا يبقى أي مجال للإشكال.

وبقي الكلام في ليث بن أبي سليم: فإن أكثر ما يستفاد من أقوال القوم فيه، هو: أنه صدوق وثقة، لكنه قد اختلط في آخر عمره.

ولا يخفى: أن الاختلاط والسهو والنسيان في آخر العمر أمر يعرض لكثير من العلماء، وهو ليس بعجيب، ولا يصير سبباً لترك ما قاله ورواه قبل الاختلاط وفي أيام الشباب، فمن المعلوم أن من يصل إلى آخر عمره ويتمرض ويصير جليس الدار وينفصل عن الناس تبقى آثاره العلمية وفتاواه ورواياته على قوتها ولم يتركها الناس.

(١) لاحظ مجمع الزوائد: ٢/٤.

١٠٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

هذا مضافاً إلى أن هذا الرجل لم يتفرد بروايته عن حفص بن أبي داود، بل له متابعات في الحديث قد ذكرناها في متابعات حفص بن أبي داود، وهي تجبر ضعفه إن كان، وتدخله في الحسن.

وحاصل الكلام في هذا الحديث أنه لا أقل من أن يكون من الأحاديث الحسنة وبه، بل بأقل منه يثبت استحباب زيارته ﷺ، خصوصاً مع شد الرحال الذي قد منعه الخصم، ومعه يضرب قول المخالف على الجدار.

الحديث التاسع: أخرجه الدارقطني في سننه والبيهقي وغيرهما، عن أبي عبيد والقاضي أبي عبد الله وابن مخلد، عن محمد بن الوليد البُسري، عن وكيع، عن خالد بن أبي خالد وأبي عون، عن الشعبي والأسود بن ميمون، عن هارون بن قزعة، عن رجل من آل حاطب، عن حاطب قال: قال رسول الله ﷺ: «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن مات بأحد الحرمين بعث من الأمتين يوم القيامة».

وفي طريق آخر، بلفظ «وفاتي» بدل «موتي» ورواه أيضاً أبو يعلى في مسنده، وابن عدي في كامله، ورواه الطبراني في الأوسط، ورواه العقيلي عن حديث ابن عباس^(١).

وأخرجه أيضاً ابن عساكر عن طريق هارون بن قزعة، وفيه (بُعث يوم القيامة من الأمتين) بتقديم «يوم القيامة»^(٢).

أما الكلام في إسناده:

قال الحافظ الذهبي: أجودها - أي أحاديث الزيارة - إسناداً حديث

(١) سنن الدارقطني: ٤٧٨/٣. وقال المدوح: وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٣

/ ٤٨٨ والمحملي والسلجي كما في الميزان، وعلقه ابن عبد البر في الاستذكار،

ورواه البخاري في تاريخه بلفظ من مات... لاحظ رفع المائة ص ٢٧٣

(٢) لاحظ شفاء السقام ص ١٠٦.

حاطب، وأقره السخاوي في المقاصد الحسنة^(١)، والسيوطي في الدرر المنتشرة^(٢)، فهؤلاء ثلاثة من الحفاظ اتفقوا على مقولة تدحض الباطل فماذا بعد الهدى^(٣) ...

ولاحظ ابن عبد الهادي، فإنه حيث لم ير أي ضعف في رجال هذا الحديث وكان تمام همه تضعيف أحاديث الزيارة، أشكل على زيادة (الشعبي) فقال: إنها زيادة منكرة غير محفوظة وليس للشعبي مدخل في إسناد هذا الحديث^(٤).

وأجاب عنه الشيخ ممدوح: بأن هذه الزيادة مسلسلة بالثقات، كما تقدم وكيع بن الجراح وخالد بن طهمان ومتابعه عبد الله بن عون البصري، ثم عامر الشعبي، ثقات لا ينظر في حالهم ما خلا ابن طهمان وهو صدوق وقد توبع، ونسأل الله تعالى الإنصاف في الرضا والغضب.

وقال: إذا علم ذلك فإن الكلام في هذا لإسناد المحصر في هارون بن أبي قزعة وشيخه المبهم.

أما هارون بن أبي قزعة، فقد قيل هارون أبو قزعة، وقيل ابن قزعة وهذا لا يضر، قال الحافظ في النكت على ابن الصلاح^(٥): واختلاف الرواة في إسم رجل لا يؤثر ذلك، لأنه إن كان ذلك الرجل ثقة لا ضير، وإن كان غير ثقة فضعف الحديث هو من قبيل ضعفه لا من قبيل اختلاف الثقات في اسمه... إلى آخره.

(١) المقاصد الحسنة: ٤١٣.

(٢) الدرر المنتشرة: ١٧٣.

(٣) حكاية الممدوح عن الذهبي في رفع المنارة: ٢٧٥.

(٤) الصارم المنكي ص ١٥١ على ما في رفع المنارة.

(٥) النكت على ابن الصلاح ٢: ٧٧٣.

والرجل قد ضعفه يعقوب بن شيبه وذكره العقيلي والساجي وابن الجارود في الضعفاء، لكن ذكره ابن حبان في الثقات^(١)، ويروي عنه عامر الشعبي، فيكون هارون ابن أبي قزعة ثقة عنده.

قال يحيى بن معين في (الشعبي): إذا حدث عن رجل فسماه فهو ثقة ويحتج به، فرواية الشعبي عن هارون ابن أبي قزعة توثيق له كما قال ابن معين لأنه سماه، لكنه توثيق أقل من النص على ذلك صراحة، فهو توثيق ضمني أو إجمالي، فمع توثيق ابن حبان ورواية الشعبي الموثقة لهارون ابن أبي قزعة، فالرجل عن يعتبر بحديثه ويُستشهد به^(٢).

وتبقى علة واحدة في الاسناد وهي شيخ هارون بن أبي قزعة المبهم، حيث فيه عن رجل من آل حاطب، ولكن الضعف في هذا الحديث غير شديد، بل ضعفه قريب ويحتج الفقهاء بمثله في اثبات مشروعية أمر ما، ودونك كتب الفقه للتحقيق في صحة مقولتي، كيف لأحاديث الزيارة طُرق بعضها من شرط الحسن، فإذا وقفت على قولهم: أحاديث الزيارة ضعيفة، بل موضوعة، فاضرب به عرض الحائط لأنه مخالف للقواعد^(٣).

كلام لابن تيمية

ولا بأس بأن نتعرض لكلام ابن تيمية على هذا الحديث وأمثاله وقد سبقت الإشارة إليه في الأحاديث السابقة، ولكن ننقل هنا أصل كلامه في كتاب التوسل والوسيلة، قال: هذا كذب ظاهر لدين المسلمين، فإن من زاره في حياته وكان مؤمناً به كان من أصحابه لاسيما إن كان من المهاجرين

(١) الثقات لابن حبان ٧: ٥٨٠.

(٢) التهذيب ٥: ٦٧.

(٣) لاحظ رفع النارة ص ٢٧٤.

إليه المجاهدين معه وقد قال ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدكم ولا نصيفه» أخرجه في الصحيحين^(١).

والواحد من بعد الصحابة لا يكون مثل الصحابة بأعمال مأمور بها واجبة كالخج والجهاد والصلوات الخمس والصلاة عليه، فكيف يعمل ليس بواجب باتفاق المسلمين^(٢).

والجواب عنه أولاً: أن هذا الاشكال مثل سائر الاشكالات التي أوردها ابن تيمية وأتباعه وإو جداً بعد أن تكذّبهم هذا الحديث في هذه المرة ليس من ناحية السند، لعدم تمكنهم من ذلك، فتعلّقوا بالمفهوم والدلالة، وكان إشكالهم مبتدئاً على ظاهر الحديث.

والحال أن النبي ﷺ في هذا الحديث ليس في مقام المقايسة بين أصحابه الذين أدركوا حياته والذين لم يدركوا حياته، بقرينة سائر روايات الزيارة، فإنها كلها واردة في مقام الحث والتأكيد على الزيارة وكثرة ثوابها وبيان آثارها الدنيوية والأخروية، كالشفاعة ونيل جواره والأمن من الفزع في يوم القيامة... وأن آثار وثواب زيارته مبيتاً، لا تقل عن زيارته حياً، فهذا التشبيه من جهة الثواب والآثار.

هذا مضافاً إلى أنه لا يلزم في التشبيه المساواة في طرفي التشبيه، فقد يكون أحدهما أفضل من الآخر، فيكون من باب إلحاق فاضل بأفضل منه، وهذا متداول في المحاوره.

وثانياً: قال الممدوح: الجامع بين طرفي التشبيه هو الحياة، فمن زاره ﷺ بعد موته يشبه من زاره في حياته باعتبار حياة النبي ﷺ في قبره الشريف

(١) وجدته في مسند أحمد ٣: ١١ و ص ١٥، سنن ابن ماجه ١: ٥٧.

(٢) التوسل والوسيلة لابن تيمية: ٧٤، فتاوى شيخ الإسلام ١: ٢٣٤.

وقد تواترت الأخبار في حياته...^(١).

وقد تقدمت بعضها في دليل الكتاب، مثل قوله ﷺ: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون».

ولعل المراد من هذا التشبيه، هو إعلام الزائر بانك تزور من يرى مقامك ويسمع كلامك ويردّ جوابك، كما في زيارته حياً، بهذا الفرق بأن كثيراً من الناس قد حُجبوا أن يسمعوا كلامه، وهو من جهة عدم القابلية من طرف الزائر، إلا القليل من المؤمنين الذين بلغوا مراحل الكمال وارتفع الحجاب عن آذانهم، فتشرفوا بسماع كلامه بعد مماته أيضاً فطوبى لهم.

وثالثاً: أن مجرد درك الحضور والمشاهدة والسماع، لا توجب الأفضلية وتلك الدرجات التي قالها، وكأنه قد غفل أو تغافل عن أن كثيراً من هؤلاء الذين أدركوا حضوره وسمعوا كلامه واشتركوا معه في الغزوات، كانوا من المنافقين وكانوا أعداء الرسول ﷺ وكم من أذى تحمل النبي ﷺ منهم إلى أن ارتحل إلى العالم الأعلى، فارتدّ كثير منهم على أعقابهم، وسقطوا في الفتنة، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا الأمر كراراً وحذر أصحابه من الانحراف والرجوع إلى القهقري وترك العمل بوصيته.

وقد تقدم منا بعض الروايات في الأدلة العامة ما يشير إليها، وإليك بعض آخر منها، قد أوردها البخاري في صحيحه وهي كالتالي:

عن ابن أبي ملكية، قال: حدثت أسماء عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا على حوضي أنتظر من يرد عليّ فيؤخذ بناس من دوني، فأقول: أمّتي، فيقول: لا تدري مشوا على القهقري». قال ابن أبي مليكة: اللهم إنا نعوذ

بك أن ترجع على أعقابنا أو نفتن^(١).

وعن أبي وائل قال: قال عبد الله، قال النبي ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض، ليرفعن إلى رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم، اختلجوا دوني فأقول: أي رب أصحابي» فيقول: «لا تدري ما أحدثوا بعدك»^(٢).

عن أبي حازم قال: سمعت سهل بن سعد يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «أنا فرطكم على الحوض، من ورده شرب منه ومن شرب منه لم يظماً بعده أبداً، ليرد علي أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم». قال أبو حازم: فسمعتي النعمان بن أبي عياش وأنا أحدثهم هذا، فقال: هكذا سمعت سهلاً؟ فقلت نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعتي يزيد فيه، قال: «إنهم مني فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول سحراً سحراً لمن بذل بعدي»^(٣).

فتحصل أن ملاك الأفضلية مضافاً إلى درك الحضور وسماع الكلام، هو كمال الإيمان وثبات القدم والبقاء على كلمة التوحيد والعمل بأوامره

(١) صحيح البخاري: ٨ كتاب الفتن، باب ١: ٤٢١ ح ٧٠٤٨ إلى ٧٠٥٠ طبع في دار الكتب العلمية - بيروت. ولا يخفى أن قوله (لا تدري إلخ...) ليس فيه تنقيصاً للنبي ﷺ ولا يدل على عدم علمه، كيف والاعتقاد على أنه يعلم بما كان ويكون وكان يعرف المنافقين وكان قد عرف بعضهم لبعض الأصحاب؟! كيف يمكن أن لا يعرفهم وهو يخبر بما يقع في الآخرة وعند الحوض وتلك الأمور العجيبة!؟

فمن المحتمل أن نقول: إن الغرض من السؤال والجواب هو أن يفتضحوا ويُشهرُوا أمام الناس لا غير.

(٢) صحيح البخاري: ٨ كتاب الفتن، باب ١: ٤٢١ ح ٧٠٤٩.

(٣) صحيح البخاري: ٨ كتاب الفتن، باب ١: ٤٢١ ح ٧٠٥٠.

ووصاياه ﷺ، وإلا فالمنافق تكون له تلك الفضيلة!

وباليقين: أن المؤمنين الذين لم يدركوا النبي ﷺ ولم يسمعوا كلامه، بل آمنوا به وأطاعوه واتبعوه بصرف سواد على بياض ومع كثرة الأعداء والفتن التي منها فتنة منع زيارة قبره ﷺ، ووجود الشبهات وتحمل المشقات والأذى، ثبتوا على دينهم وإيمانهم وعقائدهم والعمل بوظائفهم، فبالطبع أولئك أفضل ممن تشرفوا ببلقائه وسمعوا كلامه^(١)، فإن من كان في زمانه بأقل شبهة وحريرة يرجع إليه ويرتفع تحييره، بخلاف من لم يدرك زمانه ولم يسمع كلامه.

ويشهد لما قلت: كلام الرسول المصطفى ﷺ في جمع من الأصحاب عندما قل: «اللهم لقني إخواني» مرتين، فقل من حوله من أصحابه: أما نحن إخوانك يا رسول الله؟ فقل: «لا، إنكم أصحابي وإخواني قوم في آخر الزمان آمنوا ولم يروني، لقد عرفنيهم الله بأسمائهم وأسماء آبائهم، من قبل أن يخرجهم من أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم، لأحدهم أشد تقية على دينه من خرط القتاد في الليلة الظلمة، أو كالقابض على جمر الغضا، أولئك مصابيح الدجى، ينجيهم الله من كل فتنة غبراء مظلمة»^(٢).

وفي حديث عمر بن محمد، عن جعفر بن محمد عن عيسى بن مهران، عن أبي يشكر البلخي، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب القرظي، عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ذات يوم: «يا ليتني قد لقيت

(١) وقد تقدم في الأدلة العامة منه ﷺ ما يدل على أفضليتهم، وقد وردت من طرق العامة أيضاً.

(٢) بحار الأنوار ٥٢ : ١٢٤ ح ٨ عن أبي الجارود، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ذات يوم وعنده جماعة من أصحابه: اللهم... الحديث. وقد ورد هذا الحديث في كثير من كتب الامامية.

إخواني»، فقال له أبوبكر وعمر: أولسنا اخوانك آمناً بك وهاجرنا معك؟ قال: «قد آمنتم وهاجرتم ويا ليتني قد لقيت إخواني»، فأعاد القول، فقال رسول الله ﷺ: «أنتم أصحابي ولكن إخواني، الذين يأتون من بعدي، يؤمنون بي ويحبوني وينصروني ويصدقوني، وما رأوني، فياليتني قد لقيت إخواني»^(١).

وفي حديث آخر عن أبي محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «سيأتي قوم من بعدكم، الرجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم»، قالوا: يا رسول الله! نحن كنا معك بيدر وأحد وحين ونزل فينا القرآن، فقال: «إنكم لو تحملوا لما حملوا لم تصبروا صبرهم»^(٢).

وفي حديث أيضاً: عن محمد بن علي بن الشاه، عن أحمد بن محمد بن الحسن، عن أحمد بن خالد الخالدي، عن محمد بن أحمد بن صالح التميمي، عن محمد بن حاتم القطان، عن حماد بن عمر، عن الصادق، عن آبائه ﷺ قال: قال النبي ﷺ لعلي ﷺ: «يا علي! واعلم إن أعظم الناس يقينا قوم يكونون في آخر الزمان، لم يلحقوا النبي وحجب عنهم الحجة، فأمنوا بسواد في بياض»^(٣).

وبالإسناد المتقدم في باب النص على الأئمة الاثني عشر، عن جابر الأنصاري، عن النبي ﷺ قال: «يغيب عنهم الحجة لا يسمي حتى يظهره الله، فإذا عجل الله خروجه، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً

(١) بحار الأنوار ج ٣ : ١٢٣ - ١٢٥.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر السابق: وفي قوله ﷺ «وحجب عنهم الحجة» إشارة إلى غيبة الحجة القائم ﷺ.

وجورا»، ثم قال ﷺ: «طوبى للصابرين في غيبته، طوبى للمقيمين على عجزتهم أولئك وصفهم الله في كتابه فقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ وقال: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^١.

ومع هذا الجواب القاطع الذي تؤيده الروايات الصريحة، لا يبقى أي تردد وخفاء في بطلان كلام ابن تيمية، ومن الواضح إنه بهذا الإشكال، لم يرد الدفاع عن شخصية أصحاب رسول الله، وهذا يفهم من خلال كلماته ورده على عمل أصحاب رسول الله وعدم اعتنائه بمن يخالف رأيه منهم، لكنه أراد تكذيب الحديث من هذا الطريق، فإن الغريق يتشبث بكل قشة.

إن قال الخصم: هذه الروايات منقولة من طرق الشيعة. فأقول أولاً: إن ذكر هذه الروايات وإن كانت دليلاً مستقلاً لنصف المسلمين إلا أننا أوردناها بعنوان الشاهد والمؤيد للجواب ولتلك الروايات الكثيرة الواردة من طرق الآخرين، لا بعنوان دليل مستقل.

وثانياً: ما هو الإشكال في طرق الشيعة، إذا كانت صحيحة ومطابقة لقواعد الحديث، وبالأخص إنها منقولة من أهل بيت العصمة، ومعادن العلم الذين اعترف أعلام المذاهب بفضلهم وتقدمهم على الآخرين وأذعنوا بأن أحاديثهم أصح الأحاديث، فإن كثيراً من الأحاديث قد وردت من الإمام الباقر والصادق الذي قال الحاكم: وأصح طريق يروى في الدنيا أسانيد أهل البيت، جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي، إذا كان الراوي عن جعفر ثقة. هذه عبارة الحاكم، ووافقه من نقلها عنه وهو السيوطي^(٢).

(١) البحار ج ٥٣: ١٤٣ والكافي ج ١: ٣٧١ و ٣٧٢.

(٢) تدريب الراوي في شرح تقريب النوي، للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي: ٣٦ ط المكتبة العلمية - المدينة المنورة.

وقال الراغب الاصفهاني: ليس في الأرض خمسة أشراف متناسقة كتب عنهم الحديث إلا جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم الرضوان^(١).

وقال الشيخ مصطفى رشدي: الإمام محمد الباقر: كان عظيم القدر نبيه الذكر لم يظهر عن أحد في عصره ما ظهر عنه من علم الدين والآثار والسنة والعلم بالله تعالى، روى عنه أئمة التابعين وأكابر علماء الدين^(٢). وقال ابن الجوزي في التذكرة، قال ابن سعد: محمد من الطبقة الثالثة من التابعين من أهل المدينة، كان عالماً عابداً ثقة، روى عنه الأئمة، أبو حنيفة وغيره^(٣). فما هذا التعصب والعناد في عدم قبول الحق؟!

هذا مضافاً إلى أنه قد روي من طرق العامة عن النبي ﷺ ما يشابه هذه الروايات مضموناً.

والحاصل: أن هذا الحديث - حديث حاطب المعروف - من أحسن أحاديث الزيارة سنداً ودلالة، كما قاله الذهبي وأقره السخاوي والسيوطي، وهو أيضاً وحده يكفي للجواب عن قولهم بأن: (أحاديث الزيارة موضوعة مكذوبة).

واتضح أنّ من كذبها وادعى وضعها، هو الكذاب والوضاع والمدلس ولا غير.

الحديث العاشر: أخرجه ابو الفتوح اليعقوبي بسنده من طريق خالد بن يزيد، عن عبد الله بن عمر العمري، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال:

(١) محاضرات الأدباء للراغب الاصفهاني ١: ٣٣٢ ط بيروت.

(٢) الروضة الندية للشيخ رشدي الدمشقي: ١.

(٣) التذكرة للسبط ابن الجوزي: ٣٤٧ ط الغري.

١١٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

قال رسول الله ﷺ: «من زارني بعد موتي فكأنما زارني وأنا حي ومن زارني كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة»^(١).

هذا الحديث وإن كان من حيث المضمون، ليس فيه إضافة على الأحاديث السابقة، لكن حيث كان حديثاً مستقلاً والرواية وطُرق الأحاديث يختلف بعضها عن بعض، فقد أوردناه بسننه تأييداً وتقوية لسائر الأحاديث، حتى يبهت الذي كفر بمشروعية الزيارة وتكون حجة للقارئ الكرام حفظهم الله عن المدلسين اللثام، فإن إنكار أمثال هذا الحديث بعله الفرق بين من زاره حياً ومن زاره ميتاً كما تقدم الجواب عليه سابقاً ليس إلا تدليسا واغواءً للناس من جهة، ومن جهة أخرى فهي محاولة في إبعاد الناس عن الرسول ﷺ بالكل.

أما سننه: ففيه خالد بن يزيد وقال السبكي فيه: إن كان هو العمري، فقد قال ابن حبان: إنه منكر الحديث^(٢).

وقال الممدوح: في هذا الإسناد خالد بن يزيد أبو الهيثم العمري المكي، كذبه أبو حاتم ويحيى بن معين وضعفه جداً العقيلي وابن عدي وابن حبان وغيرهم^(٣).

وعلى أي حال إن كان هو العمري فقد وقع التكذيب والتضعيف فيه على السواء، وبه يسقط الحديث من القوة إلى الضعف، والحديث الضعيف إن كان متحد الدلالة مع سائر الأحاديث الواردة القوية سنداً يستفاد منها قوة.

(١) لاحظ شفاء السقام: ١٠٩ ورفع المنارة: ٢٨٦ وكذا الغدير ج ٥: ١٠٢ وكشف

الارتباب: ٤٩٢ ووفاء الوفا ج ٤: ١٣٤٥.

(٢) نفس المصادر السابقة.

(٣) نفس المصادر السابقة.

ومنها: الروايات المخدرة عن الجفلة في علم زيارته ﷺ

الحادي عشر: أخرجه يحيى بن الحسن بن جعفر الحسيني في أخبار المدينة، عن محمد بن إسماعيل، عن أبي أحمد الهمداني، عن النعمان بن شبل، عن محمد بن الفضل، عن جابر، عن محمد بن علي، عن علي بن الحسين قال: قال رسول الله ﷺ: «من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن لم يزرنني فقد جفاني».

وقد أخرجه محمد بن ابراهيم النيسابوري الخرخوشي في كتاب شرف النبي، روى عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال:

قال نبي الله ﷺ: «من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن لم يزرن قبري فقد جفاني».

وأخرجه أيضاً ابن عساكر من طرق أخرى عن علي بن الحسين ليس فيها تصريح بالرفع إلى النبي ﷺ وهو: من زار قبر رسول الله كان في جوار رسول الله ﷺ.

وأخرجه السبكي أيضاً بالطريق الأول في شفاء السقام والسمهودي في وفاء الوفا^(١).

والحاصل أن هذا الحديث مضافاً إلى ما فيه من فضل الزيارة وعظمة ثوابها، فيه تحذير لمن لا يهتم بها ولا يواظب عليها ولا يجعلها من

(١) شفاء السقام: ١١٤ ووفاء الوفا: ٤: ١٣٤٨، ونقل من ابن عساكر في تاريخ دمشق، لا حظ مختصر ابن منظور: ٢: ٤٠٦ - والدرة الثمينة لابن النجار: ٣٩٧ ب ١٦ وشرف النبي للخرخوشي: ٤٢١ و٤٦٦، وقد أخرجه أيضاً شعيب الحريش في الروض الفائق ٢: ١٣٧ والمناوي في كنوز الحقائق: ١٤١ ولاحظ القدير ٥: ١٠٥.

١١٢ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

الوظائف الدينية والأخلاقية، فإن من يترك زيارته وما فيها من التعظيم والتكريم، فقد ترك حقاً من حقوقه وجفاه ﷺ .

السند: أما يحيى بن الحسن فهو ابن جعفر الحجة بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن الامام السجاد زين العابدين عليه السلام، المتوفى سنة ٢٧٧هـ. هذا ما جاء في هامش شفاء السقام، ولكنه لم يتعرض له عند الكلام في إسناده، ولعله لم يجد فيه شيئاً.

ولم أعتز على من قدح فيه الا الممدوح في رفع المنارة، حيث قال في ضمن البحث عن محمد بن النعمان: ومحمد بن الفضل، هو ابن عطية العيسى الكوفي، كذبه غير واحد من النقاد، وجابر بن يزيد الجعفي حاله معروف في الضعف.

أقول: إن نسبة الكذب للأول يمكن أن تكون ناشئة من احتمال تشييعه حيث إنه كوفي ومن كان شيعياً يُرمى بالكذب من غير دليل، وهذا ليس من الانصاف وخارج عن قواعد الحديث.

وأما جابر الجعفي فحاله معلوم، حيث كان من أجلة أصحاب الإمام المعصوم الباقر عليه السلام ومن رواة حديثه ومن أهم الثقات الذين يعتمد عليهم وكان سبب تركهم إياه تشييعه لعلي عليه السلام، وقد وثقه شعبة والثوري كما نقل ذلك الهيثمي والمباركفوري حيث قال: كان جابر ورعاً في الحديث!

والحاصل أن الضعف في الحديث إذا كان ناشئاً من هذه الجهة، فحاله معلوم للقارى البعيد عن التعصب والعناد خصوصاً مع وجود أحاديث مثله وردت من طرق أخرى، فإن هذا الحديث له شواهد وليس حديثاً واحداً حتى يُجترأ في نسبه إلى الكذب.

الحديث الثاني عشر: أخرجه ابن عدي في الكامل وغيره من طريق

محمد بن النعمان، عن جده، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر، قال قال رسول الله ﷺ: «من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني»^(١).

الدلالة:

وهذا ثاني حديث يدل على التحذير من ترك زيارته، لما فيها من الآثار والثواب وأداء حق الرسالة والتعظيم لصاحبها.

وأن تركها معناه عدم الوفاء وعدم الاعتناء والتوجه بمن له حق عظيم على عاتق الانسان، بسبب الإسلام والخروج من ظلمة الضلالة إلى نور الهداية، قال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^(٢).

وهذا ليس بمعنى أنه ترك واجب من الواجبات وإنكار لها حتى يوجب الكفر، كما ادعه البعض عند إنكاره لهذا الحديث ونسبته إلى الوضع من هذه الجهة^(٣).

وهذه الكلمات المدلّسة يراد بها إغواء المسلمين، لا عجة لرسول رب العالمين، فإنهم لا يعلمون ما يقولون، وكأنهم تغافلوا عن أن هذه الكلمة (الجفاء) قد وردت في الأحاديث مثل قوله ﷺ: «من ولد له أربعة أولاد ولم

(١) الكامل لابن عدي ٨ : ٢٤٩، وراجع شفاء السقام: ٩٨ الطبعة الرابعة.

(٢) الرحمن: ٦٠.

(٣) فقال صالح السدلان في تنبيه زائر المدينة: ٢٩ حول هذا الحديث: اما منته فإنه قدورد بالفاظ متفاوتة وزيدات مختلفة، وهذه الروايات لا تزيده وضوحا، بل تزيده لبساً وتخليطاً ووهناً، ومن عنده أدنى معرفة بسنة النبي ﷺ يردّه ويُبطله. ثم ان معناه مخالف للاجماع، فإن جفاء الرسول من أكبر الكبائر، بل هو كفر ونفاق، بل يجب أن يكون أحبّ الينا من أنفسنا وأهلينا وأموالنا كما اخبر بذلك وكيف يوصف من حج ولم يزر النبي بالكفر والنفاق.

يسمّ أحدهم باسمي فقد جفاني^(١).

فإن ترك التسمية باسمه ليس حراماً ولا تركاً للواجب، بل معناه عدم الاعتناء والتوجه به والإعراض عنه.

وفي الحديث القدسي: من أحدث ولم يتوضأ فقد جفاني، ومن أحدث وتوضأ ولم يصل ركعتين فقد جفاني، ومن صلاهما ولم يدعني فقد جفاني، ومن دعاني ولم أجبه فقد جفوته وأنا لست بربّ جاف^(٢).

فثبت أن معنى الجفاء هو عدم الوفاء وعدم الاعتناء، وأين هذا من الكفر والنفاق؟!!

نعم قال جمع من العلماء: إذا ترك الناس زيارته ﷺ متعمداً ومن غير عذر، فهو علامة الجفاء المحرم، لأنه ترك تعظيمه الواجب، ولهذا قالوا: على الوالي أن يجبرهم على الزيارة.

ثم إن ورود الحديث بالفاظ مختلفة وزيادات كذلك، ليس دليلاً على الوهن واللبس، كما ادّعوه وكرّروه في ردّ الأحاديث، وهذا الادعاء دليل آخر على مغالطاتهم وتدليسهم، حيث إنهم جعلوا الأحاديث الكثيرة الواردة عن النبي ﷺ بالفاظ مختلفة وطرق متعددة وكان مفادها مطلباً واحداً، حديثاً واحداً، وتركوا الطرق التي لا يمكن الخدشة فيها^(٣)، وتكلّموا

(١) الكافي ٦: ١٨ ح ٥، الوسائل ١٥: ١٢٦ باب ٢٣ ح ٢، وورد في مصادر الغامة

أيضاً عن رسول الله ﷺ قل: من ولد له ثلاثة فلم يسم أحدهم باسمي فقد جفاني. فضائل التسمية بأحمد ومحمد، للحسين بن أحمد بن بكر: ٣٢.

(٢) الوسائل ١: ١٦٨ الباب ١١ من أبواب الوضوء، كشف الخفاء للعجلوني ٢:

حول الطريق الذي يمكنهم الخدشة فيه^(١).

فنقول أولاً: بليّ سبب يجعلون الأحاديث المتعددة الواردة عن النبي ﷺ حديثاً واحداً، فإنه ﷺ قد صدرت منه أحاديث كثيرة في مقامات كثيرة وبألفاظ مختلفة ولو كان مضمونها واحداً، فإن كثرة الأحاديث منه وتكرار المطلب منه يدل على اهتمامه بذلك المطلب وتأكيده عليه، كما في الروايات التي وردت في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيت العصمة عليهم السلام، وسائر الأمور.

فقد روى ابن عباس وابن عمر وعائشة وأمثالهم أحاديث كثيرة قد ملئت الكتب وكان كثير منها متحد المضمون كاملاً أو في جزء منها، فليس من الصحيح أن يحكم بوحدة الحديث بصرف اتحاد الراوي أو المضمون، فلا بد أن ننظر إلى الطُّرُق والرواة التي فيها، فإن كانت متحدة فهي، وإلا فلا.

فمن المثال إن الطريق الذي فيه موسى بن هلال يختلف عن طريق حفص بن أبي داود وهكذا طريق محمد بن النعمان، ولو أن راوي الجميع هو ابن عمر، فلا يصح الحكم بأن الحديث واحد.

وحيث لو فرضنا كون طريق في رواية من الروايات التي رواها ابن عمر أو ابن عباس ضعيفاً أو مكذوباً، فما ذنب سائر الطُّرُق وسائر الأحاديث التي وردت في ذلك المعنى من ذلك الراوي؟ وكيف تجعلونها واحدة وتكذبونها؟ وبأي قاعدة من قواعد الحديث؟! وهل هذا إلا تجاسر على الأحاديث النبوية وتصرف فيها بما تهوى الأنفس.

فاتنبه أيها القارئ الكريم وتفتن لكلماتهم المدلّسة.

(١) مثل طريق حفص بن أبي داود.

السند:

فقد وقع الكلام فيه من حيث الإسناد، فضعفه بعض وتشدّد فيه بعض آخر، وقد فصلّ السبكي الكلام فيه وكان حاصل تحقيقه فيه قوله: فتحصل من هذا إبطال الحكم عليه بالوضع، لكنه غريب كما قاله الدارقطني، وهو لأجل كلام ابن عدي صالح لأن يعتضد به غيره.

ومما يجب أن يُنبّه عليه: أن حكم المحدثين بالانكار والاستغراب قد يكون بحسب ذلك الطريق، فلا يلزم منه ردّ متن الحديث.

وهذا بخلاف اطلاق الفقيه: (إن الحديث موضوع) فإنه حكم على المتن من حيث الجملة، فلا جرّم قیلنا كلام الدارقطني (وهو الانكار) ورددنا كلام ابن الجوزي (وهو الوضع) والله اعلم! ^(١).

أقول: إنّ أكثر ما يستفاد من كلمات السبكي وغيره، هو أن الحديث غريب منكر، وهو ليس بشيء وأنه أهون من الضعف وحتى لو سلمنا الضعف، فهو صالح لأن يعتضد به غيره ويتقوى به.

ومن تدليسات الخصم، إنه يقول: هذه الأحاديث لا يعتمد عليها لأنها لم يروها أهل الصحاح والسُنن، بل يرونها من يروي الضعاف، كالدارقطني، والبزار وغيرهم ^(٢).

والجواب عنه أولاً: أن ما ينقله الدارقطني لو كان غير معتبر فلماذا تعتمدون على كلامه في موارد آخر، مثل تضعيف ابن النعمان الذي تقدم منه في هذا الحديث، وتستندون إليه.

وثانياً: أن هذه الأحاديث لم يروها الدارقطني والبزار فقط، بل قد

(١) شفاء السقام: ٩٩ - ١٠١ ط ٤.

(٢) فتاوى شيخ الإسلام لابن تيمية، نقلاً من تنبيه زائر المدينة: ٢٤.

رواها كثير من أئمة الحديث، مثل البيهقي وأبي داود الطيالسي صاحب السنن المقبولة عندكم وابن عساكر الذي قلت إن روايته أحسن ما ورد في الباب وغيرهم من الحفاظ المعتمدين، كابن السكن وابن عدي والطبراني والعقيلي.

وهذا ابن الجوزي الذي جعل هذا الحديث من الموضوعات واعتمدتم على كلامه، قد ذكر بعض هذه الأحاديث في كتابه مثير الغرام الساكن واعتمد عليها، فيا للعجب، كيف تقولون إنهم لم يرووها وهي أمام أعينكم؟

فتأكد مما قلناه سابقاً من انهم لا يعتقدون بأي شيء مخالف لأهوائهم وأي كلام مخالف لأفكارهم، بل قد اتخذوا آيات الله هزواً!!

إلى هنا قدّمنا لك قسماً من الروايات الخاصة التي تحث وتؤكد على زيارة قبره عليه السلام وشد الرحال إليه، فبعضها مصرحة وبعضها غير مصرحة، وقد وردت من طرق العامة، فمنها ما قد صحّحها أئمة الحديث وثقاتهم، ومنها ما قد ضعفها ولكنها تتقوى بغيرها ويتابع عليها، كما قد تكلمنا في كل واحد منها، ومعها خصوصاً مع عمل الأصحاب بها، لا يُعنى بأي قول مخالف لا يعتمد على قواعد الحديث.

وقد وردت روايات أخر من طرق العامة لم يصحّحها أصحابهم، أعرضنا عن ذكرها.

ووردت أيضاً أحاديث كثيرة من طرق الامامية وقد روتها الثقات عن أهل بيت العصمة الذين قد أذعن بأن أحاديثهم أصح الأحاديث^(١)، وهي متوافقة مع الروايات المذكورة من طرق العامة ومعاضدة لها سنداً ودلالة،

(١) لاحظ كلمات اعلام العامة حول أحاديثهم في صفحة: ٨١ ضمن الجواب عن

وقد عمل الأصحاب على طبقها بلا خلاف، حيث إن مسألة الزيارة من المسائل الاتفاقية عند الامامية ومن السنن المؤكدة التي قامت عليها سيرتهم وسيرة جميع المسلمين مدى الزمان، فلو كان في بعضها ضعفاً، فهو من التسامح فيه في أدلة السنن ويتقوى بسائر الروايات وعمل المسلمين. فنقدم إليك قسماً منها تكميلاً للفائدة وتكميلاً للدليل والبرهان، ودفعاً للشكوك والأوهام، وبالله المستعان.

ثانياً:

الأحاديث الواردة من طرق الشيعة

الحديث الاول: محمد بن يعقوب، عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن أبي نجران قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما لمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله متعمداً؟ قال: الجنة^(١).

ورواه الشيخ بإسناده عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن محمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد مثله، إلا أنه قال: قاصداً، بذلك قوله متعمداً^(٢).

ورواه ابن قولويه في المزار بأسانيد كثيرة والفاظ مختلفة^(٣).

الحديث الثاني: وعنهم، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن أبان، عن السندي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من أتاني زائراً كنت شفيعه يوم القيامة»^(٤).

ورواه الشيخ بأسانيد عن محمد بن الحسن، عن محمد بن الحسين، عن أحمد بن محمد مثله^(٥).

(١) الكافي ٤ : ١/٥٤٨ وفي المصدر فقل: له الجنة.

(٢) التهذيب ٦ : ٣/٣.

(٣) كامل الزيارات: ١٣.

(٤) الكافي ٤ : ٣/٥٤٨ وفي نسخة السدوسي بذلك السندي.

(٥) التهذيب ٦ : ٤/٤. وفي بعض النسخ عن أبي يحيى الأسلمي.

الحديث الثالث: عن علي بن محمد بن بندار، عن إبراهيم بن اسحاق، عن محمد بن سليمان الديلمي، عن أبي حجر الأسلمي.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتى مكة حاجاً ولم يزرني إلى المدينة جفوته يوم القيامة، ومن أتاني زائراً وجبت له شفاعتي، ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنة، ومن مات في أحد الحرمين مكة والمدينة لم يُعرض ولم يُحاسب، ومن مات مهاجراً إلى الله عز وجل حشر يوم القيامة مع أصحاب بدر»^(١).

أقول: قد تقدم الكلام في معنى الجفوة في روايات العامة وقلنا: إنه بمعنى عدم الاعتناء والالتفات.

ورواه الصدوق بإسناده عن محمد بن سليمان الديلمي، عن إبراهيم بن أبي حجر الأسلمي^(٢).

ورواه في العلل عن أبيه، عن سعد، عن عباد بن سليمان، عن محمد بن سليمان، مثله، إلى قوله: «وجبت له الجنة»^(٣).

ورواه ابن قولويه في المزار عن محمد بن يعقوب مثله^(٤).

الحديث الرابع: عن محمد بن يحيى، عن سلمة، عن علي بن سيف بن عميرة، عن مفضل بن مالك النخعي^(٥)، عن إبراهيم بن أبي يحيى، عن صفوان بن سليمان عن النبي ﷺ قل: «من زارني في حياتي وبعد موتي كان

(١) الكافي ٤: ٤٨٥ ح ٥، التهذيب ٦: ٤ ح ٥

(٢) الفقيه ٢: ٣٣٨ ح ١٥٧١

(٣) علل الشرائع: ٤٦٠ ح ٧

(٤) كامل الزيارات: ١٣.

(٥) في التهذيب طفيل بن مالك.

في جوارى يوم القيامة^(١).

وقد تقدمت الروايات التي بهذا المضمون من طرق العامة أيضاً.

الحديث الخامس: عن عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن زيد الشحام قل: قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما لمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله قل: كمن زار الله فوق عرشه... الحديث^(٢).

ورواه المفيد في المقنعة مرسلًا^(٣).

ورواه الشيخ بإسناده عن محمد بن يعقوب^(٤)، وكذا الذي قبله إلى قوله وجبت له الجنة.

قال الشيخ حر العاملي في معنى هذا الحديث: يعني أن لزاره من الثواب والأجر كمن رفعه الله إلى سمائه وأدناه من عرشه، وأراه من خاصة ملكوته ما به تأكيد كرامته، وليس على مقتضى التشبيه. وهكذا قال الشيخ^(٥)، والصدوق^(٦)، وغيرهما^(٧).

الحديث السادس: عبد الله بن جعفر في قرب الإسناد عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قل: «من زارني حياً أو ميتاً كنت له شفيماً يوم القيامة»^(٨).

(١) التهذيب ٦: ٣ ح ٢ وكامل الزيارات: ١٣.

(٢) الكافي ٤: ٥٨٥ ح ٥ وأورد ذيله في الحديث ١٥.

(٣) المقنعة: ٧١.

(٤) التهذيب ٦: ٤ ح ٦.

(٥) راجع التهذيب ٦: ٤ ح ٧.

(٦) راجع أمالي الصدوق ١٠٥ ح ٦.

(٧) راجع روضة المتقين ٥: ٣٦٣ والوافي ٨ من كتاب الحج والعمرة والزيارات.

(٨) قرب الإسناد: ٢١ ولاحظ الوسائل ج ١٤: ٣٣٦.

١٢٢ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

وقد تقدمت الروايات التي بهذا المضمون من العامة أيضاً، لكن المانعين قد أنكروا صحة هذه الروايات لإنكارهم الشفاعة.

وحيث إن موضوع بحثنا هو الزيارة، نحيل الكلام في الشفاعة والجواب عن الشبهات التي حولها إلى الكتب المؤلفة فيها.

الحديث السابع: عنهم - أي عن عدة من أصحابنا - عن أحمد بن أبي عبد الله، عن عثمان بن عيسى، عن المعلّى بن شهاب قل:

قال الحسين عليه السلام لرسول الله ﷺ: يا أبتاه! ما لمن زارك؟ فقال رسول الله ﷺ: «من زارني حياً أو ميتاً أو زار أباك أو زار أخاك أو زارك، كان حقاً عليّ أن أزوره يوم القيامة وأخلصه من ذنوبه»^(١).

ورواه ابن قولويه في المزار عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى، عن عثمان بن عيسى^(٢)، ورواه الصدوق مرسلًا^(٣).

ورواه في ثواب الأعمال عن أبيه، عن عثمان بن عيسى، عن العلاء بن المسيب، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام^(٤).

وعن حمزة بن محمد العلوي^(٥)، عن محمد بن الحسين الفراهيدي^(٦)، عن جعفر بن أمين الشعيري^(٧)، عن عثمان بن عيسى، عن العلاء بن المسيب^(٨).

(١) الكافي ٤: ٥٤٨ ح ٤.

(٢) كامل الزيارات: ١١.

(٣) الفقيه ٢: ٣٤٥ ح ١٥٧٦.

(٤) ثواب الأعمال: ١٠٧ ح ١ وفيه: قال الحسن بن علي لرسول الله ﷺ...

(٥) في ثواب الأعمال زيلة: عن أحمد بن محمد الهمداني عن علي بن حمدون الرواس.

(٦) في المصدر محمد بن حسين القواريري.

(٧) في المصدر جعفر بن أمين الثغري....

(٨) ثواب الأعمال: ١٠٧ ح ٢.

ورواه في الأمالي عن الحسين بن أحمد بن إدريس، عن أبيه، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن عثمان بن عيسى^(١).

ورواه في العلل عن محمد بن موسى بن المتوكل، عن علي بن الحسين السعدآبادي، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن عثمان بن عيسى، عن المعلّى بن شهاب، عن أبي عبد الله^(٢).

ورواه الشيخ بإسناده عن محمد بن يعقوب مثله^(٣).

فهذه الرواية وما يليها من الروايات تدل على استحباب زيارة النبي ﷺ وأمير المؤمنين^(٤) وأولاده^(٥)، وليست منحصرة في الحث على زيارته فقط، وهنيئاً للمسلم الذي يكون النبي ﷺ زائره في يوم الفزع الأكبر، اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ومن المعلوم أنّ من السنن المتعارفة بين الناس وقد أمضاها الشرع، أنّ من زاره أحد من أقربائه أو أصدقائه، يعود بالزيارة، فهل يمكن أن يترك النبي الكريم وأهل بيته الكرام هذه السنة المتداولة ولا يعملون بها^(٦)!

كلا، فإنهم أولى الناس بالعمل بهذه السنن الكريمة، وإذا كان كذلك فهنيئاً لمن يزوره النبي ﷺ وأمير المؤمنين وأولاده المعصومون^(٧) بعد مماته ويرفعون الهم والغم عنه ويشفعون له عند ربهم ويخلصونه من

(١) أمالي الصدوق: ٥٧ ح ٤.

(٢) علل الشرائع: ٤٦٠ ح ٥.

(٣) التهذيب ٦: ٤ ح ٧.

(٤) فقد وردت أحاديث كثيرة في حضور النبي ﷺ والأئمة: عند الموت، منها ما ورد

في ذيل الآية الشريفة: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ وَأَنْتُمْ حِينَتٌ تَنْظُرُونَ...﴾

سورة الواقعة الآية: ٨٣.

١٢٤ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

عذاب البرزخ ويوم القيامة رغباً لأنف أعدائهم الذين لا يتحملون هذه المقامات والفضائل لهم ولزوارهم، فيصدون الناس عنهم وعن زيارتهم بعلل وكلمات واهية لا يقبلها من كان له عقل سليم.

الحديث الثامن: عن أبي علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار،

عن محمد بن سنان، عن محمد بن علي، رفعه قال: قال رسول الله ﷺ:

«يا علي! من زارني في حياتي أو بعد مماتي أو زارك في حياتك أو بعد مماتك (موتك) أو زار إبتنيك في حياتهما أو بعد موتهما ضمننت له يوم القيامة أن أخلصه من أهوالها وشدائدها حتى أصيره معي من درجتي»^(١).

ورواه الصدوق مرسلًا^(٢).

ورواه ابن قولويه في المزار عن أبيه، ومحمد بن يعقوب عن أحمد ابن

إدريس، عن محمد بن عبد الجبار مثله^(٣).

الحديث التاسع: محمد بن الحسن باسنانه عن محمد بن أحمد بن داود،

عن إسماعيل بن عيسى بن محمد المؤدب، عن إبراهيم بن محمد القرشي، عن

محمد بن محمد بن هشيم^(٤)، عن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر، عن

أبيه، عن آبائه ﷺ قال:

قال رسول الله ﷺ: «من زار قبري بعد موتي كان كمن هاجر إليّ

في حياتي، فإن لم تستطيعوا فابعثوا إليّ السلام فإنه يبلغني»^(٥).

(١) الكافي ٤: ٥٧٩ ح ٢.

(٢) الفقيه ٢: ٣٤٦ ح ١٥٨١.

(٣) كامل الزيارات: ١١ ولاحظ وسائل الشيعة ج ١٤: ٣٢٨.

(٤) في نسخة زيادة: عن الأعمش وفي المصدر زيادة محمد بن الأشعث بن هشيم.

(٥) التهذيب ٦: ٧ ح ١١ وفي المصدر: بالسلام.

ورواه في المقنعة مرسلًا^(١).

أقول: هذا الحديث فيه دلالة على أهمية شد الرحال إلى زيارته بعد موته وأن من يأتيه زائراً كان كمن هاجر إليه في حياته، والهجرة إليه ملازمة لشد الرحل، وفيه دلالة على أن من تعذر عليه السفر إلى زيارته وكان ممن يريد زيارته فإن الله لا يجيبه، بل يقبل منه السلام من بعيد، والتوجه إليه بقلبه، وأنه سبحانه يبلغ سلام المؤمنين إليه أينما كانوا.

الحديث العاشر: ابن الوليد، عن الصفار، عن ابن عيسى، عن ابن أبي نجران قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام:

جعلت فداك، ما لمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله متعمداً؟ قال: له الجنة^(٢).

وقد روى الكليني عن عدة من أصحابه، عن ابن عيسى مثله^(٣).

وروى أيضاً عن ابن أبي نجران بطرق أخرى باختلاف يسير^(٤).

الحديث الحادي عشر: من حديث الأربعمأة، قال أمير المؤمنين عليه السلام:

أتموا برسول الله حجكم إذا خرجتم إلى بيت الله، فإن تركه جفاء، وبذلك أمرتم وأتموا بالقبور التي ألزمكم الله صلى الله عليه وآله زيارتها وحقها واطلبوا الرزق عندها^(٥).

والظاهر أن المراد من القبور التي ألزم الله زيارتها وحقها، هي قبور أهل بيته وذريته التي فرض الله مودتهم وأداء حقوقهم على الناس في كتابه.

(١) المقنعة للشيخ المفيد: ٤٥٧ - مؤسسة النشر الإسلامي - قم.

(٢) كامل الزيارات: ١٢.

(٣) كامل الزيارات: ١٢.

(٤) كامل الزيارات: ١٤، نقلاً عن البحار: ١٠٠ ح ١٤٣.

(٥) الخصال ٢: ٤٠٦ ضمن حديث طويل، وراجع البحار ١٠٠: ١٣٩.

الحديث الثاني عشر: ابن فضال، عن حمزة بن حمران، عن أبي عبد الله، عن أبيه ﷺ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ في خبر طويل: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَكَّلَ بِفَاطِمَةَ رَعِيلاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْفَظُونَهَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا وَمِنْ خَلْفِهَا وَعَنْ يَمِينِهَا وَعَنْ يَسَارِهَا وَهُمْ مَعَهَا فِي حَيَاتِهَا وَعِنْدَ قَبْرِهَا بَعْدَ مَوْتِهَا، يَكْثُرُونَ الصَّلَاةَ عَلَيْهَا وَعَلَى أَبِيهَا وَبِعَلْمِهَا وَبِنَيْهَا، فَمَنْ زَارَنِي بَعْدَ وَفَاتِي فَكَأَنَّمَا زَارَ فَاطِمَةَ وَمَنْ زَارَ فَاطِمَةَ فَكَأَنَّمَا زَارَنِي، وَمَنْ زَارَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَكَأَنَّمَا زَارَ فَاطِمَةَ، وَمَنْ زَارَ الْحَسْنَ وَالْحُسَيْنَ فَكَأَنَّمَا زَارَ عَلِيًّا، وَمَنْ زَارَ فَرَيْتَهُمَا فَكَأَنَّمَا زَارَهُمَا»^(١).

هذا الحديث يدل على مشروعية زيارة أبناء الأئمة وذريتهم الصالحين منهم أيضاً.

الحديث الثالث عشر: في التهذيب، عن أبي عامر واعظ الحجاز، عن الصادق ﷺ، عن أبيه، عن جده ﷺ قال:

قال رسول الله ﷺ لعلي ﷺ: «يَا أَبَا الْحَسَنِ! إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ قَبْرَكَ وَقُبُورَ وَلَدِكَ بَقَاعاً مِنْ بَقَاعِ الْجَنَّةِ، وَعَرَصَةٌ مِنْ عَرَصَاتِهَا وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ قُلُوبَ نَجْبِيَاءَ مِنْ خَلْقِهِ وَصَفْوَتِهِ مِنْ عِبَادِهِ تَحْنُ إِلَيْكُمْ وَتَحْتَمِلُ الْأَذَى وَالْمَذَلَّةَ فِيكُمْ، فَيَعْمَرُونَ قُبُورَكُمْ وَيَكْثُرُونَ زِيَارَتَهَا تَقَرُّباً مِنْهُمْ إِلَى اللَّهِ وَمُودَةً مِنْهُمْ لِرَسُولِ اللَّهِ، أَوْلَيْتُكَ يَا عَلِيُّ الْمَخْصُوصُونَ بِشَفَاعَتِي، وَالْوَارِدُونَ حَوْضِي، وَهُمْ زَوَارِي غَدَا فِي الْجَنَّةِ.

يا علي! من عمّر قبوركم وتعاهدتها فكأنما أعان سليمان بن داود ﷺ على بناء بيت المقدس، ومن زار قبوركم عدل ذلك له ثواب سبعين حجة بعد حجة الاسلام، وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته

(١) بشارة المصطفى محمد بن علي الطبري ١٣٩ الطبعة الثانية سنة ١٣٨٣ - نجف

أمه، فأبشر يا علي وبشر أوليائك ومحبيك من النعيم وقرّة العين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ولكن حثالة من الناس يعيرون زوار قبوركم لزيارتكم كما تعيّر الزانية بزناها، أولئك شرار أمتي لا تنالهم شفاعتي ولا يردون حوضي^(١).

وهذا حديث جامع فيه مطالب مهمة في فضائل الزيارة وتعمير قبور أهل بيت النبوة كما ترى، وفيه إشارة إلى الذين يمتنعون عن زيارة قبور أهل البيت ويعيرون زوارهم بكلمات شنيعة، مثل عبادة القبور والشرك، وفيه أجوبة عن شبهاتهم، وفي هذا الحديث لم يتعرض النبي لزيارة قبره، بل ذكر زيارة قبور الأئمة عليهم السلام حيث كان هو مفروغاً عنه، وإذا ثبتت هذه الفضائل لزيارة أهل بيته، فهي ثابتة لزيارته عليه السلام بطريق أولى.

الحديث الرابع عشر: في أمالي الطوسي^(٢)، عن الحسين بن إبراهيم القزويني، عن محمد بن وهبان، عن علي بن حبشي^(٣)، عن العباس بن محمد بن الحسين، عن أبيه، عن صفوان بن يحيى، عن الحسين بن أبي غندر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام - في حديث - إن رسول الله صلى الله عليه وآله بكى بكاءً شديداً فقال له الحسين عليه السلام لم بكيت؟ قال: «أخبرني جبرئيل أنكم قتلى ومصارعكم شتى»، فقال له: يا أبا عبد الله فما لمن يزور قبورنا على تشنتها؟ فقال: «يا بني أولئك طوائف من أمتي، يزورونكم يلتمسون بذلك البركة وحقيق علي أن آتيهم يوم القيامة فاخلصهم^(٤) من أهوال الساعة من ذنوبهم

(١) التهذيب ٦ : ٢٢ .

(٢) أمالي الطوسي ٢ : ٢٨١ .

(٣) في المصدر علي بن حبشي .

(٤) في المصدر حتى أخلصهم .

ويسكنهم الله الجنة^(١).

وورد هذا الحديث من طُرُق العامة أيضاً رواه الخوارزمي الحنفي بسنده عن علي رضي الله عنه قال: زارنا رسول الله ﷺ، فعملنا له حريرة، وأهدت لنا أم أيمن قعباً من لبن، وزبداء، وصحنة من تمر، فأكل النبي وأكلنا معه، ثم وضأت رسول الله ﷺ فقام واستقبل القبلة، فدعا الله ما شاء، ثم أكب على الأرض بدموع غزيرة مثل المطر، فهبنا رسول الله ﷺ أن نسأله، فوثب الحسين فقال: يا أباي! رأيتك تصنع ما لم أرك تصنع مثله! فقال: (يا بني! إنني سررت بكم اليوم سروراً لم أسر بكم مثله، وأن حبيبي جبرئيل أتاني، فأخبرني: أنكم قتلتي، وأن مصارعكم شتى فدعوت الله لكم وأحزنتني ذلك)، فقال الحسين: يا رسول الله! فمن يزورنا على تشنتنا، ويتعاهد قبورنا؟ قال: «طائفة من أمتي يريدون بري وصلتي، فإذا كان يوم القيامة شهدتها بالموقف، وأخذت بأعضادها فأنجيتها - والله - من أهواله وشدائمه»^(٢).

وهذا الحديث عن رسول الله وإن لم يتكلم النبي ﷺ فيه عن زيارة قبره، بل كان في زيارة قبور أهل بيته، ولكن ثبتت هذه الفضائل أيضاً لزيارته بالأولية. وفي نفس الحال هذا الحديث وما سبقه من الأحاديث المصرحة برجحان زيارتهم، دليل مستقل على مشروعية زيارتهم وشد الرحال إلى قبورهم.

وهذا قليل من كثير من الروايات والأحاديث الواردة في الحث والتأكيد على زيارته ﷺ من طُرُق الشيعة، وقد رواها عدة من ثقات الأعلام

(١) أمالي الطوسي ٢: ٢٨١.

(٢) مقتل الحسين لابن المؤيد الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم المتوفى سنة ٥٦٨ هـ

هجرية: ١٩٠ ط في دار أنوار الهدى، ورواه الخركوشي في (شرف النبي): ٢٩٠.

مخطوط، والسهمودي في خلاصة الوفاء: ٢١٨ مخطوط، عن شرف النبي ﷺ.

الذين يعتمد على رواياتهم ويؤخذ بها عند الشيعة وقد ذكرتهم عند نقل الروايات، حيث كانوا قد شرطوا أن لا يرووا إلا الأحاديث التي قد ثبت عندهم صدورها ولو من طريق القرائن والشواهد والمتابعات، فإن كان في بعضها ضعف من جهة بعض الروايات ينجر بهذه الامور.

ومع هذه الأحاديث الكثيرة المتعاضدة التي وردت من الفريقين، لا يبقى مجال لأي شبهة عند المخالف ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

وإليك ما ورد من الاحاديث في فضل الزيارة وإن لم يكن فيه لفظ الزيارة:

أخرجه من أصحاب السنن من يعتمد عليه ابن تيمية واتباعه، وهو أبو داود السجستاني، عن محمد بن عوف، عن المقرئ، عن حيوة، عن أبي صخر حميد بن زياد، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبي هريرة إن رسول الله ﷺ قال:

«ما من أحد يسلم عليّ إلا ردّ الله عليّ روجي حتى أردّ عليه السلام»^(٢).

قال ابن حجر في تلخيص الحبير في أحاديث الزيارة: وأصح ما ورد في ذلك ما رواه أحمد وأبو داود من طريق أبي صخر حميد بن زياد، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبي هريرة مرفوعاً «ما من أحد يسلم... وبهذا الحديث صدر البيهقي الباب»^(٣).

(١) الكهف: ٦، الأعراف: ١٨٥.

(٢) سنن أبي داود السجستاني: ٢: ٢١٨ ح ٢٠٤١، كتاب المناسك باب زيارة القبور، وراجع شفاء السقام: ١١٩ ووفاء الوفاء: ٤: ١٣٤٩.

(٣) تلخيص الحبير ٧: ٤١٨.

١٣٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

وقال ابن عبد الهادي: روى الامام أحمد حديث أبي هريرة هذا في مسنده ثم قال: اعلم أن هذا الحديث هو الذي اعتمد عليه الامام أحمد وأبو داود وغيرهما من الأئمة في مسألة الزيارة، وهو أجود ما استدل به في هذا الباب^(١).

لكن من العجب! إنه بعد هذا الاعتراف كيف لم يستح من قوله: ومع هذا فلا يسلم من مقال في إسناده، من جهة تفرد ابن صخر عن ابن قسيط، عن أبي هريرة ولم يتابع ابن قسيط.

فانظر إلى هذا الكلام المتناقض، كيف ينقض آخره أوله، فإنه إذا اعترف أن أحمد وأبا داود وغيرهما من أئمة الحديث قد اعتمدوا عليه وكان عندهم من أجود ما استدل به في الباب، فما هذا التضعيف المضحك الذي لا يقبله متعلم في الحديث فضلاً عن العالم به؟!

قال السبكي: وقد اعتمد جماعة من الأئمة على هذا الحديث في مسألة الزيارة وصدر به أبو بكر البيهقي «باب زيارة قبر النبي ﷺ» وهو اعتماد صحيح واستدلال مستقيم، لأن الزائر المسلم على النبي ﷺ تحصل له فضيلة رد النبي ﷺ السلام عليه.

وهي رتبة شريفة ومنقبة عظيمة ينبغي التعرض لها، والحرص عليها لئتنال بركة سلامه ﷺ.

ثم قال: فإن قيل: ليس في الحديث تخصيص بالزائر، فقد يكون هذا حاصلًا لكل مسلم، قريباً كان أو بعيداً، وحينئذ تحصل هذه الفضيلة بالسلام من غير زيارة والحديث عام.

قلت: قد ذكره ابن قدامة من رواية أحمد ولفظه: «ما من أحد يسلم

(١) الصارم المنكي: ١٨٩.

عليّ عند قبري»^(١).

وهذه زيادة مقتضاها التخصيص فإن ثبت فذاك، وإن لم يثبت فلا شك أن القريب من القبر يحصل له ذلك، لأنه في منزلة المسلم عليه بالتحية التي تستدعي الرد^(٢)، كما في حال الحياة، فهو بحضوره عند القبر قاطع بنيل هذه الدرجة على مقتضى الحديث، متعرض لخطاب النبي ﷺ له برد السلام عليه، وفي المواجهة بالخطاب فضيلة زائدة على الرد على الغائب^(٣).

ثم قال في مكان آخر: وكفى بهذا فضلاً حقيقاً أن ينفق فيه ملك الدنيا حتى يتوصل إليه من أقطار الأرض^(٤).

أقول: فمع فهم أئمة الحديث، التخصيص بالحضور عند القبر

(١) المغني لابن قدامة ج ٣ ص ٥٨٨.

أقول: وقد ورد هذا المضمون عن أبي هريرة أيضاً بطريقين أوردها المتقي الهندي:

١ - عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: «ما من عبدٍ يسلم عليّ عند قبري إلا وكل الله به ملكاً يبلغني، وكفي أمر آخرته ودينه وكنيت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة، كنز العمال ١: ٤٩٨ ح ٢١٩٦.

٢ - عن أبي هريرة، عنه ﷺ: «من صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى عليّ نائياً وكل بها ملك يبلغني وكفي دينه وآخرته وكنيت له شهيداً أو شفيعاً». كنز العمال للمتقي الهندي ٥: ٣٥.

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُبَيْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ

كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ النساء: ٨٦، والنبي ﷺ أولى بالعمل بها.

(٣) شفاء السقام ص ١٢٢.

(٤) شفاء السقام: ١٣٤.

١٣٢ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

والتسليم عليه، كما هو صريح رواية أحمد الذي نقله ابن قدامة والذي قد اعتمد عليه ابن تيمية، وكما فعله أبو داود حيث ترجم للباب بزيارة القبور وأورد الحديث المذكور فيه، وهكذا البيهقي، لا يبقى مجال للقول بأن الحديث ظاهر في العموم أي يشمل السلام عليه من القريب والبعيد أيضاً، كما قاله ابن عبد الهادي.

وعلى فرض تسليم العموم، فإن من المسلم شمول التسليم عند القبر المطهر ومن القرب وإنه المتيقن وإنه من أفضل نوع التسليم، لما فيه من المقابلة والمواجهة والمخاطبة.

وهذا المقدار يكفي لاثبات مشروعية الزيارة والحضور عند القبر الشريف الذي من أحد لوازمه السفر إليه، فما هذه المخالفات الشديدة في قبل هذه المسألة التي هي من مصاديق تعظيم شعائر الله ومن تقوى القلوب.

هذا وقد تعرض السبكي في البحث عن رجال هذا الحديث مفصلاً، للطالب أن يراجع في شفاء السقام.

وقد روى الإمام أحمد بسنده أن النبي ﷺ لما خرج يودع معاذ بن جبل قال: «يا معاذ! إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري».

فالجملته كما يقول الدكتور البوطي تنطوي بصريح البيان على توصية معاذ بأن يعرج عند رجوعه إلى المدينة على مسجده وقبره ليسلم عليه^(١).

وهناك أحاديث أخر غير مصرحة بالزيارة قد نقلها الأعلام، وقد اكتفينا بهذا المقدار منها، وإن شئت فراجع شفاء السقام ووفاء الوفا^(٢).

(١) أنظر السيرة النبوية لمحمد بيومي مهران ٣ : ١١٨.

(٢) شفاء السقام: ١٢٠، وفاء الوفا: ٤ : ١٣٤٩.

وبهذا نحتّم الكلام في الدليل الروائي من السنة على مشروعية زيارة خير الانام وأهل بيته العظام عليهم السلام؛ فإنه كما قلنا سابقاً كلما ثبت للنبي صلى الله عليه وآله من فضيلة ومقام سوى النبوة فهو ثابت لأهل بيته الكرام بلا كلام.

أحاديث فضل زيارة الأئمة عليهم السلام

وقد وردت من طرق الإمامية روايات كثيرة تحت على زيارة الأئمة المعصومين، صححها الأعلام واعتمد عليها وأخرج بعضها أعلام العامة أيضاً نذكر نبذة منها تمييزاً للفائدة والبرهان:

روى في الوسائل مسنداً عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بينا الحسين بن علي في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله إذ رفع رأسه فقال يا أبا، ما لمن زارك بعد موتك؟ فقال: «يا بني! من أتاني زائراً بعد موتي فله الجنة، ومن أتى أباك زائراً بعد موته فله الجنة، ومن أتى أخاك زائراً بعد موته فله الجنة، ومن أتاك زائراً بعد موتك فله الجنة»^(١).

ورواه المفيد في المقنعة مرسل^(٢)، وابن قولويه في المزار عن أبيه، عن سعد مثله^(٣). وفيه أيضاً مسنداً عن معلّى بن جعفر قال: قال الحسن بن علي عليه السلام: يا رسول الله، ما لمن زارك؟ فقل: «من زارني حياً أو ميتاً، أو زار أباك حياً وميتاً، أو زار أخاك حياً أو ميتاً كان حقاً علي أن أستقنه يوم القيامة»^(٤).

(١) الوسائل ١٤ : ٣٢٩ باب استحباب زيارة النبي والأئمة عليهم السلام.

(٢) المقنعة: ٧٢.

(٣) كامل الزيارات لابن قولويه: ١٠.

(٤) الوسائل ١٤ : ٣٣٠ باب استحباب زيارة النبي، حكاه عن التهذيب ٦ : ٤٠ ح

١٣٤ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

وفيه أيضاً مسنداً عن أبي عبد الله الحراني قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما لمن زار الحسين عليه السلام؟ قال: من أتاه وزاره وصلى عنده ركعتين كتبت له حجة مبرورة، فإن صلى عنده أربع ركعات كتبت له حجة وعمرة، قلت: جعلت فداك وكذلك كل من زار إماماً مفترضة طاعته؟ قال: وكذلك كل من زار إماماً مفترضة طاعته^(١).

وروى المفيد (ره) مسنداً عن حمران بن أعين قال: زرت قبر الحسين بن علي عليه السلام، فلما قدمت جاءني أبو جعفر عليه السلام فقال: أبشر يا حمران، فمن زار قبور شهداء آل محمد ﷺ يريد الله بذلك وصلة نبيه، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه^(٢).

وفي المزار لابن قولويه عن محمد بن يعقوب، عن عنة من أصحابنا منهم أحمد بن إدريس ومحمد بن يحيى عن العمركي بن علي، عن يحيى، وكان خادماً لأبي جعفر الثاني عليه السلام، رفعه عن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «من زارني أو زار أحداً من ذريتي زرت يوم القيامة فأنقذته من أهوالها»^(٣).

وفي هذين الحديثين عمومية تشمل غير الأئمة من شهداء آل محمد وذرائبه أيضاً.

وفي المقنعة للمفيد عليه السلام عن الصادق عليه السلام قال: من زارنا بعد مماتنا فكأنما زارنا في حياتنا...

وقال عليه السلام من زار إماماً مفترض الطاعة وصلى عنده أربع ركعات

(١) نفس المصدر السابق وحكه أيضاً عن التهذيب ٦: ٧٩ ح ١٥٦. هذا الحديث وإن

كان صدره في زيارة الحسين عليه السلام إلا أن النيل عام يشمل جميع الأئمة عليهم السلام.

(٢) نفس المصدر وحكاه عن أمالي الطوسي ٢: ٢٨.

(٣) كامل الزيارات لابن قولويه: ١١ ولاحظ الوسائل ١٤: ٣٣١.

كتب الله له حجة وعمره^(١).

وقد وردت أحاديث كثيرة في استحباب زيارة كل واحد من الأئمة نذكر بعضاً منها:

الحث على زيارة

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

في أمالي الطوسي عليه السلام عن أبيه، عن المفيد، عن جعفر بن محمد بن قولويه، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رثاب، عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما خلق الله خلقاً أكثر من الملائكة، وإنه لينزل كل يوم سبعون ألف ملك فيأتون البيت المعمور فيطوفون به، فإذا هم طافوا به نزلوا بالكعبة، فإذا طافوا بها أتوا قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسلموا عليه، ثم عرجوا وينزل مثلهم أبداً إلى يوم القيامة.

وقال عليه السلام: من زار قبر أمير المؤمنين عارفاً بحقه غير متجبر ولا متكبر كتب الله له أجر مائة ألف شهيد، وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ويعث من الأمنين، وهون عليه الحساب، واستقبلته الملائكة، فإذا انصرف شيعته إلى منزله، فإن مرض عادوه، وإن مات شيعوه بالاستغفار إلى قبره.

ثم قال: ومن زار الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كتب الله له ثواب ألف حجة مقبولة وألف عمرة مقبولة، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر^(٢).

وهذا الحديث روته أعلام العامة أيضاً باختلاف في بعض الألفاظ

(١) المقنعة: ٤٨٥ ط مؤسسة النشر الإسلامي ولاحظ الوسائل ١٤: ٣٣٢.

(٢) أمالي الطوسي: ٢١٨ ط مؤسسة البلاغ - بيروت.

نذكره في زيارة الحسين ﷺ.

وفي الوسائل عن خلف بن حماد، عن اسماعيل، عن أبي عبد الله ﷺ قال: نحن نقول بظهر الكوفة قبر لا يلوذ به ذو عاهة إلا شفاه الله.^(١) وفيه أيضاً عن أبي عبد الله ﷺ قال: إن إلى جانب كوفان قبراً ما أتاه مكروب قط فصلى عنده ركعتين أو أربع ركعات إلا نفس الله كربه وقضى حاجته، قال الراوي: قلت: قبر الحسين بن علي ﷺ؟ فقال لي برأسه: لا، فقلت: قبر أمير المؤمنين ﷺ؟ فقال برأسه: نعم^(٢).

وفي المقنعة عن الصادق ﷺ: إن السماء لتفتح عند دعاء الزائر لأمر المؤمنين ﷺ فلا تكن عن الخير نواماً^(٣).

التحذير من ترك زيارة أمير المؤمنين ﷺ

وفي المقنعة عن الصادق ﷺ قال: من ترك زيارة أمير المؤمنين ﷺ لم ينظر الله إليه، ألا تزورون من تزوره الملائكة والنبيون ﷺ، إن أمير المؤمنين ﷺ أفضل من كل الأئمة وله مثل ثواب أعمالهم وعلى قدر أعمالهم فضّلوا^(٤).

استحباب زيارته ﷺ ماشياً:

وفي الوسائل مسنداً عن الحسين بن اسماعيل الصيمري، عن أبي عبد الله ﷺ قال: من زار أمير المؤمنين ﷺ ماشياً كتب الله له بكل خطوة

(١) الوسائل ١٤: ٣٧٧ وحكاها عن التهذيب ٦: ٣٤/٧٠.

(٢) الوسائل ١٤: ٣٧٨ وحكاها أيضاً عن التهذيب ٦: ٣٥/٧٣.

(٣) المقنعة للمفيد: ٤٦٢ ط مؤسسة النشر الإسلامي - قم.

(٤) نفس المصدر السابق.

حجة وعمرة، فإن رجع ماشياً كتب الله له بكل خطوة حجتين وعمرتين^(١).

ثمّ ذج من زيارة الأئمة عليهم السلام لقبره الشريف

في الوسائل عن محمد بن علي بن الحسين بإسناده عن صفوان بن مهران الجمال، عن الصادق عليه السلام قال: سار عليه السلام وأنا معه في القادسية حتى أشرف على النجف، فقال عليه السلام: هذا هو الجبل الذي اعتصم به ابن جدي نوح، فقال: ﴿سَأْوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾^(٢).

فأوحى الله تعالى إليه: أيعتصم بك مني أحد؟ فغار في الأرض، وتقطع إلى الشام، ثم قال عليه السلام: أعدت بنا، قال: فعدلت به فلم يزل سائراً حتى أتى الغري فوقف به، ثم أتى القبر فساق السلام على نبي نبي عليه السلام وأنا أسوق السلام معه، حتى وصل السلام إلى النبي عليه السلام، ثم خرّ على القبر فسلم عليه، وعلا نحيبه، ثم قام فصلّى أربع ركعات (وفي رواية ست ركعات) وصليت معه، فقلت: يا ابن رسول الله ما هذا القبر؟ فقال: هذا قبر جدي علي بن أبي طالب عليه السلام^(٣).

الحث على زيارة

الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام

في مزار المفيد (ره) عن الحسن بن يزيد بن عبد الملك، عن أبيه، عن جده قال: دخلت على فاطمة فابتدأتني بالسلام، ثم قالت: ما غدا بك؟ قلت: طلب البركة.

(١) الوسائل ١٤: ٣٨٠ وحكاه عن التهذيب ٦: ٢٠/٤٦.

(٢) هود: ٤٣.

(٣) الوسائل ١٤: ٣٧٩ وحكاه عن الفقيه ٢: ٣٥١/١٦١٢.

١٣٨ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

فقلت: أخبرني أبي وهو ذا أنه من سلم عليه وعليّ ثلاثة أيام أوجب الله له الجنة قل: فقلت لها: في حياته وحياتك؟ قالت: نعم، وبعد موتنا^(١).

الحث على زيارة

السبط الأكبر الحسن المجتبي ﷺ

في العوالم مسنداً عن ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ كان جالساً ذات يوم إذ أقبل الحسن ﷺ، فلما رآه بكى، ثم قال: «إليّ إليّ يا بني» فما زال يذنيه حتى أجلسه على فخذه اليمنى.

وساق الحديث إلى أن قال: قال النبي ﷺ: «وأما الحسن فإنه ابني وولدي وبضعة مني وقرّة عيني وضيء قلبي وثمرّة فؤادي وهو سيد شباب أهل الجنة، وحجة الله على الأمة، وأمره أمري وقوله قولي، من تبعه فإنه مني، ومن عصاه فليس مني، وإني لما نظرت إليه تذكّرت ما يجري عليه من الذلّ بعدي، فلا يزال الأمر به حتى يقتل بالسم ظلماً وعدواناً، فعند ذلك تبكي الملائكة والسبع الشداد لموته، ويبكيه كلّ شيء حتى الطير في السماء والحيتان في جوف الماء، فمن بكاه لم تعم عينه يوم تعمى العيون ومن حزن عليه لم يحزن قلبه يوم تحزن القلوب، ومن زاره في بقيعه ثبتت قدمه على الصراط يوم تزل فيه الأقدام»^(٢).

وقد تقدم في أحاديث الزيارة المشتركة بينهم ﷺ قوله ﷺ في جواب سؤال الحسن ﷺ: «... ومن أتاك بعد موتك فله الجنة».

(١) مزار المفيد ٥: ١٥٤، والبحار ١٠٠: ١٦٤ ح ٩، والمناقب لابن شهر آشوب ٣:

(٢) عوالم العلوم والمعارف للشيخ عبد الله البحراني ١٦: ٢٩٧ ط مؤسسة الامام

المهدي قم، وحكاه عن أمالي الصدوق: ٩٩ ط منشورات الاعلمي - بيروت.

وفي الحديث المتقدم عن ابن عباس شهادة وتصريح من رسول الله على فضائل السبط الأكبر عليه السلام وعظمة صبره وتحمله للأذى، وفضيلة البكاء عليه، وثواب زيارته في البقيع، وإن زيارته سبب لثبات القدم على الصراط.

وما يشهد على عظيم مصيبتيه ومظلوميته بكاء الحسين عند وقوفه على قبره وإنشاده: أدهن رأسي أم تطيب محاسني

قال ابن عبد ربه في العقد: وقف محمد بن الحنفية على قبر الحسن بن علي عليه السلام فحنقته العبرة ثم نطق فقال: يرحمك الله يا أبا محمد فلئن عزت حياتك فلقد هدّت وفاتك ولنعم الروح روح ضمه بدنك، ولنعم البدن بدن ضمه كفنك، وكيف لا يكون كذلك وأنت بقية ولد الأنبياء وسليل الهدى وخامس أصحاب الكساء، غذتك الحق وربيت في حجر الإسلام، فطبت حياً وطبت ميتاً، وإن كانت أنفسنا غير طيبة بفراقك ولا شاقة في الخيار لك^(١).

ورواه الزرندي الحنفي في نظم درر السبطين بعين ما تقدم في العقد الفريد إلى قوله: وكيف لا تكون هكذا.

ثم قال: وأنت سليل الهدى، وحليف أهل التقى وخامس أصحاب الكساء، وابن سيده النساء، ربيت في حجر الإسلام، ورضعت من ثدي الإيمان، ولك السوابق العظمى والغايات القصوى، وبك أصلح الله بين فئتين عظيمتين من المسلمين ولمّ بك شعث الدين وإنك وأخاك سيدها شباب أهل الجنة، ثم التفت إلى الحسين، فقال: قم بأبي أنت وأمي فعلى أبي محمد السلام، فلقد طبت حياً وميتاً، ثم انتحب طويلاً والحسين معه

(١) العقد الفريد ٢: ٦ ط الشرفية بمصر.

وأنشد الحسين ﷺ:

أدهن رأسي أم تطيب محاسني وخذك معفور وأنت سليب
سأبكيك ما ناحت حمامة أيكة وما اخضر في دوح الرياض قضيب
غريب وأكناف الحجاز تحوطه ألا كل من تحت التراب غريب
بكائي طويل والدموع غزيرة وأنت بعيد والمزار قريب^(١)

ورواه الحصري المالكي في زهر الأدب أيضاً باختلاف يسير^(٢).

والخوارزمي في مقتل الحسين ﷺ أيضاً باختلاف يسير^(٣).

وقال ابن الدمشقي في جواهر المطالب :

وقف رجل من ولد أبي سفيان بن الحارث على قبر الحسن بن علي ﷺ
فقال: أما إن أقدامكم قد نقلت، وأعناقكم قد حملت إلى هذا القبر ولياً
من أولياء الله يبشر بلقاء الله، وتفتح أبواب السماء لروحه، وتبتهج الحور
العين بلبقائه، ويؤنس به سادة أهل الجنة، ويستوحش أهل الأرض لفقده،
فرحة الله عليه، وعند الله نحتسب المصيبة به^(٤).

وفي قرب الإسناد عن جعفر، عن أبيه ﷺ قل: إن الحسين بن علي ﷺ
كان يزور قبر الحسن ﷺ في كل عشية جمعة^(٥).

(١) نظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ٢٠٥ ط مطبعة القضاء.

(٢) زهر الأدب المطبوع بهامش عقد الفريد ١: ٦٢ ط الشرقية بمصر.

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي: ٢٠٣ ط دار أنوار الهدى.

(٤) جواهر المطالب لابن الدمشقي ٢: ٢٠٣.

(٥) لاحظ عوالم العلوم والمعرفة ١٦: ٢٩٧، وحكاه عن قرب الإسناد: ٦٥ والبحار

الحث على زيارة الإمام الحسين عليه السلام

فقد وردت في فضل زيارته والحث عليها والتحذير من تركها روايات كثيرة لا يسع الكتاب ذكرها، بل نكتفي بذكر نبذة منها، خاصة ما ورد من طرق العامة منها.

حق الحسين فريضة من الله

في التهذيب للشيخ الطوسي عن عبد الرحمن بن كثير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام لو أن أحدكم حج دهره ثم لم يزر الحسين بن علي عليه السلام لكان تاركاً حقاً من حقوق رسول الله صلى الله عليه وآله لأن حق الحسين عليه السلام فريضة من الله تعالى واجبة على كل مسلم^(١).

وفي الفقيه عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: مروا شيعتنا بزيارة الحسين بن علي عليه السلام فإن زيارته تدفع الهدم والغرق والحرق وأكل السبع، وزيارته مفترضة على من أقرّ للحسين بالإمامة من الله عزوجل^(٢).
وفي رواية أخرى عن محمد بن مسلم عنه عليه السلام فيها: فإن إتيانه يزيد في الرزق ويمدّ في العمر ويدفع مدافع السوء^(٣)

ترك زيارة الحسين عليه السلام جفاء

وفي كامل الزيارات عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: من أراد أن يعلم أنه من أهل الجنة فليعرض حبنا على قلبه، فإن قبله فهو مؤمن، ومن كان لنا محباً فليرغب في زيارة قبر الحسين عليه السلام فمن

(١) التهذيب ٦: ٤٢ ح ٨٧، كامل الزيارات: ١٢٢ ح ٤ إلا أن فيه حقاً من حقوق الله وحقوق رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٢) الفقيه ٢: ٥٨٢، أمالي الصدوق: ١٢٦.

(٣) التهذيب ٦: ٤٢، الوسائل ١٤: ٤١٣، المقنعة ٧٣٠، البحار ١٠١: ٤٨.

١٤٢ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

كان للحسين ﷺ زواراً عرفناه بلحِب لنا أهل البيت وكان من أهل الجنة ومن لم يكن للحسين زواراً كان ناقص الإيمان^(١).

وفيه أيضاً عن الحارث الأعور، قال: قال علي ﷺ: بأبي وأمي الحسين المقتول بظهر الكوفة والله لكأنني أنظر إلى الوحش مادة أعناقها على قبره من أنواع الوحش يبكونه ويرثونه ليلاً حتى الصباح، فإذا كان ذلك فإياكم والجفاء^(٢).

وفي كامل الزيارات أيضاً عن سُدير قال: قال أبو عبد الله ﷺ يا سدير تزور قبر الحسين في كل يوم؟ قلت: جعلت فداك لا، قال: ما أجفاكم، فتزوره في كل جمعة؟ قلت: لا، قال: فتزوره في كل شهر؟ قلت لا، قال: فتزوره في كل سنة؟ قلت: قد يكون ذلك، قال: يا سدير ما أجفاكم بالحسين ﷺ...^(٣).

تأكد زيارته ﷺ حتى مع الخوف

في كامل الزيارات عن محمد بن مسلم قال: قال لي أبو جعفر ﷺ: هل تأتي قبر الحسين ﷺ؟ قلت: على خوف ووجل، فقال: ما كان من هذا أشد فالثواب فيه على قدر الخوف، ومن خاف في إتيانه آمن الله روعته يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين وانصرف بالغفرة وسلمت عليه الملائكة وزاره النبي ﷺ ودعا له وانقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسسه سوء واتبع رضوان الله....^(٤).

(١) كامل الزيارات: ١٩٣، البحار ١٠١: ١٠٥.

(٢) كامل الزيارات: ٢٩١، البحار ١٠١: ٦.

(٣) كامل الزيارات: ٢٩١.

(٤) كامل الزيارات: ١١٦، البحار ١٠١: ١١.

ثواب من جهّز الآخرين لزيارته عليه السلام

في كامل الزيارات عن صفوان الجمال، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل... قلت: فما لمن صلى عنده - يعني الحسين - قال:

من صلى عنده ركعتين لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه، فقلت فما لمن اغتسل من ماء الفرات ثم أتاه؟ قال: إذا اغتسل من ماء الفرات وهو يريد تساقطت عنه خطاياه كيوم ولدته أمه، قلت: فما لمن جهّز إليه ولم يخرج لعله؟ قال: يعطيه الله بكل درهم أنفق من الحسنات مثل جبل أحد ويخلف عليه أضعاف ما أنفق ويصرف عنه من البلاء مما قد نزل فيدفع ويحفظ في ماله...^(١)

عظيم ما في زيارة الحسين عليه السلام

وفيه أيضاً: عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين من الفضل لما اتوا شوقاً وتقطعت أنفسهم عليه حسرات، قلت: وما فيه؟

قال: من أتاه تشوقاً كتب الله له ألف حجة مقبولة، وألف عمرة مبرورة، وأجر ألف شهيد من شهداء بدر، وأجر ألف صائم، وثواب ألف صدقة مقبولة، وثواب ألف نسمة أريد بها وجه الله، ولم يزل محفوظاً سنته من كل آفة أهونها الشيطان، ووكل به ملك كريم يحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدمه، فإن مات سنته حضرته ملائكة الرحمة يحضرون غسله وأكفانه والاستغفار له ويشيعونه إلى قبره بالاستغفار له، ويفسح له في قبره مدّ بصره، ويؤمنه الله من ضغطة القبر، ومن منكر ونكير أن يروّعانه، ويفتح له باب إلى الجنة، ويعطى كتابه بيمينه،

(١) كامل الزيارات: ١٢٩ البحار ١٠١: ٥٠.

١٤٤ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

ويعطى يوم القيامة نوراً يضيء لنوره ما بين المشرق والمغرب، وينادي مناد:
هذا من زوار قبر الحسين بن علي شوقاً إليه، فلا يبقى أحد في القيامة إلا
تمنى يومئذ أنه كان من زوار الحسين بن علي ﷺ^(١).

وفي الوسائل عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال في حديث له بعد
ذكر ما يجري على الحسين ﷺ:

«يا ابن عباس! من زاره عارفاً بحقه كتب الله له ثواب ألف حجة
وألف عمرة، ألا ومن زاره فقد زارني ومن زارني فكأنما قد زار الله،
وحق الزائر على الله أن لا يعذبه بالنار، ألا وإن الاجابة تحت قبته،
والشفاء في تربته، والأئمة من ولده...»^(٢).

وفي أمالي الطوسي بسنده عن محمد بن مسلم قال سمعت أبا جعفر
وجعفر بن محمد ﷺ يقولان: إن الله تعالى عوض الحسين ﷺ من قتله أن
جعل الإمامة في ذريته، والشفاء في تربته، واجابة الدعاء عند قبره، ولا
تعد أيام زائريه جائياً وراجعاً من عمره.

قال محمد بن مسلم:

فقلت لأبي عبد الله ﷺ هذا الجلال ينال بالحسين ﷺ فماله في
نفسه؟ قال: إن الله تعالى أحقه بالنبي ﷺ فكان معه في درجته ومنزلته، ثم
تلا أبو عبد الله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ
أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾^(٣).

(١) كامل الزيارات: ١٤٢، البحار ١٠١: ١٨.

(٢) الوسائل ١٤: ٤٥٢، المستدرک ٢: ٢٠٨.

(٣) الطور: ٢١.

(٤) أمالي الطوسي: ٣١٧ ح ٢٤٤، البحار ١٠١: ٦٩.

بيان حول روايات الزيارة

أقول: الذي يظهر من مجموع الروايات واستفادة العلماء^(١)، هو أن زيارة الحسين عليه السلام واجبة على كل مسلم يعتقد للحسين بالإمامة من الله وكان قادراً عليها وليس له عذر في تركها، ولو في العمر مرة، لأن في إتيانه أداء حق رسول الله الواجب على كل مسلم كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ وتعظيماً وتقديراً له عليه السلام وفي إتيانه يتحقق الوفاء بالعهد في ولايتهم فإن لكل إمام عهداً في عنق أوليائه ومن أنه كان قد وصل رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء عليهن السلام وأدخل السرور عليهم وبرّهم، مضافاً إلى أن زيارة الحسين عليه السلام من أعظم مصاديق تعظيم شعائر الله، وموجبة لإحياء أمر الدين وإعلاء كلمته وإرغام معانديه الذين سعوا في إخماء كلمة الله وإطفاء نوره الذي لا يطفأ.

وهذه الخصوصيات ليست منحصرة بالحسين عليه السلام فقط، بل هي موجودة في زيارة سائر الأئمة الأطهار أيضاً ومنطقة عليهم أيضاً، فزيارتهم فريضة ومؤكدة على كل من يقر بإمامتهم وكان قادراً على إتيان مشاهدتهم.

لكن السر في التأكيد والحث الزائد في زيارة سيد الشهداء وكثرة الروايات المرغبة في زيارته، هو أن الحسين عليه السلام بتضحيته وإيثار نفسه وأهله صار سبباً لحفظ الدين القويم وحراسته من الانحفاء، وقد أقبل جميع مؤامرات الحزب الأموي اللعين وأسلافهم المتحالفين على إطفاء

(١) قال المجلسي ره: إنّ ظاهر أكثر أخبار هذا الباب وكثير من أخبار الأبواب الآتية

وجوب زيارته صلوات الله عليه، بل كونها من أعظم الفرائض وأكدها، ولا يبعد القول بوجودها في العمر مرة مع القدرة، وإليه مال الوالد العلامة نور الله

النور الإلهي، وزلزل أركان حكومتهم وخرّب بنيانهم وفضحهم أمام العالمين وصار سبباً لانقراض حكومتهم وإلقائها في مزبلة التاريخ، ولولا الحسين ﷺ لما بقي من الدين من أثر ولا لرسول الله من اسم.

فقد أصبح الحسين وفكرته مشعلاً منيراً لهداية الناس ودعوتهم إلى التوحيد الخالص وابتعادهم عن الظلم والفساد، وسفينة لنجاتهم من التباهي والغرق والالمحطاط ولهذا السبب قال رسول الله ﷺ «إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة» فحق الحسين على هذه الأمة عظيم جداً ولا يمكن أن يقاس ويعاقل بشيء، ولا بدّ للناس أن يعظّموا قدره بالاهتمام بزيارته في المواسم العديدة واتخاذ الذكريات لمآتمه والبكاء عليه مدى الزمان حتى يبقى اسمه وتظل فكرته مانعاً أمام العدوان ومخرباً لمؤامراتهم.

وبهذه الخدمة العظيمة التي أداها سيد الشهداء من أجل الدين، ترى الله عوضه عن قتله أن جعل الإمامة في ولده والشفاء في تربته واستجابة الدعاء عند قبره ولا تعد أيام زائريه جائياً وراجعاً^(١).

ولأجل الحراسة على تلك التضحيات وآثارها ترى الأئمة المعصومين ﷺ قد أمروا شيعتهم ورجبهم بالالتزام على تلك الذكريات الجليلة وكثرة الاهتمام بزيارة قبره الشريف وذكروا لها كثيراً من الفضائل والفوائد وحذروا شيعتهم من تركها.

ثم إن اختلاف الثواب الموجود في أحاديث زيارة الحسين ﷺ وهكذا زيارة سائر الأئمة ﷺ يرجع إلى اختلاف مراتب الزائرين من حيث الإيمان والمعرفة والنية والعلم ومشقة السفر فبعض منهم يعطى أعلى مرتبة من الثواب والأجر وبعض أقل منها وهكذا كل يثاب على حسب عمله ونيته وإن الله لا يضيع أجر العاملين.

وغير خفي إن ما سردته لك أيها القارئ الكريم من أحاديث زيارة الإمام المظلوم هي نبذة من تلك الأحاديث الكثيرة، وإلا فهي أكثر من أن تحصى في هذه الوريقات، وكيف نحصي نواب زيارة من يستأذن الله لزيارته ملائكة السماء وأرواح الانبياء، ففوج يهبط وفوج يصعد إلى السماء.

زيارة الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين للحسين عليه السلام

روى عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قبر الحسين عليه السلام عشرون ذراعاً في عشرين مكسراً روضة من رياض الجنة منه معراج إلى السماء، فليس من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا وهو يسأل الله تعالى أن يزور الحسين عليه السلام ففوج يهبط وفوج يصعد^(١).

ما روته العامة في فضل زيارة الحسين عليه السلام

ووردت أمثال هذه الروايات من طرق العامة أيضاً، منها:

ما رواه أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي في الفردوس مسنداً عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن موسى بن عمران سأل ربه زيارة الحسين بن علي عليه السلام، فزاره في سبعين ألف من الملائكة»^(٢).

الظاهر إن صح هذا الحديث هو زيارته عليه السلام في حياة رسول الله بعد ولادة الحسين عليه السلام.

وروي مثل ذلك عن علي بن أبي طالب عليه السلام^(٣).

(١) كامل الزيارات: ١١٥.

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب ١: ٢٢٧ ح ٨٧٠، ط دار الكتب العلمية - بيروت، ولاحظ مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ١٩٢.

(٣) نفس المصدر.

وذكر أحمد بن أعثم في فتوحه باسناده إلى كعب الأحبار:

أنه لما أسلم زمن عمر بن الخطاب، وقدم المدينة وجعل أهل المدينة يسألونه عن الملاحم التي تكون في آخر الزمان، فكان يخبرهم بأنواع الملاحم والفتن، ويقول: وأعظمها ملحمة هي الملحمة التي لا تنسى أبداً، وهي الفساد الذي ذكره الله تعالى في كتابكم، فقال: ﴿ظَهَرَ الْفُسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾^(١)، وإنما فُتِحَ بقتل قابيل هابيل، ويختم بقتل الحسين بن علي ﷺ.

ثم قال كعب: لعلكم تهونون قتل الحسين، أولا تعلمون أنه تفتح يوم قتله أبواب السماوات كلها؟ ويؤذن للسماء بالبكاء فتبكي دماً عبيطاً؟ فإذا رأيتم الحمرة قد ارتفعت من جنباتها - شرقياً وغربياً - فاعلموا أنها تبكي حسيناً.

ف قيل له: يا أبا إسحاق كيف لم تفعل ذلك بالأنبياء وأولاد الأنبياء من قبل، وبمن كان خيراً من الحسين؟ فقال كعب: ويحكم إن قتل الحسين لأمر عظيم، لأنه ابن بنت خير الأنبياء، وأنه يقتل علانية مبارزة ظلماً وعدواناً، ولا تحفظ فيه وصية رسول الله ﷺ، وهو مزاج مائه، وبضعة من لحمه، فيذبح بعرضة (كربلاء) في كرب وبلاء، والذي نفس كعب بيده لتبكيه زمرة من الملائكة في السماوات، لا يقطعون بكاءهم عليه آخر الدهر وأن البقعة التي يدفن فيها خير البقاع بعد بيت مكة والمدينة وبيت المقدس وما من نبي إلا زارها، وقد بكى عليها، ولها في كل يوم زيارة من الملائكة بالتسليم، فإذا كانت ليلة جمعة أو يوم جمعة نزل إليها سبعون ألف يزورونه ويبكون عليه ويذكرون فضله ومنزلته عندهم، وأنه ليسمى في السماوات الحسين المذبوح، وفي الأرض: أبا عبد الله المقتول وفي البحار: الفرخ الأزهر المظلوم.

وأنه يوم يقتل تنكسف في النهار الشمس وفي الليل القمر، وتدوم الظلمة على الناس ثلاثة أيام، وتدكدك الجبال وتغطط البحار^(١)، ولولا بقية من ذريته وذرية محمد ﷺ، ومحبي محمد ومحبي أبيه وأمه، يطلبون بدمه، ويأخذون بثاره، لصب الله عليهم من السماء نيراناً.

ثم قال كعب: لعلكم تتعجبون مما حدثتكم من أمر الحسين، أو لا تعلمون أنّ الله تبارك وتعالى لم ينزل شيئاً كان أو يكون في آخر الدنيا وأوائلها إلا وقد فسره لموسى، وما من نسمة خلقت ومضت من ذكر أو أنثى إلا وقد رفعت إلى آدم وعرضت عليه؟ ولقد عرضت على آدم هذه الأمة خاصة، فنظر إليها وإلى اختلافها وتكالبها على هذه الدنيا فقال: «يا رب! ما لهذه الأمة وتكالبها على الدنيا، وهم خير أمة وأفضلها؟ فأوحى الله تعالى إليه: أن يا آدم! هذا أمري في خلقي، وقضائي في عبادي، يا آدم! إنهم اختلفوا فاختلقت قلوبهم، وسيظهرون في الأرض الفساد كفساد قابيل حين قتل هابيل وسيقتلون فرخ حبيبي محمد ﷺ».

ومثّل لآدم مقتل الحسين، ووثوب أمة جدّه عليه، فنظر آدم إليهم مسودة وجوههم، فقال: «يا رب! أبسط عليهم الانتقام كما قتلوا فرخ هذا النبي المكرم عليك».

قال هبيرة بن يريم: حدثني أبي، قال لقيت سلمان الفارسي فحدثته بهذا الحديث، فقال سلمان: لقد صدقتك كعب، وأنا أزيدك في ذلك: أنّ كل شيء في الأرض يبكي على الحسين إذا قتل، حتى النجم ونبات الأرض، ولا يبقى شيء من الروحانيين إلا ويسجد ذلك اليوم، ويقول إلهنا وسيدنا! أنت الحكيم العليم، ثم لا يرفعون رؤوسهم حتى ينلني ملك السماء والأرض: أن يا معشر الخليقة! ارفعوا رؤوسكم فقد وفيتم لربّ العزة.

(١) الغطمة: اضطراب موج البحر.

قال: ثم أقبل عليّ سلمان فقال: يا يريم! إنك لو تعلم يومئذ كم من عين تعود سخينة كثيبة حزينة، قد ذهب نورها، وغشي بصرها ببكائها على الحسين بن علي، ولقد صدقتك كعب فيما حدثك عن كربلاء أنها أرض كرب وبلاء.

والذي نفس سلمان بيده، لو أني أدركت أيامه، لضربت بين يديه بالسيف، أو أقطع بين يديه عضواً عضواً، فأسقط بين يديه صريعاً، فإن القتل معه يعطى أجر سبعين شهيداً كلهم كشهداء بدر وأحد وحنين وخيبر.

ثم قال سلمان: يا يريم! ليت أم سلمان أسقطت سلمان، أو كان حيضة ولم يسمع بقتل الحسين بن فاطمة، ويحك، يا يريم! أتدري من حسين؟ حسين سيد شباب أهل الجنة على لسان محمد ﷺ، وحسين لا يهدأ دمه حتى يقف بين يدي الله سبحانه وتعالى، وحسين من تفرع لقتله الملائكة.

ويحك، يا يريم! أتعلم كم من ملك ينزل يوم يقتل الحسين؟ ويضمه إلى صدره، وتقول الملائكة بأجمعها: إلهنا وسيدنا هذا فرخ رسولك، ومزاج مائه، وابن بنته.

يا يريم! إن أنت أدركت أيام مقتله، واستطعت أن تقتل معه، فكن أول قتل عن يمين يديه فإن كل دم يوم القيمة يطالب به بعد دم الحسين ودماء أصحابه، الذين قتلوا بين يديه.

وانظر يا يريم! إن أنت نجوت ولم تقتل معه، فزر قبره، فإنه لا يخلو من الملائكة أبداً، ومن صلى عند قبره ركعتين، حفظه الله من بغضهم وعداوتهم حتى يموت.

قال هبيرة: فأما سلمان فمات بالمدائن في خلافة عمر بن الخطاب،

وأما يريم فإنه لم يلحق لذلك^(١).

وروى المحدث جمال الدين محمد بن أحمد الخنفي الموصللي الشهير بابن حسنويه عن رسول الله ﷺ في حديث: «... والذي نفسي بيده إن حول قبر ولدي الحسين أربعة آلاف ملك شعثاً غبراً سيكون عليه إلى يوم القيامة ورئيسهم ملك يقال له منصور، وإن الملائكة عون لمن زاره، فلا يزوره زائر إلا استقبلوه، ولا يودعه مودّع إلا شيعوه، ولا يمرض إلا عادوه، ولا يموت إلا صلّوا عليه واستغفروا له بعد موته»^(٢).

وفي ذخائر العقبى عن علي بن موسى الرضا بن جعفر عليه السلام قال: سئل جعفر بن محمد عن زيارة قبر الحسين فقال: أخبرني أبي أن من زار قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كتب الله له في عليين، وقال إن حول قبر الحسين سبعين ألف ملك شعثاً غبراً سيكون عليه إلى يوم القيامة. قال الطبري: خرجه أبو الحسن العتقي^(٣).

روى الحافظ محمد بن أبي الفوارس في كتابه الأربعين عن علي بن فضل الله بن علي بن عبد الله أدام الله علاه، يروي عن الثقات، عن أحمد

(١) مقتل الحسين للخوارزمي: ١٩٢ ط دار أنوار الهدى.

(٢) درّ بحر المناقب: ١٠١٧ مخطوط ولاحظ إحقاق الحق ١١: ٢٨٧.

(٣) ذخائر العقبى: ١٥١ ط مؤسسة الوفاء - لبنان، ورواه الحضرمي في وسيلة المآب أيضاً بعينه، وكذلك في مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ١٩٢ فقد رواه أيضاً ولكن باختلاف يسير، وفي مناقب ابن المغازلي: قيل لأبي عبد الله عليه السلام: أي قبور الشهداء أفضل؟ قال: أو ليس أفضل الشهداء عندك الحسين عليه السلام؟ فوالذي نفسي بيده إن حول قبره أربعين ألف ملك شعثاً غبراً سيكون عليه إلى يوم القيامة. مناقب علي بن أبي طالب لأبي المغازلي: ٢٤٦ - ط دار مكتبة الحياة - بيروت.

بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن وهب، عن جعفر الصادق، عن أبيه، عن أبائه ﷺ، عن رسول الله ﷺ إنه قال: ما خلق الله خلقاً أكثر من الملائكة، وأنه لينزل من السماء كل مساء سبعون ألف ملك، يطوفون بالبيت ليلتهم، حتى إذا طلع الفجر انصرفوا إلى قبر النبي ﷺ فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر علي أمير المؤمنين ﷺ فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر الحسين ﷺ فيسلمون عليه، ثم يعرجون إلى السماء قبل أن تطلع الشمس، ثم تنزل ملائكة النهار سبعون ألف ملك، فيطوفون بالبيت الحرام نهارهم، حتى إذا غربت الشمس انصرفوا إلى قبر النبي ﷺ فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر أمير المؤمنين ﷺ فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر الحسين فيسلمون عليه، ثم يعرجون إلى السماء قبل أن تغرب الشمس، والذي نفسي بيده إن حول قبره أربعة آلاف ملك شعثاً غرباً يكون عليه إلى يوم القيامة. وفي رواية أخرى: قد وكل الله بالحسين ﷺ سبعين ألف ملك شعثاً غرباً يصلون عليه كل يوم ويدعون لمن زاره، ورئيسهم ملك يقال له منصور، فلا يزوره زائر إلا استقبلوه ولا يودعه مودع إلا ودعوه، ولا يمرض إلا عادوه ولا يموت إلا صلوا عليه وعلى جنازته واستغفروا له بعد موته^(١).

وفي كامل الزيارات عن قدامة بن زائدة، عن أبيه قال: قال علي بن الحسين ﷺ: بلغني يا زائدة أنك تزور قبر أبي عبد الله أحياناً؟ فقلت: إن ذلك لكما بلغك.

فقال لي: فلماذا تفعل ذلك ولك مكان عند سلطانك الذي لا يحتمل أحداً على محبتنا وتفضيلنا وذكر فضائلنا والواجب على هذه الأمة من حقناً؟ فقلت: والله ما أريد بذلك إلا الله ورسوله، ولا أحفل بسخط من سخط ولا يكبر في صدري مكروه ينالني بسببه، فقال: والله إن ذلك

(١) الأربعين لابن أبي الفوارس: ١٨، ولاحظ إحقاق الحق ٢٧: ٤٣٣.

لكذلك، فقلت: والله إنَّ ذلك لكذلك، يقولها ثلاثاً وأقولها، فقال: أبشر ثم ابشر، فلأخبرتك بخير كان عندي في النخب المخزون.

إنَّه لما أصابنا بالطفء ما أصابنا، وقتل أبي القاسم وقتل من كان معه من ولده وإخوته وسائر أهله، وحملت حرمة ونساؤه على الأقتاب، يراد بنا الكوفة فجعلت أنظر إليهم صرعى، ولم يواروا فيعظم ذلك في صدري ويشتد لما أرى منهم قلقي، فكادت نفسي تخرج، وتبينت ذلك منِّي عمِّي زينب بنت علي الكبرى فقالت: مالي أراك تجود بنفسك يا بقية جدِّي وأبي وإخوتي؟ فقلت: وكيف لا أجزع وأهلج وقد أرى سيدي وإخوتي وعمومي وولد عمي وأهلي مضرجين بدمائهم مرملين، بالعراء مسلمين، لا يكفنون ولا يوارون، لا يعرج عليهم أحد ولا يقربهم بشر كأنهم أهل بيت من الديلم والحزر، فقالت: لا يجزعنك ما ترى فوالله إنَّ ذلك لعهد من رسول الله إلى جدك وأبيك وعمك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراغت هذه الأرض وهم معروفون في أهل السماوات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها وهذه الجسوم المضرجة وينصبون لهذا الطفء علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه، على كرور الليالي والأيام، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا ظهوراً وأمره إلا علواً.

فقلت: وما هذا العهد؟ وما هذا الخبر؟ فقالت: حدّثني أم أيمن أنّ رسول الله ﷺ زار منزل فاطمة ؑ في يوم من الأيام فعملت له حريرة صلتى عليها وأتاه علي ؑ بطبق فيه تمر، ثم قالت أم أيمن: فأتيتهم بعس فيه لبن وزبد، فأكل رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين ؑ من تلك الحريرة وشرب رسول الله ﷺ وشربوا من ذلك اللبن، ثم أكلوا وأكلوا من ذلك التمر بالزبد ثم غسل رسول الله ﷺ يده وعلي يصب عليه الماء.

فلما فرغ من غسل يده مسح وجهه ثمّ نظر إلى علي وفاطمة والحسن والحسين نظراً عرفنا فيه السرور في وجهه، ثم رمق بظفره نحو السماء ملياً ثم وجهه نحو القبلة، وبسط يديه يدعو، ثمّ خرّ ساجداً، وهو ينشج فأطال النشوج وعلا نحيبه وجرت دموعه، ثمّ رفع رأسه وأطرق إلى الأرض ودموعه تقطر كأنها صوب المطر فحزنت فاطمة وعلي والحسن والحسين وحزنت معهم، لما رأينا رسول الله وهبناه أن نسأله حتّى إذا طال ذلك قال له علي وقالت له فاطمة ما يبكيك يا رسول الله لا أبكى الله عينيك؟ وقد أقرح قلوبنا ما نرى من حالك؟ قال: «يا أخي سررت بكم» - وقال مزاحم بن عبد الوارث في حديث ههنا - فقال: «يا حبيبي إنّي سررت بكم سروراً ما سررت مثله قطّ وإنّي لأنظر إليكم وأحمد الله على نعمته عليّ فيكم إذ هبط عليّ جبرئيل فقال: يا محمد إن الله تبارك وتعالى اطّلع على ما في نفسك، وعرف سرورك بأخيك وابتنتك وسبطيك، فأكمل لك النعمة، وهنّاك العطية بأن جعلهم وذريّاتهم ومحبيهم وشيعتهم معك في الجنة لا يفرّق بينك وبينهم: يحيون كما تحيي ويعطون كما تعطى حتى ترضى وفوق الرضا على بلوى كثيرة تناههم في الدنيا، ومكاره تصيهم بأيدي أناس ينتحلون ملّتك يزعمون أنّهم من أمّتك، براء من الله ومنك خبطاً خبطاً وقتلاً قتلاً، شتى مصارعهم نائية قبورهم، خيرة من الله لهم ولك فيهم، فاحمد الله جلّ وعزّ على خيرته وارض بقضائه، فحمدت ورضيت بقضائه بما اختاره لكم.

ثمّ قال جبرئيل: يا محمد إنّ أخاك مضطهد بعدك مغلوب على أمّتك، متعوب من أعدائك، ثمّ مقتول بعدك، يقتله أشرّ الخلق والخليفة، وأشقى البرية نظير عاقر الناقة، يبلى تكون إليه هجرته، وهو مفرس شيعته وشيعة ولده، وفيه على كل حال يكثر بلواهم، ويعظم مصابهم، وإنّ سبطك هذا وأو مأيده إلى الحسين ﷺ مقتول في عصابة من ذريّتك وأهل بيتك، وأخيار من أمّتك بصفة الفرات، بأرض تدعى كربلاء، من

أجلها يكثر الكرب والبلاء، على أعدائك وأعداء ذريتك في اليوم الذي لا ينقضي كربيه، ولا تفتنى حسرته، وهي أظهر بقاع الأرض، وأعظمها حرمة، وإنها لمن بطحه الجنة.

فإذا كان ذلك اليوم الذي يقتل فيه سبطك وأهله، وأحاطت بهم كتائب أهل الكفر واللعنة، تزعزعت الأرض من أقطارها، ومادت الجبال، وكثر اضطرابها واصطفقت البحار بأمواجها، وماجت السماوات بأهلها، غضباً لك يا محمد ولذريتك واستعظماً لما ينتهك من حرمتك، ولشراً ما يتكافى به في ذريتك وعترتك، ولا يبقى شيء من ذلك، إلا استأذن الله عز وجل في نصره أهلك المستضعفين المظلومين الذين هم حجة الله على خلقه بعدك.

فيوحى الله إلى السماوات والأرض والجبال والبحار ومن فيهن: إني أنا الله الملك القادر، والذي لا يفوته هارب، ولا يعجزه ممتنع، وأنا أقدر على الانتصار والانتقام وعزتي وجلالي لأعد بن من وتر رسولي وصفيي، وانتهك حرمة، وقتل عترته، ونبذ عهده وظلم أهله، عذاباً لا أعد به أحداً من العالمين، فعند ذلك يضحج كل شيء في السماوات والأرضين بلعن من ظلم عترتك، واستحل حرمتك، فإذا برزت تلك العصابة إلى مضاجعها تولى الله جل وعز قبض أرواحها بيده، وهبط إلى الأرض ملائكة من السمء السابعة، معهم آنية من الياقوت والزمرد مملوءة من ماء الحياة وحلل من حلل الجنة، وطيب من طيب الجنة، فغسلوا جثثهم بذلك الماء وألبسوها الحلل، وحنطوها بذلك الطيب، وصلى الملائكة صفأ صفأ عليهم.

ثم يبعث الله قوماً من امتك لا يعرفهم الكفار، لم يشركوا في تلك الدماء بقول ولا فعل ولا نية فيوارون أجسامهم، ويقيمون رسماً لقبر سيد الشهداء بتلك البطحة، يكون علماً لأهل الحق وسبباً للمؤمنين إلى

الفوز، وتحفّه ملائكة من كلّ سماء مائة ألف ملك في كلّ يوم وليلة، ويصلّون عليه، ويسبحون الله عنده ويستغفرون الله لزوآره، ويكتبون أسماء من يأتيه زائراً من أمّتك متقرباً إلى الله وإليك بذلك، وأسماء آبائهم وعشائرتهم وبلدانهم، ويوسمون في وجوههم بمسّم نور عرش الله هذا زائر قبر خير الشهداء وابن خير الأنبياء، فإذا كان يوم القيامة سطع.

وكأني بك يا محمد بيني وبين ميكائيل، وعلي أماننا، ومعنا من ملائكة الله مالا يحصى عدده، ونحن نلتقط من ذلك الميسم في وجهه من بين الخلائق حتى ينجيهم الله من هول ذلك اليوم وشدائده، وذلك حكم الله وعطاؤه لمن زار قبرك يا محمد أو قبر أخيك أو قبر سبطيك، لا يريد به غير الله جلّ وعزّ، وسيجدنا أناس ممن حقّت عليهم من الله اللعنة والسخط، أن يعفو رسم ذلك القبر ويمحو أثره، فلا يجعل الله تبارك وتعالى لهم إلى ذلك سبيلاً.

ثمّ قال رسول الله ﷺ: «فهذا أبكاني وأحزني».

قالت زينب: فلما ضرب ابن ملجم لعنة الله أبي ورأيت أثر الموت منه قلت له: يا أبة حدّثني أم أيمن بكذا وكذا وقد أحببت أن أسمع منك، فقال: يا بنية الحديث كما حدثتك أم أيمن، وكأني بك وبينات أهلك سبياً بهذا البلد أذلاء خاشعين، يخافون أن يتخطّفكم الناس، فصبراً صبراً، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما لله على ظهر الأرض يومئذ وليّ غيركم وغير محبيكم وشيعتكم ولقد قال لنا رسول الله حين أخبرنا بهذا الخبر: «إنّ إبليس في ذلك اليوم يطير فرحاً فيجول الأرض كلّها في شياطينه وعفاريته فيقول: يا معشر الشياطين قد أدركنا من ذرية آدم الطلبة، وبلغنا في هلاكهم الغاية، وأورثناهم النار إلا من اعتصم بهذه العصاة فاجعلوا

شغلکم بتشکیک الناس فیهم، وحملهم علی عداوتهم وإغرائهم بهم وأولیائهم، حتی تستحکم ضلالة الخلق وكفرهم، ولا ینجو منهم ناج، ولقد صدق علیهم إبلیس وهو كذوب أنه لا ینفع مع عداوتکم عمل صالح، ولا یضرّ مع محبتکم وموالاتکم ذنب غیر الكبائر.

قال زائدة: ثم قال علي بن الحسين بعد أن حدثني بهذا الحديث: خذہ إلیك أما لو ضربت فی طلبه آباط الإبل حولاً لكان قليلاً^(١).

أقول: هذا الحديث وإن روته الإمامية عن علي بن الحسين وهو عن عمته زينب الكبرى عليها السلام، إلا أن أصله قد رواه الخوارزمي في مقتله والخرکوشي في شرف النبي صلى الله عليه وآله والسمهودي في خلاصة الوفاء وتقدم نقله منا في آخر أحاديث زيارة النبي صلى الله عليه وآله عن علي عليه السلام: قل: زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله فعملنا له حريرة وأهدت لنا أم أيمن قعبا من لبن... إلى قوله فانجيتها والله من أهواله وشدائده.

ونقل أصل القصة من طرق العامة يقوي ما ذكرناه من طرق الإمامية عن علي بن الحسين عليه السلام، مضافاً إلى أن متانة الحديث وورود مضمونه في سائر الروايات شاهد على صحته، وعليه فما قيل فيه من أنها قصة مسرودة، وكيف يصح جهل علي بن الحسين وهو إمام الخلق بهذا الحديث ومفاده حتى تنبهه زينب بنت علي...

فهو مردود لأن علم الإمام بما كان وما يكون لا ينافي مع سؤاله من شخص لمصلحة يقتضيه علمه أو حكايته حديث عن شخص لمصلحة ولو كان عالماً به وإن هذا الأمر كان متداولاً بين الأئمة أيضاً ولا يخص بعلي بن الحسين.

ومن المحتمل أن تكون أحد المصالح في حكاية الإمام عن عمته هو

(١) كامل الزيارات: ٢٥٧ - ٢٦٦، ولاحظ البحار ٤٥: ١٨٣.

إظهار فضلها وعظمتها وكثرة صبرها على المصائب والمحن .

وفيه أيضاً عن ابن محبوب، عن الحسين بن بنت أبي حمزة الشمالي قال: خرجت في آخر زمان بني مروان إلى قبر الحسين بن علي ﷺ مستخفياً من أهل الشام حتى انتهيت إلى كربلاء .

فلخفت في ناحية القرية حتى إذا ذهب من الليل نصفه أقبلت نحو القبر فلما دنوت منه أقبل نحوي رجل فقال لي: انصرف مأجوراً فأنك لا تصل إليه فرجعت فرعاً حتى إذا كاد يطلع الفجر أقبلت نحوه حتى إذا دنوت منه خرج إلي الرجل فقال لي: يا هذا إنك لا تصل إليه .

فقلت له: عافاك الله ولم لا أصل إليه وقد أقبلت من الكوفة أريد زيارته فلا تحمل بيني وبينه وأنا أخاف أن أصبح فيقتلونني أهل الشام إن أدركوني ههنا؟ قال فقال لي: إصبر قليلاً فإن موسى بن عمران ﷺ سأل الله أن يأذن له في زيارة قبر الحسين بن علي ﷺ فأذن له فهبط من السماء في ألف ملك فهم بحضرته من أول الليل ينتظرون طلوع الفجر ثم يعرجون إلى السماء .

قال فقلت: فمن أنت عافاك الله؟ قال: أنا من الملائكة الذين أمروا بحرس قبر الحسين ﷺ والاستغفار لزوآره، فانصرفت وقد كاد يطير عقلي لما سمعت منه .

قال: فأقبلت حتى إذا طلع الفجر أقبلت نحوه فلم يحل بيني وبينه أحد فدنوت منه فسلمت عليه ودعوت الله على قتلته، وصليت الصبح، وأقبلت مسرعاً مخافة أهل الشام^(١) .

وروى السيد علي بن طاووس في الاقبال مثله^(٢) .

(١) كامل الزيارات لابن قولويه: ١١١ البحار ١٠١ : ٦٠ ، المستدرک ٢ : ٢٣٥ .

(٢) الاقبال للسيد بن طاووس ٢ : ٥٦٨ .

روى مؤلف المزار الكبير بإسناده إلى الأعمش قل: كنت نازلاً بالكوفة وكان لي جار كثيراً ما كنت أقعد إليه وكان ليلة الجمعة فقلت له: ما تقول في زيارة الحسين عليه السلام؟ فقال لي: بدعة وكلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النار، فقممت من بين يديه وأنا ممّليء غضباً وقلت: إذا كان السحر أتيته وحدثته من فضائل أمير المؤمنين ما يسخّن الله به عينيه.

قال: فأتيته وقرعت عليه الباب فإذا أنا بصوت من وراء الباب: إنّه قد قصد الزيارة في أوّل الليل فخرجت مسرعاً فأتيت الحير فإذا أنا بالشيخ ساجد لا يملّ من السجود والركوع، فقلت له: بالأمس تقول لي: بدعة وكلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النار واليوم تزوره، فقال لي: يا سليمان لا تلمني فإني ما كنت أثبت لأهل هذا البيت إمامة حتى كانت ليلتي هذه فرأيت رؤيا أرعبتني.

فقلت: ما رأيت أيها الشيخ؟ قال: رأيت رجلاً لا بالطويل الشاهق ولا القصير اللاصق، لا أحسن أصفه من حسنه وبهائه معه أقوام يحفون به حفيفاً ويزفونه بين يديه فارس على فرس له ذنوب على رأسه تاج للتاج أربعة أركان في كلّ ركن جوهرة تضيء مسيرة ثلاثة أيام.

فقلت: من هذا؟ فقالوا: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عليه السلام، فقلت: والآخر؟ فقالوا: وصيه علي بن أبي طالب عليه السلام ثمّ مددت عيني فإذا أنا بناقة من نور عليها هودج من نور تطير بين السماء والأرض.

فقلت: لمن الناقة؟ قالوا: لخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد، قلت: والغلام؟ قالوا: الحسن بن علي، قلت فأين يريدون؟ قال: يمضون بأجمعهم إلى زيارة المقتول ظلماً الشهيد بكربلاء الحسين بن علي، ثم قصدت الهودج وإذا أنا برفاع تساقط من السماء أماناً من الله جلّ ذكره لزوار الحسين بن علي ليلة الجمعة، ثم هتف بنا هاتف ألا إنّنا وشيعتنا في الدرجة العليا من الجنة، والله يا سليمان لا أفارق هذا المكان حتى تفارق

روحي جسدي^(١).

وروى الخوارزمي عن عبد الله بن أحمد بن عامر ابن سليمان ببغداد في باب المحول، حدثني أبي أحمد بن عامر بن سليمان الطائي، حدثني أبو الحسن علي بن موسى الرضا، حدثني أبي موسى بن جعفر، حدثني أبي جعفر بن محمد، حدثني أبي محمد بن علي الباقر، حدثني أبي علي بن الحسين، حدثني أبي الحسين بن علي، حدثني أبي علي ابن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «كأنني بالقصور قد شيدت حول قبر الحسين، ولا تذهب الأيام والليالي حتى يسار إليه من الآفاق وذلك عند انقطاع ملك بني مروان»^(٢).

حديث جابر وزيارته لقبر الحسين عليه السلام

روى الخوارزمي بسنده عن الأعمش، عن عطية العوفي، قال: خرجت مع جابر ابن عبد الله الأنصاري زائراً قبر الحسين بن علي فلما وردنا كربلاء، دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل، ثم اتزر بإزار وارتدى بأخر، ثم فتح صرة فيها سعد فنثره على بدنه، ثم إنه لم يخط خطوة إلا ذكر فيها الله تعالى، حتى إذا دنا من القبر قال:

ألسنيه يا عطية! فألسته، فخر على القبر مغشياً عليه، فرششت عليه شيئاً من الماء، فلما أفاق قال: يا حسين يا حسين - ثلاثاً - ثم قال: حبيب لا يجيب حبيبه، وأنى لك بلجواب، وقد شخبت أوداجك على أثيلجك، وفرق بين رأسك وبدنك؟ فأشهد أنك ابن خاتم النبيين، وابن سيد الوصيين، وحليف التقى، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء،

(١) البحار ٩٨ : ٥٨ حكه عن المزار الكبير: ١٠٧.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي: ١٩١.

وابن سيد النقباء، وابن فاطمة سيده النساء، ومالك لا تكون هكذا، وقد غذتك كفّ محمد سيد المرسلين، وربيت في حجور المتقين، وأرضعت من ثدي الإيمان، وفطمت حياً، وطبت عيشاً غير أنّ قلوب المؤمنين غير طيبة بفراقك، ولا شاكاة في الخيرة لك، فعليك سلام الله ورضوانه، فأشهد أنك مضيت على ما مضى يحيى بن زكريا.

قال عطية: ثم جال ببصره حول القبر، فقال: السلام عليكم أيها الأرواح الطيبة التي بفناء الحسين أناخت برحله أشهد أنكم قد أقمت الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر، وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين، فوالذي بعث محمداً ﷺ بالحق لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه.

قال عطية: فقلت لجابر بن عبد الله: فكيف ولم نهبط وادياً، ولم نعل جبلاً، ولم نضرب بسيف، والقوم قد فرّق بين رؤوسهم وأبدانهم، فأوتمت الأولاد وأرملت الأزواج؟ فقال لي: يا عطية! سمعت جده رسول الله ﷺ، قال: «من أحب قوماً حشر معهم، ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم».

أحدر بي نحو أبيات كوفان، فلما صرنا في الطريق، قال: يا عطية هل أوصيك، وما أظني بعد هذه السفارة ألايك؟ أحب محب آل محمد ما أحبهم، وأبغض مبغض آل محمد ما أبغضهم، وإن كانوا صواماً قواماً^(١).

سطوع نور من رأس الحسين عليه السلام حينما كان في بيت يزيد

روي الشبلنجي عن سليمان الأعمش أنه قال: خرجنا ذات سنة حجّاجاً لبيت الله الحرام وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله، فبينما أنا أطوف بالبيت إذا رجل متعلّق بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم اغفر لي وما أظنك تفعل،

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ١٩١

فلما فرغت من طوافي قلت: سبحان الله العظيم ما كان ذنب هذا الرجل؟! فتتخيت عنه ثم مررت به مرة ثانية وهو يقول: اللهم اغفر لي وما أظنك تفعل، فلما فرغت من طوافي قصدت نحوه فقلت: يا هذا إنك في موقف عظيم يغفر الله فيه الذنوب العظام فلو سألت منه عز وجل المغفرة والرحمة لرجوت أن يفعل فإنه منعم كريم.

فقال: يا عبد الله من أنت؟ فقلت: أنا سليمان الأعمش فقال: يا سليمان إياك طلبت وقد كنت أتمنى مثلك فأخذ بيدي وأخرجني من داخل الكعبة إلى خارجها، فقال لي: يا سليمان ذنبي عظيم، فقلت: يا هذا أذنبك أعظم أم الجبل أم السماوات أم الأرضون أم العرش؟ فقال لي: يا سليمان ذنبي أعظم مهلاً علي حتى أخبرك بعجب رأيت، فقلت له: تكلم رحمك الله، فقال لي: يا سليمان أنا من السبعين رجلاً الذين أتوا برأس الحسين بن علي ﷺ إلى يزيد بن معاوية، فأمر الرأس فنصب خارج المدينة وأمر بإنزاله ووضع في طست من ذهب ووضع في بيت منامه، قال: فلما كان في جوف الليل انتبهت امرأة يزيد بن معاوية فإذا شعاع ساطع إلى السماء ففزعت فزعاً شديداً وانتبه يزيد من منامه، فقالت له: يا هذا قم فإني أرى عجبا، قال: فنظر يزيد إلى ذلك الضياء فقال لها اسكتي فإني أرى كما ترين، قال: فلما أصبح من الغد أمر بالرأس فأخرج إلى فسطاط وهو من الديباج الأخضر وأمر بالسبعين رجلاً فخرجنا إليه نحرسه وأمر لنا بالطعام والشراب حتى غربت الشمس ومضى من الليل ما شاء الله ورددنا فاستيقظت ونظرت نحو السماء وإذا بسحابة عظيمة ولها دوي كدوي الجبال وخفقان أجنحة فأقبلت حتى لصقت بالأرض ونزل منها رجل وعليه حلتان من حلل الجنة وبيده درانك وكراسي.

فبسط الدرانك وألقى عليها الكراسي وقام على قدميه ونادى أنزل يا أبا البشر أنزل يا آدم ﷺ فنزل رجل أجمل ما يكون من الشيوخ شيباً

فأقبل حتى وقف على الرأس فقال: السلام عليك يا ولي الله، السلام عليك يا بقية الصالحين عشت سعيداً وقتلت طريداً ولم تزل عطشاناً حتى ألحقك الله بنا، رحمك الله ولا غفر لقاتلك، الويل لقاتلك غداً من النار، ثم زال وقعد على كرسي من تلك الكراسي، قال: يا سليمان ثم لم ألبث إلا يسيراً وإذا بسحابة أخرى أقبلت حتى لصقت بالأرض فسمعت منادياً يقول: انزل يا نبي الله انزل يا نوح وإذا برجل أتم الرجال خلقاً وإذا بوجهه صفرة وعليه حلتان من حلل الجنة فأقبل حتى وقف على الرأس، فقال: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا بقية الصالحين قتلت طريداً وعشت سعيداً ولم تزل عطشاناً حتى ألحقك الله بنا، غفر الله لك، ولا غفر لقاتلك، الويل لقاتلك غداً من النار، ثم زال فقعد على كرسي من تلك الكراسي، قال: يا سليمان ثم لم ألبث إلا يسيراً وإذا بسحابة أعظم منها فأقبلت حتى لصقت بالأرض فقام الأذان وسمعت منادياً ينادي: انزل يا خليل الله أنزل يا إبراهيم عليه السلام وإذا برجل ليس بالطويل العالني ولا بالقصير المتداني أبيض الوجه أملح الرجال شيئاً فأقبل حتى وقف على الرأس فقال:

السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا بقية الصالحين قتلت طريداً وعشت سعيداً ولم تزل عطشاناً حتى ألحقك الله بنا غفر الله لك، ولا غفر لقاتلك، الويل لقاتلك غداً من النار، ثم تنحى فقعد على كرسي من تلك الكراسي، ثم لم ألبث إلا يسيراً فإذا بسحابة عظيمة فيها دويّ كدويّ الرعد وخفقان أجنحة فنزلت حتى لصقت بالأرض وقام الأذان فسمعت قائلاً يقول: انزل يا نبي الله انزل يا موسى بن عمران، قال: فإذا برجل أشد الناس في خلقه وأتمهم في هيبته وعليه حلتان من حلل الجنة، فأقبل حتى وقف على الرأس فقال مثل ما تقدم، ثم تنحى فجلس على كرسي من تلك الكراسي، ثم لم ألبث إلا يسيراً وإذا بسحابة أخرى وإذا فيها دويّ عظيم وخفقان أجنحة فنزلت حتى لصقت بالأرض

وقام الأذان فسمعت قائلاً يقول: انزل يا عيسى انزل يا روح الله فإذا أنا برجل محمر الوجه وفيه صفرة وعليه حلتان من حلل الجنة فأقبل حتى وقف على الرأس فقال مثل مقالة آدم ومن بعده، ثم تنحى فجلس على كرسي من تلك الكراسي، ثم لم ألبث إلا يسيراً وإذا بسحابة عظيمة فيها دويّ كدويّ الرعد والرياح وخفقان أجنحة فنزلت حتى لصقت بالأرض فقام الأذان وسمعت منادياً يتأني: انزل يا محمد، انزل يا أحمد ﷺ، وإذا بالنبي ﷺ وعليه حلتان من حلل الجنة وعن يمينه صفّ من الملائكة والحسن وفاطمة ﷺ فأقبل حتى دنا من الرأس فضمّه إلى صدره وبكى بكاء شديداً، ثم دفعه إلى أمه فاطمة فضمته إلى صدرها وبكت بكاء شديداً حتى علا بكاؤها وبكى لها من سمعها في ذلك المكان، فأقبل آدم ﷺ حتى دنا من النبي ﷺ فقال: السلام على الولد الطيب، السلام على الخلق الطيب أعظم الله أجرك وأحسن عزائك في إبنك الحسين، ثم قام نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ﷺ، فقالوا كقوله كلهم يعزونه ﷺ في ابنه الحسين، ثم قال النبي ﷺ: يا أبي آدم! ويا أبي نوح! ويا أبي إبراهيم! ويا أخي موسى! ويا أخي عيسى! اشهدوا وكفى بالله شهيداً على أمّتي لما كافؤني في إبنّي وولدي من بعدي فدنا منه ملك من الملائكة فقال: قطعت قلوبنا يا أبا القاسم أنا الملك الموكل بسماء الدنيا أمرني الله تعالى بالطاعة لك فلو أذنت لي أنزلتها على أمتك فلا يبقى منهم أحد، ثم قام ملك آخر فقال: قطعت قلوبنا يا أبا القاسم أنا الموكل بالبحار أمرني الله بالطاعة لك فإن أذنت لي أرسلتها عليهم فلا يبقى منهم أحد، فقال النبي ﷺ يا ملائكة ربي كفوا عن أمّتي فإنّ لي ولهم موعداً لن أخلفه، فقام إليه آدم ﷺ وقال: جزاك الله خيراً من نبي أحسن ما جوزي به نبي عن أمّته، فقال له الحسن: يا جدّاه هؤلاء الرقود هم الذين يجرسون أخي وهم الذين أتوا برأسه، فقال النبي ﷺ: يا ملائكة ربّي اقتلوهم بقتلهم إبنّي فوالله ما لبثت إلا يسيراً حتى رأيت أصحابي قد ذبحوا أجمعين، قال: فلصق بي ملك ليذبحني

فناديته: يا أبا القاسم أجرني وارحمي يرحمك الله، فقال: كفوا عنه ودنا مني، وقال: أنت من السبعين رجلاً؟ قلت: نعم، فألقى يده في منكبي وسحبني على وجهي وقال: لا رحمك الله ولا غفر لك أحرق الله عظامك بالنار فلذلك آيست من رحمة الله، فقال الأعمش: إليك عني فإني أخاف أن أعاقب من أجلك^(١).

قال أبو مخنف: نصبوا الرمح الذي عليه الرأس الشريف، إلى أن قال: فلما جنَّ الليل نظر الراهب إلى الرأس الشريف المكرّم رأى نوراً قد سطع منه إلى عنان السماء ورأى أنّ الملائكة ينزلون ويقولون: السلام عليك يا أبا عبد الله فيكى وقال لهم: ما الذي معكم؟ قالوا: رأس الحسين بن علي، فقال: من أمّه؟ قالوا: أمه فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفى، قال: صدقت الأخبار، قالوا: ما الذي قال الأخبار؟ قال: يقولون: إذا قتل نبي أو وصي أو ولد نبي أو ولد وصي تَطْرَسُ السماء دماً فرأينا أنّ السماء تَطْرَسُ دماً، وقال: واعجبه من أمة قتلت ابن بنت نبيها. ثم قال: أنا أعطيتكم عشرة آلاف درهم أن تعطوني الرأس الشريف فيكون عندي، فقالوا: أحضر عشرة آلاف درهم، فأحضرها لهم فأخذ الرأس المبارك المكرّم وجعله في حجره ويقبله ويبكي ويقول: ليت أكون أوّل من قتل بين يديك فأكون غداً معك في الجنة وأشهد لي عند جدك رسول الله ﷺ بأنني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله، واحسن إسلامه^(٢).

وروى الحضرمي في رشفة الصدور الحديث بعين ما تقدم عن التذكرة ملخصاً^(٣).

(١) نور الابصار للشبلنجي: ٢٠٧، وحكاه عن التلمساني في كتابه المنهل الاصفى في شرح ما تمس الحاجة إليه من ألفاظ الشفا.

(٢) ينابيع المودة للقندوزي: ٣٥٢ الطبعة الثامنة - منشورات مكتبة بصيرتي - قم.

(٣) رشفة الصدور لأبي بكر الحضرمي: ١٦٤ ط مصر.

رؤية بعض الزوار اياه جالساً على ضريح قبره

قال الشبلنجي في نور الأبصار: ومن ذلك أيضاً ما أخبر به العلامة الشيخ فتح الدين أبو الفتح الغمري الشافعي إنه كان يتردد إلى الزيارة غالباً.

فجلس يوماً يقرأ الفاتحة ودعا فلماً وصل في الدعاء إلى قوله واجعل ثواباً مثل ذلك فأراد أن يقول في صحائف سيدنا الحسين ساكن هذا الرمس.

فحصلت له حالة فنظر فيها إلى شخص جالس على الضريح وقع عنده أنه السيد الحسين ﷺ فقال في صحائف هذا وأشار بيده إليه.

فلما أتم الدعاء ذهب إلى الشيخ عبد الوهاب الشعراني فأنخبره بذلك، فقال له الشيخ: صدقت وأنا وقع لي مثل ذلك، ثم ذهب إلى الشيخ كريم الدين الخلوئي فأنخبره بذلك، فقال الشيخ كريم الدين: صدقت وأنا مازرت هذا المكان إلا بإذن من النبي ﷺ^(١).

الحث على زيارة الإمام

علي بن الحسين والباقر والصادق عليهم السلام

فما ورد من الروايات في الحث على زيارتهم هي تلك الروايات المتقدمة المشتركة بينهم، ومنها ما روي عن زيد الشحام قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ ما لمن زار أحداً منكم؟ قال: كمن زار رسول الله ﷺ^(٢).

(١) نور الأبصار للشبلنجي: ٢٠٥ ط منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) الكافي ٤: ٥٧٩ ح ١، المقنعة: ٧٣، الفقيه للصدوق ٢: ٣٤٧ ح ١٠٩٢، التهذيب

نعم، ورد في الوسائل عن الصادق عليه السلام أنه قال: من زارني غفرت له ذنوبه ولم يميت فقيراً^(١).

وعن أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام أنه قال: من زار جعفرأ أو أباه لم يشتك عينه ولم يصبه سقم، ولم يميت مبتلى^(٢).

الحث على زيارة الكاظمين

موسى بن جعفر عليه السلام ومحمد بن علي الجواد عليه السلام

روي عن الحسن بن محمد القمي قال: قال لي الرضا عليه السلام: من زار قبر أبي ببغداد كمن زار قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقبر أمير المؤمنين عليه السلام إلا أن لرسول الله صلى الله عليه وآله ولأمير المؤمنين فضلهما^(٣).

وعن ابن سنان قال قلت للرضا عليه السلام: ما لمن زار أبك؟ قال: الجنة، فزره^(٤).

وعن الحسن بن بشار الواسطي قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام: ما لمن زار قبر أبيك؟ قال: زره، قلت: فأبي شيء فيه من الفضل؟ قال: فيه من الفضل كفضل من زار قبر والده يعني رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: فإني خفت فلم يمكّني أن أدخل داخلا، قال: سلم من وراء الحائر^(٥).

(١) التهذيب ٦: ٧٨ ح ١٥٣، المقنعة: ٧٣، ولاحظ الوسائل ١٤: ٥٤٣.

(٢) التهذيب ٦: ٧٨ ح ١٥٤، المقنعة للمفيد: ٧٣، ولاحظ الوسائل ١٤: ٥٤٣.

(٣) الكافي ٤: ٥٨٣ ح ١، التهذيب ٦: ٨١ ح ١٥٩، الفقيه ٢: ٣٤٨ ح ١٥٩٦، ولاحظ الوسائل ١٤: ٥٤٥.

(٤) التهذيب ٦: ٨٢ ح ١٦٠، والوسائل ١٤: ٥٤٥.

(٥) التهذيب ٦: ٨٢ ح ١٦١ الوسائل ١٤: ٥٤٥، كامل الزيارات: ٢٩٩، البحار

١٦٨ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

وعن زكريا بن آدم، عن الرضا ﷺ: إِنَّ الله نَحَى بِغَدَادَ بِمَكَانِ قَبْرِ أَبِي الْحَسَنِ، وَقَالَ ﷺ:

وقبر ببغداد لنفس زكية تضمنها الرحمن في الغرفات
وقبر بطوس يالها من ممسبية ألحّت على الأحشاء بالزفرات^(١)

وفي تاريخ بغداد عن علي بن الحلال قال: ما همّني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر ﷺ وتوسلت به إلا سهل الله لي ما أحب^(٢).

ورئي في بغداد امرأة تهرول فقيل: إلى أين؟ قالت: إلى موسى بن جعفر، فإنه حُبس إبني، فقال لها حنبلي: إنه قد مات في الحبس، فقالت: بحق المقتول في الحبس أن تربني القدرة، فإذا بابنها قد أُطلق وأخذ ابن المستهزئ بجنايته^(٣).

وعن ابراهيم بن عقبة قل: كتبت إلى أبي الحسن الثالث ﷺ أسأله عن زيارة أبي عبد الله الحسين ﷺ وعن زيارة أبي الحسن وأبيه ﷺ، فكتب إلي: أبو عبد الله ﷺ المقدم، وهذا أجمع وأعظم أجراً^(٤).

قال المجلسي في بيان معنى الحديث: قوله ﷺ: أبو عبد الله المقدم أي الحسين ﷺ أقدم وأفضل وزيارته فقط أفضل من زيارة كل المعصومين ومجموع زيارتهما أجمع وأفضل.

أو المراد أن زيارة الحسين ﷺ أولى بالتقديم، ثم إن أضيفت إلى

(١) التهذيب ٦: ٨٦ البحار ١٠١: ٢.

(٢) تاريخ بغداد ١: ١٢٠، ورواه جمع من أئمة المذاهب سيأتي عند ذكر المزارات في السيرة.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب ٤٢٢ ط النجف.

(٤) الكافي ٤: ٥٨٣، التهذيب ٦: ٨٢، البحار ١٠١: ٩٨، عيون الأخبار ٢: ٢٦١ ح ٢٥.

زيارته زيارة الإمامين عليهما السلام كان أجمع وأعظم أجراً.

أو المعنى أن زيارتهما أجمع من زيارته عليه السلام وحدها، لأن الاعتقاد بإمامتهما يستلزم الاعتقاد بإمامته دون العكس، فكأن زيارتهما تشمل على زيارته، ولأن زيارتهما مختصة بلخواص من الشيعة كما سيأتي في زيارة الرضا عليه السلام، ولا يخفى بعد الوجه الأخير^(١).

الحث على زيارة

الإمام الضامن علي بن موسى الرضا عليه السلام

وردت من طرق العامة في فضل زيارته روايات، منها:

في كتب مودة القريبى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قل: «ستدفن بضعة مني بخراسان ما زارها مكروب إلا نفس الله كربته ولا مذنب إلا غفر الله له»^(٢).

وقال رسول الله لعائشة: «من زار ولدي بطوس فإنما حج مرة»، فقالت عائشة: مرة؟! فقال: «مرتين» قالت مرتين! فقال: «ثلاث مرات» فسكتت عائشة، فقال: «ولو لم تسكتي لبلغت إلى سبعين مرة»^(٣).

وفي فرائد السمطين بسنده عن أبي العباس أحمد بن محمد بن سعيد الحافظ، قال نبأنا علي بن فضال، قال نبأنا أبي، قل: سمعت علي بن موسى الرضا عليه التحية والثناء وجاءه رجل فقال له: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام كان يقول لي: «كيف أنتم إذا دفن في أرضكم

(١) البحار ١٠١: ٩٨.

(٢) مودة القريبى للسيد علي بن شهاب الدين الهمداني: ١٤٠ ط لاهور، يتابع المودة

٢٦٥ ط إسلامبول.

(٣) مودة القريبى: ١٤٠.

بعضي واستحفظتم وديعتي وغُيب في ثراكم لحمي»، فقال له الرضا ﷺ: أنا المدفون في أرضكم وأنا بضعة نبيكم وأنا الودعة واللحم من زارني وهو يعرف ما أوجب الله من حقي وطاعتي أنا وآبائي شفعاؤه يوم القيامة، ومن كنا شفعاؤه نجا ولو عليه مثل وزر الثقلين، ولقد حدثني أبي عن جدي، عن أبيه، عن آبائه أن رسول الله ﷺ قال: «من رآني في منامه فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل في صورتني ولا في صورة أحد من أوصيائي، إن الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزء من النبوة»^(١).

وعن إبراهيم بن إسحاق النهاوندي قال: قال الرضا ﷺ: من زارني على بعد داري ومزاري: أتيته يوم القيامة في ثلاثة مواطن حتى أخلصه من أهوالها، إذا تطايرت الكتب يمينا وشمالاً، وعند الصراط، وعند الميزان^(٢).

وعن النعمان بن سعد، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ قال: سيقتل رجل من ولدي بأرض خراسان بالسسم ظلما، اسمه إسمي، واسم أبيه إسم موسى بن عمران ﷺ، ألا فمن زاره في غربته غفر الله له ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر، ولو كانت مثل عدد النجوم وقطر الأمطار وورق الأشجار^(٣).

(١) فرائد السمطين للحموي نقلاً عن احقاق الحق ١٢: ٣٥٢، وفي البحار ١٠١:

٣٢، عيون الأخبار ٢: ٢٥٧، والأمالى للصدوق: ٦٤، وقد تقدم ذكر هذا الحديث عن العامة مع مصالده في أحاديث زيارة النبي ﷺ (رؤيا بلال).

(٢) التهذيب ٦: ٨٥ ح ١٦٩، كامل الزيارات: ٣٠٤، المقنعة ٢: ٧٤، وفيه إسحاق بن إبراهيم، عيون أخبار الرضا ٢: ٢٥٥ ح ٢، أمالي الصدوق: ١٠٦ ح ٩، الخصال: ١٦٧ ح ٢٢٠، الوسائل ١٤: ٥٥١.

(٣) الفقيه ٢: ٣٤٩ ح ١٦٠٥، أمالي الصدوق: ١٠٤ ح ٥، عيون أخبار الرضا ٢: ٢٥٨ ح ١٧، الوسائل ١٤: ٥٥٤.

وعن حمزة بن حمران قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: تقتل حفدتي بأرض خراسان في مدينة يقال لها طوس، من زاره إليها عارفاً بحقه أخذته بيدي يوم القيامة وأدخلته الجنة، وإن كان من أهل الكبراء، قلت له: جعلت فداك، وما عرفان حقه؟ قال: يعلم أنه إمام مفترض الطاعة غريب شهيد، من زاره عارفاً بحقه أعطاه الله عز وجل أجر سبعين شهيداً ممن استشهد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حقيقة^(١).

عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ستدفن بضعة مني بأرض خراسان ما زارها مكروب إلا نفس الله كربته ولا مذنب إلا غفر الله ذنوبه»^(٢).

عن عبد السلام بن صالح قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: إنني سأقتل بالسلم مظلوماً، وأقبر إلى جنب هارون الرشيد ويجعل الله عز وجل تربتي مختلف شيعتي وأهل محبتي، فمن زارني في غربتي وجبت له زيارتي يوم القيامة، والذي أكرم محمداً بالنبوة واصطفاه على جميع الخليفة، لا يصلي أحد منكم عند قبوري إلا استحق المغفرة من الله عز وجل يوم يلقاه، والذي أكرمنا بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالإمامة وخصنا بالوصية، إن زوار قبوري أكرم الوفود على الله عز وجل يوم القيامة، وما من مؤمن يزورني فتصيب وجهه قطرة من الماء إلا حرم الله جسده على النار^(٣).

عن يحيى بن سليمان المازني، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: من زار قبر ولدي كان له عند الله كسبعين حجة مبرورة قال: قلت

(١) الفقيه ٢: ٣٥٠ ح ١٦٠٧، عيون أخبار الرضا ٢: ٢٥٩ ح ١٨ الوسائل ١٤:

(٢) عيون أخبار الرضا ٢: ٢٥٧ ح ١٤، أمالي الصدوق: ١٠٤ ح ٢.

(٣) عيون أخبار ٢: ٢٦٦ ح ١، الوسائل ١٤: ٥٥٩.

١٧٢ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

سبعين حجة؟ قال: نعم وسبعمائة حجة؟ قلت وسبعمائة حجة؟ قال: نعم وسبعين ألف حجة، قلت: وسبعين ألف حجة؟ قال رب حجة لا تقبل، من زاره وبات عنده ليلة كان كمن زار الله في عرشه.

قلت: كمن زار الله في عرشه؟ قال: نعم إذا كان يوم القيامة كان على عرش الله أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين، فأما الأربعة الذين هم من الأولين فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وأما الأربعة الذين هم من الآخرين فمحمد وعلي والحسن والحسين ﷺ، ثم يمدّ المطمار فيقعد معنا من زوار قبور الإئمة ﷺ، ألا إن أعلاهم درجة وأقربهم حبة زوار قبر ولدي علي ﷺ^(١).

عن علي بن الحسن بن فضل، عن أبيه، عن أبي الحسن الرضا ﷺ أنه قال: إن بخراسان لبقعة يأتي عليها زمان تصير مختلف الملائكة، فلا يزال فوج ينزل من السماء وفوج يصعد، إلى أن ينفخ في الصور، فقبل له: يا ابن رسول الله وأية بقعة هذه؟ قال هي بأرض طوس وهي والله روضة من رياض الجنة، من زارني في تلك البقعة كان كمن زار رسول الله ﷺ وكتب الله تبارك وتعالى له بذلك ثواب ألف حجة مبرورة وألف عمرة مقبولة وكنت أنا وأبائي شفعاؤه يوم القيامة^(٢).

(١) كامل الزيارات: ٣٠٧، البحار ١٠١: ٤٢. قال المجلسي: قوله ثم يمد المضمار ميدان السباق والذي يضممر فيه الخيل ولعله كناية عن المجلس عبّر به عنه لسعته، وفي بعض النسخ المطمار والمطمار خيط للبناء يقدر به، ويؤيده ما مرّ سابقاً، ولعلّ مدّه ليدخل فيه من كان من أوليائهم ويخرج عنه مخالفوهم، وفي بعض نسخ الكافي ثم يمدّ الطعام.

والحبة العطية، والحبة أيضاً الاحتباء بالثوب بأن يجمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها، وهنا يجتمل المعنيين.

(٢) البحار ١٠١: ٣١.

فضل زيارة الإمامين أبي الحسن علي بن محمد الهادي وأبي محمد الحسن بن علي العسكري المدفونين بسر من رأى
فإنه مضافاً إلى الأحاديث المشتركة المتقدمة في زيارتهما ولا حاجة بأكثر من ذلك لكل واحد منهما، فإن الأئمة كلهم نور واحد فما ثبت لواحد منهم ثبت للآخر.

فقد روي عن علي بن محمد الهادي عليه السلام: إن تربتنا كانت واحدة فلما كان أيام الطوفان افرقت التربة، فصارت قبور ناشتة، والتربة واحدة^(١).

وورد حديثاً عن الحسين بن روح عن محمد بن زياد، عن أبي هاشم الجعفري قال: قال أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام: قبري بسر من رأي أمان لأهل الجانبين^(٢).

زيارة الإمام الغائب عن الأنظار الحاضر

في قلوب المؤمنين الأخيار الحجة بن الحسن العسكري عليه السلام

فقد خرج من الناحية المقدسة إلى محمد الحميري بعد الجواب عن المسائل التي سأها:

بسم الله الرحمن الرحيم، لا لأمره تعقلون ولا من أوليائه تقبلون، حكمة بالغة فما تغني النذر عن قوم لا يؤمنون، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، إذا أردتم التوجه بنا إلى الله تعالى وإلينا فقولوا كما قال الله تعالى: سلام على آل ياسين^(٣)

(١) التهذيب ٦: ١٠٩ ح ١٠، مزار المفيد: ١٧٣.

(٢) الوسائل ١٤: ٥٧١، مزار المفيد: ١٧٤.

(٣) الاحتجاج ٢: ٣١٦ - ٣١٨ ط النجف الأشرف، البحار ١٠١: ٨١.

فضل زيارة أولاد الأئمة وذريتهم الصالحين

فقد ثبت استحباب زيارتهم بالأدلة المشتركة العامة المتقدمة خصوصاً ما ورد من النبي ﷺ في حديث «... فمن زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي، ومن زار فاطمة فكأنما زارني ومن زار علي بن أبي طالب فكأنما زار فاطمة ومن زار الحسن والحسين فكأنما زار علياً ومن زار ذريتهما فكأنما زارهما»^(١).

وورد عنه ﷺ: «من زارني أو زار أحداً من ذريتي زرته يوم القيامة، فأنقذته من أهوالها»^(٢).

لكن ورد في بعضهم نص خاص، خصوصاً في السيدة فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر ﷺ فإنه قد ورد من طرق العامة أيضاً.

فضل زيارة السيدة فاطمة المعصومة ﷺ

قال البخاري في فصل الخطاب: ومن بنات موسى بن جعفر ﷺ فاطمة، قبرها ببليدة قم، وعن علي الرضا ﷺ أنه قل: من زارها فله الجنة^(٣). ورواه أيضاً سراج الدين عثمان ددة في تاريخ الإسلام والرجال نقلاً من شواهد النبوة^(٤).

وروي عن الصادق ﷺ أنه قل: إن لله حرماً وهو مكة، ألا إن

(١) بشارة المصطفى: ١٣٩ الطبعة الثانية سنة ١٣٨٣ - نجف، البحار ١٠٠: ١٢٣.

(٢) كامل الزيارات لابن قولويه: ١١، ولاحظ الوسائل ١٤: ٣٣١، البحار ١٠٠: ١٢٣.

(٣) فصل الخطاب محمد خواجه يارسي البخاري، نقلاً عن ينابيع المودة: ٣٨٣ ط

اسلامبول.

(٤) تاريخ الإسلام والرجال: ٣٧٠ مخطوط ولاحظ إحقاق الحق ١٢: ٣٣٨.

لرسول الله حراماً وهو المدينة ألا وإن لأمير المؤمنين حراماً وهو الكوفة، ألا وإن قم الكوفة الصغيرة، إلا إن للجنة ثمانية أبواب ثلاثة منها إلى قم، تقبض فيها امرأة من ولدي اسمها فاطمة بنت موسى، وتدخل بشفاعتها شيعتي الجنة بأجمعهم^(١).

قال محمد بن علي الجواد عليه السلام: من زار عمتي بقم فله الجنة^(٢).

وقد ذكر لها زيارة خاصة تزار بها أوردتها المجلسي في مزار البحار والشيخ عباس القمي في مفاتيح الجنان والسيد عمن الأمين في مفتاح الجنات.

فضل زيارة السيد عبد العظيم الحسيني عليه السلام في ري

عن محمد بن يحيى قال دخل رجل على أبي الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام من أهل الري قال: قال لي: أين كنت؟ فقلت: زرت الحسين عليه السلام، فقال: أما إنك لو زرت قبر عبد العظيم عندكم لكنت كمن زار الحسين بن علي عليه السلام^(٣).

وذكر الأعلام زيارات خاصة لأولاد الأئمة عليهم السلام تجدها في مصباح الزائر والبحار وفي ختام أحاديث الزيارة نقدم لك أيها القارئ العزيز كلمة المجلسي عليه السلام في مزارات أبناء الأئمة عليهم السلام، فإنه قال:

إعلم أنّ المشاهد المنسوبة إلى أولاد الأئمة الهادية والعترة الطاهرة

(١) البحار ٦٠: ٢٢٨ ح ٤١.

(٢) الوسائل ١٤: ٥٧٦، كامل الزيارات: ٣٢.

(٣) ثواب الأعمال: ١٢٤ ح ١: كامل الزيارات: ٣٢٤، الوسائل ١٤: ٥٧٦.

(٤) مصباح الزائر: ٢٦١.

(٥) البحار ١٠١: ٢٧٢.

١٧٦ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

وأقاربهم صلوات الله عليهم يستحب زيارتها والإمام بها، فإن في تعظيمهم تعظيم الأئمة، وتكريمهم، والأصل فيهم الإيمان والصلاح، إلى أن يعلم منهم خلافتهم...^(١).

وتقدم منا في الأدلة العامة إنه قد جرت السيرة القطعية منذ عصر الصحابة والتابعين على زيارة قبور المؤمنين ومشاهد العترة وأبناءهم والدعاء عندها والصلوة فيها لأنها تضمنت ولي من الأولياء وصالحاً من الصالحاء، فالذي ثبت من الروايات العامة والخاصة وسائر الأدلة أيضاً أن زيارة ذراري رسول الله ﷺ الصالحين منهم مندوبة ومن تعظيم حرمة الله تعالى، ولأن في تعظيمهم وزيارتهم تعظيم وتكريم لرسول الله ﷺ.

(١) البحار ١٠١: ٢٧٣.

الدليل الثالث

الإجماع

الدليل الثالث:

الإجماع

وبعد ذكر ما مرّ من الكتاب والسنة من الأدلة التي وردت لإثبات مشروعية الزيارة نصل إلى دليل آخر وهو الإجماع، ولكن قبل البحث ألفت نظر القارئ الكريم إلى أنّ المقصود بالإجماع والذي يلزم أن يكون حجةً ودليلاً على المشروعية هو ما اتفقت عليه كلمات الصحابة في عهد الرسول وفيما بعد عهده ﷺ إلى أن ظهرت بوادر خرق هذا الإجماع في عهد ابن تيمية الذي لا يعبأ بمخالفة سيرة المسلمين الأوائل التي جرى عليها الناس بعدهم بلا اختلاف.

وهذا في الواقع ليس دليلاً على المشروعية وحسب، بل هو دليل صارخ على زيغ ابن تيمية وأتباعه حينما يضربون بكلمة المسلمين الواحدة عرض الجدار.

فقد أطبق المسلمون عليها سلفاً وخلفاً من عهد النبي والصحابة إلى زماننا هذا قولاً، بل إن استحباب زيارة قبور الأنبياء والأوصياء والصلحاء، بل وسائر المؤمنين، ملحق بالضروريات عند المسلمين، فضلاً عن الاجماع، وسيرتهم مستمرة عليها من عهد النبي ﷺ والصحابة والتابعين وتابعي التابعين وجميع المسلمين في كل عصر وفي كل صقع، عالمهم وجاهلهم صغيرهم وكبيرهم نساءً ورجالاً، وإنكار ذلك إنكار للضروريات والبد依يات.

ولم نجد من خالف في زيارة قبر النبي ﷺ وأهل بيته، جاهلاً أو عالماً، مدى الزمان، إلا من شذ عن الإسلام وأنكر ضرورياته، وهو ابن تيمية،

١٨٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

فإنه أول من خرق إجماع المسلمين وأتى بشئ لم يسبقه إليه عالم قبله، فقد أتى بتمحلات وأمور شاذة متناقضة، ومنها قوله في الزيارة.

فإنه قد اعترف بالإجماع المذكور ولكن حرّفه وأوّله بأن مقصودهم زيارة القبر الشريف من دون شد الرحل، أو زيارة المسجد إن اقترن بشدّ الرحل.

وهذا التمحل تبطله النصوص المتقدمة الكثيرة المتعاضدة التي يشتمل قسم منها زيارة قبره الشريف بالعموم والأولوية، وقسم منها خاصة بزيارة قبره الشريف، فإنه إن اعترف بأصل المطلب فلا بد وأن يعترف بأن لازم الزيارة هو الانتقال من مكان إلى مكان، والقصد نحو المزور سواء كان بعيداً أو قريباً، فما هذه التمحلات وما هذه التوجيهات الباطلة!؟

ثم من هذا الذي يتحمل مشقة السفر والصعوبات والأخطار ويشدّ الرحل يقصد زيارة المسجد الشريف لأجل درك ثواب الصلاة فيه في حين أنه يتمكن من تحصيل أجر مائة ألف ركعة في مكة المكرمة.

ولاحظ أنه إذا كان شد الرحال وتحمل الصعوبات لأجل المسجد، فلماذا لم يشد الرحل ولم يقصد مسجد الأقصى مع أنه كان ميسراً في ذلك الزمان مثل مسجد النبي ﷺ.

فمن هنا نعلم أنّ تحمّل هذه الصدمات والصعوبات وبذل الأموال من أجل زيارة قبر الحبيب الذي يشتاقه ويميل إليه قلب كلّ لبيب، فإن تلك البقعة قد ازدادت شرفاً وفضلاً على سائر البقاع لضمها أشرف الأنبياء والمرسلين وحبيب ربّ العالمين، وهو السبب لهذا التوجّه العظيم والاهتمام الكثير من طبقات المسلمين للعروج إلى هذا البلد الشريف، فإن زيارتهم للمسجد الشريف وصلاتهم فيه كانت بالتبع، ولا يخطر ببال أحد منهم شد الرحل والقصد إلى المسجد الشريف بالأصالة.

والحاصل: أن الإجماع قولاً وعملاً قد ثبت ثبوت الجبال الراسيات على مشروعية شد الرحل لزيارة قبره الشريف ﷺ رغماً لأنف المعاندين ومن شدَّ وانحرف عن سيرة المسلمين.

هذا وإليك أقوال العلماء وأئمة المذاهب من المالكية والشافعية والحنبلية والحنفية، حول الزيارة وما يستفاد منه هذا الإجماع حتى لا يبقى أيّ خفاء.

أقوال علماء المسلمين في زيارة خير المرسلين ﷺ

١ - قال القاضي عياض المالكي المتوفى سنة ٥٤٤هـ في الشفاء بتعريف حقوق المصطفى:

وزيارة قبره ﷺ سنة مجمع عليها وفضيلة مرغّب فيها، ثم ذكر عدة من أحاديث الباب، مثل ما ورد من طريق موسى بن هلال، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، عنهما قال: قال النبي ﷺ:

«من زار قبري وجبت له شفاعتي».

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من زارني محتسباً كان في جواربي وكنت له شفيعاً يوم القيامة».

وفي حديث: «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي».

ثم ذكر ما نسب إلى مالك من الكراهة والوجوه فيه والجواب عنها، وقال: قال إسحق بن إبراهيم الفقيه: ومما لم يزل من شأن الحاج المرور بالمدينة والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يده ومواضع قدمه والعمود الذي كان يستند إليه وينزل جبرئيل بالوحي فيه عليه، وبمن عمره وقصله من الصحابة وأئمة المسلمين، والاعتبار بذلك كله.

وقال ابن فديك: سمعت بعض من أدركت يقول: بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي ﷺ وسلّم فتلا هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ ثم قال: صلى الله عليك يا محمد، من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان، ولم تسقط له حاجة.

وعن يزيد بن أبي سعيد المهري: قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال: لي إليك حاجة إذا أتيت المدينة سترى قبر النبي ﷺ فأقرأه مني السلام.

قال غيره: وكان يبرد إليه البريد من الشام.

قال بعضهم: رأيت أنس ابن مالك أتى قبر النبي ﷺ فوقف فرفع يده حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبي ﷺ ثم انصرف الخ^(١).

فقد ذكرت هذا المقدار منه لما فيه من التكات في إثبات مشروعية الزيارة فإنه من العلماء والأئمة الذين يؤخذ بقولهم ويعتمد عليهم.

وروى في الشفاء أنه: ناظر أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك: يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قوما فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ ومدح قوما فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ...﴾ وذم قوما فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ...﴾ وإن حرمة ميتا كحرمة حيا، فاستكان لها أبو جعفر وقال:

(١) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ٢: ٨٣ - ٨٥ ط دار الكتب العلمية بيروت، ولاحظ الروض الفائق للشيخ شعيب الحريش: ٣٧٥ ط دار الكتب العلمية -

يا أبا عبد الله، أستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله ﷺ؟
فقال له: ولم تصرف وجهك عنه؟ وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام
إلى الله تعالى يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به، فيشفعه الله تعالى، قال الله
تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ...﴾^(١).

فانظر إلى هذا الحوار وهذا الكلام من مالك وما اشتمل عليه من
الزيارة والتوسل بالنبي ﷺ وحسن الأدب معه، فمع هذا الكلام وسائر
كلماته في مواضع أخر، كيف تصح نسبة كراهة الزيارة إليه كما تمسك
وتثبت بها ابن تيمية وأتباعه للمنع عن الزيارة.

فمن المتيقن لوصحت هذه النسبة، إن غرضه ليس كراهة الزيارة نفسها،
بل غرضه هو ما يؤدي ويفضي إلى تعظيم النبي واحترامه أكثر فاكتر وأن لا
يتزل شأنه بهذه الكلمات.

٢ - قال قاضي القضاة أبو الحسن الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠: فإذا
عاد «ولي الحاج» سار بهم على طريق المدينة لزيارة قبر رسول الله ﷺ
ليجمع لهم بين حج بيت الله ﷺ وزيارة قبر رسول الله، رعاية لحرمة وقياماً
بمحموق طاعته، وذلك وإن لم يكن من فروض الحج، فهو من مندوبات الشرع
المستحبة وعبادات الحجيج المستحسنة، ثم ذكر ما رواه ابن عمر «من زار قبري
وجبت له شفاعتي» وقال الماوردي أيضاً في الحاوي: أما زيارة قبر النبي
فمأمور بها ومندوب إليها^(٢).

(١) الشفاء للقاضي عياض ٢: ٤١ ط دار الكتب العلمية - بيروت ونقلها ابن عبد
المهدي في الصارم المنكي (٢٦٣) عن اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية:
٣٩٣ - ٣٩٤، وحاول كما هو عادته في تضعيفها والحكم بأنها مغيرة! وببطلان
ذيلها!!! وهكذا يحاول فيما لا يوافق هواه في جميع الموارد.

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي: ١٩٦ ط دار الكتاب العربي سنة ١٤٢٠ هجرية.

٣- حكي عبد الحق بن محمد الصقلي المتوفى ٤٦٦هـ في كتابه «تهذيب الطالب» عن الشيخ ابن عمران المالكي أنه قال: إنما كره مالك أن يقلب: زرنا قبر النبي ﷺ لأن الزيارة من شاء فعلها ومن شاء تركها وزيارة قبر النبي واجبة.

قال عبد الحق: يعني من السنن الواجبة، ينبغي أن لا تذكر الزيارة فيه، كما تذكر في زيارة الأحياء الذين من شاء زارهم ومن شاء ترك، والنبي ﷺ أشرف وأعلى من أن يسمى أنه يزار^(١).

وفي هامش شفاء السقام ما ملخصه: لا بد أن يحمل هذا الوجوب على الكفائي لا العيني: وذلك بعنوان تعظيم الشعائر الإسلامية، إذ لا ريب أن تركها فيه من الجفاء وعدم الاهتمام بالرسول الأكرم ﷺ ما يتوق له أعداء الإسلام، ويروجون له، ولهذا ترى السلفية يركزون عليه ويمنعونه ويقبحونه بشتى الأشكال والأساليب وبكلمة التوحيد التي هي كلمة حق لكن يراد بها باطل للإزدراء بمقام الرسول وقبره المعظم.

والمحافظة على كرامة الرسول ﷺ بالوفود على قبره المعظم وزيارته والسلام عليه عند قبره بالقصد الخاص من أعظم القربات الدينية والشعائر الإسلامية، في كل العصور، وخصوصاً في عصرنا هذا.

ثم قال: والغريب أن ابن عبد الهادي ذكر في الصارم المنكي (٣٢٥) النوع الثالث من أنواع زيارة القبور قال: فهو زيارتها للدعاء... إلى أن يقول: وهذا مشروع، بل فرض على الكفاية متواتر متفق عليه بين المسلمين، لكنه لم يصرح هنا باسم زيارة قبر النبي ﷺ، بل أطلق، وهذا من أساليب التلبيس^(٢).

(١) لاحظ شفاء السقام: ١٧٠.

(٢) شفاء السقام: ١٦٠ ط الرابع. عزيزي القارئ نحن في كتابنا هذا التزمنا قواعد

٤ - عقد أبو حامد الغزالي الشافعي المتوفى سنة ٥٠٥ هجرية باباً في زيارة قبر النبي ﷺ وآدابها فقال: الجملة العاشرة: في زيارة المدينة وآدابها.

قال ﷺ: «من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي».

وقال ﷺ: «من وجد سعة ولم ينفد إلي فقد جفاني». وقال ﷺ: «من جاني زائراً لا يهيمه إلا زيارتي كان حقاً على الله سبحانه أن أكون له شفيعاً».

ثم قال: فإذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها، قال: «اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار وأماناً من العذاب وسوء الحساب».

ثم ذكر سائر الآداب التي ينبغي للزائر العمل بها في المدينة إلى خروجه منها، وقد ذكرنا بعضاً منها في الآداب^(١).

٥ - عقدالحافظ ابن الجوزي الحنبلي المتوفى ٥٩٧ في كتابه مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن باباً في زيارة قبر النبي ﷺ وذكر حديثي ابن عمر وأنس المذكورين في أحاديث الباب، وذكر أيضاً الآية الشريفة: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا...﴾ وذيلها بحكاية العتي^(٢).

وهذا دليل على اعتقاده بمشروعية الزيارة بشد الرحل وفضيلتها، حيث إن الأعرابي كان قد شد الرحل، وإن كان ذكر بعض أحاديث الباب

البحث العلمي المجرد ومراعاة أدب الكتابة وعدم التوسل إلى الكلمات الجارحة،
فلهذا قد تصرفنا بمحذف بعض الكلمات المخلة بهذا الالتزام.

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ١: ٣٠٦ ط دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢) مثير الغرام الساكن لابن الجوزي، لاحظ الغدير ٥: ١١٠.

١٨٦ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟
في كتابه (الموضوعات).

٦ - قال ابن هبيرة المتوفى سنة ٥٦٠ هـ في كتاب (اتفاق الأئمة):
اتفق مالك والشافعي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى، على
أن زيارة النبي مستحبة^(١).

٧ - قال أبو عبد الله محمد بن عبد الله السامري المتوفى ٦١٦ هجرية
في المستوعب: إذا قدم مدينة الرسول ﷺ، استحب له أن يغتسل لدخولها،
ثم يأتي مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ويقدم رجله اليمنى في
الدخول، ثم يأتي حائط القبر، فيقف ناحية، ويجعل القبر تلقاء وجهه،
والقبلة خلف ظهره، والمنبر عن يساره... وذكر كيفية السلام والدعاء إلخ.

ومنه: اللهم إنك قلت في كتابك لنيك ﷺ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ وإني قد أتيت نبيك مستغفراً، فأسألك أن توجب لي
المغفرة، كما أوجبتها من أتاه في حياته، اللهم إني أتوجه إليك بنبيك ﷺ...
وذكر دعاءً طويلاً، ثم قل: وإذا أراد الخروج عاد إلى قبر رسول الله ﷺ فودع.

قال السبكي في ذيل هذا الكلام: وانظر هذا المصنف من الحنابلة -
الذين الخصم متمذهب بمذهبهم - كيف نصّ على التوجه بالنبي ﷺ^(٢)!!.

٨ - قال ابن قدامة المقدسي الحنبلي المتوفى ٦٢٠ في كتابه المغني وهو
من أعظم كتب الحنابلة التي يعتمدون عليها، فصل: يستحب زيارة قبر
النبي ﷺ، ثم ذكر حديث ابن عمر من طريق الدار قطني ومن طريق سعيد
بن منصور عن حفص، وحديث أبي هريرة من طريق أحمد: «ما من أحد
يسلم عليّ عند قبري...»، وذكر حكاية العتيبي أيضاً^(٣).

(١) المدخل لابن الحاج ١: ٢٥٦.

(٢) حكاية السبكي في شفاء السقام: ١٥٧ ط الرابع.

(٣) المغني لابن قدامة ٣: ٥٨٨.

فهذا ابن قدامة الذي اعترف ابن تيمية بقداسته وعلمه ووثاقته، قال باستحباب الزيارة وذكر الأحاديث التي كذبها ابن تيمية، فلماذا خالفه وشذ عنه وعن أئمة المسلمين؟!.

٩ - قال الامام أبو زكريا النووي الشافعي المجمع على علمه وفضله المتوفى سنة ٥٢٩ هجرية:

واعلم أن زيارة قبر رسول الله ﷺ من أهم القربات وأنجح المساعي، فاذا انصرف الحجاج والمعتمرون من مكة إستحب لهم إستحباباً مؤكداً أن يتوجهوا إلى المدينة لزيارته ﷺ، وينوي الزائر مع الزيارة التقرب وشد الرحل إليه والصلاة فيه^(١).

وقال أيضاً في كتاب الإيضاح في مناسك الحج: إذا انصرف الحاج والمعتمرون من مكة فليتوجهوا إلى مدينة رسول الله ﷺ لزيارة تربته ﷺ، فإنها من أهم القربات وأنجح المساعي، وقد روى البزار والدارقطني باسنادهما عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من زار قبري وجبت له شفاعتي»^(٢).

وقد علق على الحديث ابن حجر الهيتمي في حاشية الإيضاح فقال: الحديث يشمل زيارته ﷺ حياً وميتاً ويشمل الذكر والانشى من قرب أو بعد، فيستدل به على فضيلة شد الرحال لذلك، وندب السفر للزيارة، إذ للوسائل حكم المقاصد^(٣).

١٠ - وقد ألف الحافظ ابن عساكر كتاباً حفيلاً في زيارة قبر النبي ﷺ وآداب السفر إليه وسائر الآداب في الزيارة، فقال: وبعد فهذا مختصر في

(١) المجموع في شرح المهذب للنووي ٨: ٢٧٢ ط دار الفكر.

(٢) الإيضاح للنووي: ٢١٤.

(٣) حاشية الإيضاح لابن حجر: ٢١٤.

زيارة سيدنا سيد البشر رسول الله ﷺ وشرف وعظم وكرم، ألفته تحفة للزائر وجعلته محلة من المقيم يتزودها المسافر، إذ كانت زيارة تربته المقدسة المكرمة من أهم القربات، والمثول في حضرته المشرفة المعظمة من أنجح المساعي وأكمل الطلبات، والقصد إلى مسجده الشريف من العباد من أوصل الصلوات، فإليه تشد الرحال، ولديه تحط الأوزار وعليه تعقد الآمال.

وقد أثبت في هذا المختصر ما ينبغي للزائر فعله، وأسندت من الأحاديث الواردة في ذلك ما صح نقله وحسن مثله، والله تعالى يسعفنا في الدنيا بدوام زيارته، ويسعدنا في الآخرة ببركة شفاعته، ويوردنا حوضه، ويرينا وجهه، ويجعلنا من حزبه وخاصته، آمين^(١).

ثم ذكر الروايات الواردة في الباب ونبذة من الآداب، والطلاب يراجع إلى ذلك الكتاب.

١١ - قال العبد القيرواني المالكي المتوفى ٧٣٧هـ في المدخل في فضل زيارة القبور: وأما عظيم جناب الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيأتي إليهم الزائر ويتعين عليه قصدهم من الأماكن البعيدة.

فإذا جاء إليهم فليتصف بالذل والانكسار والمسكنة، والفقر والفاقة والحاجة والاضطرار والخضوع، ويحضر قلبه وخاطره إليهم وإلى مشاهدتهم بعين قلبه لا بعين بصره لأنهم لا يبلون ولا يتغيرون، ثم يثني على الله تعالى بما هو أهله، ثم يصلي عليهم ويترضى على أصحابهم، ثم يترحم على التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، ثم يتوسل إلى الله تعالى بهم في قضاء مآربه ومغفرة ذنوبه، ويستغيث بهم ويطلب حوائجه منهم، ويجزم

(١) إتحاف الزائر لابن عساكر: ١٧ ط شركة دار الأرقم - بيروت.

بالإجابة ببركتهم ويقوي حسن ظنه في ذلك، فإنهم باب الله المفتوح وجرت سنته سبحانه وتعالى على أيديهم وبسيبهم.

ومن عجز عن الوصول فليرسل بالسلام عليهم، ويذكر ما يحتاج إليه من حوائجه ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه إلى غير ذلك، فإنهم السادة الكرام لا يردون من سألهم ولا من قصدهم ولا من لجأ إليهم.

هذا الكلام في زيارة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام عموماً.

ثم قال: فصل: وأما زيارة سيد الأولين والآخرين صلوات الله عليه وسلامه، فكل ما ذكر يزيد عليه أضعافه أعني في الانكسار والذل والمسكنة، لأنه الشافع المشفع الذي لا ترد شفاعته ولا يخيب من قصده ولا من نزل بساحته، ولا من استعان أو استغاث به إذ أنه عليه الصلاة والسلام قطب دائرة الكمال وعروس المملكة.

إلى أن قال: فمن توسل به، أو استغاث به، أو طلب حوائجه منه، فلا يرد ولا يخيب لما شهدت به المعاينة والآثار.

ويحتاج إلى الأدب الكلي في زيارته عليه الصلاة والسلام، وقد قال علماؤنا رحمة الله عليهم: أن الزائر يشعر نفسه بأنه واقف بين يده عليه الصلاة والسلام كما هو في حياته، إذ لا فرق بين موته وحياته أعني في مشاهدته لأتمته ومعرفته أحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم، ذلك عنده جلي لا خفاء فيه.

وقال: فالتوسل به عليه الصلاة والسلام هو محل حظ أحوال الأوزار، وأثقال الذنوب والخطايا، لأن بركة شفاعته عليه الصلاة والسلام وعظمتها عند ربه لا يتعاضدها ذنب إذ أنها أعظم من الجميع.

فليستبشر من زاره، ويلجأ إلى الله تعالى بشفاعته نبيه عليه الصلاة

والسلام من لم يزره، اللهم لا تحرمنا من شفاعته بجرمته عندك آمين رب العالمين.

ثم قال: من اعتقد خلاف هذا فهو المحروم، ألم يسمع قول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَسَّعْنَا لَهُمْ فَسُحُبًا مِنْ سَمَوَاتِنَا لَمَا ظَلَمُوا عَلَيْنَا﴾ الآية، فمن جاءه ووقف ببابه وتوسل به وجد الله تواباً رحيماً، لأن الله منزّه عن خلف الميعاد وقد وعد سبحانه وتعالى بالتوبة لمن جاءه ووقف ببابه وسأله واستغفر ربه، فهذا لا يشك فيه ولا يرتاب إلا جاحد للدين معاند لله ولرسوله، نعوذ بالله من الحرمان^(١).

١٢ - وهذا قول الشيخ ابن تيمية المانع من الزيارة، فقد نقل عنه تلميذه المروج لعقائده ابن عبد الهادي الحنبلي أنه ذكر في مناسكه باب زيارة قبر النبي ﷺ: إذا أشرف على مدينة النبي قبل الحج أو بعده فليقل ما تقدم: إذا دخل إستحب له أن يغتسل، نص عليه الإمام أحمد، فإذا دخل المسجد بدأ برجله اليمنى وقال بسم الله والصلاة على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك، ثم يأتي الروضة بين القبر والمنبر ويجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه ليكون قائماً وجاه النبي ويقف متباعداً كما يقف لو ظهر في حياته بخشوع وسكون متنكس الرأس غاض الطرف متحضراً بقلبه جلالة موقفه، ثم يقول: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا نبي الله وخيرته من خلقه، السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين وقائد الغر المحجلين أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول، أشهد أنك بلغت رسالتك... إلى آخر كلامه^(٢).

(١) المدخل للعبدي القيرواني ١: ٢٥٧ ولا يخفى أنه في بعض الكتب (العبدي) بالراء.

(٢) الصارم المنكي لابن عبد الهادي الحنبلي: ٧ ط الأولى - القاهرة.

عزيزي القارئ قد لاحظت كلامه وما نقله عنه تلميذه فإنه صريح في الاعتقاد بمشروعية الزيارة بشد الرحل إليها، فإن كلامه «إذا أشرف على مدينة النبي قبل الحج أو بعده...» ناظراً إلى من كان خارج المدينة وخصوصاً به لا بغيره، وهكذا قوله (إذا دخل...) ناظراً إلى من كان خارج المدينة وخصوصاً به لا بغيره، وهكذا سائر كلماته التي تطابق كلمات سائر الأعلام.

وما يثير الحيرة عند الإنسان أنه بأي شيء يعتقد؟! إن كان يعتقد بمشروعيتها بشد الرحل فما تلك المخالفات الشديدة التي ظهرت منه في كتبه؟ وإن لم يكن يعتقد بها فما هذه الكلمات الصريحة باعتقاده بمشروعيتها؟! وعند هذا التردد يثبت ما قلناه من التناقض والتدليس في كلماتهم، وهي طريقة مرموزة يتخذها كثير من المخالفين.

١٣- وإليك كلمات الإمام تقي الدين السبكي الشافعي المتوفى ٧٥٦ والتي أوردها في كتابه شفاء السقام في زيارة خير الأنام الذي كتبه في الرد على ابن تيمية، فإنه بعدما ذكر كثيراً من أحاديث الزيارة جعل باباً في نصوص العلماء من المذاهب الأربعة على استحبابها، وإثبات أن ذلك مجمع عليه بين المسلمين.

قال في صفحة ١٥٦: لا حاجة إلى تتبع كلام الأصحاب في ذلك مع العلم بإجماعهم وإجماع سائر العلماء عليه.

والحنفية قالوا: إن زيارة قبر النبي ﷺ من أفضل المندوبات والمستحبات، بل يقرب من درجة الواجبات، وممن صرح بذلك أبو منصور محمد بن مكرم الكرماني في مناسكه، وعبد الله بن محمود بن بلنجي في شرح المختار، وفي فتاوى أبي الليث السمرقندي في باب أداء الحج.

وقال في ص ١٧٦: كيف يتخيل في أحد من السلف منعهم زيارة المصطفى ﷺ وهم مجمعون على زيارة سائر الموتى، وسنذكر ذلك وما ورد من الأحاديث والأذكار في زيارتهم.

١٩٢ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشع؟

فالنبي ﷺ وسائر الأنبياء الذين ورد فيهم أنهم أحياء كيف يقال فيهم هذه المقالة؟!

وحكى في صفحة ١٥٥ عن القاضي عياض وأبي زكريا النووي إجماع العلماء والمسلمين على استحباب الزيارة.

وقال في صفحة ١٨٨: وإذا استحب زيارة قبر غيره فقبْره أولى، لما له من الحق ووجوب التعظيم.

فإن قلت: الفرق «يعني بين زيارة قبر النبي وغيره» أن غيره يزار للاستغفار له لاحتياجه إلى ذلك، كما فعل النبي ﷺ في زيارته أهل البقيع، والنبي ﷺ مستغن عن ذلك.

قلت: زيارته إنما هي لتعظيمه والتبرك به ولتنالنا الرحمة بصلاتنا وسلامنا عليه، كما أنا مأمورون بالصلاة عليه والتسليم وسؤال الوسيلة وغير ذلك مما يعلم أنه حاصل له ﷺ بغير سؤالنا، ولكن النبي ﷺ أرشدنا إلى ذلك لنكون بدعائنا له متعرضين للرحمة التي رتبها الله على ذلك.

فإن قلت: الفرق أيضاً، أن غيره لا يخشى فيه محذور وقبره ﷺ يخشى الإفراط في تعظيمه أن يعبد.

قلت: هذا كلام تقشعر منه الجلود ولولا خشية اغترار الجهال به لما ذكرته، فإن فيه تركاً لما دلت عليه الأدلة الشرعية، بالأراء الفاسدة الخيالية.

وكيف تقدم على تخصيص قوله ﷺ: «زوروا القبور»؟ وعلى ترك قوله: «من زار قبري وجبت له شفاعتي»؟ وعلى مخالفة إجماع السلف والخلف بمثل هذا الخيال الذي لم يشهد به كتاب ولا سنة؟

بخلاف النهي عن اتخاذه مسجداً، وكون الصحابة احترزوا عن ذلك المعنى المذكور لأن ذلك قد ورد النهي فيه، وليس لنا أن نشرع أحكاماً من

قبلنا: ﴿أَمْرٌ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾^(١)

فمن منع زيارة قبر النبي ﷺ فقد شرع من الدين والتعظيم والوقوف عند الحد الذي لا يجوز مجاوزته بالأدلة الشرعية، وبذلك يحصل الأمر من عبادة غير الله تعالى، ومن أراد الله ضلاله من أفراد الجهال فلن يستطيع أحد هدايته.

فمن ترك شيئاً من التعظيم المشروع لنصب النبوة زاعماً بذلك الأدب مع الربوبية فقد كذب على الله تعالى وضيع ما أمر به في حق رسوله، كما أن من أفرط وجاوز الحد إلى جانب الربوبية، فقد كذب على رسول الله وضيع ما أمروا به في حق ربهم ﷺ، والعدل حفظ ما أمر الله به في الجانبين، وليس في الزيارة المشروعة من التعظيم ما يفضي إلى محذور.

وعقد السبكي أيضاً في صفحة ٢٠٩ باباً في كون السفر إلى الزيارة قربة، وبسط القول فيه وأثبته بالكتاب والسنة والإجماع والقياس.

واستدل عليه من الكتاب بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ بتقريب صدق الهجيء، وعدم الفرق بين حياته ومماته ﷺ.

ومن السنة بعموم قوله ﷺ: «من زار قبري...».

وصريح صحيحة ابن السكن: «من جاءني زائراً لا تحلمه حاجة إلا زيارتي...»^(٢).

(١) الشورى: ٢١.

(٢) وقد استفاد السبكي من كلمة الزيارة محبوبة السفر إليها، فقال: إن لفظ الزيارة يستدعي الانتقال من مكان الزائر إلى مكان المزارع كلفظ الهجيء الذي

وبما دل من السنة على خروج النبي من المدينة لزيارة القبور، وإذا جاز الخروج إلى القريب جاز إلى البعيد، فقد ثبت في الصحيح خروجه إلى البقيع بأمر من الله تعالى، وتعليم عائشة كيفية السلام على أهل البقيع، وخروجه إلى قبور الشهداء.

ثم قال الرابع: الإجماع، لإطباق السلف والخلف، فإن الناس لم يزالوا في كل عام إذا قضوا الحج يتوجهون إلى زيارته ﷺ ومنهم من يفعل ذلك قبل الحج هكذا شاهدناه وشاهدنا من قبلنا، وحكاها العلماء عن الأعصار القديمة كما ذكرناه في الباب الثالث.

وذلك أمر لا يرتاب فيه، وكلهم يقصدون ذلك ويعرجون إليه، وإن لم يكن طريقهم، ويقطعون فيه مسافة بعيدة وينفقون فيه الأموال ويبدلون فيه المهج معتقدين أن ذلك قرينة وطاعة.

وإطباق هذا الجمع العظيم من مشارق الأرض ومغاربها على عمر السنين وفيهم العلماء والصلحاء وغيرهم يستحيل أن يكون خطأ وكلهم يفعلون ذلك على وجه التقرب به إلى الله ﷻ، ومن تأخر عنهم من المسلمين فإثما يتأخر بعجز أو تعويق المقادير مع تأسفه عليه ووثه لو تيسر له.

ومن ادعى أن هذا الجمع العظيم مجمعون على خطأ فهو المخطئ^(١). انتهى ما انتخبناه من كلمات الحافظ السبكي، وقد أكثر في نقل

نصت عليه الآية الكريمة. وقال أيضاً: ولهذا أن من كان عند الشخص دائماً لا يحصل الزيارة منه، ولهذا تقول: زرت فلاناً من المكان الفلاني وزرنا النبي من مصر أو من الشام فتجعل ابتداء زيارتك من ذلك المكان، فالسفر داخل تحت اسم الزيارة من هذا الوجه، فإن كانت كل زيارة قرينة، كان كل سفر إليها قرينة. شفاء السقام: ٢٠١.

(١) شفاء السقام: ٢١١ ط الرابعة.

كلماته لما فيها من التوعية لمن أراد الوعي والسداد.

١٤- قال زين الدين أبو بكر بن عمر القرشي العثماني المصري المراغي المتوفى ٨١٦ في (تحقيق النصره في تاريخ دار الهجرة): وينبغي لكل مسلم اعتقاد كون زيارته ﷺ قربة عظيمة، للأحاديث الواردة في ذلك، ولقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ...﴾ الآية، لأن تعظيمه لا ينقطع بموته.

ولا يقال: إن استغفار الرسول لهم إنما هو في حياته وليست الزيارة كذلك.

لما أجاب به بعض الأئمة المحققين من أن الآية دلت على تعليق وجدان الله تعالى تواباً رحيماً بثلاثة أمور: المحيي واستغفارهم واستغفار الرسول لهم، وقد حصل استغفار الرسول لجميع المؤمنين، لأنه قد استغفر للجميع، قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(١) فإذا وجد مجيئهم واستغفارهم كملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله تعالى ورحمته^(٢).

١٥- قال الإمام تقي الدين الحصني الدمشقي الشافعي بعد نقله لفتوى ابن تيمية بأن زيارة النبي ﷺ وقبور الأنبياء معصية بالإجماع مقطوع به.

فانظر هذه العبارة ما أعظم الفجور فيها؛ من كون ذلك معصية ومن ادعى الإجماع وأن ذلك مقطوع به؟ فهذا الزائغ يطالب بما ادعاه من إجماع

(١) محمد: ١٩.

(٢) تحقيق النصره في تاريخ دار الهجرة، والمواهب اللدنية للقسطلاني ٣: ٤٠٥ طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

١٩٦ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

الصحابة رضي الله عنهم، وكذا التابعون ومن بعدهم من أئمة المسلمين إلى حين ادعائه ذلك، وما اعتقد على أن أحداً يتجاسر على مثل ذلك.

مع أن الكتب المشهورة، بل والمهجورة، وعمل الناس في سائر الأعصار على الحث على زيارته من جميع الأقطار، فزيارته من أفضل المساعي وأنجح القرب إلى رب العالمين، وهي سنة من سنن المرسلين، وجمع عليها عند الموحدين، ولا يطعن فيها إلا من في قلبه مرض المنافقين، ومن هو من أفراخ اليهود وأعداء الدين؛ من المشركين الذين أسفروا في ذم سيد الأولين والآخرين.

ولم تزل هذه الأمة المحمدية على شد الرحال إليه على ممر الأزمان، من جميع الأقطار والبلدان، سار في ذلك الزرافات والوحدان، والعلماء والمشايخ والكهول والشبان، حتى ظهر في آخر الزمان مبتدع من زنادقة حرّان، لبس على أشباه الرجال ومن شابههم من سبع الأذهان وزخرف لهم من القول غروراً، كما صنع إمامه الشيطان، فصدّهم بتمويهه عن سبيل أهل الإيمان، وأغواهم عن الصراط المستقيم إلى ثنيات الطريق ومدرجة النيران، فهم برزيتة في ظلمة الخطأ يعمهون، وعلى منوال بدعته يهرعون^(١).

وقد ذكر فتاوى العلماء باستحباب زيارة القبور، ثم رد عليه في سائر كلماته مثل كلمته في حديث شد الرحال...

١٦- وعقد تقي الدين أحمد بن علي المقرئ المتوفى سنة ٨٤٥ في كتابه إمتاع الأسماع باباً في ذكر ما جاء في زيارة قبر النبي ﷺ وما ظهر من قبره مما هو من أعلام نبوته، وفضيلة من زاره وسلم عليه، وكيف يسلم ويدعو.

(١) دفع الشبه عن الرسول ﷺ والرسالة للحصني الدمشقي: ١٦٧ - ١٦٨ ط الثانية.

فابتدأ أولاً بذكر الأحاديث الواردة في زيارته ﷺ، ثم قصة الأعرابي المتقدمة، ثم بعض الآداب وأقوال العلماء في الزيارة ونحويتها^(١)

١٧ - قال السمهودي الشافعي المتوفى ٩١١ بعد ذكر أحاديث الباب: وأما الإجماع: فقال عياض: زيارة قبره ﷺ سنة بين المسلمين مجمع عليها، وفضيلة مرغوب فيها.

وأجمع العلماء على استحباب زيارة القبور للرجل، كما حكه النووي، بل قال بعض الظاهرية بوجوبها، وقد اختلفوا في النساء، وقد امتاز القبر الشريف بالأدلة الخاصة به كما سبق.

وذكر كلام السبكي وهو: ولهذا أقول: إنه لا فرق في زيارته ﷺ بين الرجل والنساء، وقال الجمال الرمي في التقفيه: يستثنى أي من محل الخلاف قبر النبي ﷺ وصلحبيه، فإن زيارتهم مستحبة للنساء بلا نزاع، كما اقتضاه قولهم في الحج، ويستحب لمن حج أن يزور قبر النبي ﷺ وحينئذ فيقال معاية: قبورٌ يستحب زيارتها للنساء بالاتفاق، وقد ذكر ذلك بعض المتأخرين وهو اللمنهوري الكبير، وأضاف إليه قبور الأولياء والصلحين والشهداء.

ثم بسط القول في أن السفر للزيارة قرينة كالزيارة نفسها^(٢).

١٨ - قال الحافظ أبو العباس القسطلاني المصري المتوفى ٩٢٣ في (المواهب اللدنية):

الفصل الثاني في زيارة قبره الشريف ومسجده المنيف: أعلم أن زيارة قبره الشريف من أعظم القربات وأرجى الطاعات والسبيل إلى أعلى

(١) إمتاع الإسماع للمقريزي ١٤: ٦٠٨ منشورات محمد علي بيضون (دار الكتب العلمية - بيروت).

(٢) وفاء الوفا للسمهودي ٤: ١٣٦٢ ط دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٩٨ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

الدرجات، ومن اعتقد غير هذا فقد انحلع من ربة الإسلام، وخالف الله ورسوله وجماعة العلماء الأعلام.

وقد أطلق بعض المالكية وهو أبو عمران الفاسي، كما ذكره في المدخل عن تهذيب الطالب لعبد الحق: أنها واجبة. قال: ولعله أراد وجوب السنن المؤكدة.

وقال القاضي عياض: إنها من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها.

وذكر جملة من الأحاديث الواردة في زيارته ﷺ ثم قال: وقد أجمع المسلمون على استحباب زيارة القبور كما حكاه النووي وأوجبها الظاهرية، فزيارته ﷺ مطلوبة بالعموم والخصوص كما سبق، ولأن زيارة القبور تعظيم، وتعظيمه ﷺ واجب، ولهذا قال بعض العلماء: لا فرق في زيارته ﷺ بين الرجال والنساء، وإن كان محل الإجماع على استحباب زيارة القبور للرجال وفي النساء خلاف، والأشهر في مذهب الشافعي الكراهة.

قال ابن حبيب من المالكية: ولا تدع في زيارة قبره ﷺ والصلاة في مسجده فإن فيه من الرغبة مالا غنى بك وبأحد عنه.

وينبغي لمن نوى الزيارة أن ينوي مع ذلك زيارة مسجده الشريف والصلاة فيه، لأنه أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها وهو أفضلها عند مالك، وليس لشد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة فضل، لأن الشرع لم يجز به، وهذا الأمر لا يدخله قياس، لأن شرف البقعة إنما يعرف بالنص الصريح عليه وقد ورد النص في هذه دون غيرها، وقد صح عن عمر بن عبد العزيز، كان يبرد البريد للسلام على النبي ﷺ فالسفر إليه قرينة لعموم الأدلة.

ومن نذر الزيارة وجبت عليه كما جزم به ابن كج من أصحابنا

وعبارته: إذا نذر زيارة قبر النبي ﷺ لزمه الوفاء وجهاً واحداً. انتهى.

ثم قال القسطلاني: وللشيخ تقي الدين ابن تيمية هنا كلام شنيع عجيب يتضمن منع شد الرحال للزيارة النبوية وأنه ليس من القرب، بل بضد ذلك، ورد عليه الشيخ تقي الدين السبكي في شفاء السقام فشفى صدور المؤمنين^(١).

١٩- قال الملا علي القاري الحنفي المتوفى سنة ١٠١٤ هجرية في المجلد الثاني من شرح الشفاء: قد فرط ابن تيمية من الخنابلة، حيث حرم السفر لزيارة قبر النبي ﷺ، كما أفرط غيره حيث قال: كون الزيارة قريبة، معلوم من الدين بالضرورة وجاحده محكوم عليه بالكفر.

ولعل الثاني أقرب إلى الصواب، لأن تحريم ما أجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفراً، لأنه فوق تحريم المباح المتفق عليه في هذا الباب، نعم يمكن حمل كلام من حرّم أو كره على صورة خاصة من الزيارة من الاجتماع في وقت خاص على هيئة منكرة أو صفة مكروهة من اجتماع الرجال والنساء في وقت واحد لما فيه من اتخاذ قبره عيداً والموجب لما أورد فيه وعيداً^(٢).

٢٠- قال ابن حجر الهيتمي المكي الشافعي المتوفى ٩٣٧ هـ بعد ما استدلل على مشروعية زيارة قبر النبي بعبء أدلة التي منها الإجماع: فإن قلت: كيف تحكي الإجماع على مشروعية الزيارة والسفر إليها وطلبها وابن تيمية من متأخري الخنابلة منكر لمشروعية ذلك كله كما راه السبكي في خطه؟! وقد أطال ابن تيمية الاستدلال لذلك بما تمجّه الأسماع، وتفرع عنه الطباع.

(١) المواهب اللدنية للقسطلاني ٣: ٤٠٣ ط دار كتب العلمية بيروت.

(٢) شرح الشفاء للملا علي القاري الحنفي ٢: ١٥٢ ط دار الكتب العلمية -

٢٠٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

بل زعم حرمة السفر لها إجماعاً، وأنه لا تقصر فيه الصلاة، وأن جميع الأحاديث الواردة فيها موضوعة، وتبعه بعض من تأخر عنه من أهل مذهبه.

قلت: من هو ابن تيمية، حتى ينظر إليه أو يعول في شيء من الدين عليه، وهل هو إلا كما قال جماعة من الأئمة الذين تعقبوا كلماته الفاسدة وحججه الكاسدة حتى أظهرواعوار سقطاته وقبائح أوهامه وغلطاته، كالعز بن جماعة:

عبد أضله الله تعالى وأغواه، وألبسه رداء الخزي وأرداه، وبوأه من قوة الافتراء والكذب ما أعقبه الهوان وأوجب له الحرمان.

ولقد تصدى شيخ الإسلام وعالم الأنام المجمع على جلالته واجتهاده وصلاحه وإمامته التقي السبكي قدس الله روحه ونور ضريحه للرد عليه في تصنيف مستقل أفاد فيه وأجاد وأصاب وأوضح بياهر حججه طريق الصواب.

ثم قال: هذا وما وقع من ابن تيمية مما ذكر وإن كان عثرة لا تقال أبداً ومصيبة يستمر شؤمها سرمداً، وليس بعجيب، فإنه سولت له نفسه وهواه وشيطانه أنه ضرب مع المجتهدين بسهم صائب، وما درى المحروم أنه أتى بأقبح المعائب، إذ خالف إجماعهم في مسائل كثيرة، وتدارك على أئمتهم سيما الخلفاء الراشدين باعترافات سخيفة شهيرة حتى تجاوز إلى الجنب الأقدس المنزه، سبحانه عن كل نقص والمستحق لكل كمال أنفس، فنسب إليه الكبائر والعظام، وخرق سياج عظمته بما أظهره للعامّة على المنابر، من دعوى الجهة والتجسيم، وتضليل من لم يعتقد ذلك من المتقدمين والمتأخرين.

حتى قام عليه علماء عصره وألزموا السلطان بقتله أو حبسه وقهره، فحبسه إلى أن مات، وخمدت تلك البدع، وزالت تلك الضلالات،

ثم انتصر له اتباع لم يرفع الله لهم رأساً، ولم يظهر لهم جاهها ولا بأساً، بل ضربت عليهم الذلة والمسكنة وبنوا بغضب من الله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون^(١).

٢١ - قال الشيخ حسن بن عمار الشرنبلالي في (مراقي الفلاح بإمداد الفتاح): زيارة النبي ﷺ من أفضل القربات وأحسن المستحبات تقرب من درجة ما لزم من الواجبات، فإنه ﷺ حرّض عليها وبالغ في الندب إليها.

فقال ﷺ: «من وجد سعة فلم يزرني فقد جفاني» وقال ﷺ: «من زار قبري وجبت له شفاعتي» وقال ﷺ: «من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي».

إلى غير ذلك من الأحاديث، ومما هو مقرر عند المحققين: إنه ﷺ حيّ يرزق تمتع بجميع الملاذ والعبادات، غير أنه حجب عن أبصار القاصرين عن شرف المقامات، ورأينا أكثر الناس غافلين عن أداء حق زيارته وما يسن للزائرين الجزئيات والكلديات أحببنا أن نذكر بعد المناسك وآدابها ما فيه نبذة من الآداب تنميماً لفائدة الكتاب.

ثم ذكر شيئاً كثيراً من آداب الزائر والزيارة....^(٢).

٢٢ - قال قاضي القضاة شهاب الدين الخفاجي الحنفي المصري المتوفى ١٠٦٩ هجرية: واعلم أن هذا الحديث هو الذي دعا ابن تيمية ومن معه كابن القيم إلى مقاله الشنيعة التي كفروا بها، وصنّف فيها السبكي

(١) الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم لابن حجر الهيتمي: ١٣ ط سنة ١٢٧٩ بمصر.

(٢) مراقي الفلاح في شرح متن نور الإيضاح ٢٩٣ - ٢٩٣ ط محمد علي صبيح بمصر.

٢٠٢ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

مصنفاً مستقلاً وهي منة من زيارة قبر النبي ﷺ وشد الرحال إليه وهو كما قيل:

لمهبط الوحي حقاً ترحل النجب وعند ذاك المرجى ينتهي الطلب

فتوهم أنه حمى جانب التوحيد بحرافات لا ينبغي ذكرها، فإنها لا تصدر عن عاقل فضلاً عن فاضل، سأل الله تعالى.

وأما قوله ﷺ: «لا تتخذوا قبوري عيداً»، فقيل: كره الاجتماع عنده في يوم معين على هيئة مخصوصة.

وقيل المراد لا تزورون في العام مرة فقط، بل أكثرها الزيارة له.

وأما احتمال النهي عنها فهو بفرض أنه المراد، محمول على حالة مخصوصة، أي لا تتخذوه كالعيد في العكوف عليه وإظهار الزينة عنده وغيره مما يجتمع له في الأعياد، بل لا يؤتى إلا للزيارة والسلام والدعاء ثم ينصرف.

وقال في موضع آخر في شرح حديث: «لا تجعلوا قبوري عيداً» أي كالعيد باجتماع الناس، وقد تقدم تأويل الحديث وأنه لا حجة فيه لما قاله ابن تيمية وغيره، فإن إجماع الأمة على خلافه يقتضي تفسيره بغير ما فهموه فإنه نزعة شيطانية^(١).

٢٣- قال الشيخ عبد الرحمن شيخ زاده المتوفى ١٠٨٧: من أحسن

المندوبات، بل يقرب من درجة الواجبات زيارة قبر نبينا وسيدنا محمد ﷺ وقد حرّض ﷺ على زيارته وبالغ في الندب إليها بمثل قوله ﷺ: «من زار قبوري..»، فذكر ستة من أحاديث الباب ثم قال: فإن كان الحج فرضاً

(١) شرح الشفاء للخفاجي ٣: ٥٦٦ - ٥٧٧ المطبعة العثمانية سنة ١٣١٥، وحكاة

النبهاني في شواهد الحق: ١٨٤.

فالأحسن أن يبدأ به إذا لم يقع في طريق الحاج المدينة المنورة ثم يثني بالزيارة، فإذا نواها فلينو زيارة مسجد الرسول ﷺ، ثم ذكر جملة كبيرة من آداب الزائر^(١).

٢٤- قال الشيخ محمد بن علي بن محمد الحصني المعروف بعلاء الدين الحصكفي الحنفي المفتي بدمشق المتوفى ١٠٨٨ في الدر المختار في شرح تنوير الأبصار في آخر كتاب الحج: وزيارة قبره ﷺ مندوبة، بل قيل واجبة لمن له سعة، ويبدأ بالحج لو فرضاً، ويخير لو نفلاً ما لم يمر به، فيبدأ بزيارته لا محالة، ولينو معه زيارة مسجده ﷺ^(٢).

٢٥- قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: تسن زيارة النبي ﷺ إلا أنه لا يشد الرحال إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه^(٣).

وقد لاحظت أنه بحسب الظاهر قد اعترف باستحباب زيارة النبي ﷺ، حيث لا يجتزأ أحد في مخالفة تلك النصوص والأدلة صريحاً، إلا أنهم يوقعون الخدشة في الروايات ويكذبونها من حيث الإسناد، وهكذا سائر الأدلة ومنه يفهم عدم اعتقادهم بأصل الزيارة.

٢٦- قال أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي المصري المتوفى ١١٢٢: قد كانت زيارته مشهورة في زمن كبار الصحابة معروفة بينهم، لما صالح عمر بن الخطاب أهل بيت المقدس جاء كعب الأحبار فأسلم ففرح به وقال: هل لك أن تسير معي إلى المدينة وتزور قبره ﷺ وتمتّع بزيارته قال: نعم^(٤).

(١) مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر ١: ١٥٧.

(٢) الدر المختار في شرح تنوير الأبصار ٢: ٦٨٨ ط دار الفكر.

(٣) الهدية السنية، الرسالة الثالثة.

(٤) شرح المواهب للزرقاني ٨: ٦٨٨ ط دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٠٤ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

٢٧- قال أبو الحسن السندي محمد بن عبد الهادي الحنفي المتوفى ١١٣٨هـ: قال الدميري: فائدة: زيارة النبي ﷺ من أفضل الطاعات وأعظم القربات لقوله ﷺ: «من زار قبري وجبت له شفاعتي».

رواه الدار قطني وغيره وصححه عبد الحق، ولقوله ﷺ: «من جائي زائراً لا تحمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً علي أن أكون له شفيعاً يوم القيامة».

رواه جماعة منهم الحافظ أبو علي ابن السكن في كتابه المسمى بالسنن الصحاح، فهذان إمامان صححاهذين الحديثين وقولهما أولى من قول من طعن في ذلك^(١).

٢٨- قال الشيخ محمد بن علي الشوكاني المتوفى ١٢٥٠: قد اختلف فيها - في زيارة النبي - أقوال أهل العلم، فذهب الجمهور إلى أنها مندوبة وذهب بعض المالكية وبعض الظاهرية إلى أنها واجبة، وقالت الحنفية إنها قريبة من الواجبات، وذهب ابن تيمية الحنبلي حفيد المصنف المعروف بشيخ الإسلام إلى أنها غير مشروعة.

ثم فصل الكلام في الأقوال إلى أن قل: واحتج أيضاً من قال بالمشروعية بأنه لم يزل دأب المسلمين القاصدين للحج في جميع الأزمان على تباين الديار واختلاف المذاهب، الوصول إلى المدينة المشرفة لقصد زيارته وبعدهون ذلك من أفضل الأعمال ولم ينقل أن أحداً أنكر ذلك عليهم فكان إجماعاً^(٢).

٢٩ - قال الشيخ محمد أمين بن عابدين المتوفى ١٢٥٣هـ في (رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار) عند شرح العبارة المذكورة في

(١) شرح سنن ابن ماجه للسندي ٢: ٢٦٨.

(٢) نيل الأوطار ٥: ١٧٨ دار الجليل بيروت.

المتن - مندوبة -: أي زيارة قبر النبي ﷺ - بإجماع المسلمين كما في الباب... إلى أن قال: وهل تستحب زيارة قبره ﷺ للنساء؟ الصحيح: نعم بلا كراهة بشروطها على ما صرح به بعض العلماء.

أما على الأصح من مذهبنا وهو قول الكرخي وغيره، من أن الرخصة في زيارة القبور ثابتة للرجال والنساء جميعاً، فلا إشكال.

وأما على غيره فذلك نقول بالاستحباب لإطلاق الأصحاب.

بل قيل: واجبة، ذكره في شرح اللباب، وقال: كما بينته في الدرّة المضية في الزيارة المصطفوية، وذكره أيضاً الخير الرملي في حاشيته (المنح) عن ابن حجر وقال: وانتصر له. نعم عبارة اللباب والفتح وشرح المختار أنها قريية من الوجوب لمن له سعة.

إلى أن قال: قال ابن الهمام: والأولى فيما يقع عند العبد الضعيف: تجريد النية لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام، ثم يحصل له إذا قدم زيارة المسجد، أو يستمنح فضل الله تعالى في مرة أخرى ينويها، لأن في ذلك زيادة تعظيمه ﷺ وإجلاله، ويوافق ظاهر ما ذكرناه من قوله ﷺ: «من جاءني زائراً لا تحمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً عليّ أن أكون شفيحاً له يوم القيامة» إلخ.

ونقل الرحمتي عن العارف الملا جامي: أنه أفرز الزيارة عن الحج حتى لا يكون له مقصد غيرها في سفره ثم ذكر حديث: «لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد»، فقال: والمعنى كما أفاده في (الإحياء) أنه لا تشد الرحال لمسجد من المساجد إلا لهذه الثلاثة لما فيها من المضاعفة بخلاف بقية المساجد فإنها متساوية في ذلك، فلا يرد أنه قد تشد الرحال لغير ذلك كصلة رحم وتعلم علم، وزيارة المشاهد بقبر النبي ﷺ وقبر الخليل وسائر

٢٠٦ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟
الأئمة^(١).

٣٠ - قال الشيخ محمد بن السيد درويش الحوت البيروتي المتوفى ١٢٧٦هـ: زيارة النبي ﷺ مطلوبة لأنه واسطة الخلق، وزيارته بعد وفاته كالهجرة إليه في حياته، ومن أنكرها فإن كان ذلك إنكاراً لها من أصلها فخطؤه عظيم، وإن كان لما يعرض من الجهلة عما لا ينبغي فليبين ذلك^(٢).

٣١ - قال الشيخ حسن العدوي الحمزاوي الشافعي المتوفى ١٣٠٣هـ في (كنز المطالب) حيث خص خاتمة الكتاب في زيارة النبي وفصل القول فيها وذكر مطلوبيتها كتاباً وسنة وإجماعاً وقياساً وبسط الكلام في شد الرحل إلى ذلك القبر الشريف، وذكر جملة من آداب الزائر ووظائف الزيارة.

فقال في صفحة ١٩٥ بعد نقل جملة من الأحاديث الواردة في أن النبي ﷺ يسمع سلام زائريه ويرد عليهم: إذا علمت ذلك علمت أن رده ﷺ سلام الزائر بنفسه الكريمة ﷺ أمر واقع لا شك فيه، وإنما الخلاف في رده على المسلم عليه من غير الزائرين، فهذه فضيلة أخرى عظيمة ينالها الزائرون لقبره ﷺ، فيجمع الله لهم بين سماع رسول الله ﷺ لأصواتهم من غير واسطة وبين رده عليهم لسلامهم بنفسه.

فأني لمن سمع هذين، بل بأحدهما أن يتأخر عن زيارته ﷺ!؟ أو يتوانى عن المبادرة إلى المثول في حضرته ﷺ!؟ تا الله ما يتأخر عن ذلك مع القدرة عليه إلا من حق عليه البعد من الخيرات والطرده عن مواسم اعظم القربات، أعاذنا الله تعالى من ذلك بمنه وكرمه آمين.

وعلم من تلك الأحاديث أيضاً أنه ﷺ حي على الدوام، إذ من المحال العادي أن يخلو الوجود كله عن واحد يسلم عليه في ليل أو نهار،

(١) حاشية رد المختار على الدر المختار لابن عابدين ٢: ٦٨٩ ط دار الفكر بيروت.

(٢) الحوت بيروتي في تعليقه على حسن الأثر: ٢٤٦.

فنحن نؤمن ونصدق بأنه ﷺ حي يرزق، وإن جسده الشريف لا تأكله الأرض، وكذا سائر الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام والإجماع على هذا^(١).

٣٢ - قال محمد بن عبد الله الجرداني الدمياطي الشافعي المتوفى ١٣٠٧: قل بعضهم: ولزائر النبي ﷺ عشر كرامات: إحداهن: يعطى أرفع المراتب. الثانية: يبلغ أسنى المطالب. الثالثة قضاء المآرب. الرابعة: بذل المواهب. الخامسة: الأمن من المعاطب. السادسة: التطهير من المعايب. السابعة: تسهيل المصائب. الثامنة: كفاية النوائب. التاسعة: حسن العواقب. العاشرة: رحمة رب المشارق والمغارب.

وما أحسن ما قيل:

هنيثا لمن زار خير الوري وحط عن النفس أوزارها
فإن السعادة مضمونة لمن حلّ طيبة أو زارها

وبالجملّة فزيارة قبره ﷺ من أعظم الطاعات وأفضل القربات حتى أن بعضهم جرى على أنها واجبة، فينبغي أن يحرص عليها وليحذر من التخلف عنها مع القدرة وخصوصاً بعد حجة الإسلام، لأن حقه ﷺ على أمته عظيم، ولو أن أحدهم يجيء على رأسه أو على بصره من أبعد موضع من الأرض لزيارته ﷺ لم يقم بلحق الذي عليه لنبيه. جزاه الله عن المسلمين أتم الجزاء.

زر من تحب وإن شطت بك الدار وحل من دونه ترب وأحجار
لا يمنعنك بُعد عن زيارته إن المسحب لمن يهواه زوار

ثم ذكر ما يسن من آداب الزيارة والقول فيها والمواضع والمزارات

(١) كنز المطالب للحمزاوي ١٧٩ - ١٣٩.

التي تزار...^(١).

٣٣ - قال الشيخ عبد الباسط بن الشيخ علي الفناخوري مفتي بيروت في (الكفاية لذوي العناية):

الفصل الثاني عشر: في زيارة النبي ﷺ وهي متأكدة مطلوبة ومستحبة محبوبة، وتسبب زيارته في المدينة كزيارته حياً وهو في حجرته حي يردّ على من سلم عليه، السلام، وهي من أنجح المساعي وأهم القربات وأفضل الأعمال وأزكى العبادات، وقد قال ﷺ: «من زار قبري وجبت له شفاعتي».

ومعنى وجبت: ثبتت بالوعد الصالح الذي لا بد من وقوعه وحصوله، وتحصل الزيارة في أي وقت، وكونها بعد تمام الحج أحب، ويجب على من أراد الزيارة التوبة من كل شيء يخالف طريقته وسننه ﷺ.

ثم ذكر شرطاً وافراً من آداب الزيارة والقول فيها والمواضع المباركة التي يستحب التبرك بها، مثل الاسطوانات^(٢).

٣٤ - قال الشيخ عبد المعطي السقا: زيارة النبي ﷺ: إذا أراد الحاج أو المعتمر الانصراف من مكة أدام الله تشریفها وتعظيمها طلب منه أن يتوجه إلى المدينة المنورة للفوز بزيارته عليه الصلاة والسلام، فإنها من أعظم القربات وأفضل الطاعات وأنجح المساعي المشكورة، ولا يختص طلب الزيارة بالحاج غير أنها في حقه أكد، والأولى تقديم الزيارة على الحج إذا اتسع الوقت فإنه ربما يعوقه عنها عائق.

وقد ورد في فضل زيارته ﷺ أحاديث، منها قوله ﷺ: «من زار قبري وجبت له شفاعتي».

(١) مصباح الغلام للدمياطي ٢: ١٤٥.

(٢) الكفاية لذوي العناية للفناخوري: ١٢٥.

وينبغي الحرص عليها وعدم التخلف عنها عند القدرة على أدائها خصوصاً بعد حجة الإسلام لأن حقه ﷺ على أمته عظيم وينبغي لمريد الزيارة أن يكثر من الصلاة والسلام عليه، ثم ذكر الآداب والقول فيها...^(١).

٣٥ - قال الشيخ محمد زاهد الكوثري: والأحاديث في زيارته ﷺ في الغاية من الكثرة، وقد جمع طرقها صلاح الدين العلاني في جزء كما سبق، وعلى العمل بموجبها استمرت الأمة إلى أن شدَّ ابن تيمية عن جماعة المسلمين في ذلك.

قال علي القاري في شرح الشفاء: وقد فرط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرم السفر لزيارة النبي ﷺ كما أفرط غيره حيث قال: كون الثاني قرية معلوم من الدين بالضرورة وجاحده محكوم عليه بالكفر، ولعل الثاني أقرب إلى الصواب لأن تحريم ما أجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفوفاً لأنه فوق تحريم المباح المتفق عليه.

ثم قال الكوثري: فسعيه في منع الناس من زيارته ﷺ يدل على ضغينة كامنة فيه نحو الرسول، وكيف يتصور الإشراك بسبب الزيارة والتوسل في المسلمين الذين يعتقدون في حقه أنه عبده ورسوله وينطقون بذلك في صلاتهم نحو عشرين مرة في كل يوم على أقل تقدير إدامة لذكرى ذلك؟! ولم يزل أهل العلم ينهون العوام عن البدع في كل شؤونهم، ويرشدونهم إلى السنة في الزيارة أو التوسل، كيف وقد أنقذهم الله من الشرك وأدخل في قلوبهم الإيمان!؟.

وأول من رماهم بالإشراك بتلك الوسيلة هو ابن تيمية وجرى خلفه من أراد استباحة أموال المسلمين ودمائهم لحاجة في النفس، ولم يخف ابن

(١) الإرشادات السنوية للسقاء: ٢٦٠.

٢١٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

تيمية من الله في رواية عدّ السفر لزيارة النبي ﷺ سفر معصية لا تقصر فيه الصلاة، عن الإمام ابن الوفاء ابن عقيل الحنبلي - وحاشاه عن ذلك - راجع كتاب (التذكرة) له تجد فيه مبلغ عنايته بزيارة المصطفى ﷺ والتوسل به، كما هو مذهب الحنابلة.

ثم ذكر كلامه، وفيه القول باستحباب قدوم المدينة وزيارة النبي ﷺ وكيفية زيارته وسائر الزيارات.

ثم قال: وأنت رأيت نص عبارته في المسألة على خلاف ما يعزو إليه ابن تيمية^(١).

٣٦ - قال المفتي صدر الدين في منتهى المقال في شرح حديث لا تشد الرحل: قال الشيخ محمد البرلسي في كتابه إتحاف أهل العرفان برؤية الأنبياء والملائكة والجان: وقد تجاسر ابن تيمية الحنبلي عامله الله بعدله، وادعى أن السفر لزيارة قبر النبي ﷺ حرام وأن الصلاة لا تقصر فيه لعصيان المسافر به، وأطال في ذلك بما تمججه الأسماع وتنفر عنه الطباع وقد عاد شؤم كلامه عليه، إلى أن قال: وخالف الأئمة المجتهدين في مسائل كثيرة واستدرك على الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيفة حقيرة فسقط عن أعين علماء الأمة وصار مثله بين العوام فضلاً عن الأئمة وتعقب العلماء كلماته الفاسدة وزيفوا حججه الداحضة الكاسدة وأظهروا عوار سقطاته وبينوا قبائح أوامره وغلطاته^(٢).

٣٩ - قال فقههاء المذاهب الأربعة المصريين في كتاب (الفقه على المذاهب الأربعة): زيارة قبر النبي ﷺ أفضل المندوبات، وقد ورد فيها

(١) تكملة السيف الصقيل في الرد على ابن زقيل للكوثري: ١٩٧.

(٢) حكاة السيد الأمين ﷺ في كشف الارتباب: ٢٧١ وحكاة أيضاً الكثيري في

السلفية بين أهل السنة والأمامية: ٢٨١.

أحاديث.

ثم ذكروا ستة من الاحاديث، وجملة من أدب الزائر، وزيارة للنبي ﷺ وأخرى للشيخين^(١).

٤٠ - قال أبو العباس السروجي في (الغاية): إذا انصرف الحاج والمعتمرون من مكة، فليتوجهوا إلى طيبة مدينة الرسول ﷺ وزيارة قبره، فإنها من أنجح المساعي^(٢).

٤١ - وفي كتاب (الفقه على المذاهب الخمسة): تستحب زيارة النبي الأعظم ﷺ استحباباً مؤكداً، فقد ثبت أنه ﷺ قال: «من زار قبري بعد موتي كمن هاجر إليّ في حياتي».

وفيه أيضاً: يتأكد استحباب الصلاة في مسجد الرسول، أكثر أن تقع بين قبره ومنبره، فإنها روضة من رياض الجنة، كما ثبت بالحديث.

وتستحب زيارة قبور الشهداء بخاصة قبر حمزة رضي الله عنه بأحد.

وتستحب زيارة أئمة البقيع وهم: الإمام الحسن، والإمام زين العابدين والإمام الباقر والإمام الصادق عليهم أفضل الصلاة والسلام.

أما زيارة فاطمة أم الحسين، فكزيارة أبيها، لأنها بضعة منه، وقد تعددت الأقوال في مكان قبرها الشريف، والأقرب والأصوب أنها دفنت في بيتها المجاور لمسجد أبيها، وحين زاد الأمويون في المسجد صار القبر من جملته^(٣).

٤٤ - قال الدكتور بيومي مهران أستاذ كلية الآداب في الإسكندرية:

(١) الفقه على المذاهب الأربعة ١ : ٥٩٠.

(٢) حكاة السبكي في شفاء السقام: ١٥٧ ط الرابعة.

(٣) الفقه على المذاهب الخمسة محمد جواد مغنّية : ٢٨٤.

٢١٢ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

وأما الإجماع: فلقد قال القاضي عياض: زيارة قبر النبي ﷺ سنة بين المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغّب فيها، ويقول النهائي في الأنوار الحمديّة: إعلم أن زيارة قبره الشريف ﷺ من أعظم القربات، وأرجى الطاعات، والسبيل إلى أعلى الدرجات، ومن اعتقد غير هذا فقد المخلع من ربة الإسلام، وخالف الله ورسوله وجماعة العلماء الأعلام.

هذا ويذهب الحنفية إلى أن زيارة قبر النبي ﷺ من أفضل المندوبات والمستحبات، بل تقرب من درجة الواجبات، وكذلك نص عليه المالكية والحنابلة، وقد أوضح السبكي نقولهم وسردها في كتابه في الزيارة.

ويقول الحافظ ابن حجر العسقلاني: إن الزيارة لقبر النبي ﷺ من أفضل القربات والأعمال الموصلة إلى ذي الجلال، وأن مشروعيتها ماشياً وراكباً محل إجماع بلا نزاع.

ثم قال: وأما دليل إجماع المسلمين، فمنها مشروعية زيارة القبور عموماً واستحبابها، وكان النبي ﷺ يذهب كل ليلة إلى البقيع يسلم على أهله ويدعو ويستغفر لهم، ومعلوم أن قبر الرسول ﷺ داخل في عموم القبور، فيسري عليه حكمها، ومنها ما ثبت من إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم على زيارة قبر النبي ﷺ كلما مرّوا على الروضة الشريفة...^(١)

٤٥ - قال الشيخ عبد العزيز حمد آل مبارك الإحسائي المالكي: يندب للحاج أن يذهب إلى المدينة للصلاة في مسجد رسول الله ﷺ وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام، لأن زيارته كما قال القاضي عياض سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغّب فيها.

وقال نور الدين القاري: وعن ادعى الإجماع النووي وابن الهمام.

(١) السيرة النبوية للدكتور محمد بيومي مهران ٣: ١١٩.

بل قيل إنها واجبة^(١).

ثم قال: ونبدأ الكلام على زيارة قبره بقصة الأعرابي التي تناقلتها الكتب المعتمدة، مع ما فيها من متعة النفس، وبعد نقل قصة الأعرابي وسندها قال:

أما الدليل على استحباب أو سنية زيارة قبره ﷺ: فإنه واضح من زيارته ﷺ باستمرار للقبور، وأمره بزيارتها، كما ورد في الأحاديث الصحيحة، منها ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «زوروا القبور فإنها تذكركم الموت». وتقدم في كتاب الجنائز عن مسلم وغيره أنه ﷺ كان يزور القبور ويقول: السلام عليكم... وأحاديث زيارته للقبور كثيرة.

وإذا كان النبي ﷺ يزور القبور بنفسه ويأمر بزيارتها، فإن قبره ﷺ أولى بالزيارة.

ثم ذكر الأحاديث الواردة في خصوص زيارة قبره ﷺ وطرقها والكلام في سندها صحةً وضعفاً، وختم كلامه بقوله فهذه الأحاديث وإن كان أكثرها ضعيفاً، فإن تعدد طرقها، وكون بعضها له شاهد بسند صحيح يرفعها إلى درجة الحسن لغيره.

قال سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم الشنقيطي في طلعة الأنوار:

وحيث تابع الضعيف معتبر فحسن لغيره وهو نظر
ما لم يكن لتهمة بالكذب أو الشذوذ فأنجباره أبي^(٢)

وبعد توضيح مفاد الشعر قال: وتقدم أن بعض هذه الأحاديث له

(١) شرح الشفاء لنور الدين القاري ٣: ٨٤١.

(٢) رفع الاستار عن محيا محدرات طلعة الأنوار: ٤٠.

٢١٤ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشع؟

سند يحتج به، قال في فتح الغفار: والجميع بعضها يقوي بعضاً، وعليه عمل المسلمين في جميع الأمصار، ويعدون ذلك من أفضل الأعمال...

مع أن الأحاديث الواردة في زيارة القبور على العموم صحيحة لا مطعن فيها وزيارة قبره ﷺ أولى بالمشروعية ولم يرد نص يعارض هذه الأحاديث.

ثم تعرض للحديث «لا تشد الرحال...» وقال: فمعناه على الأصح: لا تشد الرحال إلى مسجد للصلاة فيه، إلا إلى تلك المساجد، وبذلك يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، ثم ذكر أقوال العلماء في هذا الحديث وبعدها تعرض لأداب الزيارة^(١).

انتهى نقل أقوال ونصوص علماء المذاهب الأربعة وإجماعهم على مشروعية الزيارة واستحبابها وشد الرحل إليها، بل عن بعضهم التأكيد عليها والقول بوجوبها الكفائي.

وما نقلته لك ليس جميع أقوال علماء المذاهب، بل بعضها حيث لا يسع هذا الكراس استقصائها جميعاً، وكان ينبغي تأليف كتاب في استقصاء أقوال جميع العلماء حول الزيارة، حتى لا يبقى أي غبار وشبهة في المسألة.

فاتضح لك أنها من المسائل الضرورية والاتفاقية بين جميع الأمة الإسلامية سلفاً وخلفاً عدا الوهابية.

ومع هذا الإجماع والاتفاق وعمل الأصحاب والمسلمين سلفاً وخلفاً وعدم المنع والردع منهم، لا يُعتنى بتشكيكات واهية، ناشئة عن العداوة والحسد بالنسبة إلى الساحة النبوية، فإنهم أناس معلوم حالهم وقد ثبت

(١) تبين المسالك في شرح تدريب السالك إلى أقرب المسالك ٢: ٣٠٣ - ٣١٠ دار

المخرفهم وضاللتهم وشذوذهم عن المسلمين، فمخالفة مثلهم لا يضر بالإجماع، ولو أردنا أن نعتني بمثل هذه الشبه لما انعقد إجماع في أي مسألة أصلاً، ويلزم منه نفي أصل قطعي في الدين.

وأخيراً أرجو منك أيها القاري الكريم أن تعذرني بسبب التطويل في نقل هذه الأقوال، فإني لما طالعتها وجدتها مشتملة على مطالب مفيدة ورافعة لشبهات عديدة، فرأيت في نقلها مضافاً إلى تقوية الإجماع فوائد كثيرة منها:

١ - إن كثيراً من علماء المذاهب قد صرحوا بوجود الإجماع والاتفاق في استحباب زيارة خير الأنام.

٢ - إن غالب العلماء قد استدلوا على مشروعية الزيارة بروايات الباب التي كذبها المخالف المرتاب وقد اعتمدوا عليها وعملوا بها، وبه أبطلوا ادعاء عدم عمل الأصحاب.

٣ - قد صرح كثير منهم باستحباب شد الرحال والسفر من الأوطان إلى زيارة خير الأنام، ويستفاد من كلمات بعض آخر أيضاً، حيث أكد على استحباب زيارة النبي بعد قضاء الحج، وهو يتوقف على شد الرحل.

٤ - إن بعض العلماء لم يتعرض إلى مسألة المشروعية، بل تعرض إلى آداب زيارة قبر النبي ﷺ وكأنه كانت المسألة عنده من الضروريات، ولهذا لم يتكلم في أصل المشروعية، وهو دليل على الإجماع.

٥ - قد تعرض كثير منهم للجواب عن شبه ابن تيمية وأتباعه في هذه المسألة بحيث قد أظهروا زلاتهم وكشفوا عن حالهم للمسلمين، فلم يبق تأمل لأحد من المسلمين في إغرافهم وبطلان كلامهم وشذوذهم عن سنة خير المرسلين وسيرة المسلمين خاصة الصحابة والتابعين.

ولا يخفى أن ما ذكرناه من النصوص في الإجماع على مشروعية الزيارة

كلها من علماء المذاهب الأربعة.

وأما عند علماء الشيعة، فإنها من المسائل الاتفاقية الضرورية ولم يحظر ببال أحد من الشيعة علمائهم وعوامهم شيء يقف أمام مشروعية زيارة قبر النبي ﷺ والأئمة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين، بل قد جرت سيرتهم سلفاً وخلفاً على زيارة قبور الأنبياء والمرسلين والأولياء المقربين والشهداء والصالحين وسائر المؤمنين والتردد إلى قبورهم وتعظيم شأنهم وإحياء أمرهم، ولم يخالفهم أحدٌ من أئمة الدين، بل قد صدر الحث والترغيب والتأكيد منهم على هذا الأمر العظيم، فعدم التعرض لأقوالهم لا من جهة استصغار أمرهم، بل من جهة أن كل مخاطب لا بد من أن يتكلم معه على طريقته وعلى مرامه، حتى لا يبقى له أي عذر على عدم القبول وتتم الحجة عليه.

وبحمد الله فإنّ هذه المسألة بحدّ من الوضوح، بحيث يغنيها إثباتها من طرق المذاهب الأربعة من الاستدلال على مذهب الامامية.

الدليل الرابع

العقل

الدليل الرابع:

العقل

ومن بعد ذكر هذه الأدلة القاطعة من الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة على استحباب زيارة نبي الرحمة نقول: لو فرضنا جدلاً عدم وجود أي دليل على مشروعية الزيارة، لا من كتاب ولا سنة ولا إجماع، فإنه يكفيننا ويغنيننا حكم العقل على مشروعيته والحث عليها من سائر الأدلة، حيث إن الله سبحانه قد جعل العقل حجة وأمضى أحكامه - كل ما حكم به العقل حكم به الشرع - فحكمه بحسنها ومحبوبيتها دليل على مشروعيته من قبل الله ﷻ.

وأما بيان حكم العقل: فإنه يحكم بحسن تعظيم من عظمه الله تعالى: والتعظيم يتحقق بأعناء مختلفة، من قبيل إحياء ذكره وتمجيده ونشر فضائله بين الناس ونشر كلماته ونصرته واحترامه والحضور عنده والتردد إليه حتى يعظم شأنه أمام الناس خصوصاً أمام المخالفين والأعداء الذين يحاولون في إخماد ذكره وإطفاء نوره والاستخفاف به وإبعاد الناس عنه.

فالزيارة نوع من التعظيم للنبي ﷺ وفي تعظيمه تعظيم لشعائر الله وإرغام لمنكريه ومعانديه ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ فإذا ثبت رجحان زيارته ﷺ في حياته والوصول إلى خدمته، فكذلك يثبت بعد مماته.

فقد مضى في نقل أقوال العلماء في الإجماع، قول مالك إمام دار

الهجرة لأبي جعفر المنصور: إن حرمة النبي ميتاً كحرمته حياً، ولو أنه قد ثبتت حياته البرزخية وأنه ﷺ يعلم بمن يحضر عنده ويسلم عليه ويرد السلام عليه، وأنه حي عند ربه مرزوق، فلا فرق بين الحياة الظاهرية والمات في لزوم التعظيم.

ومن جهة أخرى إن العقل لا يرى مانعاً من الزيارة ولا ما يوجب قبحها، بل يرى ما يحسنها من تعظيم من عظمه الله واحترام من هدى الله الناس به إلى سبيل الرشاد وكان سبب سعادتهم وكمالهم وخروجهم من ظلمة الضلالة إلى نور المعرفة والهداية، فقد قال الله ﷻ في كتابه: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(١) هذا أولاً.

وثانياً: إن عقل كل عاقل يحكم بالكفاة والشكر والامتنان لمن أحسن إليه وأعانه وأنقذه من الهلكات، وثبت حقه عليه، فقال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^(٢). وقال النبي ﷺ: «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها»^(٣).

وقال علي عليه السلام: (كاف من أحسن إليك)^(٤)، وقال تعالى أيضاً: ﴿لَنْ نَشْكُرَكُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ وَلَنْ كَفَرْنَا مِنْكُمْ إِذْ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(٥) وقال رسول

(١) آل عمران: ١٦٤.

(٢) الرحمن: ٦٠.

(٣) فيض القدير للمناوي ٣: ٤٥٣.

(٤) دعائم الاسلام ٢: ٤٨٧.

(٥) إبراهيم: ٧.

الله ﷻ «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»^(١).

فهذه الكلمات من الشرع قد أيدت وأمضت وحكمت بما حكم به العقل.

وعليه، فقد ثبت وجوب أداء الحق والوفاء به شرعاً.

ومن جانب آخر أيضاً: إنَّ حق النبي ﷺ على الأمة عظيم ويؤيد عظيم حقه على المسلمين كلام أمير المؤمنين (عليه السلام):

(إن الله بعث محمداً نذيراً للعالمين وأميناً على التنزيل وأنتم معاشر العرب على شرّ دين، وفي شرّ دار، منيخون بين حجارة خشن، وحياتٍ صمّ، تشربون الكدر وتأكلون الجشب وتسفكون دماءكم، وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة والآثام بكم معصوبة)^(٢).

ولهذا ثقلت وظيفتنا في أداء حقه، فإننا لو حاولنا كل المحاولات لما تمكنا من أداء حقوقه كما هو علينا، وقد سألنا الله فيها بقوله:

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

ولكن مع هذا يجب علينا أداء الوظيفة مهما أمكن.

والخروج عن عهدها يتحقق بإظهار المحبة له ونصرته والمودة لأهل بيته والدعاء والصلاة عليه وعليهم وإحياء أمرهم ونشر فضائلهم وزيارتهم والتردد إليهم في حياتهم وبعد مماتهم وإقامة المحافل والمجالس لتشييد أمره ومرامه وأمر أهل بيته الذين قد جعلت مودتهم أجر الرسالة كما قال

(١) سنن الترمذي ٣: ٢٢٨.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٦.

(٣) الشعراء: ١٠٩.

تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(١).

وأداء هذه الأمور كلها من باب الوظيفة الأخلاقية والإنسانية التي حكم العقل باتيانها، ولو كان هو غير محتاج لها، فإنه قد بلغ من الفضل والمقام ما بلغ، ورفع الله إلى قاب قوسين أو أدنى، وقد أمر الله جميع الملائكة وجميع خلائقه من الأولين والآخرين بتعظيمه ومحبته وإطاعته والدعاء له والصلاة عليه وعلى أهل بيته، فإذا أدينا أجر الرسالة يرجع نفعه إلينا، وتكون فائدته وآثاره الدنيوية والأخرية لنا كما قال: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٢).

ولا يخفى إن ما ذكرناه من حكم العقل والوجدان عام يشمل أهل سائر الملل والأديان في تعظيم أنبيائهم وعظمائهم والتقدير لمن له حق عليهم، وهكذا فإنه دليل لنا عليهم إن طالبونا بالدليل في تعظيم الانبياء والأولياء وزيارة قبورهم، فإنهم إن لم يعتقدوا بكتابنا وسنتنا، لا محيص لهم من قبول هذا الدليل إن كانوا من ذوي العقول.

على أن زيارة قبر النبي ﷺ وقبور أهل بيته من أكمل وأتم موارد الشكر وأداء الحق لما فيها من تعظيم النبي ﷺ وإحياء أمره وإرغام مخالفيه وحاسديه والمانعين من زيارته، والعقل أيضاً لم ير مانعاً منها، بل يرى ما يحسنها ويحث عليها وينهى عن تركها، ودليل مشروعية الشيء عدم المنع منه وعدم المحذور فيه.

فإن قلت: إن كثرة التعظيم والزيارة له والتردد عنده يفضي ويؤدي إلى الشرك بالله والغفلة عن عبودية الله، فهذا هو المانع.

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) سبأ: ٤٧.

قلت: هذا الكلام هو الذي قد تثبت به ابن تيمية ومقلدوه على الضلالة لمنع الزيارة وتكفير المسلمين عليها وضربهم وإيذائهم عليها، وهذا صرف وسوسة شيطانية، ناشئة من ضغينة كامنة فيه نحو الرسول، فإنه كيف يخطر في ذهن مسلم الإشراك بسبب زيارته والتوسل به في المسلمين الذين يعتقدون في حقه أنه عبده ورسوله وينطقون بذلك في صلاتهم اليومية وغيرها من الصلوات مرات عديدة، وهكذا في زياراتهم، فلاحظ متون الزيارات تراها مشتملة على الشهادة بوحداية الله ﷻ والرسالة لنبى الله وأنه عبده ورسوله، وأمثال هذه الكلمات موجودة في سائر الزيارات.

ولم يزل أهل العلم ينهون عن البدع في كل الشؤون ويرشدون الناس إلى السنة في الزيارة والتوسل حتى لا يقع منهم ما لا يناسب عبودية الله سبحانه، وعلى فرض وقوع خطأ عن جهل من جاهل، فهذا ليس دليلاً على الشرك والكفر فإنه لم يخطر ببال أحد منهم الإشراك بالله بسبب زيارته.

كيف وقد أنقذهم الله به ﷺ من الشرك والضلالة وأدخل في قلوبهم نور الإيمان وعبادة الرحمن وأبعدهم عن عبادة الأوثان!؟

فكيف لا يستحي هؤلاء المفرضون في نسبة المسلمين الزائرين بالكفر وعبادة القبور، فإن التعظيم والتقدیس الذي يتوجه إلى الرسل إنما هو لأفكارهم التوحيدية ورسالاتهم التي حملوها، فالتقدیس والتعظیم للنبي الأعظم ﷺ تقدیس للمعاني والأفكار التي دعا إليها وأتعب نفسه في نشرها، فكيف يُظنّ في مؤمن عرف حقيقة الدعوة المحمدية، أن يكون مضمراً لمعنى من معاني الشرك والوثنية، وهو يستعبر العبر ويستبصر ببصيرته ﷺ ويستضيء بنوره عند روضته الشريفة.

فإذا كان خوف ابن تيمية وأتباعه من أن يؤدي ذلك إلى الوثنية بمضي

الزمان، فإنه خوف من غير جهة ومجرد وسوسة، لأن الناس ما زالوا إلى حد الآن يزورون النبي ﷺ واستمعروا على هذه السيرة الشريفة ومع ذلك لم يُنظر إلى هذا العمل نظر عبادة أو وثنية ولا سمعنا لحد الآن، أن هذه النظرة قد خطرت ببال أحد من عوامهم فضلاً عن غيره.

ولو اتفق أن أفرط أحد منهم، فالناس يعرفون أنه من الجهال ويفرقون بينه وبين غيره من المسلمين من أهل المعرفة ويرشدونه إلى السنة الصحيحة، وعمل الجهال لا ربط له بالسنة ولا يمنع من تعظيم تلك الذكريات الجليلة ولا يوجب التكفير والمنع من الزيارة وتعظيم شعائر الله. وهل يجوز لعالم أن ينسب الكفر لمن يقبل أحجار الكعبة ويتوسل بها إلى الله ويمسح يديه ووجهه بها وكذلك من يعظم مقام إبراهيم - النبي ذكر بالعظمة في القرآن - ومن يتمسح بالحجر الأسود وما أشبهه.

فإن من نسب واتهم مسلماً إلى الكفر عند هذه المظاهر العبادية، فهو الكافر كما في الأحاديث.

فتحصل مما قلنا: أن هذه الأمور لم تكن مانعة من رجحان الزيارة ومحبوبيتها عقلاً وشرعاً، فبحكم العقل فضلاً عن سائر الأدلة ثبتت مشروعية الزيارة، بل استحبابها وتأكدها، بل وجوبها الكفائي أيضاً على من له القدرة.

الدليل الخامس

سيرة المسلمين

الدليل الخامس:

سيرة المسلمين

إن سيرة المسلمين من أحد الأدلة التي يستدل بها في الشريعة الإسلامية عند جميع المذاهب، وهي في حكم الإجماع، إلا أن الفرق بينهما أن الإجماع إتفاق قولي والسيرة إجماع عملي يكشف عن أن ذلك مأخوذ عن صاحب الشرع يبدأ عن يد، ويدل عليه قوله ﷺ: «لا تجتمع أمتي على خطأ» وفي بعض الرويات: «على ضلالة»^(١).

والذي يسهل الخطب في الاستدلال أن المانعين عن مشروعية الزيارة لا ينكرون حجية الإجماع القولي والعملي واستدلوا به في المطالب التي توافق رأيهم، والعجيب أنهم فيما لا يوافق رأيهم - مثل الزيارة - ينكرون حجية مثل هذا الاجماع.

فلو فرضنا عدم الدليل العقلي والنقلي من الكتب والسنة والإجماع القولي على مشروعية شيء أو عمل، وكانت سيرة المسلمين في جميع الأعصار دائرة على ذلك، ولم يردعهم أحد من أئمة الدين، بل كان المشاهد من عملهم التزامهم به فنفس هذه السيرة دليل على مشروعية ذلك العمل.

وأما فيما نحن فيه: فقد جرت السيرة المطردة من صدر الإسلام منذ عصر الصحابة الأولين والتابعين لهم بإحسان إلى زماننا هذا على زيارة قبور ضمنت نبياً مرسلأ، أو إماماً طاهراً، أو ولياً صالحاً أو عظيماً من

(١) ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي: ١٣٦، المنحول للغزالي: ٤٠٢.

عظماء الدين، ومن أقدس تلك القبور قبر الرسول المصطفى ﷺ.

وكان الصلاة لدى القبور، والدعاء عندها، والتبرك والتوسل بها، والتقرب إلى الله وابتغاء الزلفة لديه، بإتيان تلك المشاهد من المتسالم عليه بين جميع فرق المسلمين ومن دون أي نكير من آحادهم، وأي ردع من عظمائهم على اختلاف مذاهبهم، والحال أن فيهم عقلاء علماء من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.

وكان هذا الأمر مستمراً ولم يخطر ببال أحد خلفه، حتى نشأ ابن تيمية، وأخذ يخالف ويبارز مع هذه السنة الجارية، وسعى في تعطيل وتبديل سنة الله التي لا تبديل لها ولن تجد لسنة الله تحويلاً، فشدّ عن تلك السيرة المتبعة والآداب المنقحة، وشدّد النكير عليها بلسان بنيّ وبيان تافه ودلائل سخيفة، خارجة عن نطاق العلم والمعرفة، والأدب والعفة، فافتى بجرمة شد الرحال لزيارة خير الأنام ﷺ وعدّ السفر لأجل ذلك سفر معصية لا تقصر فيه الصلاة، فأراد أن يوقع الفتنة بين الناس، فيفرح بها عندئذ الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس.

لكن بحمد الله قد خالفه أعلام عصره وفقهاء زمانه ورجال قومه فقابلوه بالظعن والرد الشديد فألفوا كتباً^(١) في رده ونقده، معتمدين على

(١) مثل شفاء السقام في زيارة خير الأنام للإمام تقي الدين السبكي، والدرة المضيئة في الرد على ابن تيمية للسبكي أيضاً، والمقالة المرضية لقاضي قضاة المالكية تقي الدين أبو عبد الله الأحنائي، ونجم المهتدي ورجم المقتدي للفخر ابن معلم القرشي، ودفع الشبهة لتقي الدين الحصني، والتحفة المختارة في الرد على منكر الزيارة لتاج الدين الفاكهي و... .

وقد ألفت كتباً أخرى بعدها مثل الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية للشيخ سليمان بن عبد الوهاب في الرد على أخيه محمد بن عبد الوهاب

البراهين القاطعة والدلائل الواضحة، بعيدين عن التعصب والعناد، فزيفوا آرائه واعتقاداته وأوضحوا هفوات كلماته، وأثبتوا ضلالتة وانحرافه وأفتوا بكفره وارتداده.

وهكذا فقد حكم سائر قضاة المذاهب الأربعة في مصر على حبسه وزجره، وعلى أثرها حبسه السلطان إلى أن مات وخذت الفتنة وارتاح المسلمون منها.

ومن نكير العلماء والمسلمين على من خالف هذه السيرة وحكمهم بكفره وضلالتة، يتضح قطعياً هذه السيرة وإطرادها، وعدم الشك في مشروعيتها عند جميع المسلمين، لأنَّ المسلمين لم يزالوا في كل عام إذا قضاوا الحج يتوجهون بوليه وشوق إلى زيارته ﷺ، ومنهم من يزوره قبل الحج وكلهم يقصدون ذلك ويعرجون إليه وإن لم يكن في طريقهم، ويقطعون فيه مسافة بعيدة وينفقون فيه الأموال ويبدلون فيه المهج، معتقدين أن ذلك قرينة وطاعة.

فقد شاهدناهم وشاهدتهم من قبلنا، وهذا أمر لا يشك فيه أحد، وإطباق هذا الجمع العظيم من مشارق الأرض ومغاربها على مر السنين - ومنهم العلماء والصالحون وغيرهم - يستحيل أن يكون على خطأ - كما بشر به الرسول المصطفى ﷺ بقوله: «لا تجتمع أمتي على خطأ»، وكلهم يفعلون ذلك على وجه التقرب إلى الله ﷻ، ونحن نرى أن من تأخر عن زيارته من المسلمين لعجز أو تعويق المقادير يتأسف عليه ويود العروج إليه ويطلب من الله التوفيق وتبيل الفضيلة لزيارته.

النجدي، والفتاوى الحديثة لابن حجر، والمواهب اللدنية للقسطلاني، وشرح المواهب للزرقاني وكتب أخرى كثيرة إلى زماننا هذا، قد زيفت آرائه ومعتقداته الباطلة في الزيارة وغيرها مثل التجسيم والجهة و...

٢٣٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

ففي كثير من دعائهم: اللهم أرزقنا حج بيتك الحرام وزيارة قبر نبيك ﷺ^(١)، بالأخص في شهر رمضان، فمن ادعى أن هذا الجمع العظيم مجمعون على خطأ، فهو المخطئ وكان قد رد على رسول الله ﷺ، ومن كفر هؤلاء المسلمين ونسبهم إلى الضلالة والبدعة، فهو المبدع وهو الضال وهو الكافر، حيث شذ عنهم واستهان بهم، واستهان بمن شرفه الله وعظمه وفضله على جميع خلقه.

وكيف يمكن أن تكون سيرتهم وعملهم خطأ ومعصية وليس من الدين، ولم يبيئه لهم رب العالمين وصاحب الشرع القويم، ويمهلهم في الضلال المبين حاشا وكلا!! فإن فيه نقضاً للغرض من إرسال الرسل، ومخالفة لحكم العقل بقبح العقاب بلا بيان.

فإن قلت: إن الشارع قد بين ومنع، كما قد روي: «لا تشد الرحال، ولا تتخذوا قبوري عيداً»^(٢) وأمثاله.

نقول: إن هذه الروايات على فرض تسليم صحتها فمفهومها لا ربط له بالمقام، وإنما أجنبية عن زيارة خير الأنام وسيأتي فيها الكلام بنحو لا يبقى فيه ظلام.

وإن قال الخصم: إن سفر هؤلاء المسلمين لم يكن بقصد زيارة قبر النبي ﷺ، بل لمسجده وزيارة قبره تبعاً وضمناً وهذا لا مانع منه.

قلنا: إن المنصف يعرف أن ما عليه الناس من حين عروجهم إلى المدينة إلى أن يخرجوا منها، هو زيارة قبر الرسول المصطفى ﷺ ونيل فضيلتها ولا يخطر ببال أحد منهم غير الزيارة من القربات، وإن كان في ذهن بعضهم غير زيارته أيضاً، فهو مغمور بالنسبة إلى الزيارة في حق هذا القليل.

(١) لاحظ مفاتيح الجنان في أعمال شهر رمضان.

(٢) سنن أبي داود بمصدرها في فصل مستقل.

بل غرضهم الأعظم هو الزيارة، حتى أنه لو لم يكن قبر النبي ﷺ في المدينة، لما سافروا إليها، لأنهم قد أدركوا في مكة الثواب العظيم، ولهذا قلّ القاصدون إلى بيت المقدس، مع تيسره في ذلك الزمان، وإن كان في الصلاة فيه من الفضل ما قد عرف وأنه من المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها.

فتبين أن المقصود الأعظم في المدينة، هو زيارة قبر النبي ﷺ كما أن المقصود الأعظم من السفر إلى مكة هو الحج أو العمرة، وإنكاره مكابرة على أهل الدين.

وإن شككت أنت في نفسك، فاسأل كل من توجه إلى المدينة، ما هو قصده من سفره إليها؟ ليتضح لك الحال.

وأما ما ذكره العلماء في آداب الزيارة من أنه ينبغي أن ينوي مع زيارته، التقرب بالتوجه إلى مسجده والصلاة فيه.

فليس مرادهم أنه شرط في كون السفر للزيارة قربة، أن ينوي المسجد وغيره أيضاً، - كما ادعاه بعض المانعين^(١) من أجل تحريف سيرة المسلمين حيث لم يتمكنوا من إنكارها -، بل أرادوا من هذا الكلام أنه ينبغي أن يقصد قربة أخرى ليكثر الأجر والثواب بكثرة القرب ويكون السفر إلى قريتين أو أكثر، بأن يقصد مضافاً إلى زيارته ﷺ مسجد النبي وزيارة شهداء أحد وزيارة البقيع ومسجد قبا وغير ذلك.

وغرضهم من هذا التنبيه رفع ما قد يتوهم من أن قصد قربة أخرى غير زيارته ﷺ منافي للإخلاص في نية الزيارة، لا غير، وليس مرادهم أن شرط كون سفر الزيارة قربة أن يضم قصد قربة أخرى إليه، وهذا غير خفي على من له تدبر وسداد.

(١) لاحظ تنبيه زائر المدينة: ٣٣ نقلًا عن شيخ الإسلام ابن تيمية.

٢٣٢ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

هذا، وبما أن الخصم قد أنكر زيارة السلف للقبر الشريف وذيله بقوله: ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها^(١).

فنحن نذكر لك بعض من زاره من أهل بيته ﷺ وأصحابه ليهت الذي كفر.

بعض من زار قبر النبي ﷺ

١ - أول من زار قبر النبي ﷺ إبنته الصديقة الكبرى فاطمة ﷺ، التي قال رسول الله ﷺ في شأنها: «إنما فاطمة بضعة مني يؤذيها ما آذاها»^(٢).

ومن قد اعترفت عائشة بصدقها فقالت: ما رأيت أحداً قطّ صدق من فاطمة غير أبيها ﷺ^(٣).

وقال ﷺ: «فو الذي بعثني بالنبوة حقاً إنك سيده نساء العالمين»^(٤).

روى ابن عساكر وابن الجوزي وغيرهما من طريق طاهر بن يحيى الحسيني قل: حدثني أبي، عن جدي، عن جعفر بن محمد عن أبيه، عن علي سلام الله عليه قل:

لما رمس رسول الله ﷺ جاءت فاطمة سلام الله عليها، فوقفت على قبره ﷺ وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعت على عينها وبكت وأنشأت تقول:

ماذا على من شم تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليا

(١) لاحظ تنبيه زائر المدينة: ١٧، وتلاحظه في سائر كتبهم أيضاً.

(٢) صحيح مسلم ٥: ٢٦ ط محمد علي صبيح وأولاده بمصر باب الفضائل.

(٣) حلية الأولياء ٢: ٤١.

(٤) المنتقب لابن المغازلي: ٣٩٩.

صُبت عليّ مصائب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا^(١)

وفي ضمن حديث آخر حول غضب فذك عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: فدخلت فاطمة عليها السلام المسجد وطافت بقبر أبيها عليه السلام وهي تبكي وتقول:

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها
قد كان بعدك أنباءً وهنيئة
قد كان جبريل بالآيات يونسنا
وكنت بداراً منيراً يستضاء به
تهضمتنا رجال واستخف بنا
وكل أهل له قريبي ومنزلة
أبدت رجال لنا نجوى صدورهم
فقد رزينا بما لم يرزاه أحد

واختل قومك فاشدهم ولا تغب
لو كنت شاهداً لم تكثر الخطب
فغاب عنا فكل الخير محتجب
عليك تنزل من ذي العزة الكتب
إذ غبت عنا فنحن اليوم مغتصب
عند الإله على الأدين مقرب
لما مضيت وحالت دونك التراب
من البرية لا عجم ولا عرب

إلى أن قالت:

سيعلم المتولي الظلم حامتنا يوم القيامة أتى كيف ينقلب^(٢)

(١) ابن عساكر في التحفة وابن الجوزي في مثير الغرام الساكن: ٣٠٠، والقسطلاني في المواهب اللدنية، والشيخ علي القاري في شرح الشمانل ٢: ٢١٠، والشبراوي في الانحاف: ٩، والسمهودي في وفاء الوفا ٤: ١٤٠٥، والسيد أحمد زيني دحلان في السيرة النبوية ٣: ٣٩١، والحمزاي في مشارق الأنوار: ٦٣، والخالدي في صلح الإخوان: ٥٧، وعمر رضا كحالة في أعلام النساء ٣: ١٢٠٥، وذكر البيتين لها سلام الله عليها ابن حجر في الفتاوى الفقهية ٢: ٣٩٠، والخطيب الشريني في تفسيره: ٣٤٩، والقسطلاني في إرشاد الساري ٢: ٣٩٠.

(٢) تفسير نور الثقلين ٤: ١٧٨.

٢٣٤ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

وقد أورده عمر رضا كحالة في أعلام النساء، وأضاف: ولم ير الناس أكثر باك ولا باكية منهم يومئذ^(١)، وأورده أيضاً ابن عساكر في إتحاف الزائر عن ابن عبد ربه^(٢).

فهذا عمل فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين التي طهرها الله واصطفاهما على نساء العالمين، وهو حجة وأحسن دليل على مشروعية زيارة خير المرسلين من الأولين والآخرين والتبرك بقبره والبكاء عنده وفيه رغباً لأنف المعاندين.

٢ - زار الصحابي الجليل جابر بن عبد الله قبر الرسول المصطفى وبكى عنده.

قال البيهقي في شعب الإيمان: أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي، حدثنا حامد بن محمد بن محمد بن عبد الله الهروي، حدثنا محمد بن يونس القرشي، حدثنا عبد الله بن يونس بن عبيد، حدثنا أبي محمد بن المنكدر، قال: رأيت جابراً وهو يبكي عند قبر رسول الله ﷺ، وهو يقول: هاهنا تسكب العبرات، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»^(٣).

فيا عزيزي القارئ لا تنسى ما قدمناه لك، من أن الزيارة حقيقة ليس إلا الحضور عند المزرور، فحضور صحابي كبير مثل جابر وبكائه عند القبر الشريف وذكره الحديث الشريف دليل واضح على أهمية زيارته ﷺ والدعاء عند قبره المنور.

٣- زار الصحابي أبو أيوب الأنصاري مضيف النبي ﷺ قبر الرسول

(١) أعلام النساء ٤ : ١٢٢ ط مؤسسة الرسالة.

(٢) العقد الفريد ٣ : ١٩٤، إتحاف الزائر: ١٦٧.

(٣) شعب الإيمان ٣ : ٤٩١.

الكريم ﷺ ووضع وجهه عليه.

فقد ورد في مجمع الزوائد والمستدرک للحاکم وأخبار المدينة وشفاء السقام أيضاً، عن داود بن أبي صالح قال: أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر، فأخذ برقبته ثم قال: هل تدري ما تصنع؟ فأقبل عليه فإذا أبو أيوب الأنصاري، فقال: نعم إني لم آت الحجر ولم آت اللين إنما جئت رسول الله ﷺ ولم آت الحجر سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا على الدين إذا وليه غير أهله»^(١).

وأنت عزيزي القارئ تعرف الفرق بين الزائر أبي أيوب الأنصاري المدرك لشريعة سيد المرسلين وناصره ومضيفه الذي لم يفرقاً بين زيارة النبي ﷺ حياً وميتاً، حيث يقول: إني لم آت الحجر وإنما أتيت رسول الله وبين الناهي عن الزيارة مروان بن الحكم المعلوم حاله وعداوته لرسول الله ﷺ عند المسلمين، الذي وردت الأحاديث في ذمه عن رسول الله ﷺ.

فلاحظت أنه إذا كان مخالفاً في البين فهو من الذين يحاولون في إخماد السنة المحمدية ﷺ وإطفاء نورها، ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

وفي هذا الحديث دلالة على سلطنة الشجرة الخبيثة بني أمية وجنباياتهم ومعاداتهم لرسول الله وأهل بيته صلوات الله أجمعين عليهم.

(١) مجمع الزوائد للهيتمي نقلاً عن أحمد باب ولاية المناصب غير أهلهاط بيروت سنة ١٩٦٧، ٥ : ٢٤٥، والمستدرک ٤ : ٥١٥ وصححه هو والذهبي في تلخيصه، وأخبار المدينة لأبي الحسن بن الحسن الحسيني بإسناد آخر عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، كما في شفاء السقام، وذكره السمهودي في وفاء الوفا ٢ : ٤١٠، ٤٣٣ نقلاً عن إمام الحنابلة أحمد قال: رأيت بخط الحافظ أبي الفتح المراغي المدني، وأخرجه الطبراني في الكبير والأوسط.

٤ - حكاية العتبي عن الأعرابي التي ذكرناها سابقاً في دليل الكتاب العزيز على مشروعية الزيارة وهي مشهورة وقد ذكرها المصنفون في مناسكهم، فهي تدل على الحث على زيارته وشد الرحل إليه، لأن الأعرابي كان مسافراً، ويؤيده ما في بعض الطرق من أن الأعرابي ركب راحلته وانصرف.

والحكاية المذكورة نقلها جماعة من الأئمة عن العتبي واسمه محمد بن عبيد الله بن عمر بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب، كان من أفضح الناس، صاحب أخبار ورواية للأدب، حدث عن أبيه، وسفيان بن عيينة، وأبي مخنف^(١).

وذكرها ابن عساكر في إتحاف الزائر وابن الجوزي في مثير الغرام الساكن وغيرهم من غير طريق العتبي بأسانيدهم إلى محمد بن حرب الهلالي، وكانا قد اعتمدا عليها واستدلا بها^(٢).

قال: دخلت المدينة، فأتيت قبر النبي ﷺ وزرته وجلست بمحذاته فجاءه أعرابي فزاره، ثم قال: يا خير الرسل إن الله أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ وإني جئتكم مستغفراً ربك ذنوبي مستشفعاً بك إلى الله أو (ربي) ثم بكى وأنشأ يقول:

(١) لاحظ شفاء السقام: ١٤٢ ط الرابعة.

(٢) لاحظ إتحاف الزائر لابن عساكر: ٥٣، تفسير ابن كثير ٢: ٣٠٦، تفسير القرطبي ٥:

٢٦٥، شعب الإيمان لليبهي ٣: ٤٩٥، المغني لابن قدامة الحنبلي ٣: ٥٥٧،

يأخبر من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم استغفر وانصرف، فرقدت فرأيت النبي ﷺ في نومي وهو يقول:
«الحق الرجل ويشّره أن الله قد غفر له بشفاعتي». فاستيقظت فخرجت
أطلبه فلم أجده^(١).

ورويت هذه القصة عن علي رضي الله عنه أيضاً قال: (قدم علينا أعرابي
بعد ما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر النبي ﷺ وحنّا
من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن
الله سبحانه فوعينا عنك، وكان فيما أنزل عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ
ظَلَمُوا...﴾ الآية، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي. فنودي من
القبر: قد غفر لك).

وقد أخرجها جمع كثير من أئمة الحديث أيضاً^(٢).

أقول: إن هذه القصة صريحة في شد الرحل إليه ولا يشك أحد في
أنه كان مسافراً وما كان من أهل المدينة، ولذا لما لحقه العتي ما وجده، وقد
زار النبي وقرأ تلك الآية وتكلم بتلك الكلمات ولم يمنعه أحد، بل إن
النبي كان قد أمضى عمله، وهكذا أمير المؤمنين رضي الله عنه بناء على روايته،
وكان قد استمر هذا الإمضاء إلى زمان ابن تيمية، وكما قال ابن حجر
وغیره: من هو حتى يعتنى بكلامه وكلام أتباعه الذين ثبتت عداوتهم

(١) إتحاف الزائر: ٥٤، مشير الغرام الساكن لابن الجوزي ٢: ٣٠١، سبل الهدى

والرشاد للصلحي ١٢: ٣٨٠، الدرّة الثمينة لابن النجار: ٢٢٤.

(٢) راجع وفاة الوفا للسمهودي: ٤: ١٣٦١، وحكاة النسفي في تفسيره ١: ٢٣٤،

والصلحي في سبل الهدى والرشاد ١٢: ٣٨٠.

لأهل بيت النبوة وشذوذهم عن الدين واعتقاداتهم الباطلة خصوصاً في التوحيد وقد كفرهم العلماء والمسلمون عليها.

أضف إليك: من اليقين أن النبي ﷺ مدفون في داره وفي حجرته، والظاهر من هذه النصوص أن الغرفة صارت مزاراً أو محلاً للجمع يدخلونها بدون استئذان من صاحب الدار، ولو كانت الحجرة باقية على حالها لبان في الأدلة، راجع القصص المتقدمة جاءت فاطمة، جاء أعرابي، مرغ بلال، زار الصحابي أبو أيوب الأنصاري...، وهذا دليل على عدم الخلاف في مشروعية الزيارة في ذلك الزمان وثبوت السيرة.

٥ - بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ سافر من الشام إلى المدينة المنورة لزيارة قبره ﷺ.

أخرجه الحافظ ابن عساكر في (تاريخ الشام) في ترجمة بلال بن رباح بإسناد جيد عن أبي الدرداء قال: إن بلالاً رأى في منامه رسول الله ﷺ وهو يقول: ما هذه الجفوة يا بلال؟! أما أن لك أن تزورني يا بلال؟!.

فانتبه حزينا وجلأ خائفاً فركب راحلته وقصد المدينة، فأتى قبر النبي ﷺ فجعل يبكي ويمرغ وجهه عليه، فأقبل الحسن والحسين ﷺ فجعل يضمهما ويقبلهما، فقالا له: نشتهي أن نسمع أذانك الذي كنت تؤذن به لرسول الله ﷺ، ففعل، فعلى سطح المسجد، فوقف موقفه الذي كان يقف فيه، فلما أن قال: (الله أكبر) إرتجت المدينة، فلما أن قال:

(أشهد أن لا إله إلا الله) ازدادت رجتها، فلما أن قال: (أشهد أن محمداً رسول الله) خرجت العواتق من خدورهن فقالوا: أبعث رسول الله، فما رُئي يوماً أكثر باكياً ولا باكياً بالمدينة بعد رسول الله من ذلك اليوم^(١).

(١) الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق - ترجمة بلال، وفي شفاه السقام: ١٤١، وذكره

قال السبكي بعد ذكر سنه والاعتماد عليه: وليس اعتمادنا في الاستدلال بهذا الحديث على رؤيا المنام فقط، بل الاعتماد على فعل بلال وهو صحابي، لا سيما في خلافة عمر، والصحابة متوافرون، ولا يخفى عنهم هذه القصة، وعلى منام بلال أيضا ورؤياه للنبي ﷺ الذي لا يتمثل به الشيطان وليس فيه ما يخالف ما ثبت في اليقظة فيتأكد به فعل الصحابي^(١).

ويؤيد ما ذكره السبكي ما صح وتواتر عنه ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بي»^(٢).

وقد ورد هذا الحديث عن طرق الشيعة والعمامة متواتراً بتفاوت في الألفاظ، ففي الأمالي بإسناده عن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا ﷺ أنه قال له رجل من أهل خراسان: يا بن رسول الله رأيت رسول الله ﷺ في المنام كأنه يقول لي: كيف أنتم إذا دفن في أرضكم بضعتي، واستحفظتم وديعتي، وغيب في ثراكم لحمي؟ فقال له الرضا ﷺ: أنا المدفون في أرضكم، وأنا بضعة من نبيكم، وأنا الوديعة والنجم، ألا فمن زارني وهو يعرف ما أوجب الله تبارك وتعالى من حقي وطاعتي، فأنا وآبائي شفعاؤه يوم القيامة، ومن كنا شفعاؤه نحى ولو كان عليه مثل وزر الثقلين الجن والإنس، ولقد حدثني

الحافظ أبو محمد بن عبد الغني المقدسي في (الكمال) في ترجمة بلال، وأبو الحجلاج المزني في التهذيب، وذكره ابن الأثير في أسد الغابة ١: ٢٠٨ والسهمودي في وفاء الوفا ٤: ١٣٥٧ وقل: سند جيد، والقسطلاني في المواهب اللدنية، والخالدي في صلح الإخوان: ٥٧، والحمازوي في مشارق الأنوار: ٥٧.

(١) شفاه السقام: ١٤٢ ط الرابعة.

(٢) المجموع للنووي ٦: ٢٨١.

٢٤٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

أبي، عن جدي، عن أبيه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: من رآني في منامه فقد رآني، لأن الشيطان لا يتمثل في صورتي، ولا يتمثل في صورة أحد من أوصيائي، ولا في صورة أحد من شيعتهم، وإن الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزء من النبوة^(١).

فمن المسلم إن من رأى رسول الله ﷺ في منامه إذا كان هو صادقاً ومن الصالحين الذين لا خلاف في صلاحهم وإيمانهم، فرؤياه صادقة وليس باضغاث أحلام ولا تمثيل الشيطان قطعاً، فكيف بك إذا كان الرائي صحابياً مخلصاً ومودناً لرسول الله ﷺ مثل بلال ﷺ، فإن رؤياه مضافاً إلى عمله دليل آخر على مشروعية الزيارة.

وهذه القصة بمثابة نص في الحث على زيارته ﷺ وشد الرحل إليه، وفي التحذير من الجفاء بترك زيارته ﷺ.

٦ - زار الرابع من أوصياء الرسول المصطفى الإمام المعصوم علي بن الحسين ﷺ قبر جده والتزق به.

ففي الكافي بإسناده عن الباقر ﷺ قال: كان أبي علي بن الحسين يقف على قبر النبي ﷺ فيسلم عليه ويشهد له بالبلاغ، ويدعو بما حضره، ثم يسند ظهره إلى القبر، ويستقبل القبلة فيقول: (اللهم إليك ألتجأت ظهري، وإلى قبر محمد عبدك ورسولك أسندت ظهري، والقبلة التي رضيت لمحمد ﷺ استقبلت، اللهم إنني أصبحت لا أملك لنفسي خيراً ما أرجو، ولا أدفع عنها شر ما أحذر عليها، وأصحت الأمور بيدك، فلا فقير أفقر مني، إنني لما أنزلت إلي من خير فقير، اللهم ارددني منك بخير فإنه لا

(١) أمالي الصدوق: ١٢١، عيون أخبار الرضا ﷺ: ٢ / ٢٥٧ / ١١، من لا يحضره الفقيه ٢: ٣٥٠ / ١٦٠٨، ورواه الحموي في فرائد السمتين ولاحظ إحقاق الحق

راد لفضلك، اللهم إني أعوذ بك من أن تبذل اسمي، أو تغَيِّرَ جسمي، أو تزِيلَ نعمتك عني، اللهم كَرِّمْنِي بالتقوى، وجمِّلني بالنعم واغمرني بالعافية، وارزقني شكر العافية^(١).

هذه سيرة الإمام الذي قد اعترف جميع علماء المذاهب بعلمه وفضله وزهده وتقدمه على الآخرين.

منهم: الشيخ سليمان القندوزي في يتابع المودة، قال: وأما علي بن الحسين فالناس على اختلاف مذاهبهم مجتمعون على فضله ولا يشك أحد في تقديمه وإمامته^(٢).

ومنهم الزهري، قال: لم أرَ هاشمياً أفضل من علي بن الحسين، وقد نقل كلامه كثير من علماء القوم، منهم الذهبي وابن تيمية وتلميذه ابن عبد الهادي وابن الجوزي وور^(٣).

ومنهم الشيخ مصطفى رشدي الدمشقي قال: يلقَّب بالسجاد لكثرة عبادته، كان إماماً وفضله لا يُنكر، وهماماً مناقبه وكراماته جلَّت أن تعد أو تحصى^(٤).

(١) فروع الكافي ٢: ٥٥١ باب دخول المدينة وزيارة النبي ﷺ، الفقيه ٢: ٢١٦ باب من حج ولم يزر النبي و... عنوان إتيان المدينة، وقد حكاهما السمهودي في وفاء الوفا وأضاف: ثم يقول ههنا رأس رسول الله ﷺ لاحظ وفاء الوفا ٤: ١٣٦٨.

(٢) يتابع المودة للشيخ سليمان البلخي القندوزي: ١٥٣ ط إسلامبول.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٤: ٣٥ ط مصر، منهاج السنة لابن تيمية الحنبلي ٤:

١٤٤، الصارم المتكي في الرد على السبكي لابن عبد الهادي الحنبلي: ٩٩ ط

مطبعة الإمام، التذكرة لابن الجوزي: ٤٣٠ ط الغري.

(٤) الروضة الندية للشيخ مصطفى رشدي الدمشقي: ١٢ ط الخيرية بمصر.

٢٤٢ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

ولو أردنا أن نسرد ما قاله القوم في حقه لصار كتاباً حفيلاً، وبما أن الغرض بيان عمل تابعي من أهل بيت النبوة يعترف القوم بعلمه وفضله وتقدمه على الآخرين فنكتفي بهذا المقدار من الأقوال حوله.

٧ - زار الإمام المعصوم جعفر بن محمد الصادق ﷺ قبر جده ﷺ ووضع يده عليه.

في الكافي بإسناده عن محمد بن مسعود، قال: رأيت أبا عبد الله ﷺ إنتهى إلى قبر النبي ﷺ فوضع يده عليه، وقال: (أسأل الله الذي اجتباك واختارك، وهداك وهدى بك، أن يصلي عليك).

ثم قال: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (١).

فهذا عمل جعفر الصادق ﷺ الذي اعترف الجميع بصدقه وزهده وحسن خلقه وعلمه وتفوقه على الآخرين.

فلاحظ كلام إمام الحنفية في حقه، قال أبو حنيفة: جعفر بن محمد أفقه من رأيت، ولقد بعث إليّ أبو جعفر المنصور: إنّ الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد، فهبيّ له مسائل شداداً، فلخصت أربعين مسألة وبعثت بها إلى المنصور بالحيرة، ثم أبرد إليّ، فوافيته على سريره وجعفر بن محمد عن يمينه فتداخطني من جعفر هيبة لم أجدتها من المنصور، فجلستني، ثم التفت إلى جعفر قائلاً يا أبا عبد الله هذا أبو حنيفة، فقال: أعرفه، ثم قال المنصور: سلّه ما بدا لك يا أبا حنيفة، فجعلت أسأله ويوجب الإجابة الحسنة ويفرحم حتى أجاب عن أربعين مسألة فرأيت أنه أعلم الناس باختلاف

(١) فروع الكافي ٢: ٥٥٢ ح ٤ باب دخول المدينة وزيارة قبر النبي ﷺ.

الفقهاء فلذلك أحكم أنه أفقه من رأيت^(١).

وقال محمد بن طلحة الشافعي المتوفى ٦٥٢ هجرية في مطالب السؤل:

وهو - أي جعفر بن محمد الصادق - من عظماء أهل البيت وساداتهم ذو علوم حجة وعبادة موقرة وأوراد متواصلة وزهادة بينة وتلاوة كثيرة يتبع معاني القرآن الكريم ويستخرج من بحره جواهره ويستنتج عجائبه ويقسم أوقاته على أنواع الطاعات بحيث يحاسب عليها نفسه، رؤيته تذكر الآخرة واستماع كلامه يزهّد في الدنيا، والإقتداء بهداه يورث الجنة، نورقسامته شاهد أنّه من سلالة النبوة، وطهارة أفعاله تصدع بأنّه من ذرية الرسالة... إلى أن قال: وله القاب أشهرها الصادق ومنها الصابر والفاضل.

ثم قال: وأما مناقبه وصفاته فتكاد تفوت عدد الحاصر ويحار في أنواعها فهم اليقظ الباصر، حتى أنّ من كثرة علومه المفاضة على قلبه من سجال التقوى صارت الأحكام التي لا تدرك عللها والعلوم التي تقصر الافهام عن الإحاطة بحكمها، تضاف إليه وتروى عنه، وقد قيل: إنّ كتاب الجفر الذي بالمغرب يتوارثه بنو عبد المؤمن هو من كلامه، وإنّ هذه لمنقبة سنية ودرجة في مقام الفضائل عليه، وهي نبذة مما نقل عنه^(٢).

وفي أخبار القضاة للقاضي ابن حبان الأندلسي مسنداً عن ابن شبرمة، قال: دخلت أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمد، فسلمت عليه، وكنت له صديقاً، ثم أقبلت على جعفر، فقلت: أمتع الله بك، هذا رجل من أهل

(١) جامع مسانيد أبي حنيفة للخوارزمي ١: ٢٢٢ ط حيدر آباد، وفي الجواهر المضية لابن

أبي الوفاء ٢: ٤٨٦ ط حيدر آباد.

(٢) مطالب السؤل لابن طلحة العدوي الشافعي: ٢٨٣ - ٢٨٤ مؤسسة البلاغ

العراق له فقه وعقل، فقال جعفر: لعله الذي يقيس الدين برأيه، ثم أقبل عليّ فقال: النعمان بن ثابت؟ فقال أبو حنيفة: نعم، أصلحك الله، فقال: إتق الله ولا تقس الدين برأيك، فإن أول من قاس إبليس إذ أمره الله بالسجود لآدم، فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.

ثم قال له جعفر: هل تحسن أن تقيس رأسك من جسدك، فقال لا، قال: فأخبرني عن الملوحة في العينين وعن المرارة في الأذنين، وعن الماء في المنخرين وعن العذوبة في الشفتين لأي شيء جعل ذلك؟ قال: لا أدري.

قال جعفر: الله خلق العينين، فجعلها شحمتين، وجعل الملوحة فيها مناً منه على ابن آدم ولولا ذلك لذابتا، فذهبتا، وجعل المرارة في الأذنين مناً منه عليه، ولولا ذلك لهجمت الدواب فأكلت دماغه، وجعل العذوبة في الشفتين ليجد ابن آدم طعم لذة مطعمه ومشربه.

ثم قال له جعفر: أخبرني عن كلمة أولها شرك، وآخرها إيمان، قال: لا أدري، قال: لا إله إلا الله.

ثم قال له: أيما أعظم عند الله قتل النفس أو الزنا؟ قال: قتل النفس، قال له جعفر: إن الله ﷻ قد رضي في قتل النفس بشاهدين ولم يقبل في الزنا إلا بأربعة، ثم قال: فما بال المرثة إذا حاضت، تقضي الصيام، ولا تقضي الصلاة، إتق الله يا عبد الله إنا نقف نحن وأنت غداً ومن خالفنا بين يدي الله جل وعز، فنقول: قال رسول الله ﷺ، ويقول أنت وأصحابك: قال سمعنا ورأينا، ففعل بنا وبكم ما يشاء^(١).

وقال الخطيب التبريزي العمري: كان من سادات أهل البيت، روى عن أبيه وغيره، سمع منه الأئمة الأعلام نحو يحيى بن سعيد وابن جريج

(١) أخبار القضاة لابن حيان الأندلسي: ٧٧ ط مطبعة الاستقامة - القاهرة.

ومالك بن أنس والثوري وابن عيينة وأبو حنيفة^(١).

وأضاف بن طلحة: شعبة وأيوب السختياني وغيرهم وعدّوا أخذهم عنه منقبة شرفوا بها وفضيلة اكتسبوها^(٢).

فلاحظت يا عزيزي الباحث كلمات أئمة المذاهب حول شخصية الصادق العظمى ومقامه العلمي وثقافته وزهده وسائر صفاته، الإمام المعصوم الذي أذهب الله عنه الرجس وظهره تطهيراً، فقد وصل إلى مرحلة من الوثوق والاعتماد بحيث قد أخذ منه وسمع منه جميع أهل المذاهب أعلامها وفقهاؤها، فمن كان قوله وفعله حجة على العالمين، فما بال المخالف للزيارة لم يأخذ بسيرته وعمله وزيارته لجدّه المصطفى ووضع يده الشريفه على القبر الشريف.

٨ - زار الإمام المعصوم موسى بن جعفر الكاظم قبر جده عليه السلام.

روى الخطيب البغدادي بسنده قال: حج هارون الرشيد، فأتى قبر النبي صلى الله عليه وآله زائراً له وحوله قريش وافياء القبائل، ومعه موسى بن جعفر فلما انتهى إلى القبر قال: السلام عليك يا رسول الله يا ابن عمي، افتخاراً على من حوله، فدنا موسى بن جعفر فقال: السلام عليك يا أبة، فتغير وجه هارون وقال: هذا الفخر يا أبا الحسن حقاً^(٣).

ورواه البديخي أيضاً في مفتاح النجا وقال: وسبب حبسه - أي موسى بن جعفر - أنه لما حج الرشيد ودخل المدينة توجه إلى زيارة النبي صلى الله عليه وآله ومعه الناس فتقدم إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا ابن عم مفتخراً بذلك على غيره، فتقدم موسى بن جعفر عليه السلام

(١) إكمال الرجال للخطيب العمري: ٦٢٣ ط دمشق.

(٢) مطالب السؤل ابن طلحة: ٢٨٣.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣ : ٣١ ط دار الكتاب العربي.

فقال: السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبة، فتغير وجه الرشيد وتبين الغيظ فيه، فقبض على موسى وذهب به معه إلى بغداد وحبسه زمناً طويلاً، ثم أمد السندي بن شاهك حتى سمع فوعك موسى ﷺ ومات بعد ثلاثة أيام^(١).

ورواه الحافظ الكنجي أيضاً في كفاية الطالب^(٢).

وهذه الزيارة صدرت من إمام معصوم من أبناء رسول الله ﷺ الذي أذعن جميع أعلام المذاهب بصلاحه وزهده وعلمه.

ومن هارون الرشيد الخليفة العباسي المسمى عند العامة بأمير المؤمنين.

١٠- وروي عن الحسن البصري كما يقول النبهاني في الأثوار الحمديّة من المواهب اللدنيّة، أنه قل: وقف حاتم الأصم على قبر النبي ﷺ فقال: يا رب إنا زرنا قبر نبيك فلا تردنا خائبين فنودي: يا هذا ما آذنا لك في زيارة قبر حبيبنا، إلا وقد قبلناك فارجع أنت ومن معك من الزوار مغفوراً لكم^(٣).

١١- وذكر القسطلاني أنه وقف أعرابي على قبره الشريف، وقال: اللهم إنك أمرت بعق العبيد، وهذا حبيبك وأنا عبدك، فاعتقني من النار على قبر حبيبك، فهتف به هاتف يا هذا تسأل العتق لك وحدك، هلاً سألت لجميع الخلق، إذ ذهب قد اعتقناك من النار^(٤).

(١) مفتاح النجا في مناقب آل العبا: ١٧٥، مخطوط.

(٢) كفاية الطالب محمد بن يوسف الكنجي الشافعي: ٤٥٧ ط دار إحياء التراث أهل البيت.

(٣) المواهب اللدنية ٣: ٤١٢، السيرة النبوية للبيومي مهرا: ١١٧.

(٤) المواهب اللدنية ٣: ٤١٢.

وهذه القصة أيضاً وما قبلها وما بعدها تثبت ما رمنا الوصول إليه من إثبات شيوع زيارة قبر النبي ﷺ في ذلك الزمان مع غض النظر عن شخصية الزائر، أعني حاتم الأصم أو الأعرابي، وأنه مستحق لمجيء النداء إليه أم لا؟ ومع غض النظر عن محل صدور النداء.

وبعبارة أخرى إن هذه القصص من الأدلة الإلزامية لمن ينكر شيوع الزيارة في ذلك الزمان.

١٢- في فتوح الشام: إن عمر لما صالح أهل بيت المقدس، وقدم عليه كعب الأحبار وأسلم، وفرح عمر بإسلامه، قال عمر له: هل لك أن تسير معي إلى المدينة وتزور قبر النبي ﷺ وتُمتع بزيارته؟

فقال لعمر: أنا افعل ذلك، ولما قدم عمر المدينة أول ما بدأ بالمسجد وسلم على رسول الله ﷺ^(١).

١٣- روى كثير من المؤرخين والمحدثين، ومنهم ابن عبد البر القرطبي في الاستيعاب والبلاذري وابن عبد ربه^(٢) وابن عساكر وابن أثير باختلاف في اللفظ: أن زياد بن أبيه أراد الحج، بعد استلحاقه معاوية بن أبي سفيان بأبيه، فأتاه أخوه أبو بكر، وهو لا يكلمه، فأخذ إبناً له فجلسه في حجره ليخاطبه ويُسمع زياداً، فقال: إن أبك فعل وفعل، وأنه يريد الحج، وأم حبيبة زوج رسول الله ﷺ هناك، فإن أذنت له، فأعظم بها

(١) المواهب اللدنية ٣: ٤١٢، فتوح الشام ١: ١٤٨، ذكر فتح بيت المقدس، وراجع وفاء الوفاء ٤: ١٣٥٧.

(٢) الإستهيعاب ٢: ١٠٢ رقم ٨٢٩ ط دار الكتب العلمية بيروت.

(٣) أنساب الأشراف للبلاذري ١: ٤٩٣ رقم ٩٩٣.

(٤) العقد الفريد لابن عبد ربه ٥: ١٣ أخبار زياد، وراجع شفاه السقام: ١٤٥، والسيرة النبوية لليومي مهران: ١٣٠، ووفاء الوفاء ٤: ١٣٥٩.

٢٤٨ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

مصيبة وخيانة لرسول الله ﷺ وإن حجته فأعظم بها حجة عليه، فقال زياد: ما تدع النصيحة لأخيك، وترك الحج تلك السنة، هكذا حكاه البلاذري.

وحكى ابن عبد البر في ذيل هذه القصة أقوالا ثلاثة: أحدها: أنه حج ولم يزر من أجل قول أبي بكر. والثاني: أنه دخل المدينة وأراد الدخول على أم حبيبة، فذكر قول أبي بكر فانصرف. والثالث: أن أم حبيبة حجته^(١).

وبأي نحو كان انصرافه وعدم زيارته، فالقصة على كل تقدير تشهد أن زيارة الحاج لقبر رسول الله ﷺ كانت معهودة في ذلك الوقت، وإلا فكان زياد يمكنه الحج من غير طريق المدينة، بل هي أقرب إليه، لأنه كان بالعراق، ولكن كان إتيان المدينة عندهم أمراً لا يترك.

بل إن بعض الروايات تصرح بذلك، لأن أبا بكر قال لابن أخيه: يا بني قل لأبيك إنك تريد الحج، ولا بد من قدومك إلى المدينة.

وفي بعضها: ... وهو مآراً بالمدينة لا محالة....

١٤- وهذا ابن عمر كلما قدم من السفر أتى قبر النبي ﷺ فسلم عليه.

روى عبد الرزاق في مصنفه بإسناد صحيح في باب السلام على قبر النبي ﷺ: أن ابن عمر كان إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه^(٢).

(١) الاستيعاب لابن عبد البر القرطبي ٢: ١٠٢ ط دار الكتب العلمية.

(٢) المصنف لعبد الرزاق ٣: ٥٧٦ ح ٦٧٢٥، المجموع للنووي ٨: ٢٧٢، وفاء الوفا

للسمهودي ٤: ١٣٥٨، المواهب اللدنية ٣: ٤١١.

وفي الموطأ إن ابن عمر كان يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي على النبي ﷺ وعلى أبي بكر وعمر^(١).

وروي عن أبي عون قال: سألت رجلاً نافعاً: هل كان ابن عمر يسلم على القبر؟

قال: نعم، لقد رأيتُه مائة مرة أو أكثر من مائة مرة، كان يأتي القبر فيقوم عنده، فيقول: السلام على النبي، والسلام على أبي بكر، والسلام على أبي^(٢).

وقد رواه السبكي وصححه من وجوه كثيرة، وذكر إسناده إلى مالك بن أنس، عن نافع، عن ابن عمر^(٣).

وأنت حين تلاحظ هذه الرواية ترى فيها كلمة القبر، فلا يمكن إذن للممانعين أن يوجهوا عمل ابن عمر ويأولوا كلمة القبر بالمسجد، فإنه لا معنى في السلام على المسجد، ولكن الذي في قلبه مرض وكان بنائه على العناد لا يمتنع من هذه التأويلات الباطلة والمضحكة ولا يستحي من الله.

١٥- وزار أيوب السخيتاني مرقد النبي ﷺ.

روى أبو القاسم طلحة بن محمد في مسند أبي حنيفة عن أبي حنيفة، قال: جاء السخيتاني فدنا من قبر النبي ﷺ فاستدبر القبلة، وأقبل بوجهه إلى القبر، وبكى بكاء غير متباك.

ورواه أيضاً المجد اللغوي عن عبد الله المبارك، قال سمعت أبا حنيفة يقول: قدم أيوب السخيتاني وأنا بالمدينة، فقلت: لأنظرن ما يصنع،

(١) الموطأ لمالك: ٨٣ ط دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢) الشفاء للقاضي عياض ٢: ٨٦ ط دار الكتب العلمية، وفاء الوفاء ٤: ١٣٥٨.

(٣) شفاء السقام: ١٦٧.

٢٥٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

فجعل ظهره مما يلي وجه رسول الله ﷺ وبكى غير متباك، فقام مقام رجل فقيه^(١).

وهذه الرواية أيضاً تدل على صحة شد الرحال، لأن السختياني لم يكن في المدينة.

١٦- زار الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ قبر جده المصطفى ﷺ وألّزق منكبه الشريف بالقبر.

وإليك أيضاً نبذة من إعرافات القوم بحقه وزهده وتقدمه على الآخرين.

قال ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة؛ قال إبراهيم بن العباس: سمعت العباس يقول: ما سئل الرضا عن شيء إلا علمه ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقت عصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيبه الجواب الشافي.

وكان قليل النوم كثير الصوم، لا يفوته صيام ثلاثة أيام في كل شهر، ويقول: (ذلك صيام الدهر)، وكان كثير المعروف والصدقة سرّاً، وأكثر ما يكون ذلك منه في الليالي المظلمة وكان جلوسه في الصيف على حصير وفي الشتاء على مسح^(٢).

ورواه الشبلنجي في نور الأبصار^(٣)، والزبيدي الحنفي في إنحاف السادة المتقين، وقال في ملحه: صدوق، روى له ابن ملجة^(٤).

(١) وفاء الوفاة: ١٣٧٧.

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ٢٣٣ ط الغربي.

(٣) نور الأبصار للشبلنجي: ٢٠٨ ط العثمانية بمصر.

(٤) إنحاف السادة المتقين ٧: ٣٦٠ ط الميمنية بمصر.

فمن كان هذا وصفه عند المخالفين، فقولته وفعله حجة لجميع المسلمين، وإليك نبذة من عمله:

روى الشيخ الصدوق في العيون، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن علي بن فضال، قال: رأيت أبا الحسن الرضا عليه السلام وهو يريد أن يودع للخروج إلى العمرة، فأتى القبر من موضع رأس النبي صلى الله عليه وآله بعد المغرب، فسلم على النبي صلى الله عليه وآله ولزق بالقبر، ثم انصرف حتى أتى القبر، فقام إلى جانبه يصلي، فألزم منكب الأيسر بالقبر قريباً من الأسطوانة المخلقة التي عند رأس النبي صلى الله عليه وآله، فصلّى ست ركعات أو ثمان ركعات^(١).

١٧- إيراد عمر بن عبد العزيز البريد بالسلام على الرسول صلى الله عليه وآله.

وقد استفاض عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يبرد البريد من الشام يقول: سلم لي على رسول الله صلى الله عليه وآله.

وروي عن حاتم بن وردان قال: كان عمر بن عبد العزيز يوجه البريد قاصداً من الشام إلى المدينة ليقرئ عنه النبي صلى الله عليه وآله السلام^(٢).

وذكره أيضاً الإمام أبو بكر أحمد بن عمر بن أبي عاصم النبيل في (مناسك) له لطيفة جردها من الأسانيد، ملتزماً فيها الثبوت، قال فيها: وكان عمر بن عبد العزيز يبعث بالرسول قاصداً من الشام إلى المدينة

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٧، وحكاه عنه في البحار ٨٠: ٣١٤، ولاحظ كامل

الزيارات لابن قولويه: ٢٦.

(٢) الشفلة للقاضي عياض ٢: ٨٥، وشعب الإيمان للبيهقي ٣: ٤٩٢، والقسطلاني

في المواهب اللدنية ٣: ٤٠٦ ط دار الكتب العلمية بيروت، ووفاء الوفا ٤:

ليقرئ النبي ﷺ السلام ثم يرجع^(١).

قال السبكي بعد ذكر هذه الروايات: فسفر بلال في زمن الصحابة ورسول عمر بن عبد العزيز في زمن صدر التابعين من الشام إلى المدينة، لم يكن إلا للزيارة والسلام على النبي ﷺ ولم يكن الباعث على السفر غير ذلك، لا من أمر الدنيا ولا من أمر الدين، ولا من قصد المسجد ولا من غيره، وإنما قلنا ذلك لثلا يقول بعض من لا علم له: إن السفر مجرد الزيارة ليس بسنة! وستكلم على بطلان ذلك في موضعه^(٢).

ولا يخفى أن سفر بلال ورسول عمر بن عبد العزيز وهكذا الأعرابي الذي نقله العتبي كان مختصاً لزيارة قبر رسول الله ﷺ، وأما من سافر إلى المدينة لحاجة أخرى وزار النبي ﷺ عند قدومه، أو اجتمع في سفره قصد الزيارة مع قصد آخر، فكثير.

منها: ما رواه القاضي عياض في الشفاء عن يزيد بن أبي سعيد المهري قال: قدمت على عمر بن عبد العزيز، فلما ودعته قال لي: (لي إليك حاجة) إذا أتيت المدينة سترى قبر النبي ﷺ فأقرأه مني السلام^(٣). قال السبكي: وورد هذا عن غير عمر بن عبد العزيز أيضاً: قال أبو الليث السمرقندي الحنفي في (الفتاوى) في باب الحج، قال أبو القاسم: لما أردت الخروج إلى مكة قال القاسم بن غسان: إن لي إليك حاجة، إذا أتيت قبر النبي ﷺ فأقرئه مني السلام، فلما وضعت رجلي في مسجد النبي ذكرت^(٤).

(١) شفاء السقام: ١٤٣ ط الرابعة.

(٢) شفاء السقام: ١٤٣ ط الرابعة.

(٣) الشفاء للقاضي عياض ٢: ٨٥ ط دار الكتب العلمية بيروت، شعب الإيمان

للبيهقي ٣: ٤٩٢.

(٤) شفاء السقام: ١٤٤ ط الرابعة.

قال الفقيه: فيه دليل أن من لم يقدر على الخروج، فأمر غيره ليسلم على النبي ﷺ عنه، فإنه ينال فضيلة السلام إن شاء الله تعالى^(١).

وفي فتوح الشام أنه لما كان أبو عبيدة منازل بيت المقدس، أرسل كتاباً إلى عمر مع ميسرة بن مسروق يستدعيه الحضور، فلما قدم ميسرة مدينة رسول الله ﷺ دخلها ليلاً، ودخل المسجد وسلم على قبر رسول الله ﷺ وعلى قبر أبي بكر^(٢).

وقال الخفاجي الشافعي: كان من دأب السلف أنهم يرسلون السلام إلى رسول الله ﷺ، وإنه كان يبلغه سلام من سلم عليه، وإن كان بعيداً عنه، لكن في الزيارة فضيلة خطابه عنده ورده عليه السلام بنفسه^(٣).

أقول: وهكذا كان دأب المسلمين السلف إلى زماننا هذا، فإن من لم يقدر منهم على الحج والزيارة، يوصي من وفقه الله لحج بيته وزيارة قبر نبيه ﷺ مع الاشتياق والتحسّف، بأن يبلغ النبي ﷺ منه السلام وأن يتوب عنه في الزيارة.

فلو كانت زيارته ﷺ غير مشروعة لما فعل هذا الخيل العظيم وفيهم علماء وعقلاء صلحاء، ولا نرى من يخالفهم ويمنعهم من أهل العلم والمعرفة، إلا من ثبت عنادهم ومحاربتهم لهذا الأمر العظيم الذي هو من أهم شعائر الله، ومخالفة من كان هذا حاله لا تضر بهذه السيرة المستمرة ولا تؤثر في قلوب أحد من المسلمين فضلاً عن المؤمنين، بل كلما ازدادت مخالفتهم ومحاربتهم له، كثر أهله وعظم شأنه وازداد المؤمنون إيماناً و يقيناً

(١) شفاء السقام: ١٤٤.

(٢) فتوح الشام لابن عساكر ١: ١٤٨ ذكر فتح بيت المقدس.

(٣) شرح الشفاء للخفاجي ٣: ٥٦٦ ط المطبعة العثمانية، وانظر السيرة النبوية

٢٥٤ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

ولها واشتياقاً لزيارة نبي التوحيد ﷺ الذي بنوره قد اهدتوا وبسببه قد خرجوا من ظلمات الجهل والضلالة إلى نور المعرفة والهداية.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ
كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ .

كراهة مالك

وأما ما ذكره الخصم من كراهة مالك، فقد تقدم الجواب عنه، وتقدم أيضاً مناظرته مع أبي جعفر المنصور وما اشتمل عليه من الزيارة والتوسل بالنبي ﷺ وحسن الأدب معه.

ويؤيد عدم مخالفة مالك للزيارة ما ذكره القاضي عياض في الشفاء من عمل مالك: قال بعضهم: رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي ﷺ فوقف فرفع يده، حتى ظننت أنه افتتح الصلاة، فسلم على النبي ﷺ ثم انصرف^(١).

فكيف يمكن نسبة الكراهة له مع ما تقدم منه من الزيارة والأدب عند قبره ﷺ.

كلام بعض الأعلام حول كراهة مالك

قال البيهقي: ومن المعروف أن الإمام مالك، كما يقول الدكتور المالكي في كتابه (مفاهيم يجب أن تصحح) من أشد الناس تعظيماً للجناب النبوي، وهو الذي كان لا يمشي في المدينة منتعلاً ولا راكباً، ولا يقضي

(١) الشفاء للقاضي عياض ٢: ٨٥ ط دار الكتب العلمية بيروت، شعب الإيمان

فيها حاجته، إحتراماً وتعظيماً وتكريماً لتراب المدينة الذي مشى عليه رسول الله ﷺ، ومن ثم فمن شدة تعظيمه للمدينة كره أن يقال زرنا قبر النبي ﷺ، وكأنه أراد أن يقول القائل: زرنا النبي ﷺ مباشرة، دون لفظ القبر، لأن القبر مهجور بدليل قوله ﷺ: «صلّوا في بيوتكم ولا تجعلوها قبوراً»^(١).

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري: إن الإمام مالك إنما كره اللفظ أدباً، لا أصل الزيارة، فإنها من أفضل الأعمال، وأجل القربات الموصلة إلى ذي الجلال، وإن مشروعيتها محل إجماع بلا نزاع والله الهادي إلى الصواب^(٢).

وقال أبو عمران الحافظ ابن عبد البر صاحب الاستيعاب على ما حكاه عنه القاضي عياض: إنما كره مالك أن يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي ﷺ لاستعمال الناس ذلك بعضهم لبعض، أي فيما بينهم فكره تسوية النبي ﷺ مع الناس، أي عمومها بهذا اللفظ، وأحب أن يخص بأن يقال: سلمنا على النبي ﷺ.

وأيضاً فإن الزيارة مباحة بين الناس، وواجب شد المطي إلى قبره ﷺ، - يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتأکید لا وجوب فرض -^(٣).

ثم قل القاضي عياض: الأولى عندي أن منعه وكراهة مالك له لإضافته إلى القبر، أي قبر النبي ﷺ وأنه لو قال زرنا النبي لم يكرهه لقوله ﷺ:

(١) السيرة النبوية للبيومي ٣: ١١١.

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر ٣: ٥٤.

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر القرطبي كما حكاه القاضي عياض في الشفاء ٢: ٨٤.

ويؤيد قوله (لا وجوب فرض) ما ورد في بعض الأخبار من أنّ غسل الجمعة

واجب أي ثابت في الشريعة، وقوله تعالى: ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ أي ثبتت.

«اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد بعدي إشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» فحَمَى إضافة هذا اللفظ إلى القبر والتشبه بفعل أولئك قطعاً للذريعة، وحسماً للباب والله أعلم^(١).

قال البيهقي في سيرته: ويقول الدكتور المالكي: لو كان المقصود كراهية الزيارة لقال مالك: أكره للرجل أن يزور قبر النبي ﷺ لكن ظاهر قوله: (أكره للرجل أن يقول...) على أن المقصود هو كراهة التعبير بهذا اللفظ فقط، وذلك لأن الزيارة في الحقيقة ليست للقبر، وإنما هي لساكن القبر وصاحبه، ألا وهو سيد الأنبياء والمرسلين، وأفضل مخلوقات الله أجمعين، النبي الأعظم والرسول الأكرم سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

وفي الواقع لعل المنكرين لزيارة المسلمين لقبر نبيهم، يسألون أنفسهم قبل أن يسيثوا الظن بالمسلمين ممن يُشرفون بزيارة المصطفى ﷺ وقبل أن يتهموهم بأسوأ التهم.

أقول: يسألون أنفسهم: ما قيمة القبر بدون ﷺ، بل كما قال الدكتور المالكي، ما هي قيمة المسجد بدون ﷺ، بل ما هي قيمة المدينة المنورة بدون ﷺ، بل ما هي قيمة المسلمين كلهم بدون ﷺ، فإنهم لولاه ولولا رسالته والإيمان به ومحبته والإقرار بالشهادة التي لا تصح إلا به، ما كانوا ولا قاموا ولا فازوا ولا نجوا.

ومن هنا فإن ابن عقيل الحنبلي لما سئل عن المفاضلة بين الحجرة والكعبة فقال: - كما جاء في بدائع الفوائد لابن القيم - إن أردت مجرد الحجرة فالكعبة أشرف، وإن أردت وهو ﷺ فيها، فلا والله، ولا العرش وحملته ولا جنة عدن ولا الأفلاك الدائرة، لأن بالحجرة جسداً، لو وزن بالكونين لرجح، ومن هنا قال العلماء: إنه لا ينبغي أن يقول زرت القبر:

وإنما يقول زرت النبي ﷺ .

وروى الدارمي في مسنده عن نبيه بن وهب أن كعباً دخل على عائشة فذكروا رسول الله ﷺ فقال كعب: ما من يوم يطلع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحفوا بقبر النبي ﷺ يضربون بلجنحتهم ويصلون على رسول الله ﷺ حتى إذا أمسوا عرجوا، وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك، حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج في سبعين ألفاً من الملائكة يزفونه. إنتهى^(١).

عزيزي القارئ: قد ذكرت لك هذه الكلمات من الأعلام حول مالك وكراهته ليثبت لك ويطمئن قلبك بأن غرضه ليس المنع من الزيارة، بل على جميع الاحتمالات والوجوه يرجع كلامه إلى التأدب الزائد مع رسول الله، ولو كان مالك يعلم بأن كلامه يصير سبباً للشبهة ويستفاد منه سوءاً لما قاله أصلاً، وقد ذكرنا كلمات أخرى للأعلام لما فيها من الفوائد وتقوية لأدلة الزيارة.

نسبة المنع من الزيارة إلى أهل البيت ﷺ

فإن قال الخصم: إنه قد ورد المنع من الزيارة من أهل البيت ﷺ، فقد روى عبد الرزاق في مصنفه بسنده إلى الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب: أنه رأى قوماً عند القبر فنهاهم.

وقال: إن النبي ﷺ قال: «لا تتخذوا قبوري عيداً، ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي حيث ما كنتم فإن صلاتكم تبلغني»^(٢).

(١) السيرة النبوية للدكتور محمد بيومي مهران ٣: ١١١ - ١١٣.

هذا ملخص ما قاله الأعلام حول كراهة مالك وإذا شئت التفصيل فراجع

شفاء السقام: ١٦٩، فقد بحث عن كلام مالك مفصلاً.

(٢) المصنف لابن عبد الرزاق ٣: ٥٧٧ توزيع المكتب الإسلامي.

وقد ورد هذا الحديث بنفس الطريق باختلاف في اللفظ وهو:

عن حسن بن حسن بن علي أنه رأى رجلاً وقف على البيت الذي فيه قبر النبي ﷺ يدعو له ويصلي عليه، فقال للرجل: لا تفعل، فإن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا بيتي عيداً، ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي حيث ما كنتم، فإن صلواتكم تبلغني»^(١).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة وابن عساكر ٤: ٢١٧ وانظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٤: ٤٣٨.

وقال الذهبي في ذيل هذا الحديث: هذا مرسل وما استدل حسن في فتواه بطائل من الدلالة، فمن وقف عند الحجرة المقدسة ذليلاً مسلماً، مصلياً على نبيه فيا طوبى له فقد أحسن الزيارة، وأجل في التذلل والحب، وقد أتى بعبادة زائلة على من صلى عليه في أرضه أو في صلاته، إذ الزائر له أجر الزيارة وأجر للصلاة عليه والمصلي عليه في سائر البلاد له أجر الصلاة فقط، فمن صلى عليه واحدة صلى الله عليه عشراً، ولكن من زاره صلوات الله عليه وأساء أدب الزيارة، أو سجد للقبر أو فعل ما لا يشرع، فهذا فعل حسناً وسيئاً فيعلم برفق، والله غفور رحيم؛ فوالله ما يحصل الانزعاج لمسلم، والصياح وتقبيل الجدران وكثرة البكاء، إلا وهو محب الله ورسوله؛ فحبه المعيار والفارق بين أهل الجنة وأهل النار؛ فزيارة قبره من أفضل القرب.

وشد الرحال إلى قبور الأنبياء والأولياء، لئن سلمنا أنه غير مأذون فيه لعموم قوله صلوات الله عليه «لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» فشد الرحال إلى نبينا ﷺ مستلزم لشد الرحال إلى مسجده، وذلك مشروع بلا نزاع، إذ لا وصول إلى حجراته إلا بعد الدخول إلى مسجده، فليبدأ بتحية المسجد، ثم بتحية صاحب المسجد، رزقنا الله وأياكم ذلك آمين.

قال محقق هذا الكتاب: قصد المؤلف ﷺ بهذا الاستطراد الرد على شيخه

قلنا: إن هذا الحديث على فرض صحته والغرض عن سنده، - لأن الذهبي قد أورده في ترجمته في سير أعلام النبلاء وقال بعد نقله: هذا مرسل -، فإنه ليس ناظراً إلى المنع والإنكار عن أصل الزيارة، كيف وإن أهل البيت عليهم السلام قد شيدوا هذا الأمر العظيم وأمروا الناس ورغبوهم في الزيارة، وقد صدرت منهم الأحاديث الكثيرة التي تقدم بعضها في الحث على زيارة خير المرسلين عليهم السلام وأهل بيته المعصومين وسائر الأنبياء والمرسلين والصلحاء والمؤمنين.

بل هذا الحديث ناظر إلى الإرشاد والتعليم بالنحو الصحيح والطريقة الوسطى من الزيارة حتى لا يقع الإفراط والتفريط فيها.

ومن المحتمل والذي يستفاد من جملة «رأى قوماً عند القبر» إن القوم كانوا جالسين عند القبر ومتخذين حلقة للذكر والعبادة عاكفين في ذلك المكان، فنهاهم وأرشدهم إلى الصحيح ويؤيده قوله: «لا تتخذوا بيوتكم قبوراً» أي لا تركوا العبادة والذكر والصلاة في بيوتكم، وهناك احتمالات أخر تستفاد من كلمة «العيد» أيضاً سنذكرها في الكلام حول أدلة المانعين، وعلى كل الاحتمالات فالحديث ليس ناظراً للمنع أصلاً.

ونظير هذا الحديث ما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام وقد رواه القاضي إسماعيل في كتابه: فضل الصلاة على النبي عليه السلام بسنده إلى علي بن الحسين بن علي عليه السلام: «إن رجلاً كان يأتي كل غداة، فيزور قبر النبي عليه السلام ويصلي عليه، ويصنع من ذلك ما انتهره عليه علي بن الحسين فقال له علي بن الحسين: ما يملكك على هذا؟»

ابن تيمية الذي يقول بعدم جواز شد الرحل لزيارة قبر النبي عليه السلام ويرى أن على الحاج أن ينوي زيارة المسجد النبوي كما هو مبين في محله.

قال: أحب التسليم على النبي ﷺ.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: هل لك أن أحدثك حديثاً عن أبي؟

قال: نعم!

فقال له علي بن الحسين: أخبرني أبي، عن جدي أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا قبوري عيداً، ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي وسلموا حيث ما كنتم، فسيبلغني سلامكم وصلاتكم»^(١).

ومن هذا الحديث نفهم أن الرجل كان قد زاد في الحد، وخرج عن الأمر المسنون، ويحتمل أنه كان يترك أموره اليومية وما يحتاج فيه إلى معيشته وعياله، كما صدر عن بعض المتكلمين الجاهلين المفرطين الخارجين عن النظام المتعارف في أفعالهم، وأراد الإمام عليه السلام تعليمه وإرشاده إلى المتعارف وتعديل طريقتة، ولأجله قال: إن السلام يبلغ من البعيد أيضاً، لما رآه يتكلف من الإكثار في الحضور.

والحاصل: إنه ليس من الممكن أن يمنع الأئمة من أهل البيت عليهم السلام من أمر قد حثوا وأكدوا عليه وبينوا فضائله وثوابه، وكيف يتخيل في أحد من السلف منهم من زيارة المصطفى ﷺ وهم مجمعون على زيارة سائر الموتى، وقد تقدمت أحاديثها، فالنبي ﷺ وسائر الأنبياء الذين ورد في حقهم أنهم أحياء، وقد ثبتت حرمتهم أحياءً وأمواتاً، كيف يُقال فيهم هذه المقالة؟

هذا وسيأتي الكلام إن شاء الله مفصلاً في هذا الحديث، وفي قوله ﷺ: «لا تجعلوا قبوري عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً» وهكذا في حديث: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، وأمثال هذه الأحاديث التي جعلها المانعون حجة أخرى لمنعهم من الزيارة وتكفير المسلمين وإيذائهم، والحال أنها لا تملك على مقصودهم.

(١) فضل الصلاة على النبي ﷺ للقاضي إسماعيل: ٣٣، ولاحظ وفاء الوفا: ٤: ١٣٦٧.

الزيارة ليست من مختصات الشيعة

قد اتضح لك حتماً من خلال ما تقدم من الأدلة والبيانات حول الزيارة، - خصوصاً مع ما قدمناه من الاستدلال على مذاهب أهل السنة ونقل أقوال علمائهم وإجماعهم - أن مسألة الزيارة والاهتمام بها ليست من مختصات الشيعة فقط، بل هي من المسائل المتفق عليها والملتزم بها عند جميع فرق المسلمين على اختلاف مذاهبهم وقد وقع عملهم وسيرتهم سلفاً وخلفاً عليها إلى زماننا هذا.

ومع هذا الاتفاق، فليس من الانصاف ولا من الوجدان ولا من الدين، أن تتوجه الاتهامات والافتراءات في الزيارة عليهم.

فمنهم من يقول: نجد الرافضة يعطلون المساجد التي أمر الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه فلا يصلون فيها جمعة ولا جماعة وليس عندهم كبير حرمة وإن صلوا فيها صلوا فيها وحداناً، ويعظمون المشاهد المبنية على القبور، فيعكفون عليها مشابهاً للمشركين....^(١)

ومنهم من يقول: الرافضة عبّاد القبور، وإنهم يقولون أنها سيرة علوية ويلتزمون بهذه السيرة ويتركون السنة والفريضة المكتوبة^(٢)....

ومنهم من يقول: وبهذا الغلو الذي رأيت من طائفة الشيعة في أئمتهم وبهذا التآليه الذي سمعت منهم لعلي وولده، عبدوا القبور وأصحاب القبور وأشادوا المشاهد، وأتوها من كل مكان سحيق وفتح عميق^(٣)....

(١) منهاج السنة لابن تيمية ١٠ : ١٣١ .

(٢) النقض لأبي الرشيد الرازي ١ : ٦٤٢ .

(٣) الصراع بين الوثنية والإسلام للقصيمي ١ : ٥٤ .

وقال في موضع آخر: الأشياء المشروعة، كالصلاة والسلام على الرسول الكريم لا فرق فيها بين النائي والقريب، فإنها حاصلة في الحالتين، وأما مشاهدة القبر الشريف نفسه ومشاهدة الأحجار نفسها فلا فضل فيها ولا ثواب بلا خلاف بين علماء الإسلام، بل إن مشاهدته عليه الصلاة والسلام حينما كان حياً لا فضل لها بذاتها وإنما الفضل في الإيمان والتعلم منه والإقتداء به والنهج منهجه ومناصرته، وبالإجمال أن أحداً من الناس لن يستطيع أن يثبت لزيارة القبر الشريف فضلاً ما وهذا واضح من سيرة المسلمين الأولين^(١)

وما لاحظته من الكلمات الشنيعة هي نبذة من مخاريقهم واقتراءاتهم على شيعة آل محمد ﷺ، وإنك لو أمعنت النظر وتأملت فيها لما رأيت لها دليلاً وتوجيهاً إلا العداوة والبغضاء لصاحب الشريعة السمحاء وأهل بيته النجباء.

فإنك لو سافرت إلى بلدانهم لرأيت مساجدهم عامرة مجللة عمولة من المصلين في جمعتهم وجماعاتهم وثبت لك كذب المقتريين. هذا بالنسبة إلى المساجد.

وأما الغلو فإن الشيعة بريئون ممن غلى في حق علي والأئمة من أولاده ﷺ وقد حكموا على الغلاة بالكفر، كما أن أئمتهم قد تبرئوا منهم وأمروا بقتلهم وتطهير الأرض منهم.

لكن عدم الغلو لا ينافي الاهتمام في زيارتهم وتعظيم شأنهم وتشديد مراقدهم لأنه - كما قدمنا - بأمر من الله جل جلاله ورسوله ﷺ وليس من أنفسهم، فإن قصدهم من هذه الأمور هو تعظيم من عظمه الله وأوجب تعظيمه، كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ بَعْظُكُمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فإِنَّهَا مِنْ

تَقْوَى الْقُلُوبِ، وإطاعة الله والتقرب إليه، فهذه الأعمال من مقويات أركان التوحيد والتوجه بالله وعبادته كما هو المشاهد في مشاهدتهم.

فإن من يزورهم ويحضر في مشاهدتهم يكون أكثر ذكراً لله وأكثر عبادة له، وترى أن مشاهدتهم المعظمة قدصارت سبباً لتقوية الدين وتجيده في قلوب المسلمين وابتعادهم عن الشيطان الرجيم وأتباعه أعداء الدين.

فأين الشبهة بالمشركين!!! وأي عملهم عبادة للقبور!! وأيهم ترك سائر الواجبات مثل الحج بسبب إتيان هذه السنة الحسنة!!! أما ترى عددهم الكثير في موسم الحج؟! ولوسمح لهم ووسع لهم المجال لازداد عددهم في كل سنة أكثر فأكثر.

فإن المحقق المنصف المطلع على أحوال المسلمين خاصة شيعة أمير المؤمنين عليه السلام لا يرى لهذه الكلمات الشنيعة دليلاً إلا العدوان ولا ينتفع منها إلا الشيطان.

والذي يثير الحيرة والعجب كثرة جرأتهم على الرسول الكريم وعلى أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بحيث جعلوا مشاهدة قبره الشريف والأحجار العادية سواء لا فضل فيها ولا ثواب وادعوا عدم الخلاف فيه بين علماء الإسلام وجعلوا رتبته أقل من رتبة العلماء والمؤمنين، فإن النظر لوجه العالم عبادة بادعائهم والنظر إليه عليه السلام ومشاهدته لا فضل لها!!!.

هل يجوز لمن أسلم وجهه لله وهو محسن وآمن بالنبي عليه السلام وما جاء به من كتاب وسنة وتخلق بمكارم الأخلاق أن يتفوه بمثل هذه الأكاذيب؟

وهل يجوز له أن يسوي بين مشاهدة الأحجار وبين رؤية قبر النبي المختار عليه السلام؟

وهل يجوز له أن ينكر الفضل لمشاهدته حياً ويجعل رؤيته كرؤية عامة

الناس؟ أيصح له أن لا يرى لزيارته حياً وميتاً فضلاً ولا كرامة؟

أليست من سيرة البشر وكل ملة من الأمم المتقدمة إلى زماننا أن تستعظم كبرائها وزعمائها ومن كان لهم دورٌ في حضارتها وتقدمها، في حل حياتهم وبعد مماتهم ويقدرونهم، ويرون هذا التعظيم فخراً لهم، وأداءً لحق تلك الشخصيات.

ويحققون هذا التعظيم بزيارتهم حياً وميتاً وتقديسهم والتبرك بهم واتخاذ الذكريات السنوية من أجل تجليلهم وتخليد كلماتهم وفكرتهم، وتراهم يعظمون أولادهم وعشيرتهم وكل ما له نسبة إليهم.

هل من الدين والإنصاف تنزيل شخصية الرسول المصطفى وأهل بيته النجباء صلوات الله عليهم أجمعين عن تلك الشخصيات.

والحال أن الجميع قد اعترفوا بفضلهم وجلالتهم وعظم شأنهم ومقامهم عند الله سبحانه واعترفوا بتقدمهم على الآخرين؟

وهل من الإنصاف أن يفترى على الشيعة بسبب العمل بوظائفهم وتعظيمهم لنبيهم وأهل بيته بالغلوِّ وأمثال تلك الكلمات الشنيعة، والحال أن هذا التعظيم والزيارة غير منحصر بهم.

بل ترى المسلمين من سائر المذاهب يعظمونهم ويعظمون علمائهم وشخصياتهم في حال حياتهم وبعد مماتهم.

فإن كتب التاريخ والتراجم التي كتبها علماء المذاهب أحسن دليل وشاهد لما قلنا من عدم المحصار التعظيم بهم، بل هي سيرة مستمرة بين جميع الأمم والمذاهب.

وما سيوافيك هي نبذة من تلك الموارد:

رأس الحسين عليه السلام في مجلس يزيد

ذكر أبو إسحاق الإسفراييني الشافعي عن زين العابدين عليه السلام أنه قال: لما أتى برأس أبي يزيد كان يتخذ في مجلسه الخمر والرأس بين يديه في طشت من الذهب مغطاة بمنديل حرير، فبينما هو جالس ذات يوم وحوله أكابر دولته وهم يشربون الخمر والرأس بين أيديهم إذ دخل عليهم رسول ملك الروم وكان من أشرف الروم وأعظمها وكان يأتي ليزيد بالكتب من عند ملكهم، فسلم على يزيد ومن حوله، وأعطاه كتاباً كان معه، ثم جلس وتحدث معهم وهم على تلك الحالة ورأس الحسين بينهم في الطشت، فاستعظم ذلك.

فقال ليزيد: لم تشربون الخمر وهذا الرأس بينكم فلمن هي؟

فقال: لا تسئل عما لا يعنك.

فقال: أريد أن أخبر ملكنا بما أنتم عليه، لأنه يسألني عن كل شيء رأيته فلهذا أريد أن تجربني بقضية هذا الرأس حتى أشارككم في الفرح والسرور.

فقال له يزيد: هذا رأس خارجي خرج على عاملي في البصرة والعراق. فقال له: ومن يكون هذا الخارجي؟

قال: الحسين بن علي، فقال: من أمه؟

قال: فاطمة الزهراء بنت محمد.

فقال: أف لك ولتدينك يا يزيد الآن ديني أحسن من دينك.

فقال: لماذا؟، قال له: أبي كان من حوارى داود وبيني وبينه أكثر من أربعين جداً، فمن ذلك النصراني يعظموني ويلتذون من تراب أقدامى تبركاً بي، وأنتم تفعلون بابن بنت نبيكم هذه الفعال وما بينه وبينه جد،

فأي دين دينكم؟

ثم قال: يا يزيد هل سمعت حديث كنيسة الحافر؟

قال: لا، فقال: أعلم إن بين عمان والصين بحر مسيرة سنة ليس فيه عمران إلا بلدة في وسط الماء ثمانين فرسخاً في ثمانين، ما على وجه الأرض أكبر منها ومنها يحمل الياقوت والكافور وأشجارها العود والعنبر وهي في أيدي النصارى وفي تلك البلدة كنائس كثيرة وأعظمها كنيسة حافر، محرابها حلقة ذهب معلقة وفيها حافر مرصع بالدمع والياقوت، ومن حوله الذهب والفضة، وليس بائناً منه شيئاً من كثرة الذهب والفضة والحلي إلى أسفله، وتعظيم هذا الحافر يكون بسبب زعمهم أنه حافر حمار كان يركبه عيسى ﷺ وكثير منهم يقصدون زيارته في كل عام ويطوفون حوله ويقبلونه ويرفعون حوائجهم إلى الله عنده، فهذا شأنهم ودأبهم بحافر حمار يزعمون أن نبيهم كان يركبه، وهذا نبيكم حقاً لا شك فيه وقد هداكم من الضلالة إلى الهدى ومن ظلمة الكفر إلى نور الإسلام، وأبو المقتول هو الساقى على الحوض يوم القيامة، فلا بارك الله فيك ولا في فعلك!!

فغضب يزيد غضباً شديداً وقال أقتلوه لثلا يفضحنا.

فلما سمع ذلك، قال أتريد قتلي؟ قال: نعم.

فقال: اعلم إنني رأيت نبيكم في المنام وقد ضمن لي الجنة فتعجبت من كلامه، ثم قال ليزيد: تقتل ابن نبيكم وتزعم أنك على دين الإسلام، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم تقدم إلى الرأس وضمه وقبله وبكى، ثم قُتل ﷺ وهو يقول وا خجلة الإسلام من أضداد ظفروا به وقوم المسيح يعظمون حافر حماره^(١).

(١) نور العين في مشهد الحسين ﷺ، أبو إسحاق الإسفراييني: ٨١ ط المنار - تونس،

ولاحظ كتاب الإمام الحسين للدكتور محمد بيومي مهران: ١٥٥.

ونظيرها قصة أخرى وقعت في مجلس يزيد.

وهي قصة رأس الجالود اليهودي: فإنه دخل على يزيد وكان حكيمة فقال: ما هذا الرأس؟ فقال له: رأس خارجي.

فقال: وما اسمه؟ فقال الحسين، فقال ولم تقتله؟ قل: أراد أن يأخذ الخلافة.

فقال له: ويلك يا يزيد إنما هو أحق بالخلافة، أما تعلم إن بيني وبين النبي داود أربعين جداً واليهود يعظمونني ويتبركون بي، وأنتم بالأمس كان محمد فيكم كريماً واليوم قتلتم أولاده وسبيتم حريمه، ثم سحب سيفه وحمل على يزيد ليقتله، فحال بينهما الحاضرون فدنا اليهودي من الرأس وقبلها.

وقال لعن الله قاتلك وخصمه جدك يعز علي أن لا أكون أول شهيد استشهد بين يديك ولكن إذا لقيت جدك فاقرئه مني السلام، وأخبره أنني على قول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

فقال له يزيد: والله لولا أنني أحتاج إليك لأجل أمراضك لقتلتك شر قتلة، فقال له: والله لا أداويك إلا بما يُزيد أمراضك، فأمر بضرب عنقه رحمه الله تعالى^(١).

نبذة من تعظيم المسلمين علمائهم

منهم: أبو مسهر الغساني هو أبو مسهر عبد الأعلى الدمشقي الغساني المتوفى سنة ٢١٨ هجرية.

نقل الخطيب البغدادي عن عبد الرحمن أبي حاتم، قال سألت عن أبي مسهر، فقال: ثقة... كنت أرى أبا مسهر إذا خرج إلى المسجد إصطف

(١) نور العين في مشهد الحسين عليه السلام أبو إسحاق الاسفرايني: ٦٦، ولا حظ كتاب

الإمام الحسين للدكتور بيومي مهران: ١٥٥ ط دار النهضة العربية بيروت.

الناس يسلمون عليه ويقبلون يده^(١).

ومنهم: شيخ الحرم الزنجاني.

قال أبو سعيد السمعاني: طاف الزنجاني الآفاق، ثم جاور وصار شيخ الحرم، وكان حافظاً محققاً ورعاً كثير العبادة صاحب كرامات وآيات... إلى أن قال: كان أبو القاسم سعد بن علي شيخ الحرم الزنجاني المتوفى سنة ٤٧٦ هجرية، إذا خرج إلى الحرم يخلو المطاف ويقبلون يده أكثر مما يقبلون الحجر الأسود^(٢).

وقال ابن كثير في تاريخه: كان الناس يتبركون به ويقبلون يده أكثر مما يقبلون الحجر الأسود^(٣).

ومنهم: أبو إسحاق الشيرازي.

كان أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦ هجرية كلما مر على بلدة خرج أهلها يتلقونه بأولادهم ونساءهم يتبركون به، ويتمسحون بركابه، وربما أخذوا من تراب حافر بغلته، ولما وصل إلى ساوة خرج إليه أهلها وما مر بسوق منها إلا نثروا عليه من لطيف ما عندهم حتى اجتاز بسوق الأكاسفة، فلم يكن عندهم إلا مداساة الصغار، فنثروها عليه، فجعل يتعجب من ذلك^(٤).

وفي شذرات الذهب: قال له المقتدر: وما يدريني أنك الخليفة ولم أرك قبلها، فتبسم وطلب من عرفه به، وتراكب الناس عليه في بلاد العجم

(١) تاريخ الخطيب البغدادي: ١١: ٧٣.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ٣: ٣٤٦، صفة الصفوة لابن الجوزي ٢: ١٥١.

(٣) البداية والنهاية ١٢: ١٢٠.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ١٢: ١٢٣.

حتى تمسحوا بأطراف ثيابه وتراب نعليه^(١).

ومنهم: الشريف أبو جعفر الحنبلي

كان الشريف أبو جعفر الحنبلي المتوفى سنة ٤٧١ هجرية يدخل عليه الفقهاء وغيرهم يقبلون يده ورأسه، ولما مات دفن إلى جنب أحمد بن حنبل، فاتخذت العامه قبره سوقاً كل ليلة أربعاء يترددون إليه ويقرؤون الختمات عنده^(٢).

ومنهم: الحافظ عبد الغني المقدسي

هو الحافظ أبو محمد عبد الغني بن عبد الوهاب المقدسي الحنبلي المتوفى ٦٠٠ هـ، كان إذا خرج في عصر يوم الجمعة إلى الجامع لا يقدر يمشي من كثرة الخلق يتبركون به ويجتمعون حوله^(٣).

ومنهم: عبد الكريم الحنبلي، هو أبو بكر عبد الكريم بن عبد الله الفارسي الزاهد الحنبلي المتوفى ٦٣٥ هجرية.

قال ابن النجار: كان شيخاً صالحاً متديناً منقطعاً عن الناس في قريته يقصده الناس لزيارته والتبرك به، وكان حوله جماعة من الفقراء ويضيف من يمرّ به^(٤).

ومنهم: شيخ الإسلام أبو عبد الله اليونيني الحنبلي.

هو الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي الحسين اليونيني الحنبلي المتوفى سنة ٦٥٨ قال الذهبي: نال من الحرمة والتقدم مالم ينله أحد، وكانت

(١) شذرات الذهب ٣ : ٣٥٠ ط دار الفكر - بيروت.

(٢) البداية والنهاية ١٢ : ١١٩ ط دار الفكر - بيروت.

(٣) شذرات الذهب ٤ : ٣٤٦ ط دار الفكر بيروت.

(٤) شذرات الذهب ٥ : ١٧١.

٢٧٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

الملوك تقبل يده وتقدم مداسه^(١).

ومنهم: الشيخ المغربي.

قال الذهبي: وكان لأهل دمشق في الشيخ مسعود بن عبد الله المغربي المتوفى ٩٨٥هـ كبير اعتقاد يتبركون به ويقبلون يديه، وكان الشيخ يحيى العمادي يزوره.

قال النجم الغزي: ولقد دعالي ومسح على رأسي، وأنا أجد بركة دعائه الآن^(٢).

هذا في زيارة وتبرك عوام الناس بالعلماء الأحياء ومن يظنون أنه من رجال الدين ومن أصحاب الكرامة، كما أن سيرتهم استمرت على احترام وتبجيل الأموات من علمائهم.

منهم: الجزري.

ففي مفتاح السعادة: كان الجزري محمد بن محمد المتوفى سنة ٨٣٢ توفي بشيراز، وكانت جنازته مشهورة تبادر الأشراف والخواص والعوام إلى حملها وتقبيلها ومسها تبركاً بها، ومن لم يمكنه الوصول إلى ذلك كان يتبرك بمن تبرك بها^(٣).

ومن بعد ذكر سيرة الناس والعقلاء في تعظيم واحترام وزيارة كبرائهم وعظمائهم والتبرك بآثارهم وذكر بعض الشخصيات الذين كان الناس يعظمونهم ويزورنهم ويتبركون بهم، فما ظنك بزيارة سيد ولد آدم ومن نيظت به سعادة البشر ورقيه وتقدمه؟

(١) شذرات الذهب : ٥ : ٢٩٤ .

(٢) شذرات الذهب : ٨ : ٤٠٩ .

(٣) مفتاح السعادة : ١ : ٣٩٤ .

وما ظنك بشخصية تفتخر ملائكة السماوات بزيارة قبره الشريف في كل يوم، فما من يوم يطلع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحفوا بقبره ﷺ ويصلون عليه حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم، فصنعوا مثل ذلك، حتى إذا انشقت عنه الأرض^(١).

وكم من فرق بين كلام أولئك المخالفين وبين قول الحافظ السبكي بأن من المعلوم من الدين وسير السلف الصالحين التبرك ببعض الموتى من الصالحين فكيف بالأنبياء والمرسلين؟! ومن ادعى أن قبور الأنبياء وغيرهم من أموات المسلمين سواء فقد أتى أمراً عظيماً نقطع ببطلانه وخطأه فيه، وفيه حطٌ لدرجة النبي ﷺ إلى درجة من سواه من المسلمين وذلك كفر متيقن، فإن من حط رتبة النبي ﷺ عما يجب له فقد كفر^(٢).

عزيزي القارئ قد تقدمت كلمات سائر الأعلام حول زيارة خير الأنام فلا نعيدها، لكن بعد وقوفك على بطلان وسخافة ما قاله أولئك المخالفين في هجومهم على الشيعة، وعلمت أن الزيارة سيرة متداولة بين جميع فرق المسلمين، وأنهم يزورون ويعظمون كبرائهم وأئمتهم وصلحائهم ويتبركون بهم وينذرون لهم، حياً وميتاً، فضلاً عن النبي ﷺ وعترته الطاهرة، وبعد علمك بان لا اختصاص في هذا الأمر العظيم للشيعة.

يتبين لك أن تخصيص الشيعة بهذه الافتراءات، كلها ناشئة عن الحقد والبغضاء والعداوة لشيعة آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين، ومن أجل

(١) هذا حديث أخرجه الدارمي في سننه ١ : ٤٤ وذكره القسطلاني في (المواهب اللدنية) وابن حجر في الجوهر المنظم عن الدارمي، وابن المبارك وإسماعيل القاضي، والبيهقي، وذكر الزرقاني في (شرح المواهب) ٥ : ٣٤٠ ما أسقط منه القسطلاني، وذكره الحمزاوي في كنز المطالب: ٢٢٣.

(٢) شفاء السقام: ٢٥٠ ط الرابعة.

محبتهم وموالاتهم لأهل بيت النبوة الذين أمر الله ونبأه جميع المسلمين بحبهم والتمسك بهم وإطاعتهم وحذر عن التخلف عنهم وعداوتهم، فهذه العداوات ترجع إلى العداوة إلى آل محمد ﷺ، وإلا فلا فرق بين الشيعة وسائر فرق المسلمين في هذه المسألة أصلاً.

وإنك ترى كثيراً من أبناء العلمة يزورون قبور الأئمة من أهل البيت وأولادهم ويتبركون بهم لما يرون لهم من الكرامات والفضل عند الله وللإعتقاد بتقدمهم على الآخرين.

وإذا شئت مزيد الإطلاع والوقوف على سيرة العامة أكثر مما قدمناه لك، وإنها لا اختصاص لها بالشيعة، فاعلم أن هناك قبوراً تصدها المسلمون عامة، بالزيارة والتبرك وقضاء الحاجات، في جميع القرون إلى هذا اليوم، وهي متفرقة في البلدان والأقطار، قد تعرض لذكرها وسردها في الكتب، علماء الإسلام من المذاهب الأربعة، ولهم حولها كلمات تعطي الباحث وطالب الحقيقة دروساً عالية، ومن جهات مختلفة، ويقف في مطالعتها على فوائد كثيرة.

منها: عرفان سيرة المسلمين وشعارهم في القرون الماضية حول زيارة القبور والتوسل والتبرك بها والدعاء والصلاة لديها، وختم القرآن لمدفونيه، وأنها ليست مختصة بالشيعة، وإليك نبذة منها:

مزارات المسلمين

١- مزار بلال الحبشي بن حماسة مؤذن رسول الله ﷺ.

قبره بدمشق في باب الصغير، قال ابن جبير في رحلته: وفي رأس القبر المبارك تاريخ بإسمة ﷺ، والدعاء في هذا الموضع المبارك مستجاب، قد

جرب ذلك كثير من الأولياء وأهل الخير المتبركين بزيارتهم^(١).

وفي قرب قبر بلال مزارات آل بيت الرسول ﷺ، مثل قبر السيدة سكينة بنت الحسين عليها السلام وقد زرتها ورأيت سائر الناس يقصدونها بالزيارة وطلب الحوائج.

٢ - مزار سلمان الفارسي:

الصحابي العظيم الذي ورد في حقه عنه عليه السلام: «إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة: علي وعمار وسلمان»^(٢).

وقال النبي ﷺ: «سلمان منا أهل البيت»^(٣).

وقال ابن حجر فيه: هو أبو عبد الله سلمان الفارسي، ويقال له سلمان الخير، مولى رسول الله ﷺ، أصله من فارس، سافر لطلب الدين، وتنصر، وقرأ الكتب، وله أخبار طويلة نفيسة، ثم تنقل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ، فأمن به وحسن إسلامه، وكان رأساً في أهل الإسلام وقال فيه رسول الله ﷺ: «سلمان منا أهل البيت»، ولأه عمر المدائن وكان من المعمرين^(٤).

قال الخطيب البغدادي في تاريخه: قبره الآن ظاهر معروف بقرب أيوان كسرى عليه بناء وهناك خادم مقيم لحفظ الموضع وعمارته والنظر في أمر

(١) رحلة ابن جبير: ٢٢٩ ط دار الكتاب اللبناني.

(٢) المنتظم لابن الجوزي ٣: ٢٧٨ ط دار الفكر - بيروت، سبل السلام لابن حجر العسقلاني ١: ٧٧.

(٣) البداية والنهاية حكاه عن الترمذي من حديث الحسن، عن أنس.

(٤) سبل السلام لابن حجر ١: ٧٧.

٢٧٤ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشع؟

مصالحه، وقد رأيت الموضع وزرته غير مرة^(١).

وقال ابن الجوزي في المنتظم: قال الفلانسي وسمنون: زرنا قبر سلمان وانصرفنا^(٢).

وفي زهد سلمان، قال ابن الجوزي: دخل سعد بن أبي وقاص على سلمان يعوده، فقال سعد: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ توفي رسول الله ﷺ وهو عنك راض، وتردد عليه الحوض؟ قال: فقال سلمان ﷺ: أما إني ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا فقال: «ليكن بلغه أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب» وحولي هذه الأساور.

قال: وإنما حوله إجانة وجفنة ومطهرة!

قال: فقال له سعد: يا أبا عبد الله إعهد إلينا بعهد نأخذنه، فقال: يا سعد أذكر الله عند همك إذا هممت، وعند حكمك إذا حكمت وعند يدك إذا قسمت.

ولما اشتد مرض سلمان وكان قد أصاب صرّة مسك يوم جلواء، فقال لامرأته هاتها فمرسها في ماء، ثم قل! انضحها حولي، فإنه يأتيني زوار الآن يجدون الريح ولا يأكلون الطعام، فلم يمكث إلا قليلاً حتى مات^(٣).

أقول: وفي جنبه قبر حذيفة اليماني صاحب سرّ رسول الله ﷺ لقربه منه ووثوقه ﷺ به، ومن كان يعرف المنافقين، حيث أخبره رسول الله ﷺ

(١) تاريخ الخطيب البغدادي ١: ١٦٣ ط دار الفكر - بيروت.

(٢) المنتظم لابن الجوزي ٥: ٧٥.

(٣) المنتظم ٣: ٢٧٩ ط دار الفكر.

بأسماء المنافقين الذين نحسوا الناقة ليلة العقبة بتبوك، وله ضريح يزار أيضاً ويترك به.

٣ - مزار طلحة بن عبيد الله المقتول يوم الجمل.

قال ابن بطوطة في رحلته: مشهد طلحة بن عبيد الله أحد العشرة، وهو بداخل المدينة وعليه قبة ومسجد، وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر، وأهل البصرة يعظمونه تعظيماً شديداً، وحق له، ثم عدّ مشاهد في البصرة لجملة من الصحابة والتابعين فقال: وعلى كل قبر منها قبة مكتوب فيها اسم صاحب القبر ووفاته^(١).

٤ - الزبير بن العوام.

قال فيه ابن الجوزي: فمن الحوادث في سنة ٣٨٦ أن أهل البصرة في شهر المحرم ادعوا أنهم كشفوا عن قبر عتيق فوجدوا فيه ميتاً طرياً بشيابه وسيفه، وأنه الزبير بن العوام، فأخرجوه وكفّنوه ودفنوه بالمربد بين الدربين، وبنى عليه الأثير أبو المسك عنبر بناءً وجعل الموضع مسجداً، ونقلت إليه القناديل والآلات والحصر والسّمادات وأقيم فيه قوام وحفظة ووقف عليه وقوفاً^(٢).

ولا يخفى على القارئ الفطن إن درج قبور مثل طلحة والزبير وغيرهما ليس دليلاً على تأييدهم ومدحهم وليس تأييداً لما قيل وادعي فيهم، لأنهم من الذين حاربوا إمام زمانهم أمير المؤمنين ووصي رسول

(١) رحلة ابن بطوطة: ٢٠٣ ط دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢) المنتظم لابن الجوزي ٩: ٣٩ ط دار الفكر - بيروت.

رب العالمين، وقد أخبر النبي الزبير بذلك بقوله: «تقاتله وأنت ظالم له»^(١)، بل لغرض بيان أن زيارة القبور كان شائعاً ومتداولاً بين فرق المسلمين بلا خلاف من أحد منهم.

٥ - مزار الصحابي أبي أيوب الأنصاري:

الذي استقبل رسول الله وضيّفه حين وروده المدينة ونصره.

قال الحاكم في المستدرک: يتعاهدون - أي أهل الروم - قبره ويزرونه ويستسقون به إذا قحطوا. وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة^(٢).

وقال الخطيب البغدادي في تاريخه: قال الوليد: حدثني شيخ من أهل فلسطين: أنه رأى بنية بيضاء دون حائط القسطنطينية فقالوا: هذا قبر أبي أيوب الأنصاري صاحب النبي ﷺ فأتيت تلك البنية فرأيت قبره في تلك البنية وعليه قنديل معلق بسلسلة^(٣).

وفي تاريخ ابن كثير: قال الواقدي: مات أبو أيوب بأرض الروم سنة ٥٥٢ هـ ودفن في القسطنطينية وقبره هناك يستسقى به الروم إذا قحطوا، وقيل: إنه مدفون في حائط القسطنطينية وعلى قبره مزار ومسجد وهم - أي الروم - يعظمونه^(٤).

وقال الذهبي في الدول الإسلامية: فالروم تعظم قبره ويستشفون إلى اليوم به^(٥).

(١) نور الأبصار للشبلنجي: ٤٥ دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢) المستدرک للحاكم ٣: ٤٥٨، صفة الصفوة لابن الجوزي ١: ١٨٧.

(٣) تاريخ الخطيب ١: ١٥٤ ط دار الفكر - بيروت.

(٤) تاريخ ابن كثير ٨: ٥٩.

(٥) الدول الإسلامية للذهبي ١: ٢٢.

٦- مزار وصي الرسول المصطفى أمير المؤمنين علي بن أبي

طالب ~~القبور~~ في النجف:

فقد دفن في البقعة المعروفة بأنها مدفن آدم أبي البشر ونوح صفي الله - كما يستفاد من الروايات ومن زيارته (السلام عليك وعلى ضجيعيك آدم ونوح) - بعد ما ضربه أشقى الأشقياء ابن ملجم المرادي على رأسه الشريف في محرابه في مسجد الكوفة.

وكان دفن جثمانه الشريف سراً وليلاً وقد أخفي قبره من الأعداء إلى زمن الرشيد، فقد روي أن الرشيد خرج يوماً إلى الصيد فأتى إلى موضع قبره الآن، فأرسل فهداً على صيد فتبع الفهد الصيد إلى موضع القبر، فوقف ولم يتجاوز، فعجب الرشيد من ذلك، فحضر إليه رجل وقال: يا أمير المؤمنين، إن دلتك على قبر علي بن أبي طالب ~~القبور~~؟ قال: كل كرامة، قال: هذا قبره.

قال له: من أين علمت؟ قال: كنت أخرج مع أبي فيزوره وأخبرني أنه كان يجيء معه جعفر الصادق فيزوره، وأن جعفر كان يجيء مع علي بن الحسين فيزوره وأن الحسين أعلمهم أن هذا قبره، فتقدم الرشيد بأن يحجر عليه ويبنى، فكان أول من بنى هو، ثم تزايد البناء^(١).

ورواه بهذا المضمون ابن أبي الدنيا وأضاف أن الرشيد كان يزوره في كل عام إلى أن مات^(٢).

(١) جواهر المطالب للباعوني الشافعي: ٩٦ النسخة مصورة من مكتبة الرضوي بخراسان

ولاحظ احقاق الحق ٣٢: ٦٦٧.

(٢) وسيلة النجاة للمولوي محمد مبین الهندی: ١٨٩ ط مطبعة گلشن فیض فی لکنهو.

وعن عاصم، عن الأعمش قال: أخرج - أي جثمان علي ﷺ - ليلاً مع أهل بيته الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ودفن بظاهر الكوفة^(١).

وقال محمود شلبي في كتابه حياة الامام علي ﷺ: الأصح أن قبره هو الموضع الذي يزار ويتبرك به ﷺ^(٢).

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي: إن أولاد الرجل أعرف بقبره، وأولاد كل الناس أعرف بقبور آبائهم من الأجانب، وقد سئل الحسين بن علي ﷺ: أين قبرتم أمير المؤمنين؟ قال ﷺ: خرجنا به ليلاً من منزله بالكوفة حتى مررنا به على الأشعث، حتى انتهينا به إلى الظهر بجانب الغري وهناك قُبر ﷺ. ثم قال وهذا القبر هو الذي زاره بنوه لما قدموا إلى العراق وفي طليعتهم جعفر الصادق ابن محمد الباقر، وقد مضى على أثر جعفر الصادق في زيارة القبر الشريف كل أولاد وأحفاد وأولياء الإمام^(٣).

وفي فصل الخطاب للبخاري، روى الحاكم عن أبي عبد الله الحافظ أنه بلغه قال علي للحسن والحسين ﷺ: إذا مت أنا فاحملاني على سرير ثم اثنياني الغري وهو نجف الكوفة فإنكما تريان صخرة بيضاء تلمع نوراً فاحتمرا فإنكما تجدان فيها ساحة فادفنا فيها^(٤).

أقول هذه نبذة من الأقوال الكثيرة في كون قبره ﷺ هو نفس الموضع الموجود حالياً، ذكرتها دفعاً لبعض الأوهام التي طرحتها السن الأعداء.

(١) جواهر المطالب ٩٦: ٣٤٤.

(٢) حياة الإمام علي ﷺ - محمود شلبي: ١٢٩ ط دار الجيل - بيروت.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤.

(٤) فصل الخطاب للبخاري، حكاه عنه القندوزي في يتابع المودة: ٣٧٢ ط اسلامبول،

ورواه عن الحاكم الأمر تسري في أرجع المطالب: ٦٦٩ ط لاهور.

ويكفيك دليلاً على فضائله وكراماته وما ظهرت من المعجزات عند قبره لزيارته، ما ذكره أحد علماء العامة ابن بطوطة في رحلته.

كلام ابن بطوطة في فضل زيارته:

قال: وهذه الروضة ظهرت لها كرامات، لأن بها قبر علي عليه السلام.

فمنها: أن ليلة السابع والعشرين من رجب، وتسمى عندهم ليلة الحيا يؤتى إلى تلك الروضة بكل مقعد من العراقيين وخراسان وبلاد فارس والروم.

فيجتمع منهم الثلاثون والأربعون ونحو ذلك، فإذا كان بعد العشاء الآخر جعلوا فوق الضريح المقدس، والناس ينتظرون قيامهم، وهم ما بين مصل وذاكر وتال ومشاهد للروضة.

فإذا مضى من الليل نصفه أو ثلثه أو نحو ذلك، قام الجميع أصحاب من غير سوء وهم يقولون: (لا إله إلا الله محمد رسول الله، علي ولي الله) وهذا أمر مستفيض عندهم سمعته من الثقات.

ولم أحضر تلك الليلة لكني رأيت بمدرسة الضياف ثلاثة من الرجل أحدهم من أرض الروم، والثاني من إصبهان، والثالث من خراسان، وهم مقعدون، فاستخبرتهم عن شأنهم، فأخبروني أنهم لم يدركوا ليلة الحيا، وأنهم منتظرون أوانها من عام آخر. وهذه الليلة يجتمعون لها الناس من البلاد، ويقيمون سوقاً عظيماً مدة عشرة أيام^(١).

هذا وقد ظهرت واشتهرت مثل هذه الكرامات والمعجزات في مشاهد الائمة من ولده عليه السلام، واكتفينا بذكر هذه القصة، لأن من حكاها من العامة.

(١) رحلة ابن بطوطة: ١٩٥ ط دار الكتب العلمية.

٧ - مزار إبراهيم بن أدهم.

يقال فيه إنه نبذ الملك وترك الدنيا، قبره في جيلة من نواحي الشام. قال ابن بطوطة: على قبر إبراهيم بن أدهم زاوية فيها بركة ماء، وبها الطعام للصدّاء والوارد، وخدامها إبراهيم الجحيمي من كبار الصالحين، والناس يقصدون هذه الزاوية ليلة النصف من شعبان من سائر أقطار الشام ويقيمون بها ثلاثاً، ويقوم بها خارج المدينة سوق عظيم فيه من كل شيء، ويقدم الفقراء المجردون من الأفاق لحضور هذا الموسم، وكل من يأتي من الزوار لهذه التربة يعطي شمعة لخدامها فيجتمع من ذلك قناطير كثيرة^(١).

٨ - مزار الصحابي الجليل الشهيد حجر بن عدي.

أحد أصحاب أمير المؤمنين ﷺ وقد أخبر بشهادته الرسول المصطفى بقوله ﷺ: «سيقتل بعذراء أناس يغضب الله لهم وأهل السماء»^(٢).

وروى المقرئ عن عبد الله بن وزير الغافقي، قال: سمعت علي بن أبي طالب ﷺ يقول: (يا أهل العراق سيقتل منكم سبعة نفر بعذراء، مثلهم كمثل أصحاب الأخدود)، فقتل حجر وأصحابه....

ثم حكى المقرئ عن البيهقي أنه قال: لا يقول علي مثل هذا إلا بأن يكون سمعه من رسول الله ﷺ^(٣).

قال النبهاني في ذيل هذا الحديث: كان حجر بن عدي يحرص على

(١) رحلة ابن بطوطة ٧٩ - ٩٨ ط دار الكتب العلمية.

(٢) إمتاع الأسماع للمقرئ ١٤ : ١٢٧.

(٣) إمتاع الأسماع للمقرئ ١٤ : ١٢٧.

الوضوء والطهارة جداً، ولما حبس احتلم فطلب ماء من السجنان ليغتسل به، فقال له: ليس عندي إلا قدر شريك، فقال له: إدفعه لي لأتطهر به، فقال له: لا أفعل لثلاث تموت عطشا فيقتلني من أمرني بسجنك، فدعا الله تعالى بنزول المطر، فنزل وتطهر، فقال له المسجونون معه أدع الله ليفرج عنا وإياك، فقال: لا أحب إلا ما أنا فيه لكونه بإرادة ربي وقدرته، وإنما دعوت للمطر لتعلقه بالعبادة.

قال الشيخ الحنفي: وهكذا شأن المقربين.

وذكر النبهاني: أنه دفن هو وأصحابه في قرية عذراء من قرى الشام، حينما قتلوا في خلافة معاوية^(١).

هذا وقد زرته في تلك البقعة الشريفة ورأيت الناس عامة يقصدونه بالزيارة ويتبركون به.

٩ - مزار رأس الحسين الإمام السبط الشهيد عليه السلام في مصر.

قال ابن جبير المتوفى سنة ٦١٤ في رحلته: هو في تابوت فضة مدفون تحت الأرض قد بني عليه بنيان حفييل يقصر الوصف عنه ولا يحيط الإدراك به، مجلل بأنواع الديباج، محفوف بأمثال العمد الكبار شمعاً أبيضاً ومنه ما هو دون ذلك، قد وضع أكثرها في أتوار فضة خالصة ومنها مذهبة.

وعلقت عليه قناديل فضة، وحف أعلاه كله بأمثال التفافيح ذهباً في مصنع شبيه الروضة يقيد الأبصار حسناً وجمالاً، فيه من أنواع الرخام المجزّع الغريب الصنعة البديع الترصيع ما لا يتخيله المتخيلون، ولا يحق أدنى وصفه الواصفون.

(١) جامع كرامات الأولياء - يوسف بن إسماعيل النبهاني ١: ١٣١.

والمدخل الى هذه الروضة على مسجد على مثالها في التائق والغرابية
حيطانها كلها رخام على الصفة المذكورة، وعن يمين الروضة المذكورة
وشمالها بنيان من كليهما المدخل إليها وهما أيضاً على تلك الصفة بعينها،
والاستار البديعة الصنعة من الديباج معلقة على الجميع.

ثم قال ابن جبير: ومن أعجب ما شاهدته في دخولنا إلى هذا المسجد
المبارك حجر موضوع في الجدار الذي يستقبله الداخل، شديد السواد
والبصيص، يصف الأشخاص كلها كأنه المرآة الهندية الحديثة الصيقل،
وشاهدنا من استلام الناس للقبر المبارك، وإحداقهم به وانكبابهم عليه
وتمسحهم بالكسوة التي عليه وطوافهم حوله مزدحمين باكين متوسلين إلى
الله ﷻ ببركة التربة المقدسة والمتضرعين بما يذيب الأكباد ويصدع الجماد،
والأمر فيه أعظم ومرأى الحال أهول نفعتنا الله ببركة ذلك المشهد الكريم.

وإنما وقع الإلماع بنبذة من صفته مستدلاً على ما وراء ذلك، إذ لا ينبغي
لعاقل أن يتصدى لو صفه لأنه يقف موقف التقصير والعجز، وبلجملة فما
أظن في الوجود كله مصنوعاً، أحفل منه ولا مرأى من البناء أعجب ولا أبداع،
قدس الله العضو الكريم الذي فيه بمنه وكرمه.

وفي ليلة اليوم المذكور بتنا بلجبانة المعروفة بالقرافة وهي أيضاً
إحدى عجائب الدنيا لما تحتوي عليه من مشاهد الأنبياء صلوات الله عليهم
أجمعين وأهل البيت والصحابة رضوان الله عليهم والتابعين والعلماء
والزهاد والأولياء ذوي الكرامات الشهيرة والأنبياء الغربية، وإنما ذكرنا
منها ما أمكنتنا مشاهدته.

فمنها قبر ابن النبي صالح، وقبر روبيل بن يعقوب بن إسحق بن
إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم أجمعين، وقبر آسية امرأة فرعون
رضي الله عنها، ومشاهد أهل البيت ﷺ، مشاهد أربعة عشر من الرجال
وخمس من النساء، وعلى كل واحد منها بناء حفيظ، فهي بأسرها روضات

بديعة الإتقان عجيبة البنيان، قد وكل بها قوم يسكنون فيها ويحفظونها، ومنظرها منظر عجيب، والجرايات متصلة لقوامها في كل شهر.

ثم ذكر تفصيل المشاهد فقال: مشهد علي بن الحسين بن علي عليه السلام، ومشهدان لابني جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهم، ومشهد القاسم بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد بن علي زين العابدين المذكور رضي الله عنهم، ومشهدان لابنيه الحسن والحسين رضي الله عنهما، ومشهد ابنه عبد الله بن القاسم عليه السلام، ومشهد ابنه يحيى بن القاسم، ومشهد علي ابن عبد الله بن القاسم رضي الله عنهم، ومشهد أخيه عيسى بن عبد الله رضي الله عنهما، ومشهد يحيى بن الحسن بن زيد بن الحسن رضي الله عنهم، ومشهد محمد بن عبد الله بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم، ومشهد جعفر بن محمد من ذرية علي بن الحسين رضي الله عنهم.

ثم ذكر مشاهد الشريقات العلويات مثل مشهد السيدة أم كلثوم ابنة القاسم بن محمد بن جعفر، ومشهد السيدة زينب ابنة يحيى بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام، ومشهد أم كلثوم ابنة محمد بن جعفر الصالح عليه السلام، ومشهد السيدة أم عبد الله بن القاسم بن محمد رضي الله عنهم...

فقال: هذا ما حصله العيان من هذه المشاهد العلوية المكرمة، وهي أكثر من ذلك، ثم قال وأسماء أصحاب هذه المشاهد المباركة إنما تلقيناها من التواريخ الثابتة عليها، مع تواتر الأخبار بصحة ذلك، وعلى كل واحد منها بناء حافل، فهي بأسرها روضات بديعة الإتقان عجيبة البنيان، وكل بها قومة يسكنون فيها ويحفظونها، ومنظرها عجيب، والجرايات متصلة لقوامها في كل شهر.

ثم ذكر مشاهد بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرافة المذكورة ومشاهد التابعين والأئمة والعلماء والزهاد والأولياء المشتهرين بالكرامات، لا يسع

الكراس ذكرها لكثرتها^(١).

وفي كتاب (الإتحاف بحب الأشراف) عقد الشيخ عبد الله الشبراوي الشافعي المتوفى ١١٧٢ باباً حول ذلك المشهد الشريف وذكر فيه زيارته ونبذة من الكرامات التي وقعت فيه، وإحياء يوم الثلاثاء بزيارته.

فقال: والبركات في هذا المشهد مشاهدة مرئية، والنفحات العائدة على زائريه غير خفية، وهي بصحة الدعوى ملية، والأعمال بالنية.

ولأبي الخطاب بن دحية في ذلك جزء لطيف مؤلف، واستفتى القاضي زكي الدين عبد العظيم في ذلك.

فقال: هذا المكان شريف وبركته ظاهرة والإعتقاد فيه خير والسلام. وما أجدر هذا المشهد الشريف والضريح الأنور المنيف.

يقول القائل:

من دونها ستر النبوة مسبل	نفسى الفداء لمشهد أسراره
ظلت تحار لها العقول وتذهل	ورواق عز فيه أشرف بقعة
ويرد عنه طرفه المتأمل	تغضي لبهجته النواظر هيبة
أمسى يجاوره السماك الأعزل	حسدت مكانته النجوم فودّ لو
شفة فاضحى بالجباه يُقبَل ^(٢)	وسما علواً أن تُقبَل تربة

كرامات قبور الأولياء

ومن باب الكلام يجزّ الكلام لا بأس ببيان كرامة من كرامات قبور الأولياء الصالحين، ذكرها الشبراوي، فنقول:

(١) رحلة ابن جبير: ٤٨ ط دار الكتب العلمية.

(٢) الإتحاف بحب الأشراف: ٢٥ - ٤٠.

إن رجلاً يقال له: شمس الدين العموني كان ساكناً بالقرب من المشهد وكان معلم الكسوة الشريف حصل له ضرر في عينيه فكُف بصره، وكان كل يوم إذا صلى الصبح في مشهد الإمام الحسين يقف على باب الضريح الشريف ويقول: يا سيدي أنا جارك قد كف بصري وأطلب من الله بواسطتك أن يرد علي ولو عيناً واحدة، فبينما هو نائم ذات ليلة إذ رأى جماعة اتوا إلى المشهد الشريف، فسأل عنهم، فقيل له: هذا النبي ﷺ والصحابة معه جاؤوا لزيارة السيد الحسين ﷺ، فدخل معهم، ثم قال ما كان يقوله في اليقظة.

فالتفت الحسين إلى جده ﷺ وذكر له ذلك على سبيل الشفاعة عنده في الرجل فقال النبي ﷺ للإمام علي ﷺ: «يا علي كحلّه»، فقال: سمعاً وطاعة وأبرز من يده مكحلة ومروداً وقال له: تقدم حتى أكحلّك، فتقدم فلوث المرود ووضعه في عينه اليمنى، فأحسّ بحرقان عظيم، فصرخ صرخة عظيمة، فاستيقظ منها وهو يجد حرارة الكحل في عينه، ففتحت عينه اليمنى، فصار ينظر بها إلى أن مات، وهذا الذي كان يطلبه.

فاصطنع هذه البُسْط التي تُفْرَش في مشهد الإمام الحسين ﷺ وكتب عليها وقفاً، ولم تزل تفرش حتى تولى مصر الوزير المعظم محمد باشا الشريف من طرف حضرة مولانا السلطان محمد خان نصره الله، فجدد بُسْطاً أخرى وهي التي تفرش إلى الآن^(١).

(١) الإتحاف بحب الأشراف: ٢٧. ثم ذكر الشبراوي كرامة أخرى وقعت للشيخ أبي الفضل نقيب السادة الخلوتية لا تطيل الكلام بذكرها.

وقال بعد بيان اختصاص يوم الثلاثاء بزيارة ذلك المشهد: ولنذكر في هذا الباب نبذة من القصائد التي مدحتُ بها آل البيت الشريف وتوسلتُ فيها بساكن هذا المشهد، فمما قلتُ فيه:

آل طه ومن يقل آل طه
حبكم مذهبي وعقد يقيني
منكم استمد بل كل من في الـ
بيتكم مهبط الرسالة والوحي
ولكم في العلا مقام رفيع
يا بن بنت الرسول من ذا يُضا
يا حسيناً هل مثل أمك أم
رام قوم أن يلحقوك ولكن
خصك الله بالسعادة في دنياك
لك في القبر يا حسيناً مقام
يا كريم الدارين يا من له الدهر
أنت سيف على عداك ولكن
كل من رام حصر فضلك غرّ
طيبة فاقت البيقاع جميعاً
ولمصر فخر على كل مصر
مشهد أنت فيه مشهد مجد
وضريح حوى علاك ضريح
مدد ماله انتهاء وسر
رحمات للزائرين توالت
رضي الله عنكم آل طه
وسلام عليكم كل وقت
أنا في عرض تربة أنت فيها
أنا في عرض جدك الطاهر الطهر

مستجيراً بجاهكم لا يُرد
ليس لي مذهب سواه وعقد
كون من فيض فضلكم يستمد
ومنكم نور النبوة يبدو
ما لكم فيه آل يس نذ
هيك افتخاراً وأنت للفخر عقد؟
لشريف؟ أو مثل جدك جد؟
بينهم في العلا وبينك بُعد
ثم بالشهادة بعد
ولأعداك فيه خزي وطرد
على رغم من يعاند عبد
فيك حلم وما لفضلك حد
فضل آل النبي ليس بُعد
حين أضحى فيها لجدك لحد
ولها طالع بقبرك سعد
كم سعى نحوه جواد مجد
كله مندل يفوح ونذ
لا يضاهي ورونق لا يُجد
وجزير من العطاء ورفد
ودعاء المقل مثلي جهد
ما تفنت بكم تهام ونجد
يا حسيناً وبعد حاشاً أُرَد
إذا ما الزمان بالخطب يعدو

وقال الحمزاوي العدوي المتوفى ١٣٠٣هـ بعد كلام طويل حول مشهد الإمام الحسين الشريف: واعلم أنه ينبغي كثرة الزيارة لهذا المشهد العظيم متوسلاً به إلى الله، ويطلب من هذا الإمام ما كان يطلب منه في حياته، فإنه باب تفريج الكرب، فزيارته يزول عن الخطب الخطوب، ويصل إلى الله بأنواره والتوسل له كل قلب محبوب.

ومن ذلك ما وقع لسيدي العارف بالله تعالى سيدي محمد شلبي شارح (العزية) الشهير بابن الست، وهو أنه قد سرقت كتبه جميعاً من بيته قل: فتحير عقله واشتد كرب، فأتى إلى مقام ولي نعمتنا الحسين منشداً لأبيات استغاث بها، فتوجه إلى بيته بعد الزيارة ومكثه في المقام مدة، فوجد كتبه في محلها قد حضرت من غير نقص لكتاب منها وهاهي الأبيات:

أجوم حول من التجابكم أذى؟	أو يشتكي ضيماً وأنتم سادته؟
حاشا يُرد من انتمى لجنابكم	يا آل أحمد أو تسر شوامته
لكم السياحة من ألت بربكم	ولكم نطاق العز دارت هالته
هل ثم باب للني سواكم	من غيركم من ذي الوري ريجانته
تباً لطرف لا يشاهد مشهداً	يحوي الحسين وتستلمه سلامته
فالزم رحاباً ضم سبط محمد	ما أمه راج وعيقت حاجته
ها خداماً للحب يرفع حاجة	بما يلافي من بلايا هالته

أنا في عرض من يعول كل الر	سل عليه ومالم عنه بُدُ
أنا عرض من أتته غزال	فحماها والخصيم خصم الد
أنا في عرض جدك المصطفى من	كل عام له الرحال تُشد

وللشبراوي قصائد أخرى رائعة في مدح آل الرسول المصطفى ﷺ إكتفينا

بهذا المقدار منها.

أمدنا الله من فيض إمداده؛ ومتعنا من فيض قربه؛ وتقبيل أعتابه^(١).
 أخي المسلم: هذه قطرة من بحار فضائل سيدنا الحسين الشهيد المظلوم
 الذي قال رسول الله ﷺ في حقه وحق أخيه السبط المسموم الحسن المجتبي
 سلام الله عليهما وعلى آبائهما: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»
 وقال ﷺ: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»^(٢).

وهذا شطر مما قاله علماء العامة في حقه وفي مدحه وكراماته ومعجزاته،
 وإلا فهي خارجه عن حد الإحصاء وكيف تحصى فضائل من زواره ملائكة
 السماء وأرواح تمام الأنبياء، ومن نجي ببركة مولده وشفاعته فطرس
 المعذب في السماء ومن بكت عليه جميع الموجودات ومن عجبت لصره
 ملائكة السماء ومن له الشفاعة الكبرى يوم الجزاء ...

الأقوال في مدفن رأس الحسين ﷺ

قد أختلف في مدفن الرأس الشريف، فعلى قول إنه دفن في مصر في
 هذا المشهد الموجود الذي ظهرت منه الكرامات والمعجزات الكثيرة والذي
 تقصده الناس من كل فج عميق بالزيارة والهدايا والندور ويقصد قضاء
 الحاجات وحل المشكلات وشفاء المرضى والعاهات ...

وعلى قول إن رأسه الشريف دفن في الشام حين أتى به مع الأسرى
 إلى يزيد في جنب المسجد الأموي وله مقام يزار.

وعلى قول إنه ألحق بجسده الشريف في كربلاء، وتفصيل الكلام في
 كتب التاريخ والمقاتل.

(١) مشارق الأنوار للحمزاوي: ٩٢.

(٢) سبل الهدى لابن حجر العسقلاني ٤: ١٢٥، دعائم الإسلام للقاضي النعمان

المغربى ١: ٣٧، ذخائر العقبى للطبري: ١٢٩.

وعلى أي حال، الاختلاف في مدفن الرأس الشريف لا يمنع من وجود المشاهد الشريفة وظهور الكرامات العجيبة لأن أرواح الأنبياء والأئمة عليهم السلام حاضرة في كل مكان وإنهم يعلمون ويسمعون كلام من يزورهم ويتوسل بهم إلى الله ويردون سلامهم ويتفقدونهم ولولا الحجاب لسمع الناس كلامهم.

وهذا من فضل الله على العباد حيث جعل لهم في كل مكان مشهداً شرفه وفضله على سائر الأماكن يزورونه ويجمعون عنده ويذكرون الله فيه ويعبدونه سبحانه ويتقربون إليه، وبركة صاحب ذلك المشهد يقضي الله حوائج زائريه وينفس كربهم ويصلح أمر دينهم ودنياهم وآخرتهم، رغباً لأنف أعدائهم وحاسديهم والمنكري فضائلهم. والحمد لله.

١٠ - مزار نبي الله جرجيس عليه السلام في الموصل

قال ابن جبير في رحلته: خصّ الله هذه البلدة بترية مقدسة، فيها مشهد جرجيس عليه السلام، وقد بُني فيها مسجد، وقبره في زاوية من أحد بيوت المسجد عن يمين الداخل إليه... فتركنا بزيارة هذا القبر المقدس والوقوف عنده، نفعنا الله بذلك^(١).

١١ - مزار عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي المتوفى ١٠١هـ

قال الذهبي في تذكرة الحفاظ: قبره بدير سمعان يزار^(٢).

أقول: إن عمر بن عبدالعزيز هو الذي يروى أنه منع من سب علي أمير المؤمنين عليه السلام ورد فداً إلى أولاد فاطمة الزهراء عليهن السلام.

(١) رحلة ابن جبير: ١٦٨ ط دار الكتب العلمية، رحلة ابن بطوطة: ٢٤٩ ط دار الكتب العلمية.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ١: ٩١ - منشورات محمد علي صبيح - دار الكتب العلمية - بيروت

٢٩٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

وروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: إن نجيب بني أمية عمر بن عبد العزيز، وأنه يبعث يوم القيامة أمة وحده ^(١).

١٢- مزار أبو حنيفة النعمان بن ثابت إمام الحنفية

قبره في الأعظمية ببغداد وله مزار معروف.

روى الخطيب في تاريخه عن علي بن ميمون قل: سمعت الشافعي يقول: إنني لا تبرك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره في كل يوم زائراً، فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت على قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده فما تبعد حتى تُقضى ^(٢).

وذكره الخوارزمي في مناقب أبي حنيفة ^(٣) والكردي في مناقبه ^(٤) وطاش كبرى زاده في مفتاح السعادة ^(٥) والخالدي في صلح الإخوان ^(٦) نقلاً عن السفيري وابن جماعة.

وقال ابن الجوزي في المنتظم: في هذه الأيام - يعني سنة ٤٥٩ - بنى أبو سعد المستوفي الملقب بشرف الملك مشهد أبي حنيفة وعمل لقبره ملبناً وعقد القبة وعمل المدرسة بإزائه، وأنزلها الفقهاء، ورتب لهم مدرساً، فدخل أبو جعفر ابن البياضي إلى الزيارة فقال ارتجالاً:

ألم تر أن العلم كان مضيعاً فجمعه هذا المغيب في اللحد؟
كذلك كانت هذه الأرض ميتة فانشرها جود العميد أبي سعد ^(٧)

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ١: ٩٠.

(٢) تاريخ الخطيب ١: ١٢٣.

(٣) مناقب الخوارزمي ٢: ١٩٩.

(٤) مناقب الكردي ٢: ١١٢.

(٥) مفتاح السعادة ٢: ٨٢.

(٦) صلح الإخوان: ٨٣.

(٧) المنتظم لابن الجوزي ٨: ٢٤٥.

وقال ابن بطوطة في رحلته: قبر الإمام أبي حنيفة عليه قبة عظيمة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر، وليس بمدينة بغداد اليوم زاوية يطعم الطعام فيها ما عدا هذه الزاوية.

ثم عد جملة من قبور المشايخ ببغداد فقال: وبالقرب منها قبر الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل، ولا قبة عليه، ويذكر أنها بنيت على قبره مراراً، فتهدمت بقدره الله تعالى، وقبره عند أهل بغداد معظم، وأكثرها على مذهبه، وبالقرب منه قبر أبي بكر الشبل، من أئمة المتصوفة، وقبر سري السقطي، وقبر بشر الحافي وو... إلى أن قال: وأهل بغداد لهم في كل جمعة لزيارة شيخ من هؤلاء المشايخ ويوم لشيخ آخر يليه هكذا إلى آخر الأسبوع، وببغداد كثير من قبور الصالحين والعلماء^(١).

وقال ابن خلكان في تاريخه: قبره مشهور يزار بني عليه المشهد والقبة سنة ٤٥٩^(٢). وقال ابن جبير في رحلته: وبالرصافة مشهد حفيل البنيان له قبة بيضاء سامية في الهواء فيه قبر الإمام أبي حنيفة^(٣).
وقال الذهبي في دول الإسلام: وقبره عليه مشهد كبير وقبة عالية ببغداد^(٤).

وقال ابن حجر في الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة: إن الإمام الشافعي أيام كان هو ببغداد كان يتوسل بالإمام أبي حنيفة، ويحيي إلى ضريحه يزور، فيسلم عليه، ثم يتوسل إلى الله تعالى به في قضاء حاجاته.
وقال: قد ثبت أن الإمام أحمد توسل بالإمام الشافعي حتى تعجب

(١) رحلة ابن بطوطة: ٢٤٠ ط دار الكتب العلمية.

(٢) تاريخ ابن خلكان ٢: ٢٩٧.

(٣) رحلة ابن جبير: ١٨٠.

(٤) الدول الإسلامية للذهبي ١: ٧٩.

٢٩٢ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

ابنه عبد الله بن الإمام أحمد فقال له أبوه: إن الشافعي كالشمس للناس وكالعافية للبدن، ولما بلغ الإمام الشافعي: أن أهل المغرب يتوسلون بالإمام مالك لم ينكر عليهم^(١).

وأنت تلاحظ أيها القارئ الكريم أن مثل قبر أبي حنيفة كيف يعظم ويزار ويبني له المقام، وتلاحظ أن من يعتقد به كيف يتوسل به ويطلب منه الحاجات، وكانت هذه سنة متداولة بين الناس بالنسبة إلى أكابره ومشايخهم ولم يمنع منه مانع، والحال أن أبا حنيفة لا يجوز مقايسته مع النبي وعترته الأظهر وأنه كان تلميذاً من تلامذة الإمام الصادق ﷺ وقد تعلم منه، وكان يعترف بفضائله ومقامه وتقدمه على الآخرين.

لكن من المؤسف أن نرى قبور أهل بيت العصمة والطهارة قد منعت من الزيارة وخرّبت وهتكت حرمتها وحرمة زائريها، وهل يبقى دليل لهذا العمل الشنيع غير العداوة والعناد والتحكم والفساد؟!

١٣- مزار مصعب بن الزبير في مسكن المتوفى سنة ١٥٧هـ

قال ابن الجوزي: زارت العامة قبره بمسكن كما يزار قبر الحسين^(٢).

ولا يخفى على القارئ الكريم أن مصعب هو الذي قتل المختار بن أبي عبيدة الثقفي أحد الشجعان الأفاذاذ الذي ثار على بني أمية وتتبع قتلة الحسين بن علي ﷺ وقتلهم، وشفى بعمله قلوب أهل بيت الرسول ﷺ وسائر المؤمنين.

(١) الخيرات الحسان لابن حجر، حكاه عنه أحمد زيني دحلان في خلاصة الكلام: ٢٥٢

والدرر السنية.

(٢) المنتظم لابن الجوزي ٧: ٢٠٦.

١٤- مزار ليث بن سعد الحنفي.

قال ابن أبي الوفاء: إمام مصر توفي سنة ١٧٥ هجرية ودفن بالقرافة الصغرى وقبره يزار، رأيتُه غير مرة^(١).

١٥- مزار مالك بن أنس إمام المالكية المتوفى ١٧٩هـ

قبره ببقيع العرقد في المدينة المنورة، قال ابن جبير في رحلته: عليه قبة صغيرة مختصرة البناء وأمامه قبر السلالة الطاهرة إبراهيم بن رسول الله ﷺ وعليه قبة بيضاء، إن الفقهاء في مناسكهم عدوا زيارته من آداب من زار قبر النبي الأقدس ﷺ^(٢).

١٦- مزار الإمام الطاهر موسى بن جعفر عليه السلام

المعصوم الذي حبسه هارون في ظلّم مظالم الأرض مقيداً بجَلْق القيود، وقتله بالسّم، وقد القي جسده ثلاثة أيام على جسر بغداد، ثم دُفن بالكاظمية سنة ١٨٣هـ.

قال في فضله ابن طلحة العدوي الشافعي في مطالب السؤل: هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن المجتهد الجاد في الإجتهاك المشهور بالعبادة المواظب على الطاعات، المشهود له بالكرامات، يبيت الليل ساجداً وقائماً، ويقطع النهار متصدقاً وقائماً، لفرط حلمه وتجاوزه على المعتدين عليه دُعي كاظماً.

كان يجازي المسيء بإحسانه إليه، ويقبل الجاني بعفوه عنه، ولكثرة عبادته كان يسمى بالعبد الصالح، ويعرف في العراق بباب الحوائج إلى الله

(١) الجواهر المضية لابن أبي الوفاء القرشي ١: ٤١٧.

(٢) رحلة ابن جبير: ١٤٤ دار الكتاب اللبناني.

٢٩٤ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

لنجح مطالب المتوسلين إلى الله تعالى به، كراماته تحار منها العقول وتقضي بأن له عند الله تعالى قدم صدق لا تزل ولا تزول^(١).

وأخرج الخطيب البغدادي في تاريخه بإسناده عن أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي قال: سمعت الحسن بن إبراهيم أبا علي الخلال (شيخ الحنابلة في عصره) يقول:

ما همني أمر، فقصدت قبر موسى بن جعفر، فتوسلت به إلا سهل الله تعالى لي ما أحب^(٢).

نعم: إن الإمام الكاظم قد لُقّب بباب الحوائج إلى الله، حيث إن كل من كانت له حاجة إلى الله ومهمة وبالأخص المرضى وقد تعسر عليهم الأمر قصدوه وزاروه وتوسلوا به إلى الله، ففرج الله عنهم به وقضى حوائجهم وشفى مرضاهم.

وهذا أمر معروف حتى عند أهل المذاهب ولا اختصاص له بالشيعة، فقد توسل به كثير من أهل المذاهب - وحتى غير المسلمين - ولم يرجعوا خائبين، بل فائزين ناجحين بقضاء حوائجهم وشفاء مرضاهم، حيث إن الله قد جعل الأئمة الطاهرين أبواباً لرحمته وسُنناً لنجاة خلقه، فإن الكرامات الصادرة منهم التي نقلها علماء المذاهب أحسن شاهد ودليل على بطلان كلام حاسديهم ومخالفهم فراجع.

قصة عجيبة ظهرت من قبره ﷺ:

لما دفن نائب الخليفة عند قبره ﷺ رأى النقيب اشتعال النار من

(١) مطالب السؤل محمد بن طلحة العدوي الشافعي: ٢٨٩ ط مؤسسة البلاغ.

(٢) تاريخ الخطيب ١: ١٢٠.

جسده، وإنه عليه السلام يقول: أذيتني بمجاورة هذا الظالم، فلما كشفوه وجدوه رماداً.

رواه جماعة من أعلام القوم، منهم محمد بن طلحة العدوي الشافعي الشامي قال:

ولقد قرع سمعي ذكر واقعة عظيمة، ذكرها بعض صدور العراق، أثبتت لموسى عليه السلام الشرف، وشهدت له بعلو مقامه عند الله وزلفى منزلته لديه، وظهرت بها كرامته بعد وفاته، ولا شك أن ظهور الكرامة بعد الموت أكبر دلالة منها حال الحياة.

وهي: أن من عظماء الخلفاء من كان له نائب كبير الشأن في الدنيا، من عماليكه الأعيان، في ولاية عامة طالت فيها مدته، وكان ذا سطوة وجبروت، فلما انتقل إلى الله تعالى اقتضت رعاية الخليفة له أن يقدم بدفنه في ضريح مجاور لضريح الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بالمشهد المطهر، وكان بالمشهد المطهر نقيب معروف مشهود له بالصلاح كثير التردد والملازمة لضريح السيد الجليل والخدمة له قائم بوظائفها، فذكر هذا النقيب أنه بعد دفن ذلك المتوفى في ذلك القبر بات في المشهد، فرأى في منامه أن القبر قد انفتح والنار تشتعل فيه، وقد انتشر منه دخان ورائحة قتار ذلك المدفون فيه إلى أن ملأت المشهد، وأن الإمام موسى عليه السلام واقف، فصاح لهذا النقيب باسمه، وقال له: تقول للخليفة يا فلان وسمه باسمه لقد أذيتني بمجاورة هذا الظالم، وقال كلاماً خشناً.

فاستيقظ ذلك النقيب وهو يرعد فرقاً وخوفاً، فلم يلبث أن كتب ورقة وسيرها متهيناً فيها صورة الواقعة بتفصيلها.

فلما جنّ الليل جاء الخليفة إلى المشهد المطهر بنفسه ومعه خدم، واستدعى النقيب، ودخلوا إلى الضريح، وأمر بكشف ذلك القبر، ونقل ذلك المدفون إلى موضع آخر خارج المشهد، فلما كشفوه وجدوا فيه رماد

الحريق ولم يجدوا للميمت أثراً.

ثم قال ابن طلحة: وفي هذه القصة زيلة استغناء عن بقية مناقبه، واكتفاءً عن بسط القول فيها^(١).

١٧- مزار الإمام المعصوم أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام الذي قتله المأمون بالسم، ودفن بخراسان.

قال الحاكم في تاريخ نيسابور: أشخصه المأمون من المدينة إلى البصرة، ثم إلى الأهواز، ثم إلى فارس، ثم إلى نيسابور إلى أن أخرجه إلى مرو وكان ما كان، - يعني من قصة استخلافه -، ثم قال: استشهد علي بن موسى بسناباد من طوس، وقال سمعت أبا بكر محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى يقول: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر ابن خزيمة وعديله أبي علي الثقفى مع جماعة من مشايخنا وهم إذ ذاك متوافرون إلى علي بن موسى الرضا بطوس قال: فرأيت من تعظيمه - يعني ابن خزيمة - لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرعه عندها ما تحيرنا^(٢).

ولا يخفى أن هذا التعظيم الموجب للتحير لا يكون من غير دليل، بل من جهة علم الزائر بالكرامات والفضائل والعنايات التي ظهرت منه، فقد قصد مشهده الشريف كثير من الناس من الملل المختلفة، وشملتهم عنايته ولطفه، وقد ألفت في بلب معجزاته وكراماته الكتب الكثيرة وسردها خارج عن نطاق الكتاب.

قال الشبراوي في الإتحاف بحب الأشراف في ترجمة علي الرضا عليه السلام:

(١) مطالب السؤل في مناقب آل الرسول لابن طلحة الشافعي الشامي: ٢٩٢ ط مؤسسة البلاغ - بيروت.

(٢) تهذيب التهذيب للعسقلاني ٧: ٣٩٩ ط دار الفكر الطبعة الأولى.

وكانت مناقبه علياً وصفاته سنية، ونفسه الشريفة هاشمية، وأرومته الكريمة نبوية، وكراماته أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر، ثم ذكر جملة من كراماته عليه السلام ^(١).

١٨- مزار الإمام المعصوم محمد بن علي الجواد عليه السلام :

جنب جده الكاظم عليه السلام. قال ابن عماد الخنبلي في شذارت الذهب: توفي ببغداد، الشريف أبو جعفر محمد الجواد بن علي بن موسى الرضا الحسيني أحد الاثني عشر إماماً الذين تدعى فيهم الرافضة العصمة، ودفن عند جده موسى ومشهدهما ينتابه العامة بالزيارة ^(٢).

وقال السبط ابن الجوزي: كان - أي محمد الجواد - على منهاج أبيه في العلم والتقى والزهد والجود، وكان يلقب بالمرتضى والقانع، وكانت وفاته ببغداد خامس ذي الحجة، ودفن إلى جانب جده موسى بن جعفر عليه السلام بمقابر قریش، وقبره ظاهر يزار ^(٣).

وقال ابن تيمية: محمد بن علي الجواد كان من أعيان بني هاشم، وهو معروف بالسخاء والسؤدد، ولهذا سمي الجواد، ومات وهو شاب ابن خمس وعشرين سنة ^(٤).

١٩- مزار معروف الكرخي.

قال إبراهيم الحربي: قبر معروف، الترياق المجرّب.

-
- (١) لاحظ جامع كرامات الأولياء للنبهاني ٢: ٣١٢.
 - (٢) شذرات الذهب ٢: ٤٨.
 - (٣) التذكرة للسبط ابن الجوزي: ٣٧٨ ط الغربي.
 - (٤) منهاج السنة لابن تيمية: ١٢٧ نقلاً من إحقاق الحق ١٢: ٤١٦.

٢٩٨ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

وعن الزهري أنه قال: قبر معروف الكرخي مجرب لقضاء الحوائج ويقال: إنه من قرأ عنده مائة مرة قل هو الله أحد ويسأل الله ما يريد قضى الله حاجته.

وروي عن أبي عبد الله الحاملي أنه قال: أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة ما قصده مهموم إلا فرج الله همه^(١).

. قال ابن الشهرورزي في مناقب الأبرار: إن معروف الكرخي كان من موالي علي بن موسى الرضا عليه السلام وكان أبواه نصرانيين فسلبا معروفاً إلى المعلم وهو صبي، وكان المعلم يقول له: قل ثالث ثلاثة، وهو يقول: بل هو الواحد، فضربه المعلم ضرباً مبرحاً، فهرب ومضى إلى الرضا عليه السلام وأسلم على يده، ثم أنه أتى داره فلدق الباب، فقال أبوه: من بالباب، فقل: معروف، فقل: علي أي دين، قل: علي دين الخفية، فأسلم أبواه ببركات الرضا عليه السلام.

قال معروف: فعشت زماناً، ثم تركت كلما كنت عليه إلا خدمة مولاي علي بن موسى الرضا عليه السلام^(٢).

ومع هذه الأوصاف كلها، يقال: إنه من الصوفية، والله العالم.

قال اليافعي: كان معروف الكرخي معروفاً بلجاجة الدعوة، والدعاء عند قبره مستجاب، وكان أهل بغداد يسمونه الترياق المحرّب مات ببغداد سنة ٢٠١هـ، وقد زرته والحمد لله سنة ١٢٩٦هـ ودعوت عند قبره الكريم وحصلت لي بركته^(٣).

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١: ١٢٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣: ٤٧١.

(٣) جامع كرامات الأولياء للنبهاني ٢: ٤٩١ ط دار الكفر.

وقال ابن الجوزي في صفة الصفوة عن أحمد بن الفتح قال: سألت بشراً (التابعي الجليل) عن معروف الكرخي، فقال: هيات حالت بيننا وبينه الحجب... إلى أن قال: فمن كانت له إلى الله حاجة فليات قبره وليدع فانه يستجاب له إن شاء الله تعالى.

وقال: قبره ظاهر يتبرك به في بغداد، وكان إبراهيم الحربي يقول: قبر معروف، الترياق المحرب^(١).

ولابن الجوزي في المنتظم وابن خلكان في تاريخه والشعراني في تاريخه حول معروف كلمات أخرى نظير ما تقدم.

فإذا كان معروف الكرخي هذا حاله - كما يدعى -، فما بالك بالرسول المصطفى ﷺ وأهل بيت العصمة والوحي ومعادن العلم والحكمة.

٢٠- مزار أحمد بن موسى بن جعفر الطوسي في شيراز.

قال ابن بطوطة: هو مشهد معظم عند أهل شيراز يتبركون به ويتوسلون إلى الله تعالى بفضله، وبنت عليه طاش خاتون أم السلطان أبي إسحاق مدرسة كبيرة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر.

والقراء يقرأون القرآن على التربة دائماً، ومن عادة الخاتون أنها تأتي إلى هذا المشهد في كل ليلة إثنين، ويجتمع في تلك الليلة القضاة والفقهاء والشرفاء^(٢).

وفي هذه البلدة مزارات كثيرة لأبناء الرسول ﷺ يقصدها الناس لحوائجهم وفي أيام مخصوصة.

(١) صفة الصفوة ٢: ١٨٣.

(٢) رحلة ابن بطوطة: ٢٢٥ ط دار الكتب العلمية.

٢١- مزار عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن

علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال الخطيب البغدادي في تاريخه: باب البردان فيها أيضاً جماعة من أهل الفضل، وعند المصلى المرسوم بصلاة العيد قبر كان يعرف بقبر النذور، ويقال: إن المدفون فيه رجل من ولد علي بن أبي طالب عليه السلام، يتبرك الناس بزيارته، ويقصده ذو الحاجة منهم لقضاء حوائجه.

حدثني القاضي أبو القاسم علي بن الحسين التنوخي، قال: حدثني أبي قال: كنت جالساً بمحضرة عضد الدولة ونحن نخمون بالقرب من مصلى الأعياد في الجانب الشرقي من مدينة السلام نريد الخروج معه إلى همدان في أول يوم نزل المعسكر، فوقع طرفه على البناء الذي على قبر النذور، فقال لي: ما هذا البناء؟ فقلت: هذا مشهد النذور، ولم أقل قبره، لعلمي بطيرته من دون هذا، واستحسن اللفظة.

وقال: قد علمت أنه قبر النذور، وإنما أردت شرح أمره.

فقلت: هذا يقال أنه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ويقال: أنه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن أبي طالب، وأن بعض الخلفاء أراد قتله خفياً فجعلت له هناك زُبية وسير عليها وهو لا يعلم، فوقع فيها وهيل عليه التراب حياً، وإنما اشتهر بقبر النذور لأنه ما يكاد يُنذر له نذر إلا صح وبلغ الناذر ما يريد، ولزمه الوفاء بالنذور، وأنا أحد من نذرله مراراً لا أحصيها كثرة نذوراً على أمور متعددة فبلغتها ولزمني النذر فوفيت به.

فلم يتقبل هذا القول وتكلم بما دل على أن هذا إنما يقع منه اليسير اتفاقاً فيتسوق العوام بأضعافه ويسرون الأحاديث فيه.

فأمسكت، فلما كان بعد أيام يسيرة ونحن معسكرون في موضعنا استدعاني في غدوة يوم وقال: اركب معي إلى مشهد النذور، فركبت وركب في نفر من حاشيته إلى أن جئت به إلى الموضع، فدخله وزار القبر وصلى عنده ركعتين سجد بعدهما سجدة أطال فيها المناجات بما لم يسمعه أحد، ثم ركبنا معه إلى خيمته وأقمنا أياماً ما، ثم رحل ورحلنا معه يريد همدان، فبلغناها، وأقمنا فيها معه شهوراً.

فلما كان بعد ذلك استدعاني وقال لي: ألسنت تذكر ما حدثت به في أمر مشهد النذور ببغداد؟ فقلت: بلى.

فقال: إني خاطبتك في معناه بدون ما كان في نفسي اعتماداً، لإحسان عشرتك، والذي كان في نفسي في الحقيقة أن جميع ما يقال فيه كذب، فلما كان بعد ذلك بمدينة طرقتني أمرٌ خشيت أن يقع ويتم وأعملت فكري في الاحتيال لزواله ولو بجميع ما في بيوت أموالي وسائر عساكري.

فلم أجد لذلك فيه مذهباً فذكرت ما أخبرتني به في النذر لمقبرة النذور فقلت:

لَمْ لَا أُجْرِبُ لَذَلِكَ؟ فذرت: إن كفاني الله تعالى ذلك الأمر أن أهل لصندوق هذا المشهد عشرة آلاف درهماً صحلاً، فلما كان اليوم جئتني الأخبار بكفايتي ذلك الأمر، فتقدمت إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف - يعني كاتبه - أن يكتب إلى أبي الريان - وكان خليفته في بغداد - يحملها إلى المشهد.

ثم التفت إلى عبد العزيز - وكان حاضراً - فقال له عبد العزيز: قد كتب بذلك ونفذ الكتاب^(١).

(١) تاريخ الخطيب ١: ١٢٣.

٢٢- مزار محمد بن إدريس الشافعي

إمام الشافعية المتوفى ٢٠٤هـ دفن بالقرافة الصغرى وقبره يزار بها بالقرب من المقطم^(١).

وقال الجزري في طبقات القراء: والدعاء عند قبره مستجاب ولما زرته قلت:

زرت الإمام الشافعي لأن ذلك نافعي
لأنال منه شفاعته أكرم به من شافع^(٢)

وقال الذهبي في دول الإسلام: إن الملك الكامل عمّرة على ضريح الشافعي^(٣).

قال ابن جبير:

مشهد الإمام الشافعي من المشاهد العظيمة احتفالاً واتساعاً.

ثم عدد سائر المشاهد الموجودة بقبره المتعلقة بالعلماء والزهاد مثل مشهد المزني صاحب الشافعي ومشهد أشهب صاحب مالك ومشهد الفقيه أبي الحسن الدينوري ومشهد الصالح المعروف بصاحب إبريق ومشهد ذبي النون بن إبراهيم المصري و...^(٤).

٢٣- مزار أبي سليمان الداراني العنسي المتوفى ٢٠٥هـ.

قال ابن كثير: أحد الأئمة وكان من الزهاد المتعبدين وله حكايات، دفن

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٢: ٣٠.

(٢) طبقات القراء ٢: ٩٧.

(٣) دول الإسلام ٢: ١٠٥.

(٤) رحلة ابن جبير: ٥٠ ط دار الكتاب اللبناني.

في قرية داريا في قبلتها بجانب دمشق، وقبره بها مشهور، وعليه بناء، وقد جدد مزاره في زماننا هذا^(١).

وذكره ابن بطوطة وأضاف: أن قبر أبي مسلم الخولاني في جنبه، وقبره مشهور يزار أيضاً^(٢).

٢٤- مزار السيدة نفيسة ابنة أبي محمد الحسن بن زيد بن علي بن أبي طالب.

في أعلام النساء: كانت من ربات العبادة والصلاح والزهد والورع ولدت بمكة سنة ١٤٥ هجرية ونشأت بالمدينة ودخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق، وكانت حافظة للقرآن وتفسيره، وكانت كثيرة البكاء تديم قيام الليل وصيام النهار، وكانت لا تأكل إلا في كل ثلاث ليال أكلة واحدة، وحجت ثلاثين حجة وكانت تبكي بكاءً شديداً وتتعلقُ بأستار الكعبة وتقول: إلهي وسيلتي ومولاي متعني وفرحني برضاك عني.

قالت زينب بنت يحيى المتوَّج: خدمت عمتي نفيسة أربعين سنة فما رأيتها نامت الليل ولا أفطرت بنهار، فقلت لها: أما ترفقين بنفسك، فقالت: كيف أرفق بنفسي وقدامي عقبات لا يقطعها إلا الفائزون.

ومن كراماتها: حكى أنه لما ظلم أحمد بن طولون على أهل مصر، إستغاث الناس من ظلمه وتوجهوا إلى السيدة نفيسة يشكونه إليها، فقالت: متى يركب؟ قالوا: في غد، فكتبت رقعة ووقفت بها في طريقه، وقالت: يا أحمد بن طولون، فلما رآها عرفها، فترجل عن فرسه وأخذ منها

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٠: ٢٥٩

(٢) رحلة ابن بطوطة: ١١٨.

الرقعة، فلما قرأها، عدل لوقته^(١).

ومن كراماتها الكثيرة ما رواه النهباني: أن رجلاً تزوج بامرأة ذمية، فرزق منها ولداً وكبر الولد، ثم سافر فأسير في بلاد العدو، فجعلت أمه تدخل البيع وتتضرع وولدها لا يأتي.

فقال لبعلها: بلغني أن بين أظهركم امرأة يقال لها نفيسة بنت الحسن الأنور، إذهب إليها لعلها تدعو لولدي أن يأتي، فإن لحا آمنت على يديها، فخرج الرجل فأتى معبدها فقص عليها القصة، فدعت له، فعاد إلى زوجته فأنحبرها، فلما كان الليل إذا الباب يطرق، فقامت المرأة ففتحت الباب، فإذا بولدها قد جاء، فقالت له: كيف كان أمرك؟ قال: لم أشعر إلا ويد وقعت على القيد وسمعت قائلاً يقول: أطلقوه فقد شفعت فيه نفيسة بنت الحسن، فما شعرت حتى وقفت على هذا الباب، فأسلمت المرأة وحسن إسلامها.

وروى النهباني أيضاً: إن النيل توقف في زمانها، فأتوا إليها، فأخرجت إليهم متاعاً فجعلوه في النيل فعلى الماء وأوفى النيل^(٢).

وفي أعلام النساء: ولما مرضت حفرت قبرها بيدها في بيتها فكانت تنزل فيه وتصلي كثيراً فقرأت فيه مائة وتسعين ختمة وما برحت تنزل فيه وتصلي كثيراً وتقرأ كثيراً وتبكي بكاءً عظيماً حتى احتضرت سنة ٢٠٨ وهي صائمة فألزموها بالفطر وألحوا وأبرموا فقالت: واعجباً منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالى أن ألقه وأنا صائمة أفطر الآن! هذا لا يكون، ثم قرأت

(١) أعلام النساء - عمر رضا كحالة ٥: ١٨٧، وراجع نور الأبصار في مناقب آل

بيت النبي المختار للشبلجي: ٢٨٨ ط دار الكتب العلمية.

(٢) جامع كرامات الأولياء - يوسف بن إسماعيل النهباني ٢: ٥١٠ وذكر لها كرامات

عديدة فراجع.

سورة الأنعام وكان الليل قد هدأ فلما وصلت إلى قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ غشي عليها ثم شهدت شهادة الحق وقبضت إلى رحمة الله.

فأراد زوجها أن يحملها إلى المدينة ويدفنها بالبقيع، فاجتمع أهل مصر إلى أمير البلد واستجاروا به عند إسحاق ليرده عما أراد فأبى فجمعوا له مالاً جزيلاً حتى وسق بعيره الذي أتى عليه، وسألوه أن يدفنها عندهم، فأبى، فباتوا منه في ألم عظيم، فلما أصبحوا اجتمعوا إليه فوجدوا منه غير ما عهدوه بالأمس، فقالوا له إن لك لشأناً عظيماً.

قال: نعم رأيت رسول الله ﷺ وهو يقول لي: ردّ عليهم أموالهم وادفنها عندهم، فدفنها في المنزل الذي كانت تسكنه، في محلة كانت تعرف قديماً بـدرب السباع، وقد بادت ولم يبق منها سوى قبرها. ولأهل مصر اعتقاد بها عظيم، فيقال: إن الدعاء يستجاب عند قبرها^(١).

قال ابن كثير: توفيت سنة ٥٢٠٨ هـ ودفنت في المنزل الذي كان تسكنه بمحلة كانت تعرف قديماً بـدرب السباع... ولأهل مصر فيها اعتقاد^(٢).

عزيزي القارئ: إن ما روي في فضائل هذه السيدة وكراماتها واستجابة دعائها وتوسل الناس إلى الله بها في حياتها وبعد مماتها يحتاج إلى سرد كتاب مستقل.

ولكني ذكرت لك من كراماتها ما فيه موعظة لنا وما يترتب عليه أثر تربوي خاصة لنسائنا، كي يعلم أن طريق الكمال والقرب إلى الله مفتوح أمام الجميع، وهو دليل على أن ليس للإنسان إلا ما سعى.

(١) أعلام النساء - عمر رضا كحالة ٥: ١٨٧ - ١٨٩.

(٢) البداية والنهاية ٧: ٢٦٦ تحقيق محمد البقاعي طبع دار الفكر بيروت.

٢٥- مزار أحمد بن حنبل إمام الحنابلة المتوفى ٢٤١هـ

قبره ظاهر مشهور يزار ويتبرك به، كذا في مختصر الحنابلة: ١١ وقال الذهبي^(١): ضريحه يزار ببغداد، وحكى ابن الجوزي في مناقب أحمد: ٢٩٧ عن عبد الله ابن موسى قال: خرجت أنا وأبي في ليلة مظلمة نزور أحمد فاشتدت الظلمة فقال أبي: يا بني تعال حتى نتوسل إلى الله تعالى بهذا العبد الصالح حتى يضيء لنا الطريق فإني منذ ثلاثين سنة ما توسلت به الا قضيت حاجتي فدعا أبي وأمنت على دعائه فاضاءت السماء كأنها ليلة مقمرة حتى وصلنا إليه.

وقال في صفحة ٤١٨ عن أبي الحسن التميمي، عن أبيه، عن جده أنه حضر جنازة أحمد بن حنبل قال: فمكثت طول اسبوع رجاء أن أصل من ازدحام الناس عليه، فلما كان بعد اسبوع وصلت إلى قبره.

وقال ابن بطوطة في رحلته^(٢): قبره لا قبة عليه، ويذكر أنها بنيت على قبره مراراً فتهدمت بقدرة الله تعالى وقبره عند أهل بغداد معظم. فلاحظ إلى الحنابلة فيما يقولون في إمامهم من الفضائل والكرامات، وكيف شد ابن تيمية الحنبلي وأتباعه عنهم، وجعلوا النبي وأهل بيته أدنى مرتبة من الآخرين.

٢٦- مزار ذي النون المصري المتوفى ٢٤٦هـ

قال ابن خلكان في تاريخه: دفن في القرافة الصغرى وعلى قبره مشهد مبني، وفي المشهد قبور جماعة من الصالحين وزرته غير مرة^(٣).

(١) دول الإسلام للذهبي ١: ١١٤.

(٢) رحلة ابن بطوطة ١: ٢٤٠ دار الكتب العلمية.

(٣) تاريخ ابن خلكان ١: ١٠٩، ولاحظ رحلة ابن جبير: ٥١ ط دار الكتاب اللبناني.

٢٧ - مزار بكار بن قتيبة بن أسد الثقفي البكرابي البصري الحنفي

الفقيه المتوفى بمصر سنة ٢٧٠.

دفن بالقرافة وقبره مشهور ويتبرك به ويقال: إن الدعاء عند قبره مستجاب^(١).

وقال ابن خلكان: دفن بمصر عند مصلى بني مسكين قريباً من قبر الشريف ابن طباطبا وقبره مشهور هناك، معروف باستجابة الدعاء عنه^(٢).

٢٨ - مزار القطب أبي عبد الله خفيف المعروف بالشيخ في شيراز.

قال ابن بطوطة: ومشهده معظم عند أهل شيراز يأتون إليه بكرة وعشيا فيتمسحون به، وقد رأيت القاضي مجد الدين آتاه زائراً واستلمه، وتأتي الخاتون إلى هذا المسجد في كل ليلة جمعة.

وعليه زاوية ومدرسة ويجتمع به القضاة والفقهاء، ويفعلون به كفعالهم في مشهد أحمد بن موسى وقد حضرت الموضوعين جميعاً، والشيخ أبو عبد الله بن خفيف كبير القدر في الأولياء شهر الذكر^(٣).

٢٩ . مزار يعقوب بن إسحاق أبي عوانة النيسابوري ثم الإسفرائيني الحافظ

الشهير المتوفى ٣١٦.

صاحب الصحيح المسند المخرّج على صحيح مسلم، قال الذهبي في تذكرة الحفاظ: قبر أبي عوانة عليه مشهد مبني بأسفرائين يزار وهو بداخل

(١) الجواهر المضية لابن أبي الوفاء القرشي ١ : ١٧٠.

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ١ : ٢٨٢.

(٣) رحلة ابن بطوطة: ٢٢٦ ط دار الكتب العلمية.

المدينة^(١).

وقال الحافظ ابن عساكر: إن قبر أبي عوانة بإسفرابين مزار العالم ومتبرك الخلق؛ وبجنب قبره قبر الراوية عنه أبي نعيم عبد الملك بن الحسن الأزهري الإسفرائيني في مشهد واحد داخل المدينة، وقريب من مشهده مشهد الإمام الأستاذ أبي إسحاق الإسفرائيني... إلى أن قال: والعوام يتقربون إلى مشهد أبي إسحاق أكثر مما يتقربون إلى أبي عوانة، وهم لا يعرفون قدر هذا الإمام الكبير المحدث أبي عوانة، لبعد العهد بوفاته وقرب العهد بوفاة أبي إسحاق، وكان جلدي إذا وصل إلى مشهد الأستاذ أبي إسحاق لا يدخله، إحتراماً، بل كان يقبل عتبة المشهد، وهي مرتفعة بدرجات، ويقف ساعة على هيئة التعظيم والتوقير، ثم يعبر عنه كالمدوح لعظيم الهيبة والقدر، وإذا وصل إلى مشهد أبي عوانة كان أشد تعظيماً له وإجلالاً وتوقيراً ويقف أكثر من ذلك رحمهم الله أجمعين^(٢).

٣٠ - مزار ابن طباطبا.

أبو محمد عبد الله بن أحمد بن علي بن الحسن ابن طباطبا المصري المتوفى ٥٢٤٨هـ، دفن بمصر وقبره معروف ومشهور بإجابة الدعاء.

قال ابن خلكان: وصلى عليه بمصلى العيد وحضر جنازته من الخلق ما لا يحصي عددهم إلا الله، وقبره معروف ومشهور بإجابة الدعاء.

وقال: روي أن رجلاً حج وفاته زيارة النبي ﷺ فضاق صدره لذلك فرآه ﷺ في نومه فقال له: إذا فاتتك الزيارة فزر قبر عبد الله بن أحمد بن طباطبا، وكان صاحب الرؤيا من أهل مصر، وحكى بعض من له عليه

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ٣: ٧٧٩ ط مكتبة الحرم المكي.

(٢) لاحظ وفيات الأعيان لابن خلكان ٦: ٣٩٤ ط دار الثقافة - بيروت.

إحسان أنه وقف على قبره وأنشد:

وخلفت الهموم على أناس وقد كانوا بعيشك في كفاف

فراه في نومه فقل: قد سمعت ما قلت، وحيل بيني وبين الجواب والمكافئة،
ولكن صر إلى مسجد كذا وصلّ ركعتين وادع يستجب لك، رحمه الله تعالى^(١).

٣١ - مزار الوزير إسماعيل بن عبّاد الملقب بالصاحب المتوفى ٣٨٥هـ

قال ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب: كان وزير مؤيد الدولة أبي منصور بن بويه وفخر الدولة، وكان رجلاً من رجال الدهر حزمًا وعزمًا وسؤددًا ونبلاً وسخاءً وحشمة وإفضالاً وعدلاً.

قل الثعالبي في اليتيمة في حقه: ليس تحضرني عبارة أرضاها للإفصاح عن علوِّ محله في العلم والأدب وجلالة شأنه في الجود والكرم وتفوّقه بالغايات في المحاسن وجمعه أشتات المفاخر، لان همة قولي تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه... .

ومن أخباره أنه لم يسعد أحد بعد وفاته كما كان في حياته غير الصاحب، فإنه لما توفي أغلقت له مدينة الرى، واجتمع الناس على باب القصر ينتظرون خروج جنازته، وحضر مخدومه فخر الدولة وسائر القواد وقد غيروا لباسهم، فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة، وقبلوا الأرض، ومشى فخر الدولة أمام الجنازة مع الناس، وقعد للعزاء أياماً^(٢). إنتهى ما في شذرات الذهب ملخصاً.

قال الاميني في الغدير: صلى عليه أبو العباس الضبي، وبعد الصلاة

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٢: ٨٢ ط دار الثقافة بيروت.

(٢) شذرات الذهب ٣: ١١٣، ولاحظ معجم الأدباء ٦: ١٦٨.

٣١٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

علّق نعشه بالسلاسل في بيت إلى أن نقل إلى إصفهان فدفن في قبة هناك تعرف بباب درية.

وحكى عن ابن خلكان أنه قال: وهي عامرة إلى الآن وأولاد بنته يتعاهدونها بالتبويض.

وعن روضات الجنات: هي عامرة إلى الآن، وكان أصابها تشعث وانهدام فأمر الإمام العلامة محمد إبراهيم الكرباسي في هذه الأيام بتجديد عمارتها، ولا يدع زيارتها مع ما به من العجز في الأسبوع والشهر والشهرين، وتدعى في زماننا بباب الطوقجي والميدان العتيق، والناس يتبركون بزيارته ويطلبون عند قبره الخواجج من الله تعالى^(١).

٣٢ - مزار إبراهيم الحربي المتوفى ٢٨٥.

قال ابن الجوزي: دفن في بيته وقبره ظاهر يتبرك الناس به^(٢).

٣٣ - مزار أبي الحسن علي بن الحسن المصري

فقيه الشافعية المتوفى ٤٩٢هـ، قال ابن الأنماطي: قبره بالقرافة يعرف بلجاجة الدعاء عنده^(٣).

٣٤ - مزار الفقيه نصر بن إبراهيم بن داود المقدسي النابلسي

المتوفى ٤٩٠هـ، شيخ الشافعية بالشام، توفي بدمشق ودفن بباب الصغير وقبره ظاهر يزار.

(١) لاحظ الغدير ٤ : ٧٤.

(٢) مناقب أحمد لابن الجوزي: ٥٠٩، وصفوة الصفوة لابن الجوزي ٢ : ٢٣٢.

(٣) شذرات الذهب ٣ : ٣٩٩.

قال النووي: سمعنا الشيوخ يقولون: الدعاء عند قبره يوم السبت مستجاب^(١).

٣٥ - مزار أحمد بن جعفر الخزرجي أبو العباس السبت

نزىل مراكش والمتوفى بها سنة ٦٠١، قبره معروف مزار مزاحم عليه مجرب الإجابة.

قال صاحب نيل الابتهاج بعد كلام طويل حول هذا المزار: قلت: وإلى الآن ما زال الحال على ما كان عليه في روضته من ازدحام الخلق عليها وقضاء حوائجهم، وقد زرته ما يزيد على خمسمائة مرة وبت هناك ما ينيف على ثلاثين ليلة، وشاهدت بركته في الأمور. ثم ذكر قصة يهودي توسل به وقضيت حاجته^(٢).

٣٦ - مزار الشيخ عبد القادر أبي رباح الدجاني اليافعي المتوفى

سنة ١٢٩٤ هجرية.

قال النبهاني: كان أشهر علماء البلاد الشامية وأوليائها في ذلك الزمان، وهو أول شيخ أخذت عنه الطريق الخلوتية.

ثم ذكر له كرامات إلى أن قال في وفاته: لم يبق من أهالي يافا نساءً ورجالاً وأولاداً من المسلمين وغيرهم إلا حضر جنازته، وكذلك حضر من الخارج قوم لا يحصي عددهم إلا الله تعالى، وكان الحزن عليه شاملاً عاماً، فلا يرى في جنازته غير باك وأسف، ودفن في مقبرة يافا الشمالية إلى جانب حضرة عمه الشيخ سليم.

(١) شذرات الذهب ٣: ٣٩٦.

(٢) راجع نيل الابتهاج: ٦٢.

٣١٢ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

وعلى مقامه من الأنوار والبركات ما يدهش الأبصار، وعليه قبة جميلة وهو يزار ويتبرك بمقامه الشريف، ولا تخلو دائماً من زائر ومستجير^(١).

٣٧- مزار الحافظ عبد الله الحاملي.

قال النبهاني: كان من أجلاء العلماء وأكابر الزهاد وأعظم الحفاظ، مات في مصر ودفن بالبقعة بالقرب من قبر أبي بكر الأنباري، ويقال: إن من وقف بين قبريهما ودعا بما شاء أُستجيب له، قال إبراهيم بن سعيد الحوفي: كنت أرى أكابر العلماء يزرون قبره ويتبركون بالدعاء عنده^(٢).

هذه نبذة من المزارات التي أوردتها علماء المذاهب في كتب التاريخ والتراجم ووقع نظري عليها في تلك الكتب، وإلا فهي كثيرة جداً.

ومن القبور والمزارات التي زارها المسلمون عامة: قبور الأنبياء في بيت المقدس وفي مقدمها قبر إبراهيم الخليل ﷺ، فإن لهم مقامات مجللة ومزارات يتبرك بزيارتها، ومن المؤلم أنه قد سلب منا توفيق زيارتها، لوجود العدو الصهيوني.

ومن القبور التي زرتها وشاهدت من زارها، قبر نبي الله زكريا في حلب، وله مقام ومزار يزوره عامة الناس ويتبركون به.

وفي إصفهان قبر شعيا في بناء مجلل وفي جنبه قبر إسماعيل أحد أولاد الأئمة ﷺ.

وفي تلك البلدة قبور ومزارات لآل بيت الرسول ﷺ مجللة أيضاً قد

(١) جامع كرامات الأولياء للنبهاني ٢: ٢١٧ ط دار الفكر بيروت.

(٢) جامع كرامات الأولياء للنبهاني ٢: ٢٢٧.

زرتها في بعض الأسفار، وشاهدت آثار البركة منها، وشاهدت من زارها من المسلمين أيضاً.

وفي شوش قبر دانيال عليه السلام عليه بناء مجلل يقصده الناس بالزيارة ويتبركون به وقد زرته كراراً.

وفي الشام قبر يحيى بن زكريا في جامع دمشق رأيت الناس تزوره ويتبركون به حتى غير المسلمين.

وقبور ومشاهد أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، منهم السيدة زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام قرب دمشق ولها مقام شامخ عظيم يقصدها بالزيارة وطلب الحاجة كثير من الناس حتى غير المعتنقين بالإسلام لما يرون منها من الكرامات.

وهكذا قبر السيدة رقية عليها السلام بنت الحسين الشهيد عليه السلام حيث توفيت ودفنت في خربة الشام مظلومة محسورة على فراق أبيها معتنقة لرأسه الشريف وصار قبرها معظماً محترماً عند العام والخاص، ومن أجل القبور وملجأ للناس أجمعين، وقد اشتهرت تلك السيدة الصغيرة بباب الحوائج إلى الله.

وفي العراق مضافاً إلى مشاهد الأئمة الطاهرين المعصومين، قبور بعض الأنبياء مثل نبي الله هود وصالح في وادي السلام وقبر أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين الذي يعتقد بكراماته جميع أهل المذاهب والأديان ويقصدونه بحوائجهم من كل مكان، وأيضاً قبر السيد محمد بن علي الهادي ببلد فإنه معروف باستجابة الدعاء عنده، ورأيت الناس من جميع المذاهب يقصدونه بالزيارة والحوائج وينذرون له النذورات ولهم به اعتقاد كبير، وله حكايات وكرامات كثيرة... وذلك من فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ختام الكلام في سيرة المسلمين

عزيزي القارئ: قد لاحظت ما قدمنا لك مما تداول بين أجيال المسلمين منذ عهدهم المتقدم، من لدن عهد الصحابة الأولين، والتابعين لهم بإحسان، ثم في الأدوار المتتابعة من زيارة قبر نبيهم الأعظم ﷺ، ومراقد الأئمة والأولياء والصلحين والعلماء، وشد الرحال إليها، والتوسل والاستشفاع بها.

وفي الزائرين علماء أعلام وأئمة يقتلوا بهم ويعتمد عليهم في كل من المذاهب، مضافاً إلى أن من ذكر تلك الروايات كلهم علماء وقادة ارتضوا تلك الأعمال بنقلهم لها في مقام فضيلة المزورين وأرباب تلك المزارات، فعلى ذلك وقع التسالم بين فرق المسلمين في قرونهم المتطاولة، وذلك ينبى عن الإجماع العملي المتحقق بين طبقات الأمة الإسلامية على استحسان ذلك كله وكونه سنة متبعة.

وأنت أيها المسلم النصف إذا أعرت لما تلونه عليك أذناً واعية وابتعدت عن التعصبات، والطائفية، فهل تجد لما يصفه المخالف للزيارة مقيلاً من الصديق؟

فهل كان المسلمون الأولون يرون ما يأتون به من الأعمال في مشاهد الموتى كفرة ثم يتقربون به إلى الله تعالى؟ حاشا وكلا لا يجوز أن ننتهم فرق المسلمين عامة بمثل هذه الافتراءات الشائنة.

وفي خلال مطالعتك لما قدمناه هل وجدت شيئاً من تلك الأعمال مختصة بالشيعة فحسب؟

وهل الأعمال التي تأتي بها الشيعة عند قبور الأولياء - وقد زعم المخالفون أنها كاشفة عن الغلو والتأليه لعلي وولده ﷺ - غير ما يأتي به أهل السنة وفي مقدمتهم أئمتهم عند تلك المزارات من لدن عصر الصحابة حتى

اليوم من سرد ألقاظ زيارة جامعة لفضائل المزور، ومن الدعاء عند قبره، والصلاة لديه، وختم القرآن عنده وإهدائه إليه، والتوسل والاستشفاع به، وطلب قضاء الحاجة من الله تعالى بوسيلته، والتبرك به بالتزام أو تمرغ أو تقبيل، وتعظيمه بكل ما اقتضته حرمة واستوجبه خطره.

فلو صحت كلمات المخالفين بأن هذه الأعمال بدعة، ومن مصاديق الغلو والشرك بالله عزوجل، وإن فاعلها خارج عن ربقة الإسلام، لم يبق عندئذ معتنق بالإسلام منذ يومه الأول إلا من شذ من المخالفين والمنحرفين عن سيرة المسلمين.

فمع هذا التفصيل الذي وقع في سيرة المسلمين وزيارتهم لأئمة المسلمين، على القارئ العزيز أن يكون على بصيرة من أن الشيعة ليس بينها وبين المذاهب الأربعة قط اختلاف في هذه المسائل المهمة.

وإنما هي مما تسالت عليه الأمة الإسلامية ولا يبقى له أي شك وترديد في مشروعية زيارة الرسول المصطفى وعترته النجباء صلوات الله عليهم أجمعين وسائر العلماء والصلحيين من أمته ﷺ وتعظيمهم والتبرك بهم أيضاً.

ولا يخفى: إن هذه الكلمات والافتراءات الواهية لا غاية فيها إلا التفرقة بين صفوف المسلمين وإيجاد الخلاف والعداوة بينهم.

وهو ما يطلبه أعداء الدين الأجانب التي تظهر في كل فترة من الزمان من رداء من شذ عن المسلمين وأغواء الشيطان الرجيم الذي يريد أن يلقي العداوة والبغضاء بين المؤمنين.

وعلاوة تأثير المشركين أنهم يتكلمون بما تهوى أنفسهم وتطلبه أسانذتهم، حتى لو كان كلامهم بهتاناً ولا يستند إلى دليل وبرهان.

الامم وتعظيم الأنبياء والأولياء وتشديد قبورهم

قد علمت أن مسألة زيارة القبور وتعظيم الأنبياء والأولياء والصالحين وتشديد قبورهم ليست مختصة بالمسلمين فقط، بل قد جرت سيرة الأمم السابقة عليها أيضاً، وأن الناس قبل الإسلام كانوا يعظمون قبور أنبيائهم وكبرائهم ومن كان له دورٌ في حضارتهم وتكاملهم، بزيارتها وبأنحاء التعظيم وبحسب عاداتهم وتطور أزممنتهم، ويشيدونها ويجعلون لهم ذكرى سنوية، وهي طريقة عقلاء العالم، حيث يرون هذه الأمور نوعاً من أداء الحق وتقديراً لمن له الحق، ولا يرونها عبادة لغير الله ولا ينظرون لها نظر الوثنية.

فالذي يلاحظ التاريخ يرى أن عقلاء الأمم المتحضرة والراقية يسعون في حفظ آثار عظمائهم وأسلافهم وحراستها عن الإندثار، ويفتخرون بها، لأنها آثار حضارية وتراث فكري، حيث إن آثار الأسلاف والعظماء وفي مقدمهم الأنبياء هي التي ترسم حركة الشعوب والأمم في طريق التقدم والتكامل وتُضئع لها مسير الهداية وتمرسها من الضلالة.

فالحفاظة على تلك الآثار وتعظيمها توجب تقوية اعتقاد الناس وإيمانهم بأنبيائهم وفكرتهم وما دلّوا عليه، من عبادة الرحمن واجتناب الآثام، ويكون لها أثر عميق في تقوية دعائمها وتحذيرها وتحكيمها، ولو لم يجتهدوا في الحراسة على آثارها لأدى إلى زوالها وانثارها، وعلى أثر الإندثار والإندراس يتدخل روح الشك والريب في نفوس أتباعهم وتؤول إلى الإبتعاد عن فكرتهم وشريعتهم وكثيراً ما إنكارها، كما هو هدف أعداء الموحدين وعليه سعيهم.

ولو أمعنت النظر لرأيت هذا الحال ملموساً في المجتمع الغربي المسيحي فإنهم بمرور الزمان وتغير الأوضاع أخذ الشك والترديد والإنكار يذبّ في نفوسهم وأصبحوا يشكون حتى في أصل المسيح ﷺ، وهذا لعدم وجود آثار

لمموسة من السيد المسيح فصاروا يعتبرونه أسطورة تاريخية لا أكثر.

والحال أن المسلمين ببركة الإسلام وديانات القرآن الكريم حيث أكد على تعظيم شعائر الله والاهتمام بها وجعلها من تقوى القلوب، تراهم قد ظلوا في منأى عن مثل هذه الحالة، فقد حافظوا في طول التاريخ بكل فخر واعتزاز على الآثار الكريمة التي خلفها الرسول المصطفى ﷺ وأهل بيته الطاهرين، من الأضمحلال والإندثار بسبب الحوادث ومرور الزمان.

ومن أحد الامتيازات والمرجحات التي تفوق بها الإسلام والقرآن عن سائر الأديان هي أن آثاره وأحكامه باقية وجارية في جميع الأدوار ومنطقة على جميع الأحوال ولا تتغير بتغير الزمان واختلاف الأطوار، وأن المجتمع الإسلامي وحتى غير الإسلامي لا يزال يستفيد من معطياتها وثمارها في سبيل التقدم والتعالى، ولا يشك أحد قط لحد الآن في وجود مثل هذه الشخصية المصلحة العظيمة - النبي الأعظم ﷺ - ولا في حضارته التي بناها وأرسى قواعدها وأبدي هو وأهل بيته المعصومون جميع التضحيات في سبيل بقائها، وهذا الخلود كله ليس الا من جهة بقاء آثاره والإحتفاظ بها إلى هذا اليوم.

ولو لا هذا الإهتمام والجد والاجتهاد وتلك التضحيات التي بذلها الأئمة من أهل بيته من أجل حفظ الدين لاندرست آثاره وانطمست قواعده، كما كان الأعداء في صدره.

وبعد التعرف على هذه الحقيقة أقول:

يجب على المسلمين أكيداً: أن يعظموا نبي التوحيد وأهل بيته ﷺ، بالاهتمام بزيارتهم ونشر فضائلهم وكلماتهم والاحتفاظ بآثارهم.

فمحل ولادته ومكان عبادته ومناجاته والموضع الذي بُعث منه والنقاط التي ألقى فيها خطبته الشريفة وكان يدعو الناس فيها با على صوته إلى

كلمة التوحيد بقوله ﷺ: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»، والأماكن التي دافع فيها عن فكرته العظيمة ورسالته القويمة، والرسائل التي أرسلها إلى ملوك العالم، والدساتير والوصايا التي أوصى بها خصوصاً بالنسبة إلى أهل بيته وعترته، لا بد أن تقدس وتعظم، حتى تصان من آفة الاندساس وأيدي الأعداء.

ومن أهم موارد التعظيم وأجلها وأكمل موارد الترفع، زيارة قبره ﷺ وقبور أهل بيته ﷺ وتشييدها وتعظيمها، فإن في زيارة هذا الجمع العظيم لقبورهم تذكراً وتوعية للناس تجلج عبادتهم وكلماتهم ودعوتهم إلى التوحيد، وهو الذي تحذر منه الأعداء، فأين هذا من الشرك والغلو والتأليه؟! بل هو الذي يوصل الإنسان إلى حقيقة التوحيد وعبودية الله.

كيف وهذا ممّا أيده النصوص القرآنية وسيرة المسلمين، فقد قال الله تعالى: «وَمَنْ يُعَظْمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ» وسيأتي الكلام عن مفاد هذه الآية الشريفة.

وقال: «فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ»^(١).

لا يقال: إن المراد من البيوت في الآية المساجد.

لأن لفظ البيوت جاء في القرآن الكريم في مقابل المساجد، فإن المسجد الحرام غير بيت الله الحرام.

فالمراد من البيوت في الآية الشريفة هو بيوت الأنبياء وخاصة بيت نبينا محمد ﷺ وذريته الطاهرة ﷺ.

فقد روى السيوطي في تفسيره الدر المنثور عن أنس بن مالك وبريدة قال: قرء رسول الله ﷺ هذه الآية، فقام إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ قال: «بيوت الأنبياء».

فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها؟ مشيراً إلى بيت علي وفاطمة، قال: «نعم من أفاضلها»^(١).

وفي الآية قرائن أخرى دالة على أن المراد بيوت الأنبياء وفي مقدمتهم بيت النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، ويؤيد هذا التفسير للبيت قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٢).

وقد صح وتواتر تفسيرها من طرق السنة والشيعه، نزولها في خصوص الخمسة الطيبة الذين اجتمعوا تحت العباء الخيرية.

وفي الأحاديث المعتمدة من طرق الخاصة عن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام إنه قال: وصل الله طاعة ولي أمره بطاعة رسوله، وطاعة رسوله بطاعته، فمن ترك طاعة ولاية الأمر لم يطع الله ولا رسوله، وهو الإقرار بما أنزل من عند الله عز وجل: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، والتمسوا البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فإن الله أخبركم انهم ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ إلى آخر الحديث^(٣).

ولما حصر قتادة قاضي فضلة البصره عند الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال

(١) تفسير الدر المنثور للسيوطي ٥ : ٢٥٠.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) تفسير نور الثقلين للحويزي ٣ : ٦٠٨.

٣٢٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

أبو جعفر ﷺ له: أنت فقيه أهل البصرة؟ قل: نعم، فقال له أبو جعفر ﷺ: ويحك يا قتادة إن الله خلق خلقاً من خلقه فجعلهم حججاً على خلقه، فهم أوتاد في أرضه، قوام بأمره، نجباء في علمه، إصطفاهم قبل خلقه، أظلة عن يمين عرشه، قل: فسكت قتادة طويلاً ثم قال: أصلحك الله يا بن رسول الله، والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدامهم، فما اضطرب قلبي قدام واحد منهم ما اضطرب قدامك؟

فقال أبو جعفر ﷺ: أما تدري أين أنت؟ أنت بين يدي ﴿فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ... رَجَالٌ...﴾ إلى آخر الآية، فأنت ثم ونحن أولئك، فقال له قتادة: صدقت والله، جعلني الله فداك ما هي بيوت حجارة ولا طين إلى آخر الخبر^(١).

فاتضح لك أيها القارئ المنصف، مما بيناه إن الشيعة في تعظيمهم وزيارتهم لأهل بيت الوحي والتحفظ على آثارهم، قد عملوا على طبق وظائفهم وليس هذا الأمر مختصاً بهم، بل جرت عليه سيرة المسلمين على اختلاف مذاهبهم، بل جميع عقلاء العالم من الامم الحاضرة والامم المتقدمة أيضاً.

إنتهى الكلام في سيرة المسلمين والحمد لله رب العالمين.

الدليل السادس

ما يستفاد من الفروع

والآداب المذكورة للزيارة

مسائل الزيارة دليل على مشروعيتها

آداب الزيارة عند العامة والإمامية ودلالاتها

ذرائع المنع من الزيارة

التبرك بأثار النبي ﷺ والأولياء

طواف القبور

النذور لأهل القبور

تعمير قبور الأنبياء والأولياء والصلاة عندها

الصلاة عند القبور وبناء المساجد عليها أو حولها

مسائل الزيارة
دليل على مشروعيتها

مسائل الزيارة

دليل على مشروعيتها

وبعد استقصاء أدلة الزيارة، ينبغي التنبيه على مسائل ترتبط بالزيارة وتفيدنا في تقوية تلك الأدلة أكثر فأكثر، حيث يستفاد من هذه المسائل تسالم علماء المذاهب على رجحان زيارة النبي ﷺ وتأكيدها ومحبووية شد الرحال إليها من أي مكان كان.

المسألة الأولى:

تقديم زيارة قبر النبي ﷺ على الحج أفضل أم العكس؟

فقد اختلفت آراء علمه المذاهب في تقديم كل من الحج والزيارة على الآخر ففي شفاء السقام قال السبكي: اختلف السلف ﷺ في أن الأفضل البداءة بالمدينة قبل مكة أو بمكة قبل المدينة.

ومن نص على هذه المسألة وذكر الخلاف فيها الإمام أحمد في كتاب المناسك الكبير من تأليفه، وهذه المناسك رواها الحافظ أبو الفضل بإسناده عن عبدالله بن أحمد، عن أبيه، وفي هذه المناسك سئل عمن يبدأ بالمدينة قبل مكة؟ فذكر بإسناده عن عبد الرحمن بن يزيد وعطاء ومجاهد إنهم قالوا: إذا أردت مكة فلا تبدأ بالمدينة وأبدأ بمكة، وإذا قضيت حجك فامرر بالمدينة إن شئت^(١).

(١) وقد ذكر هذا الإسناد في شفاء السقام: ١٤٥.

٣٢٦ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

وذكر بإسناده عن الأسود قل: أحب أن يكون نفقتي وجهازي وسفري أن أبدأ بمكة. وعن إبراهيم الحنفي: إذا أردت مكة فاجعل كل شيء لها تبعاً وعن مجاهد: إذا أردت الحج أو العمرة فأبدأ بمكة واجعل كل شيء لها تبعاً.

وعن إبراهيم قل: إذا حججت فأبدأ بمكة ثم مرّ بالمدينة بعد.

وذكر الإمام أحمد أيضاً بإسناده عن عدي بن ثابت: أن نفرأ من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يبدئون بالمدينة إذا حجوا يقولون: نهلّ من حيث أحرم رسول الله ﷺ.

وذكر ابن أبي شيبة في مصنفه هذا الأثر أيضاً^(١) وذكر بإسناده عن علقمة والأسود وعمر بن ميمون: أنهم بدأوا بالمدينة قبل مكة.

وقال الموفق بن قدامة: قال - يعني أحمد - : وإذا حج الذي لم يحج قط - يعني من غير طريق الشام - لا يأخذ على طريق المدينة، لاني أخاف أن يحدث به حدث، فينبغي أن يقصد مكة من أقصر الطرق، ولا يتشاغل بغيره.

قلت: وهذا في العمرة متجه، لأنه يمكنه فعلها متى وصل إلى مكة، وأما الحج فله وقت مخصوص، فإذا كان الوقت متسعاً لم يفت عنه بمروره بالمدينة شيء.

ومن نص على هذه المسألة من الأئمة أبو حنيفة وقل: الأحسن أن يبدأ بمكة، روى ذلك الحسن بن زياد عنه فيما حكاه أبو الليث السمرقندي.

هذا ما نقله السبكي من الأقوال في البدء بمكة أو المدينة.

ثم قال مستدلاً بهذه الأقوال على مشروعية الزيارة: فانظر كلام السلف والخلف في إتيان المدينة إما قبل مكة، وإما بعدها، ومن أعظم ما تؤتى له

(١) المصنف لابن أبي شيبة ٤: ٢١٨ ب ٣٢ في الرجل يبدأ بمكة أو بالمدينة: ح ١.

المدينة الزيارة، ألا ترى أن بيت المقدس لا يأتيه إلا القليل من الناس وإن كان مشهوداً له بالفضل، والصلاة فيه مضاعفة؟! فتوفر الهمم خلفاً عن سلف على إتيان المدينة، إنما هو لأجل الزيارة، وإن اتفق معها قصد عبادات آخر، فهو مغمور بالنسبة إليها.

وقال أيضاً: وأما ما نقل من تعليل بعض الصحابة بالإهلال من ميقات النبي ﷺ فذلك أمر مقصود، وليس هو كل المقصود، ولعلمهم ﷺ، رأوا أنه ميقاتهم الأصلي لما كانوا بالمدينة مع نبيهم ﷺ فاحبوا أن لا يغيروا ذلك، وإلا فالنبي ﷺ وقت لأهل كل بلد ميقاتاً، ولعل الإحرام منه أولى، إلا أن يعارضه معارض.

والتابعون الكوفيون الذين اختاروا البداءة بالمدينة لم ينقل عنهم تعليل، فلعل سببه عندهم إثارة الزيارة، ولو كانت العلة الإحرام من ميقات النبي ﷺ لم يأتوها إذا اتفق لهم البداءة بحكمة، لفوات الإحرام، فلما اتفقوا على إتيانها - وإنما اختلفوا في البداءة - دل على أن العلة غيره، وهي ما فيها من المشاهد، وأعظمها الزيارة، فهي إما كل المقصود، أو معظمه، وغيرها منغمر فيها^(١).

فالذي يستفاد من خلال كلمات السبكي مضافاً إلى تأكيد الزيارة هو ترجيحه البداءة بالزيارة فيما إذا كان الوقت واسعاً ولم يصل وقت الحج.

وقال الشيخ على القارئ: الأنسب أن تكون الزيارة بعد الحج كما هو مقتضى القواعد الشرعية من تقديم الفرض على السنة.

وقد روى الحسن عن أبي حنيفة تفصيلاً حسناً وهو: أنه إن كان الحج فرضاً فالأحسن للحاج أن يبدأ بالحج ثم يثني بالزيارة، وإن بدأ بالزيارة جاز، وإن كان الحج نفلاً فهو بالخيار فيبدأ بأيهما شاء....

(١) شفاء السقام: ١٤٧ الطبعة الرابعة.

٣٢٨ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

ثم قال: والأظهر أن الإبتداء بالحج أولى لإطلاق الحديث ولتقديم حق الله على حقه ﷺ ولذا تقدم تحية المسجد النبوي على زيارة المشهد المصطفوي^(١).

نظر الإمامية في المسألة

وإليك بعض فتاوى وكلمات علماء الإمامية في هذه المسألة:

قال النراقي في مستند الشيعة بعد ذكر الأحاديث المستفيضة والإجماع والضرورة في تأكد زيارة قبر النبي ﷺ:

واختلفت الأخبار في أفضلية البداية بمكة والختم بالمدينة أو بالعكس، أو التساوي، ففي حسنة سدير عن أبي جعفر عليه السلام قال: «بدأوا بمكة واختموا بنا»^(٢).

وفي صحيحة البرقي^(٣).

ورواية غياث بن إبراهيم، عن جعفر، عن أبيه، قال: سألت أبا

(١) شرح المشكاة للقارئ ٣: ٢٨٤ نقلاً من الغدير ٥: ١٢٦. وقال الأميني في الهامش حول مقتضى القواعد الشرعية التي ذكرها القارئ: هذه القاعدة إنما تؤخذ في موارد تراحم الأمرين لا مطلقاً والمقام ليس منها، كما لا يخفى، فإن الحج فريضة موقوتة فلا بأس بتقديم المندوب عليها قبل ظرفها. إنتهى كلامه.

والظاهر أن مراد الشيخ علي القاري من الحديث في قوله (لإطلاق الحديث)

هو قوله ﷺ: «من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي».

(٢) الكافي ٤: ٥٥ ح ١، الفقيه ٢: ٣٣٤ / ١٥٥٢، الوسائل ١٤: ٣٢١ أبواب المزار وما يناسبه ٢.

(٣) الكافي ٤: ٥٥٠ / ٢، الوسائل ١٤: ٣٢٠ أبواب المزار وما يناسبه ١: ٤.

مسائل الزيارة دليل على مشروعيتها ٣٢٩

جعفر عليه السلام^(١): أبدأ بالمدينة أو بمكة؟ قال: إبدأ بمكة واختم بالمدينة، فإنه أفضل.

وفي صحيحة العيص قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: عن الحاج من الكوفة يبدأ بالمدينة أفضل أو بمكة؟ قال عليه السلام: بالمدينة^(٢).

وفي حسنة يقطين قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن الممر بالمدينة في البداية أفضل أو في الرجعة؟ قال عليه السلام: لا بأس بذلك أيه كان^(٣).

وحمل الفقيه والتهذيبان الأخبار الأولية على المختار، وما بعدها على من حج على طريق يمر بالمدينة أولاً، فالبدء بها أفضل، لئلا يُخترم دون ذلك أو لا يرجع^(٤).

ثم قال النراقي: أقول: لا شك في أفضلية البداية بالمدينة مع المرور بها، لأن تركها حينئذ نوع من الجفاء، بل استخفاف، مضافاً إلى جواز الإحترام أو عدم الرجوع، وإنما الكلام في المختار، وحمل الأخبار الأخيرة على المار بلا شاهد، فتعارض الأخبار، ولا بد لنا من الحكم بالتخير، كما هو مقتضى الأخيرة، إلا أن الاعتبار يحكم بأفضلية البداية بالمدينة مع الاختيار لتحصيل الإستعداد، ولأنها مقتضى ترتيب الصعود ﴿وَأْتُوا بُيُوتَ﴾

(١) الفقيه ٢: ٣٣٤ / ١٥٥٥، التهذيب ٥: ٤٣٩ / ١٥٢٦، الوسائل ١٤: ٣١٩ أبواب المزار وما يناسبه ١: ١.

(٢) التهذيب ٥: ٤٣٩ / ١٥٢٧، الاستبصار ٢: ٣٢٩ / ١١٦٦ الوسائل ١٤: ٣١٩ أبواب المزار وما يناسبه ١ تحقيق مؤسسة آل البيت.

(٣) (حسنة يقطين) كذا في النسخ والموجود في المصادر: علي بن يقطين، التهذيب ٥ : ٤٤٠ / ١٥٢٨، الاستبصار ٢: ٣٢٩ / ١١٦٧، الوسائل ١٤: ٣١٩ أبواب المزار وما يناسبه ١: ٢.

(٤) الفقيه ٢: ٣٣٤، التهذيب ٥: ٤٤٠، الاستبصار ٢: ٣٢٩.

٣٣٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

من أبوابها البقرة: ١٨٩ إنتهى كلام النراقي. وهو كما ترى قد حكم بأفضلية البداية بالمدينة^(١).

قال السيد الطباطبائي في العروة الوثقى: مسألة ٥: تستحب البداية بزيارة نبينا الأعظم ﷺ على إتيان مكة مع الإمكان.

وقال السيد السبزواري في مهذب الأحكام في شرحه على كلام صاحب العروة: لأن فناء الملك لا يؤتى به إلا من طريق سفيره، ولتحصيل الإستعداد للتشرف بحرم الله تعالى، ولأنه ﷺ باب الله تعالى ولا بد من إتيان البيوت من أبوابها، وقد أفتى بذلك جمع من الفقهاء منهم الفاضل في القواعد، وفي خبر العيص قال: سألت أبا عبدالله ﷺ عن الحاج من الكوفة يبدأ بالمدينة أفضل أو بمكة؟ قال ﷺ بالمدينة.

وأما خبر غياث: سألت أبا عبد الله جعفر ﷺ ابدأ بالمدينة أو بمكة؟ قال ﷺ ابدأ بمكة واختم بالمدينة فإنه أفضل^(٢).
وخبر سدير عن الصادق ﷺ ابدأوا بمكة واختموا بنا^(٣).

وقوله ﷺ في خبر ابن مهران: إذا حج أحدكم فليختم بزيارتنا لأن ذلك من تمام الحج^(٤) إلى غير ذلك مما سبق من هذا المساق، فيمكن حملها على من لا يتمكن من البداية، أو على أنه نحو اهتمام بلحج لثلاث يفوته بعد تحمل متاع السفر؛ أو على التخيير مع أولوية البداية، لما ذكرناه من الخبر والاعتبار^(٥).

(١) مستند الشيعة للنراقي ١٣: ٣٣٠ - ٣٢٩.

(٢) هذا الخبر وما قبله قد تقدم ذكرهما من النراقي مع مصادرهما.

(٣) الوسائل ١٤: ٣٢١ باب: ٢ من أبواب المزار حديث: ٢.

(٤) الوسائل ١٤: ٣٢٤ باب: ٢ من أبواب المزار الحديث: ٧.

(٥) مهذب الأحكام للسبزواري ١٥: ٤٢.

ولعلماء الإمامية والعمامة أيضاً فتاوى وأقوال كثيرة في هذه المسألة وحيث أنها متشابهة فلا حاجة إلى نقلها كلها، لحصول الغرض بهذا المقدار وهو بيان تسلم جميع علماء الأمة الإسلامية على تأكيد زيارة قبر الرسول المصطفى ﷺ مطلقاً سواء كان بعد الحج أو قبله.

والذي يستفاد من خلال الروايات والجمع بينها وكلمات الأعلام في البداية بمكة أو المدينة هو: أن من كان طريقه على غير المدينة وكان وقت الحج متسعاً فهو بالخيار، لكن إذا خاف حدوث مانع بحيث يصد عنه الحج فالأولى تقديم الحج.

والحاصل: أن البداية بزيارة قبر النبي ﷺ مع الإمكان وسعة الوقت أفضل، لما فيها من الاستعداد والتهيء الروحي والمعنوي لأداء تلك الفريضة العظيمة والوفود على حرم الله ﷺ، وكما قال السيد السبزواري: إن فناء الملك لا يؤتى إلا من طريق سفره، ولأنه باب الله تعالى ولا بد من إتيان البيوت من أبوابها، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١) فالبدء بزيارته ﷺ مقتضى ترتيب الصعود.

ويستفاد أيضاً من خلال الروايات المذكورة تأكيد زيارة الأئمة المعصومين عليهم السلام.

ويؤيده ما ورد عنهم عليهم السلام: إبدأوا بمكة واختموا بنا، أو أن ذلك من تمام الحج^(٢).

وما قاله أبو جعفر عليه السلام: إنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار

(١) البقرة: ١٨٩.

(٢) مصدر هذا الحديث وما قبله تقدم في نقل كلام السبزواري.

٣٣٢ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

فيطوفوا بها، ثم يأتونا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم^(١).

وبالإسناد عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث، قال: قلت له: إن ذريحا حدثني عنك إنك قلت: «ليقضوا تفثهم» أي لقائهم الإمام «وليقفوا نذورهم» تلك المناسك، قال: صدق ذريح وصدقت، إن للقرآن ظاهراً وباطناً، ومن يحتمل ما يحتمله ذريح؟^(٢).

ورواه الكليني في الكافي^(٣) والصدوق في معاني الأخبار أيضاً^(٤).

وفي الفقيه بإسناده عن الحسن بن علي الوشاء، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: إن لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته وإن تمام الوفاء بالعهد زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أتمتهم شفعا لهم يوم القيامة^(٥).

والروايات في هذا الباب كثيرة اقتصرنا على بعضها تمييزاً للفائدة.

المسألة الثانية

ومن المسائل التي تعطينا درس التسالم على مشروعية الزيارة هو:

(١) الفقيه ٢: ٣٠٤ / ١٥٥٣، وقد رواه أيضاً في العيون والعلل بالإسناد ورواه

الكليني عن علي بن إبراهيم مثله، الكافي ٤: ١٥٥.

(٢) الفقيه ٢: ٢٩٠ / ١٤٣٧.

(٣) الكافي ٤: ٥٤٩ / ٤.

(٤) معاني الأخبار: ٣٤٠ / ١٠.

(٥) الفقيه ٢: ٣٤٥ / ١٥٧٧ ورواه المفيد في المقنعة مرسلأً: ٧٥ ورواه الصدوق

أيضاً في العيون والعلل عن الوشاء، ورواه الكليني عن الوشاء أيضاً، والشيخ

بإسناده عن موسى بن عبد الله مثله، ولاحظ الوسائل ١٤: ٣٢٢ باب ٢ من

أبواب المزارح ٥.

أن المتسالم عليه بين جميع فرق المسلمين سلفاً وخلفاً، جواز استنابة النائب واستيجار الأجير لزيارة قبر النبي ﷺ لمن عاقه عنها عذر، ولو لم تكن الزيارة مشروعة لما أفتوا بجواز النيابة.

وقد ذكرنا سابقاً أن عمر بن عبد العزيز كان يبرد البريد من الشام ليقراً السلام على النبي ﷺ، وأن يزيد بن أبي سعيد لما أراد أن يودعه قال له: إن لي إليك حاجة إذا أتيت المدينة سترى قبر النبي ﷺ فاقرأه مني السلام^(١).

وقد استفاض هذا الأمر عن عمر بن عبد العزيز وذكره أكثر أئمة المذاهب منهم البيهقي في شعب الإيمان، وأبوبكر أحمد بن عمرو النيلي المتوفى ٢٨٧هـ في مناسكه، وتقي الدين السبكي في شفاء السقام، والقاضي عياض في الشفاء، والحافظ ابن الجوزي في مثير الغرام الساكن والقسطلاني في المواهب اللدنية، وغيرهم.

وقال أبو الليث السمرقندي الحنفي في الفتاوى في باب الحج: قال أبو القاسم: لما أردت الخروج إلى مكة قال القاسم بن غسان: إن لي إليك حاجة إذا أتيت قبر النبي ﷺ فاقرأه مني السلام، فلما وضعت رجلي في مسجد المدينة ذكرت.

وقال الفقيه في ذيل هذه الحكاية: فيه دليل أن من لم يقدر على الخروج يأمر غيره ليسلم عنه فإنه ينال فضيلة السلام^(٢).

قال عبد الحق بن محمد الصقلي المالكي المتوفى ٤٦٦هـ في تهذيب الطالب: رأيت في بعض المسائل التي سئل عنها الشيخ أبو محمد بن أبي

(١) الشفاء للقاضي عياض ٢: ٢٨٥ والمواهب اللدنية القسطلاني ٣: ٤٠٦ ط دار

الكتب العلمية - بيروت والبيهقي في شعب الإيمان ٣: ٤٩٢.

(٢) شفاء السقام: ١٤٤.

زيد، قيل له في رجل إستوجر بمال ليحج به وشرطوا عليه الزيارة فلم يستطع تلك السنة أن يزور لعذر منعه من تلك؟ قال: يرد من الأجرة بقدر مسافة الزيارة، قال الحاكي لذلك عنه: وقال غيره من شيوخنا: عليه أن يرجع ثانية حتى يزور، وقال ابن عبد الحق: أنظر إن استوجر للحج لسنة بعينها فهانئ يسقط من الأجرة ما يخص الزيارة، وإن استوجر على حجة مضمونة في ذمته فهانئ يرجع ويزور وقد اتفق النقلان^(١).

وقالت الشافعية كما حكى عنهم السبكي: إن الإستيجار والجمالة إن وقعا على الدعاء عند قبر النبي ﷺ أو على إبلاغ السلام فلا شك في جواز الإجارة والجمالة كما كان عمر بن عبد العزيز يفعل، وإن كانا على الزيارة لا يصح لأنها عمل غير مضبوط^(٢).

وقال صاحب الحاوي في باب الإجارة على الحج: لو استأجره لزيارة قبر النبي لم يصح، وأما الجمالة على زيارة القبر فإن كانت مجرد الوقوف عند القبر ومشاهدة لم تصح، لأنه لا تدخله النيابة وإن كانت على الدعاء عند زيارة قبره ﷺ صحت، لأن الدعاء تدخله النيابة ولا تضر الجمالة بنفس الدعاء^(٣).

وقال ابن بطة العكبري الحنبلي المتوفى ٣٨٧ في كتاب الإبانة: بحسبك دلالة على إجماع المسلمين واتفقهم على دفن أبي بكر وعمر مع النبي، أن كل عالم من علماء المسلمين وفقهه من فقهاءهم ألف كتاباً في المناسك ففصله فصلاً وجعله أبواباً يذكر في كل باب فقهه ولكل فصل

(١) تهذيب الطالب للصقلي - كما حكاه السمهودي في وفاء الوفا ٤: ١٣٧٠ ط دار

إحياء التراث العربي.

(٢) راجع شفاء السقام: ١٦١، وفاء الوفا ٤: ١٣٧٠.

(٣) المجموع للنووي ٧: ١٣٨.

عمله وما يحتاج الحاج إلى علمه والعمل به قولاً وفعلاً، من الإحرام والطواف والسعي، والوقوف، والنحر، والحلق والرمي، وجميع ما لا يسع الحاج جهله ولا غنى بهم عن عمله، حتى زيارة قبر النبي ﷺ، فيصف ذلك فيقول: ثم تأتي القبر فتستقبله وتجعل القبلة وراء ظهرك وتقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته... .

إلى أن قال: ولقد أدركنا الناس ورأيانهم وبلغنا عن من لم نره أن الرجل إذا أراد الحج فسلم عليه أهله وصحابته قالوا له: وتقرأ على النبي وأبي بكر وعمر منا السلام، فلا ينكر ذلك أحد ولا يخالفه^(١).

وقال الديلمي في التقفية: إن حاصل ما في مسألة الاستنجار للزيارة ثلاثة أوجه للأصحاب أصحها فيما حكاه ابن سراقه في مختصره جواز ذلك واختاره الإمام محمد بن أبي بكر الأصبحي صاحب الإيضاح والمفتاح وأفتى به^(٢).

وذكر عبيد بن النعمان في المجموع، والغزالي في الإحياء، والسبكي والسمهودي، والقسطلاني، وغيرهم: إن كان قد أوصاه أحد بتبليغ السلام على النبي ﷺ يقول: السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان، أو فلان بن فلان يسلم عليك يا رسول الله^(٣).

والحاصل: أن الاستفادة من كلمات الأعلام في جواز الاستنابة وأحكامها هو الاتفاق على مشروعية الزيارة وتأكيدها، وحيث أن علماء الشيعة متفقون على هذه المسألة قد اكتفينا بذكر بعض أقوال علماء

(١) الإبانة لابن بطة، ولاحظ شفاء السقام: ١٤٨.

(٢) لاحظ وفاء الوفاة: ٤: ١٣٧١.

(٣) المجموع للنووي ٨: ٢٧٤، إحياء علوم الدين ١: ٣٠٧، شفاء السقام: ١٥٨،

وفاء الوفاة: ٤: ١٣٩٨، المواهب اللدنية للقسطلاني ٣: ٤١٢.

٣٣٦ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

العامّة فقط، لحصول الغرض بها، والطالب لتفصيل مسائل النياحة يراجع إلى محالها من كتب الشيعة والعامّة.

المسألة الثالثة

ومن جملة المسائل التي يستفاد منها الإتفاق على مشروعية زيارة قبر النبي الأعظم ﷺ ورجحانها هي مسألة النذر.

قال العبد المالك في شرح الرسالة: وأما النذر للمشي إلى المسجد الحرام، أو المشي إلى مكة، فله أصل في الشرع وهو الحج والعمرة، وإلى المدينة المنورة لزيارة قبر النبي ﷺ أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس، وليس عندهم حج ولا عمرة، فإذا نذر المشي إلى هذه الثلاثة لزمه، فالكعبة متفق عليها، واختلف أصحابنا وغيرهم في المسجدين الآخرين^(١).

وقال ابن الحاج في المدخل بعد نقل هذه العبارة: وهذا الذي قاله مسلم صحيح لا يرتاب فيه إلا مشرك أو معاند لله ولرسوله ﷺ^(٢).

وقال السبكي في شفاء السقام بعد ذكر كلام العبد، قلت: الخلاف الذي أشار إليه، في نذر إتيان المسجدين لا في الزيارة^(٣).

وقال السبكي في موضع آخر بعد كلام طويل حول نذر العبادات حيث جعلها على أقسام، وصدر كلامه بقوله:

فإن قلت: ما قولكم فيمن نذر زيارة قبر النبي ﷺ هل ينعقد نذره ويلزمه ذلك؟ أم لا، فإن مقتضى قولكم بإستحبابها أن يلزم النذر.

(١) شفاء السقام: ١٦٦، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ٤: ١٣٧٠.

(٢) المدخل لابن الحاج ١: ٢٥٦.

(٣) الإبانة لابن بطة ولاحظ شفاء السقام: ١٦٦.

قلت: نعم نقول بانعقاد نذره، ولزوم الزيارة به، وبه صرح القاضي ابن كج من أصحابنا، ولم نر لغيره من الأصحاب خلافاً، وقد قدمنا في الباب الرابع عن العبدى المالكي لزومه.

على أنه لا يلزم أن كل مستحب أو قرينة يلزم بالنذر، فإن القربات نوعان...^(١).

وفصل الكلام ونقل الأقوال فيها، ثم قال: إذا عرفت هذا، فزيارة قبر النبي ﷺ قرينة، لحث الشرع عليها، وترغيبه، وقد قدمنا أن فيها جهتين: جهة عموم، وجهة خصوص:

فأما جهة الخصوص، وكون الأدلة الخاصة وردت فيها بعينها، فيظهر القطع بلزومها بالنذر إلحاقاً لها بالعبادات المقصودة التي لا يؤتى بها إلا على وجه العبادة، كالصلاة والصدقة والصوم والاعتكاف.

ولهذا المعنى والله أعلم قال القاضي ابن كج: إذا نذر أن يزور قبر النبي ﷺ فعندي أنه يلزمه الوفاء وجهاً واحداً، ولو نذر أن يزور قبر غيره ففيه وجهان.

ثم قال: قلت: وما قاله من القطع بلزوم الوفاء بها هو الحق، لما قدمناه من الأدلة الخاصة عليها، وتردده في قبر غيره يحتمل أن يكون...^(٢).

إلى أن قال: وإذا نظرنا إلى زيارة النبي ﷺ من جهة العموم خاصة واجتماع المعاني التي تقصد بالزيارة فيه، فيظهر أن يقال أيضاً: أنه يلزم بالنذر قولاً واحداً، ويحتمل أن يكون على بعد، أن يقال: إنه كما لو نذر زيارة القادمين وإنشاء السلام فيجزي في لزومها بالنذر ذلك الخلاف، مع

(١) شفاء السقام: ١٩٦ - ١٦٧.

(٢) شفاء السقام: ٢٠٠ - ٢٠٤.

٣٣٨ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

كونها قرينة في نفسها قبل النذر وبعده، وقد بان لك بهذا أنها تلزم بالنذر...^(١).

وحيث إن هذه المسألة من المتسالم عليها عند الإمامية أيضاً، فإن من نذر إتيان قبر الرسول المصطفى ﷺ أو أحد الأئمة ﷺ، لزم نذره ووجب أداؤه بلا خلاف بينهم.

لهذا لم نذكر أقوالهم وكلماتهم رعاية للاختصار، لأن أصل غرضنا من ذكر هذه الفروع، هو إثبات التسالم والاتفاق على مشروعية الزيارة، وقد حصل الغرض بهذا المقدار، بل يحصل بأقل منه إن شاء الله.

ولكن مع هذه الأدلة الكثيرة والقرائن الجميلة، إذا أردت أن نكثر لك بالدليل في مشروعية الزيارة فنقول: إن الآداب المذكورة في زيارة الروضة المنورة ومتون الزيارات الواردة التي قد ذكرها جميع علماء المذاهب، أحسن دليل وبرهان على مشروعيتها وتأكيداً فإنها تتفرع على استحباب الزيارة ومندوبية شد الرحال، ومحتواها أحسن جواب على من ادعى أنها شرك وبدعة وضلال. لأنها مشحونة من الألفاظ والكلمات التي تذكر الإنسان بعبادة الله والخضوع والخشوع له والتوجه إليه والشهادة بوحدانيته ورسالة أنبيائه وولاية أوليائه، وأنهم عباد الله وأحبائه.

فنذكر لك نبذة من الآداب الواردة التي ذكرها علماء المذاهب وأصحاب المناسك لما فيها من الفوائد والشواهد على ما نقول.

(١) شفاء السقام: ٢٠١ ط ٤.

آداب الزيارة عند العامة والإمامية

أولاً:

آداب الزيارة عند العامة

قد خصص علماء المذاهب في آداب الزيارة والقول فيها كتباً، منهم جمال الدين عبد الله الفاكهي المكي الشافعي المتوفى ٩٢٧ هـ وقد سماه بحسن التوسل في آداب زيارة أفضل الرسل، وجمع أربعاً وتسعين أدباً من آداب الزائر.

ونحن نذكر الآن ملخصاً من الآداب والأعمال الواردة منذ دخول المدينة المنورة إلى حين الخروج منها، التي قد ذكرها علماء الجمهور في كتبهم ومناسكهم^(١):

١ - إخلاص النية، فإن الأعمال بالنيات، فلا بد للزائر أن ينوي التقرب إلى الله تعالى بزيارته لرسول الله ﷺ وينوي معه زيارة مسجده

(١) الكتب التي اعتمدنا عليها: الشفاء للقاضي عياض ٢: ٨٤ - ٩٤، إتحاف الزائر لابن عساكر: ٣٠ - ١١٦، المجموع لمحي الدين النووي ٨: ٢٧٢ - ٢٨٠، إحياء علوم الدين للغزالي ١: ٣٠٧ - ٣٠٩، وفاء الوفا للسهمودي ٤: ١٣٨٨ - ١٤١٩، مغني المحتاج للمخطيب الشربيني ١: ٥١٣، كنز المطالب للعديري الحمزاوي: ٢١٦، شرح المواهب للزرقاني ١٢: ٢١٩، حسن الأدب لجمال الدين الفاكهي: ٨٣، الكفاية لذوي العناية للفاخوري: ١٢٥ - ١٣١، شرح الشفاء للخفاجي ٣: ١٧١.

٣٤٢ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

وشد الرحل إليه والصلاة فيه.

٢ - يستحب أن يتصدق عند الخروج من منزله ولو بشي قليل.

٣ - أن يكثر من الصلوة والتسليم على النبي ﷺ وآله فإنها أفضل الأذكار، بل يحاول أن يستغرق أوقاته في الطريق بهذا الذكر الشريف وسائر الأذكار.

٤ - إذا خرج من بيته يقول: بسم الله وتوكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إليك خرجت وأنت أخرجتني، اللهم سلمني وسلم مني وردني سالماً في ديني كما أخرجتني، اللهم إنني أعوذ بك أن أضل أو أضل، أو أذل أو أذل، أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يُجهل علي، عز جارك وجل ثناؤك وتبارك إسمك ولا إله غيرك.

٥ - إذا مرّ في طريقه على الآثار والمساجد المنسوبة إلى النبي ﷺ يحميها بالزيارة والصلاة فيها.

٦ - إذا قرب من المدينة المنورة ووقع بصره على معالمها، فليستحضر حالة الخضوع والخشوع والتوجه ويشكر البارئ ﷻ على بلوغ المنى وحصول السعادة بالتشرف بزيارة النبي الأقدس ﷺ ويكثر من الصلاة والتسليم عليه ويسأل الله أن ينفعه بزيارته ويسعد به في الدارين وأن لا يرده خائباً خاسراً، وأن يستحضر بأنها البقعة التي شرفها الله بأشرف بريته وأفضل رسله وأنها روضة من رياض الجنة.

٧ - يستحب إن أمكن الترجل والمشي عند رؤية ذلك المشهد الشريف كما كان يفعله كثير من المسلمين حيث كانوا ينزلون عن دوابهم ورواحلهم تعظيماً وتكريماً للنبي الأكرم ﷺ، وما كان يُنكر عليهم أحد^(١)،

(١) فإن وفد عبد القيس بن عاصم لما رأوا النبي ﷺ نزلوا عن راحلتهم ولم ينكر ﷺ

ذلك عليهم، وقد نقل حديث قيس بهذا النحو: إن قيس بن عاصم لما قدم مع وفده أسرعوا هم بالدخول، وثبت هو حتى أزال مهنته وآثار سفره ولبس ثيابه، وجاء على تودة ووقار ثم أتى النبي ﷺ فرضي له ذلك واثنى عليه بقوله: «إن فيك لخصلتين يجبهما الله»، الحلم والأناة. وفاء الوفا ٤: ١٣٩١ دار احياء التراث العربي - بيروت.

وقال أبو سليمان داود المالكي في الانتصار: إن ذلك يتأكد فعله لمن أمكن من الرجال وأنه يستحب تواضعاً لله تعالى وإجلالاً لنبه ﷺ. المصدر السابق. وحكى القاضي عياض في الشفاء أن أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائراً وقرب من بيوتها ترجل باكياً منشداً:

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا فؤاداً لعر فان الرسوم ولا لباً
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة لمن بان عنه أن نلّم به ركبا
لاحظ المواهب اللدنية للقسطلاني ٣: ٤٠٧.

وحكاها القسطلاني في المواهب بنحو آخر وهو:

إن العلامة أبا عبد الله بن رشيد قال: لما قدمنا المدينة سنة أربع وثمانين وستمائة، كان معي رفيقي الوزير أبو عبد الله بن أبي القاسم بن الحكيم، وكان أرمداً، فلما دخلنا ذا الحليفة أو نحوها عن الأكوار، وقوي الشوق لقرب المزار، فنزل وبادر إلى المشي على قدميه إحتساباً لتلك الآثار وإعظاماً لمن حل تلك الديار فأحس بالشفاء، فأنشد لنفسه في وصف الحال لمن حلّ في تلك الديار:

ولما رأينا من ربوع حبيبتنا ويشرب أعلاماً أثرن لنا الحُباً
وبالترب منها إذ كحلنا جفوننا شفينا فلا بأساً نخاف ولا كرباً
وحين تبدى للعيون جمالها ومن بعدها عناً أذيلت لنا قربا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة لمن حلّ فيها أن نلّم له ركبا
نشح سجال الدمع في عرصاته ونلثم من حب لواطه التربا

٣٤٤ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

ولا يصح التفريق بين حياته ﷺ والممات لما ثبت من أن تعظيمه بعد الوفاة كتعظيمه في الحياة.

وإنه ﷺ حيٌّ حياة برزخية وإنه يعلم من يحضر عنده ويسمع كلامه ويردّ جوابه.

٨ - إذا بلغ حرم المدينة الشريفة فليصل على النبي ﷺ، ويقول:
اللهم هذا حرم رسول الله ﷺ الذي حرّمته على لسانه، ودعاك أن تجعل فيه من الخير والبركة مثلي ما في حرم البيت الحرام، فحرمني على النار، وآمّني من عذابك يوم تبعث عبادك وارزقني من بركاته ما رزقته أوليائه وأهل طاعتك، ووفّقني لحسن الأدب وفعل الخيرات وترك المنكرات ثم تشتغل بالصلاة والتسليم أيضاً.

وقال بعضهم: فإذا عاين حيطان المدينة المنورة يصلي على النبي ﷺ ثم يقول: اللهم هذا حرم نبيك ومهبط وحيك فامن عليّ بالدخول فيه واجعله وقاية لي من النار وأماناً من العذاب واجعلني من الفائزين بشفاعة المصطفى يوم المآب^(١).

٩ - إن كان طريقه على ذي الحليفة ووصل إلى معرّس النبي ﷺ فلينزّل بها ويصلي فيها، فإن كان وقت فريضة فيصلي، وإلا فناظلة، فإن النبي ﷺ كان يعرّس فيه ويصلي.

١٠ - يستحب للزائر أن يغتسل قبل دخول المدينة أو بعده قبل التوجه للزيارة، ويتطيب ويلبس أحسن ثيابه تعظيماً للقدوم على النبي ﷺ ويدخل

فيما عجباً ممن يحب بزعمه

يقيم مع الدعوى ويستعمل الكذبا

وزلات مثلي لا تعدّد كثرة

وبُعدي عن المختار أعظمها ذنبا

المواهب اللدنية ٣: ٤٠٧.

(١) وهو الشرّ نبلاي في خاتمة مراقي الفلاح.

في المدينة ماشياً إن أمكن، للتأدب، وليستحضر أنه يضع قدمه على أرض قد تشرفت بأقدام النبي ﷺ، فإنه ما من موضع يطئه إلا وهو موضع قدمه ﷺ، فإن كل المدينة، ترابها وطرقها ودورها وما حولها قد شملته بركته ﷺ، فإن أهل المدينة كانوا يتبركون بدخوله منازلهم ويدعونه إليها وإلى الصلاة في بيوتهم، ومن أجل ذلك روي أن مالك امتنع من ركوب دابته في المدينة وقال: لا أطأ بحافر دابة في أرض كان يمشي ﷺ فيها.

وعلى الزائر ألا يضع قدمه على مكان في أرض المدينة إلا مع الهيبة والسكينة مستحضراً خشوع النبي ﷺ وخضوعه وتعظيمه لله ﷻ حينما كان فيها، ويتأسف على فوت رؤيته في الدنيا.

١١- إذا شاهد المسجد والحرم الشريف فليكثر من الخضوع والخشوع وأكثر فأكثر ويجتهد في أن يوفي للمقام حقه من التعظيم والقيام.

١٢ - الأفضل أن يدخل الزائر من باب جبرائيل.

١٣ - يلزم أن يقف بالباب لحظة كوقوف المستأذن في الدخول على العظمة، فإن جبرئيل كان إذا أراد الدخول على النبي ﷺ يستأذن، فيدخل، وهكذا الأصحاب وسائر المسلمين، فانه من الأمور المؤكدة، وقلنا سابقاً أنه لا فرق للنبي ﷺ بين حياته ومماته وكما يجب تعظيمه في حياته كذلك بعدها.

١٤- إذا أراد الدخول فليُصَفَ فكره وضميره، ويقدم رجله اليمنى ويقول: أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وبنوره القديم من الشيطان الرجيم، بسم الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ما شاء الله لا قوة إلا بالله، اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك، رب وفقني وسددني وأصلحني وأعني على ما يرضيك، ومَنْ علي بحسن الأدب في هذه الحضرة الشريفة، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله تعالى وبركاته،

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

ولا يترك ذلك كلما دخل المسجد، وعند خروجه يقول نفس الدعاء، ولكن بدل وافتح لي أبواب رحمتك يقول: وافتح لي أبواب فضلك.

١٥- قال البعض: يستحب أن يصلي ركعتين قبل الزيارة تحية للمسجد بين القبر والمنبر وأن يسجد بعدها شكراً لله على توفيقه، وقيل: هذا ما إذا لم يكن مروره من جهة وجهه الشريف وإلا استحب الزيارة أولاً، ورخص بعضهم تقديم الزيارة مطلقاً، وقال بعض آخر: كل ذلك واسع.

١٦ - يستحب للزائر أن يكون واقفاً حين الزيارة، فإنه أليق بالأدب، فإذا طال الوقوف وشق عليه فلا مانع من أن يجلس جاثياً على ركبتيه لا مفترشاً ولا متربعاً، فإنه أقرب للأدب وأن يكون حين الزيارة فارغ القلب مستحضراً بقلبه جلاله موقفه وعظمته، وأنه حي عند ربه ناظر إليه ومطلع على أحواله وأنه يبلغه سلامه وصلاته ويرد جوابه، فلا بد أن يكون ملتزماً لرعاية الأدب والحياء التام في ظاهره وباطنه.

١٧- أن يكون متوجهاً إلى القبر الشريف، ممثلاً صورته الكريمة في خياله بخشوع وخضوع محاذياً لوجهه الشريف مستديراً للقبلة.

فقد قال الخفاجي: إستدبار القبلة واستقبال وجهه الشريف مذهب الشافعي ومذهب جمهور العلماء^(١).

ويؤيده ما حكاه القاضي عياض عن مالك: إذا سلم على النبي ﷺ ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة^(٢).

وإنه قال للمنصور: لم تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة

(١) شرح الشفاء للخفاجي ٣: ١٧١.

(٢) الشفاء للقاضي عياض ٢: ٨٥.

أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة^(١).

١٨- أن يكن مقتصداً في الزيارة بين الجهر والإخفات، وأن يخفض صوته مادام عند قبره عليه السلام فإنه أدب لا بد منه، ففي البخاري: إنَّ عمر قال لرجلين من الطائف: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ضرباً ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله^(٢).

وروي عن عائشة أنها كانت تسمع صوت الوتد والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بمسجد النبي صلى الله عليه وآله فترسل إليهم لا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وآله^(٣).

وروي أن علي بن أبي طالب عليه السلام ما عمل مصراعي داره إلا بالمصانع - وهو مكان خارج المدينة - توقياً لذلك^(٤).

وقد تقدم منا أن مالك ناظر أبا جعفر المنصور فقال له: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قوماً فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾^(٥) ... ومدح قوماً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْضَوْنَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ...﴾^(٦) فقال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله تعالى قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ...﴾^(٧).

(١) المواهب اللدنية ٣: ٤٠٩.

(٢) إتحاف الزائر لابن عساكر: ١١٤ - ١١٥.

(٣) إتحاف الزائر لابن عساكر: ١١٤: ١١٥.

(٤) إتحاف الزائر: ١١٥.

(٥) الحجرات: ٢ - ٣.

(٦) الحجرات: ٢ - ٣.

(٧) إتحاف الزائر: ١١٥.

٣٤٨ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

فتحصل من جميع ما ذكرناه أنه يجب الأدب معه كما في حياته ﷺ .
ولو كان التعظيم ولزوم الأدب مختصاً بالحياة لما تعرض عمر للرجلين
من أهل الطائف لرفع صوتيهما، ولما قالت عائشة حينما سمعت صوت الوتد
والمسار: «لا تؤذوا رسول الله ﷺ»، ولما عمل أمير المؤمنين عليه السلام مصراعِي
داره بالمصانع، ولما قال مالك للمنصور: لا ترفع صوتك.

متن زيارة الرسول المصطفى ﷺ

١٩- وأما متن الزيارة فقد وردت زيارات متعددة، أوردها علماء المذاهب
في كتبهم ومناسكهم ونحن نكتفي بذكر ثلاثة منها.

الأولى: السلام عليك أيها النبي الكريم ثلاثاً - السلام عليك يا
رسول الله، السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا خيرة الله، السلام
عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا سيد المرسلين، السلام عليك يا خاتم
النبيين، السلام عليك يا خير الخلائق أجمعين، السلام عليك يا إمام
المتقين، السلام عليك يا قائد الغر المحجلين، السلام عليك يا رحمة
للعالمين، السلام عليك يا منة الله على المؤمنين، السلام عليك يا شفيع
المذنبين، السلام عليك يا هادياً إلى صراط مستقيم السلام عليك يا من
وصفه الله بقوله: وإنك لعلى خلق عظيم. وبالمؤمنين رؤف رحيم، السلام
عليك وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وألك وأهل بيتك وأزواجك
وأصحابك أجمعين وعباد الله الصالحين ورحمة الله وبركاته، جزى الله محمداً
كما هو أهله، جزاك الله عنّا يا رسول الله أفضل ما جزى نبياً عن قومه
ورسولاً عن أمته، وصلى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكره
الغافلون أفضل وأكمل ما صلى على أحد من خلقه أجمعين وأشهد أن لا
إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنك عبده ورسوله وخيرته من

خلقه، فإنك قد بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت في الله حق جهاده، وكما نص الله في كتابه؛ اللهم آتِه الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، اللهم صل على محمد عبدك ونيبك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين، الحمد لله الذي أقر عيني برؤيتك يا رسول الله، وأدخلني بروضتك وحضرتك يا حبيب الله.

الثانية: زيارة اتفق عليها أعلام المذاهب الأربعة وهي: السلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته، أشهد أنك رسول الله فقد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت في أمر الله حتى قبض الله روحك حميداً محموداً، فجزاك الله عن صغيرنا وكبيرنا خير الجزاء، وصلى عليك أفضل الصلاة وأزكاهما، وأتم التحية وأتمهاها، اللهم اجعل نبينا يوم القيامة أقرب النبيين إليك، واسقنا من كأسه، وارزقنا من شفاعته، واجعلنا من رفقائه يوم القيامة، اللهم لا تجعل هذا آخر العهد بقبر نبينا عليه السلام وارزقنا العود إليه يا ذا الجلال والإكرام.

الثالثة: السلام عليك يا سيدي يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا نبي الرحمة، السلام عليك يا شفيع الأمة، السلام عليك يا سيد المرسلين، السلام عليك يا خاتم النبيين، السلام عليك يا مزل، السلام عليك يا مدثر، السلام عليك وعلى أصولك الطيبين وأهل بيتك الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبياً عن قومه ورسولاً عن أمته، أشهد أنك رسول الله بلغت الرسالة، وأديت

الأمانة، ونصحت الأمة، وأوضحت الحججة، وجاهدت في سبيل الله حق جهاده، وأقمت الدين حتى أتاك اليقين؛ صلى الله عليك وسلم وعلى أشرف مكان شرفً بحلول جسمك الكريم فيه، صلاة وسلاماً دائمين من رب العالمين، عدد ما كان وعدد ما يكون بعلم الله، صلاة لا انقضاء لأمرها، يا رسول الله: نحن وفدك وزوار حرمك تشرقنا بالحلول بين يديك، وجئنا من بلاد شاسعة وأمكنة بعيدة نقطع السهل والوعر بقصد زيارتك لنفوز بشفاعتك، والنظر إلى مآثرك ومعاهدك، والقيام بقضاء بعض حقك والإستشفاع بك إلى ربنا، فإن الخطايا قد قصمت ظهورنا، والأوزار قد أثقلت كواهلنا وأنت الشافع المشفع الموعود بالشفاعة العظمى والمقام الحمود والوسيلة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾. وقد جئناك ظالمين لأنفسنا، مستغفرين لذنوبنا، فاشفع لنا إلى ربك، واسأله أن يمتتنا على سنتك، وأن يحشرنا في زمرك، وأن يوردنا حوضك، وأن يسقينا بكأسك غير خزايا ولا نادمين، الشفاعة الشفاعة يا رسول الله «تقولها ثلاثاً» ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم.

قال النووي: وأقله: السلام عليك يا رسول الله ﷺ.

وقال: إن كان أحد قد أوصاه بالسلام على رسول الله ﷺ فليقل: السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان، أو فلان بن فلان يسلم عليك يا رسول الله أو نحو هذه العبارة^(١).

٢٠- ومن الآداب: الدعاء عند رأس النبي ﷺ فإنه مستجاب إن شاء الله، يقف الزائر عند رأسه الشريف ويقول: اللهم إنك قلت وقولك

الحق: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ وقد جئناك سامعين قولك، طائعين أمرك، مستشفعين بنبيك: ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤف رحيم، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، سبحان ربنا رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.
ويدعو بما يحضره من الدعاء.

وروى الغزالي دعاء آخر عند الرأس الشريف:

ثم يرجع فيقف عند الرأس مستقبل القبلة بين القبر والاسطوانة وليحمد الله ﷻ ويمجته وليكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ ثم يقول:
اللهم إنك قلت وقولك الحق: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.

اللهم إنا سمعنا قولك، وأطعنا أمرك وقصدنا نبيك مستشفعين به إليك في ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا تائبين من زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا، فتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلة عندك وحقه عليك، اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار، واغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، اللهم لا تجعله آخر العهد من نبيك ومن حرمك يا أرحم الراحمين، ثم يأتي الروضة فيصلّي فيها ركعتين ويكثر من الدعاء ما استطاع، لقوله ﷺ: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي»^(١).

وقال العدوي: من أحسن ما يقول بعد تجديد التوبة في ذلك الموقف

(١) إحياء العلوم للغزالي ١: ٣٠٧ ط دار الكتب العلمية بيروت.

٣٥٢ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

الشريف وتلاوة آية ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا...﴾ الخ: نحن وفدك يا رسول الله وزوارك جنتناك لقضاء حَقِّك والتبرك بزيارتك والاستشفاع بك مما أثقل ظهورنا وأظلم قلوبنا^(١).

وزاد بعضهم: فليس لنا شفيع غيرك نؤمله ولا رجاء غير بابك نصله، فاستغفر لنا واشفع لنا إلى ربك يا شفيع المذنبين، واسأله أن يجعلنا من عباده الصالحين.

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم^(٢)

الصلاة على النبي وآله صلوات الله عليهم أجمعين

٢١- ومن الآداب المؤكدة في زيارته إكثار الصلوة عليه وعلى أهل بيته ﷺ، وإيثار ذلك على سائر الأذكار مادام هناك فقد قال ﷺ:

عندما سئله عبد الرحمن بن عوف عن طول سجوده: «أخبرني جبرئيل إن من صلى عليّ مرة ﷺ صلى الله عليه عشراً، فسجدت شكراً لله تعالى»^(٣).

وقال ﷺ: «صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتِكُمْ عَلَيَّ زَكَاةٌ لَكُمْ»^(٤).

وقال ﷺ: «أَكْثَرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتِكُمْ عَلَيَّ مَغْفِرَةٌ لذنوبكم

(١) كنز المطالب: ٢١٦ للعدوي الحمزاوي.

(٢) وهذه الأبيات متخذة من حكاية الأعرابي التي ذكرناها في دليل الكتاب.

(٣) فتح العزيز للرافعي ٤: ٢٠٣.

(٤) الجامع الصغير للسيوطي ١: ٢١٠.

واطلبوا لي الدرجة والوسيلة، فإن وسيلتي عند ربي شفاعتي لكم»^(١).

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما من دعاء إلا وبينه وبين السماء حجاب حتى يصلى على محمد وآل محمد، فإن فعل الحرق ذلك الحجاب ودخل الدعاء، وإذا لم يفعل رجع ذلك الدعاء»^(٢).

فإذا كان للصلاة عليه مطلقاً، هذه الفضائل فكيف بالزائر وهو عند قبره.

فقد أخرج البخاري بإسناده مرفوعاً عنه صلى الله عليه وآله إنه قال: «من صلى علي عند قبري وكل الله به ملكاً يبلغني، وكفي أمر دنياه وآخرته وكنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة»^(٣).

وقال صلى الله عليه وآله: «ما من أحد يسلم علي إلا ردّ الله علي روحي حتى أرد عليه السلام»^(٤).

وقال صلى الله عليه وآله: «من صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى عليّ نائياً بُلّغته»^(٥).

وقال كعب الأحبار: ما من فجر يطلع إلا أنزل الله سبعين ألفاً من الملائكة حتى يحفوا بالقبر الشريف، يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وآله حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم، وصنعوا مثل ذلك حتى إذا

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤ : ٢٦٨.

(٢) حكاية البيومي في سيرته عن البيهقي وابن بشكوال ٣ : ٩٨.

(٣) ذكره الخطيب الشربيني في المغني ١ : ٥١٣، والسمهودي في وقفه الوفا ٤ : ٣٥١،

والبيهقي في حياة الأنبياء: ١٠٤، وإتحاف الزائر لابن عساكر: ٥٨.

(٤) الشفاء للقاضي عياض ٢ : ٧٩.

(٥) نفس المصدر، والبيهقي في حياة الأنبياء: ١٠٣ وإتحاف الزائر لابن عساكر: ٥٨.

انشقت الأرض خرج رسول الله ﷺ في سبعين ألفاً من الملائكة يوقرونه^(١).
 وأهم من ذلك كله ما ورد في القرآن: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ
 عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

قال ابن حجر: عندما نزلت هذه الآية سئل النبي يا رسول الله ﷺ
 قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ فقال ﷺ: «قولوا:
 اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ...» وفي رواية الحاكم: فقلنا يا
 رسول الله كيف الصلاة على أهل البيت قال: «قولوا: اللهم صل على
 محمد وعلى آل محمد».

فسؤالهم بعد نزول الآية وإجابتهم باللهم صل على محمد وعلى آل
 محمد، دليل ظاهر على أن الأمر بالصلاة على أهله وبقية آله مراد من هذه
 الآية، وإلا لم يسألوا عن الصلاة على أهل بيته وآله عقب نزولها ولم يجابوا بما
 ذكر، فلما أجيبوا به دل على أن الصلاة عليهم من جملة المأمور به وأنه ﷺ
 أقامهم في ذلك مقام نفسه، لأن القصد من الصلاة عليه مزيد تعظيمه
 ومنه تعظيمهم، ومن ثم لما أدخل من مرّ - أي أهل بيته - في الكساء قال:
 «اللهم إنهم مني وأنا منهم فاجعل صلواتك ورحمتك ومغفرتك
 ورضوانك علي وعليهم»، وقضية استجابة هذا الدعاء أن الله صلى عليهم
 معه فحينئذ طلب من المؤمنين صلواتهم عليهم معه^(٢).

(١) رواه الدارمي في سننه: ٤٧ ح ٩٤، والبيهقي في شعب الإيمان ٣: ٤٩٢، وابن
 النجار في الدرّة الثمينة: ٢٢١ ولاحظ إنحاف الزائر لابن عساكر: ٢٩ ط شركة
 دار الأرقم - بيروت.

(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي: ١٤٦، ولا يخفى أن قوله وفي رواية الحاكم... لم
 يكن في هذه النسخة لكن حكاه القندوزي عن ابن حجر في يتابع المودة وهو
 الصحيح لمناسبته مع قوله: وإلا لم يسألوا عن الصلاة عن أهل بيته وآله.

فلا بد أن تكون الصلاة عليه مع ذكر آله ﷺ ولا تكون بتراء، حيث ورد في الحديث عنه ﷺ: «لا تصلوا علي الصلاة البتراء» قالوا: وما الصلاة البتراء، قال: «تقولون اللهم صل على محمد وتمسكون، بل قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد فليل من أهلك يا رسول الله قال ﷺ: «علي وفاطمة والحسن والحسين»^(١).

وأخرج الدار قطني عنه ﷺ قال: «من صل صلاة ولم يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل منه».

وأخرج الديلمي عنه ﷺ: «الدعاء محبوب حتى يصلي على محمد وأهل بيته، اللهم صل على محمد وآله»^(٢).

والذي يستفاد من هذه الأحاديث وأدلة آخر هو وجوب الصلاة على الأهل في التشهد وقد اعترف به كثير من أعلام المذاهب.

ولاجل هذا الأمر قال الشافعي:

يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له^(٣)

وذكر الفخر الرازي: أن أهل بيته ﷺ يساوونه في خمسة أشياء: في السلام، قال السلام عليك أيها النبي، وقال: «سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ»، وفي

(١) أخرجه الشعراني في كشف الغمة ١: ٢١٩ فصل الأمر بالصلاة على النبي ط مصر ١٣٢٧ المطبعة الميمنية نقلًا عن المقرئ في كتاب فضل آل البيت: ٤٣، ينابيع المودة للقندوزي ٢: ٤٣٤، الصواعق المحرقة لابن حجر: ١٤٦.

(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر: ٢٣٣ باب مشروعية الصلاة عليهم تبعاً وفي صفحة ١٤٨ ذيل آية إن الله وملائكته.

(٣) ذخائر العقبى للشبلنجي: ١٩، الصواعق المحرقة: ١٤٨.

الصلاة عليه وعليهم في التشهد، وفي الطهارة، وقال تعالى: ﴿طه﴾ أي يا طاهر، وقال: ﴿وَيُطَهِّرَكُمُ تَطْهِيراً﴾ وفي تحريم الصدقة، وفي المحبة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ وقال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(١).

وفي الدر المنثور للسيوطي: عن طلحة قال: أتى رجل النبي ﷺ فقال: سمعت الله يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ فكيف الصلاة عليك؟ فقال: «قل: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد»^(٢).

وأما كيفية الصلاة عليه: فهي مختلفة ومتفاوتة، ومن المعلوم أن الأفضل هو الإتيان بالمأثور وما يكون أتمها وأكملها.

قال المجد اللغوي: ويأتي بأتم أنواع الصلاة وأكمل كفياتها والاختلاف في ذلك مشهور، والذي أختاره لنفسني:

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وأزواجه عدد ما خلقت وعدد ما أنت خالق، وزنة ما خلقت وزنة ما أنت خالق، وملاً ما خلقت وعدد ما أنت خالق وملاً سماواتك وملاً أرضك ومثل ذلك وأضعاف ذلك، وعدد خلقك وزنة عرشك ومنتهى رحمتك، ومداد كلماتك ومبلغ رضاك، وحتى ترضى، وعدد ما ذكرك به خلقك في جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكروك فيما بقي في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات ونسيم ونفس ولحمة وطرفة من الأبد إلى الأبد، أبد الدنيا

(١) الصواعق لابن حجر: ١٤٩.

(٢) الدر المنثور للسيوطي ٥: ٢١٦، وذكر روايات أخر أيضاً بهذه المضامين.

والآخرة، وأكثر من ذلك لا ينقطع أوله ولا ينفد آخره، يقوله مرة أو ثلاث، ثم يقول: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد^(١).

وقد وردت صلوات كثيرة من طرق الامامية أيضاً نذكر بعضاً منها.

روى الكفعمي عن الصادق عليه السلام: من أراد أن يسرَّ محمداً وآله في الصلاة عليهم، فليقل: اللهم يا أجود من أعطى ويا خير من سئل ويا أرحم من استرحم، اللهم صل على محمد وآله في الأولين، وصل على محمد وآله في الآخرين وصل على محمد وآله في الملائة الأعلى، وصل على محمد وآله في المرسلين، اللهم أعط محمداً وآله الوسيلة والفضيلة، والشرف والرفعة، والدرجة الكبيرة، اللهم إنني آمنت بمحمد عليه السلام ولم أره، فلا تحرمني يوم القيامة رؤيته، وارزقني صحبته وتوفني على ملته، واسقني من حوضه مشرباً رويّاً سائغاً هنيئاً لا أظماً بعده أبداً إنك على كل شيء قدير، اللهم إنني آمنت بمحمد عليه السلام ولم أره فعرفني في الجنان وجهه، اللهم بلِّغ محمداً مني تحية كثيرة وسلاماً^(٢).

وفي جامع البزنطي: روى عن الصادق عليه السلام أنه قال: من صلى على النبي وآله بهذه الصلوات محبت خطاياها، وأعين على عدوه وهيبه له أسباب الخير، وأعطي أمله، وبسط في رزقه، وكان من رفقاء محمد عليه السلام في الجنة، والصلوات هي:

اللهم صل على محمد وآل محمد حتى لا يبقى من صلواتك شيء، وارحم محمداً وآل محمد حتى لا يبقى من رحمتك شيء وبارك على محمد وآل محمد حتى لا يبقى من بركاتك شيء، وسلِّم على محمد وآل محمد حتى

(١) لاحظ وفاء الوفاة: ٤: ١٤٠٠.

(٢) بحار الأنوار ٩١: ٨٥ كتاب الذكر والدعاء: ٥، نقله عن الكفعمي في المصباح:

لا يبقى من سلامك شيء.

وذكرها أبو القاسم الطبراني في كتاب الدعوات وصاحب كتاب الوسائل إلى المسائل، وذكر لها قصة، ملخصها أن النبي ﷺ قد أتى له برجل قد شهد عليه جماعة أنه سرق ناقة، فهمّ النبي ﷺ بقطعها، فقال هذه الصلوات، فتكلمت الناقة ببرائته وقالت إنه بريء من سرقتي، فقال النبي ﷺ: «لما قال هذه الصلوة نظرت إلى الملائكة يخرقون سكك المدينة يحولون بيني وبينه»، ثم قال النبي ﷺ: «لتردنّ على الصراط ووجهك أضوء من القمر ليلة البدر»^(١).

التوسل والتشفع بالنبي ﷺ

٢٢- قال النووي وغيره: ثم يرجع الزائر إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله ﷺ فيتوسل به في حق نفسه ويستشفع به إلى ربه ﷻ، ومن أحسن ما يقول ما حكاه الماوردي والقاضي أبو الطيب وسائر أصحابنا عن العتي مستحسنين له قال: كنت جالساً عند قبر رسول الله ﷺ فجاء أعرابي، فقال: السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.

وقد جئتك مستغفراً من ذنوبي مستشفعاً بك إلى ربي...، وقد أضاف السمهودي ويقول: نحن وفدك يا رسول الله وزوارك جئناك لقضاء حقاك والتبرك بزيارتك والاستشفاع بك إلى ربك تعالى، فإن الخطايا قد أثقلت

(١) بحار الأنوار ٨٧: ٦٧ نقله عن الكفعمي في المصباح: ٤٢٣ والقصة في الهامش

٤٢٤. وقال بعض الأعلام: هذه الصلوة وردت في مصادر العامة أيضاً.

ظهورنا وأنت الشافع المشفع الموعود بالشفاعة العظمى والمقام المحمود، وقد جئناك ظالمين لأنفسنا، مستغفرين لذنوبنا سائلين منك أن تستغفر لنا إلى ربك فأنت نبينا وشفيعنا، فاشفع لنا إلى ربك واسأله أن يميتنا على سنتك ومحبتك، ومحشرنا في زمرك وأن يوردنا حوضك غير خزايا ولا نادمين.

وقال النووي: ثم يتقدم إلى رأس القبر ويدعو لنفسه، بما شاء ولوالديه ومن شاء من أقاربه ومشايخه وإخوانه وسائر المسلمين.

قال القسطلاني في المواهب اللدنية: وينبغي للزائر له ﷺ أن يكثّر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به ﷺ فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله فيه.

ثم قل: وإن الاستغاثة هي طلب الغوث فالمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث منه، فلا فرق بين أن يعبر بلفظ الاستغاثة، أو التوسل، أو التشفع، أو التوجه، أو التجوة لأنهما من الجاه والوجهة ومعناهما علو القدر والمنزلة، وقد يتوسل بصاحب الجاه إلى من هو أعلى منه.

وقل: ثم إن كلاً من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه بالنبي ﷺ، كما ذكر في «تحقيق النصر»، ومصباح الظلام» واقع في كل حال قبل خلقه وبعد خلقه في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة.

فأما الحالة الأولى فحسبك ما قدمته في المقصد الأول من استشفاع آدم ﷺ به لما أخرج من الجنة، وقول الله تعالى له: (يا آدم لو تشفعت إلينا بمحمد في أهل السموات والأرض لشفعناك).

وفي حديث عمر بن الخطاب عن الحاكم والبيهقي وغيرهما: (وإن

٣٦٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

سألتني بحقه فقد غفرت لك). ويرحم الله ابن جابر، حيث قال:

به قد أجاب الله آدم إذ دعا ونجى في بطن السفينة نوح
وماضرت النار الخليل لنوره ومن أجله نال الفداء ذبيح

وصح أن رسول الله ﷺ قال: لما اقترف آدم الخطيئة قال يا ربّ
أسألك بحق محمد لما غفرت لي، قال الله تعالى: يا آدم، وكيف عرفت
محمدأ ولم أخلقه، قال: يا رب، إنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من
روحك رفعت رأسي فرأيت قوائم العرش مكتوباً عليها لا إله إلا الله
محمد رسول الله، فعرفت أنك لا تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك.
فقال الله تعالى: (صدقت يا آدم ولولا محمد ما خلقتك).

ذكره الطبري، وزاد فيه: (وهو آخر الأنبياء من ذريتك).

وأما التوسل به بعد خلقه في مدة حياته، فمن ذلك الإستغاثة به ﷺ
عند القحط وعدم الأمطار وكذلك الاستغاثة به من الجوع ونحو ذلك مما
ذكرته في مقصد المعجزات ومقصد العبادات في الاستسقاء، ومن ذلك
استغاثة ذوي العاهات به، وحسبك ما رواه النسائي والترمذي عن عثمان
بن حنيف، أنّ رجلاً ضريراً أتته ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قل: فأمره ﷺ
أن يتوضأ فيحسن وضوئه ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه
إليك بنبيك محمد، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك في حاجتي لتقضى،
اللهم شفعه في».

وصححه البيهقي وزاد: فقام وقد أبصر.

ثم قال القسطلاني: وأما التوسل به ﷺ بعد موته في البرزخ فهو
أكثر من أن يحصى أو يدرك باستقصاء، وفي كتاب مصباح الظلام في
المستغِيثين بخير الأنام للشيخ أبي عبد الله بن النعمان طرف من ذلك، ثم
ذكر ما حصل له ولغيره من العنايةات.

وأما التوسل به في عرصات القيامة، فمما قام عليه الإجماع وتواترت به الأخبار في حديث الشفاعة.

وقال: فعليك أيها الطالب إدراك السعادة الموصل لحسن الحال في حضرة الغيب والشهادة، بالتعلق بأذيال عطفه وكرمه، والتطفل على موائد نعمه، والتوسل بجاهه الشريف والتشفع بقدره المنيف، فهو الوسيلة إلى نيل المعالي واقتناص المرام، والمفزع يوم الجزع والهلح لكافة الرسل الكرام، واجعله أمامك فيما نزل بك من النوازل، وإمامك فيما تحاول من القرب والمنازل، فإنك تظفر من المراد بأقصاه وتدرك رضى من أحاط بكل شيء علماً وأحصاه، واجتهد مادمت بطيبة الطيبة حسب طاقتك في تحصيل أنواع القربات، ولازم قرع أبواب السعادات بأظافر الطلبات، وارق في مدارج العبادات، ولج في سرائق المراتب...^(١).

وقال الزرقاني في شرح المواهب اللدنية: ونحو هذا في منسك العلامة خليل، وزاد: ولتوسل به ﷺ ويسأل الله تعالى بجاهه في التوسل به، إذ هو محط جبال الأوزار وأثقال الذنوب، لأن بركة شفاعته وعظمتها عند ربه لا يتعاضدها ذنب، ومن اعتقد خلاف ذلك فهو المحروم الذي طمس الله بصيرته وأضل سريرته، ألم يسمع قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ...﴾؟ ثم قال: ولعل مراده التعريض بابن تيمية^(٢).

فأنت تلاحظ أيها القارئ المنصف الطالب للحقيقة هذه الآداب والزيارات، فهل ترى فيها شيئاً من الشرك والبدعة والضلال، الذي نسبه أهل الشذوذ والعدوان إلى المسلمين الزوار.

(١) المواهب اللدنية ٣: ٤١٩.

(٢) شرح المواهب ١٢: ٢١٩ ط دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٦٢ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

ألم يحصل عندك من خلال هذه الآداب والزيارات حالة التوبة والإنابة إلى الله والإنقطاع إليه وتقوية أركان التوحيد والمعرفة بالله في أركان وجودك وأعماق قلبك؟ وهل هذا كله إلا ببركة زيارة رسول الله والتوجه إليه والتوسل به إلى الله؟

والذي لاحظته هو قليل من أقوال العلماء الكثيرة في الزيارة وآدابها، خصوصاً في باب التوسل والاستشفاع به ﷺ، فإنها حجة على كل من بعد عن التعصب والعناد، ولولا أن استقصاء كلماتهم وبسط الكلام في التوسل يخرجنا عن المقصود، لقدّمنا لك من أقوالهم وكلماتهم والمعجزات والكرامات التي ظهرت لكثير من الناس أكثر فأكثر.

ولكن نذكر لك أسماء بعض المؤلفات في التوسل والشفاة من أعلام السنة، وهي:

١ - الوفاء في فضائل المصطفى للحافظ ابن الجوزي وقد جعل فيه بابين الأول: باب التوسل بالنبي، الثاني: باب الاستشفاع بقبره.

٢ - مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام لمؤلفه محمد بن النعمان المالكي المتوفى سنة ٦٧٣هـ.

الذي قال الخالدي في صلح الإخوان حوله: هو كتاب نفيس نحو عشرين كراساً.

ونقل عنه كثيراً السمهودي في وفاء الوفا في باب التوسل بالنبي ﷺ.

٣ - البيان والإختصار كتبه أبو داود المالكي، وذكر في كتابه عدداً كثيراً من العلماء الذين توسلوا بالنبي ﷺ عند الشدائد والكربات ففرج الله عنهم شدائدهم ببركته.

٤ - شفاء السقام في زيارة خير الأنام لقاضي قضاة مصر تقي الدين السبكي الشافعي، وهذا الكتاب وإن كان في تحقيق مشروعية زيارة خير

الأنام، إلا أنه قد عقد في آخره بابين حول التوسل والشفاعة، لأجل ارتباطهما بموضوع الزيارة، وقد فصل الكلام في البابين وأجاد في التحقيق في جميع موضوعات الكتاب، وقد اعتمدنا على آرائه في بعض مطالب كتابنا هذا لجلالته ووثاقته عند أئمة المذاهب، ولدقته في التحقيق.

٥ - وفاء الوفا للسهمودي المتوفى ٩١١، وقد جعل فصلاً من المجلد الرابع في بحث التوسل والشفاعة وكان قد اعتمد كثيراً في كتابه هذا على شفاء السقام.

٦ - المواهب اللدنية للقسطلاني المتوفى ٩٢٣هـ.

٧ - شرح المواهب للزرقاني المصري المالكي المتوفى ١١٢٢هـ.

٨ - صلح الإخوان للخالدي البغدادي المتوفى ١٢٩٩هـ وهو من أحسن ما أُلّف في هذا الموضوع عند العامة، وقد أفرد فيه رسالة في الرد على الألوسي في التوسل بالنبي ﷺ.

٩ - رفع المنارة في التوسل والزيارة للشيخ محمود سعيد ممدوح وهو من العلماء المعاصرين، وقد أدى الحق فيه عند البحث عن مشروعية الزيارة والتوسل والإستشفاع بالنبي ﷺ، وتوجد كتباً كثيرة أخرى لعلماء المذاهب في هذا الباب إكتفينا بذكر هذا المقدار منها.

ليكون عبرة لأولي البصيرة وحجة على أهل الضغينة.

زيارة الشيخين

٢٣- ومن الآداب التي ذكرها أعلام السنة هي زيارة الشيخين فإنهم قد أبدعوا زيارات ذات عبارات خاصة ولم يرد فيها حديث ولا نص خاص، فقد ذكر في كتاب الفقه على المذاهب الأربعة لفظ زيارتهما:

ثم يقف حيث يحاذي رأس الصديق ويقول:

السلام عليك يا خليفة رسول الله، السلام عليك يا صاحب رسول الله في الغار السلام عليك يا رفيقه في الأسفار السلام عليك يا أمينه في الأسرار جزاك الله عنا أفضل ما جزى إماماً عن أمة نبيه، ولقد خلفته بأحسن خلف، وسلكت طريقه ومنهجه خير سلك وقاتلت أهل الردة والبدع، ومهدت الإسلام، ووصلت الأرحام ولم تزل قائماً للحق ناصراً لأهله حتى أتاك اليقين والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. اللهم أمتنا على حبه ولا تخيب سعيينا في زيارته برحمتك يا أرحم الراحمين.

ثم يتحول حتى يحاذي قبر عمر ويقول:

السلام عليك يا أمير المؤمنين السلام عليك يا مظهر الإسلام السلام عليك يا مكسر الأصنام جزاك الله عنا أفضل الجزاء ورضي الله عنم استخلفك فقد نصرت الإسلام والمسلمين حياً وميتاً فكفلت الأيتام فقيرهم وجبرت كسرهم السلام عليك ورحمة الله وبركاته.

٢٤- وينبغي بعد الزيارة أن يأتي الروضة الشريفة وهي ما بين القبر والمنبر فيصلي فيها ركعتين ويهديها للمزور ويكثر من الصلاة والدعاء وتلاوة القرآن فيها، حيث أنها روضة من رياض الجنة كما قال ﷺ: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»^(١).

وفي بعضها قال رسول الله ﷺ: «ما بين حجرتي إلى منبري روضة من رياض الجنة وإن منبري على ترعة من ترع الجنة»^(٢).

٢٥- ومن الأدب، إذا أراد الخروج أن يمر على القبر الشريف ويقف

(١) أخرجه البخاري في فضائل الصلاة، باب فصل ما بين القبر والمنبر: ١١٩٥،

ومسلم في الحج، باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة ١٣٩٠، وراجع

إتحاف الزائر لابن عساكر: ٧٠.

(٢) إتحاف الزائر لابن عساكر ٧٣، وحكاه عن أحمد في مسنده ٣: ٣٥٢ ح ١٠٥٢٥.

ويسلم عليه، فإذا خرج يقدم رجله اليسرى أولاً، ثم اليمنى.

زيارة أهل البقيع

٢٦- ثم يتوجه إلى البقيع متطهراً ويزور أهله خاصة أهل بيت النبوة الأئمة المعصومين وأولاد الرسول ﷺ وأقربائه ونسائه وصحبه الصالحين.

ويقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لنا ولهم، أو اللهم اغفر لأهل البقيع الغرقد.

وزاد القاضي حسين بعد الزيارة: اللهم ربّ هذه الأجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة أدخل عليها روحاً منك وسلاماً مني، اللهم برّد مضاجعهم عليهم واغفر لهم^(١).

ويدعوا الله بما أحب ويقرأ آية الكرسي وسورة الحمد والإخلاص ويهديها لهم.

وحكى البيهقي في سيرته عن النهائي أنه قال: وينبغي للزائر بعد زيارة النبي ﷺ أن يقصد المزارات التي بالمدينة الشريفة والآثار المباركة والمساجد التي صلى فيها النبي ﷺ التماساً لبركته ﷺ، ويزور البقيع، فقد دفن فيه أكثر الصحابة ممن توفي بالمدينة وكذلك سادات آل البيت النبوي الشريف.

وروي عن مالك: مات بالمدينة من الصحابة عشرة آلاف، وكذا أمهات المؤمنين ما عدا خديجة بمكة وميمونة بسوف.

وفي صحيح مسلم عن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ إذا زار القبور يقول: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله

(١) حكاة السهوي في وفاء الوفاء: ٤: ١٤١٠.

بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية.

وأخرج الترمذي عن ابن عباس أنه قال: مر النبي ﷺ بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه، فقال: «السلام عليكم يا أهل القبور يفضر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر»^(١).

وفي إحياء العلوم: يستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله ﷺ، وكذا قال النووي وابن عساكر وزاد النووي وابن عساكر: خصوصاً يوم الجمعة، قال النووي: ويزور القبور الطاهرة في البقيع كقبر إبراهيم بن رسول الله ﷺ وعثمان بن مظعون والعباس والحسن بن علي وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد الصادق وغيرهم ويحتم بقبر صفيّة عمّة رسول الله ﷺ^(٢).

وزاد ابن عساكر زيارة قبر عقيل بن أبي طالب وأزواج النبي ﷺ وعمته صفيّة وكثيراً من الصحابة والتابعين، فقل: واعلم أن أكثر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين مدفونون بالبقيع وكذلك أزواج النبي ﷺ فيه ما خلا خديجة رضوان الله عليها؛ فإنها بالحجون، وكذلك فيه أيضاً قبور جماعة من سادات التابعين ومن بعدهم من العلماء والزهاد المشهورين لا تعرف قبورهم، فينبغي للزائر أن يسلم عليهم أجمعين، فيقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

ثم قال وليس بالبقيع قبر يعرف سوى سبعة قبور، قبر العباس وقبر الحسن بن علي ومعه في القبر ابن أخيه علي بن الحسين زين العابدين، وأبو جعفر محمد بن علي الباقر، وابنه جعفر الصادق، رضوان الله عليهم

(١) لاحظ السيرة النبوية للدكتور محمد بيومي مهران ٣: ١٣٨.

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي ١: ٣٠٧، المجموع للنووي ٨: ٢٧٥، إتخاف الزائر

أجمعين، وعليهم قبة عالية في الهواء قديمة البناء في أول البقيع^(١).

زيارة شهداء أحد

٢٧- ثم يتوجه الى قبور الشهداء بأحد ويزور الشهداء ويبتدأ بحمزة سيد الشهداء ﷺ وقال بعضهم: أفضلها أن تكون يوم الخميس خصوصاً قبر سيدنا حمزة ويستحب أن يكون متطهراً^(٢).

وقد ورد في فضل زيارتهم عنه ﷺ: «زوروهم وسلموا عليهم والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلا ردوا عليه إلى يوم القيامة»^(٣).

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي: كان سعد بن أبي وقاص يذهب إلى ماله بالغابة فيأتي من خلف قبور الشهداء، فيقول السلام عليكم ثلاثاً، ويقول لا يسلم عليهم أحد إلا ردوا عليه السلام إلى يوم القيامة، قال ومرّ رسول الله على قبر مصعب بن عمير، فوقف عليه ودعا وقرأ: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ ثم قال: «إِنَّ هَؤُلَاءِ شُهَدَاءُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَآتُوهُمْ فزوروهم وسلموا عليهم والذي نفسي بيدي لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردّوا عليه».

وكان أبو سعيد الخدري يقف على قبر حمزة فيدعو ويقرأ مثل ذلك. وكانت أم سلمة تذهب فتسلم عليهم في كل شهر فتظل يومها،

(١) إتحاف الزائر: ٩٠.

(٢) قاله النووي في المجموع ٨: ٢٧٦، وابن عساكر في تحفته: ٩٢.

(٣) كنز العمال للمتقي الهندي ١٠: ٣٨١، وفاء الوفا للسهمودي ٣: ٩٣١، حسن

٣٦٨ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

فجاءت يوماً ومعها غلامها النبهان، فلم يسلم، فقالت: أي لكع! ألا تسلم عليهم! والله لا يسلم عليهم أحد إلا ردّوا عليه إلى يوم القيامة.

ثم قال: وكان أبو هريرة وعبد الله بن عمر يذهبان فيسلمان عليهم.

قالت فاطمة الخزاعية: سلمت على قبر حمزة يوماً ومعني أخت لي، فسمعنا من القبر قائلاً يقول: وعليكما السلام ورحمة الله، ولم يكن قربنا أحد من الناس^(١).

وأخرج البيهقي عن الواقدي: إن فاطمة الخزاعية قالت: زرت قبر حمزة، فقلت: السلام عليك يا عم رسول الله، فسمعت كلاماً ردّ علي: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته^(٢).

وكيف لا يكون كذلك وقد قال رسول الله ﷺ في حقه: «والذي نفسي بيده إنه مكتوب في السماء السابعة: حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله»^(٣).

وقال ﷺ: «خير أعمامي حمزة»^(٤).

ولما استشهد حمزة وقف النبي عليه ورآه قد مثل به، فلم ير منظراً كان أوجع لقلبه الشريف منه، فقال: «رحمك الله أي عم فلقد كنت وصولاً للرحم فعولاً للخيرات...»^(٥).

أقول: إن ردّ الشهداء السلام دعاء منهم بالسلامة ودعاؤهم مستجاب

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ : ٤٠.

(٢) جامع كرامات الأولياء للنبهاني ٢ : ١٢٢.

(٣) ذخائر العقبى للطبري: ١٧٦ مؤسسة الوفاء - بيروت.

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) ذخائر العقبى: ١٨٠.

وهنيئاً لمن شمله دعاء الشهداء الذين كان رسول الله ﷺ يزورهم ويأمر بزيارتهم.

فإذا كان في زيارة الشهداء هذا الحث وهذه الفضائل، فكيف بزيارة الرسول المصطفى وأهل بيته النجباء صلوات الله عليهم أجمعين وسائر الأنبياء والأوصياء حيث ثبت أنهم أكمل حياة من حياة الشهداء ولا يصح المقايسة بينهم.

وأما الزيارة: فيبدأ الزائر بزيارة عم رسول الله ﷺ ويقول: السلام عليك يا عم المصطفى، السلام عليك يا سيد الشهداء، السلام عليك يا أسد الله، السلام عليك يا أسد رسول الله رضي الله عنك وأرضاك وجعل الجنة منقلبك ومثواك.

ثم يتوجه إلى قبور الشهداء، والمشهور أنهم سبعون نفرأ، فيقول: السلام عليكم يا شهداء السلام عليكم يا سعداء، رضي الله عنكم وأرضاكم.

وفي لفظ آخر يقول: السلام عليكم أيها الشهداء ورحمة الله وبركاته. وفي كثر المطالب: ويتوسل بهم إلى الله في بلوغ أماله لأن هذا المكان محل مهبط الرحمات الربانية، وقد قال خير البرية عليه الصلاة وأزكى التحية: «إن لربكم في دهركم نفحات، ألا فتعرضوا لنفحات ربكم».

ولا شك ولا ريب أن هذا المكان محل هبوط الرحمات الالهية، فينبغي للزائر أن يتعرض لهاتيك النفحات الإحسانية، كيف لا؟ وهم الأحبة والوسيلة العظمى إلى الله ورسوله، فجدير لمن توسل بهم أن يبلغ المنى وينال بهم الدرجات العلى، فإنهم الكرام لا يخيب قاصدهم وهم الأحياء،

٣٧٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

ولا يُردّ من غير إكرامٍ زائرهم^(١).

وقال بعضهم: ويزور جبل أحد نفسه، ففي الصحيح عنه ﷺ: «إنّ أحداً جبل يجينا ونجبه»^(٢).

وفي رواية أخرى زيادة: «اللهم إني أحرم ما بين لابتيها كما حرم إبراهيم مكة».

وقال النووي في ذيل هذا الحديث: الصحيح المختار أن معناه أنّ أحداً يجينا حقيقة، جعل الله تعالى فيه تميزاً يجب به، كما قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ﴾ وكما حن الجذع اليابس، وكما سبّح الحصى وكما فرّ الحجر بثوب موسى ﷺ، وكما قال نبينا ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي»، وكما دعا الشجرتين المفترقتين فاجتمعا، وكما رجف حراء فقال ﷺ: «أسكن حراء فليس عليك إلا نبي أو صديق...» وكما كلمه ذراع الشاة، وكما قال سبحانه: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا بُسِّحَ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(٣)...

زيارة مسجد قبا

٢٩- ويستحب لزائر النبي ﷺ أن يزور مسجد قبا، لما ورد عنه ﷺ: «من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قبا، فصلّى فيه صلاة كان له كأجر عمرة»^(٤).

(١) كنز المطالب للحمزاوي: ٢٣٠.

(٢) صحيح البخاري ٢: ١٣٣ و٣: ٢٢٣ و٤: ١١٧، صحيح مسلم ٤: ١٢٤، سنن ابن ماجه ٢: ١٠٤، السنن الكبرى ٥: ١٩٧.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ٩: ١٣٩.

(٤) رواه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم عن سهل بن حنيف، ولاحظ كنز

وفي الصحيح عنه عليه السلام: «من خرج حتى يأتي هذا المسجد - يعني مسجد قبا - فيصلي فيه كان كعدل عمرة»^(١).

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٍ أُسَسَّ عَلَى التَّقْوَى﴾ (يعني مسجد قباء).

وأخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه وأبو الشيخ وابن مردويه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نزلت هذه الآية في أهل قبا، فيه رجال يحبون أن يتطهروا، قال كانوا يستنجون بالماء، فنزلت فيهم هذه الآية»^(٢).

وورد في صحيح مسلم من حديث ابن عمر قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور قبا راكباً وماشياً ويصلي فيه ركعتين^(٣).

وكان ابن عمر يأتيه كل سبت ويقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يأتيه كل سبت^(٤).

ويمكن أن يكون لهذا قيد بعضهم زيارته في السبت وقال إنه أولى.

فإذا أتى المسجد، يصلي فيه، ويقول بعد دعائه بما أحب: يا صريخ المستصرخين يا غياث المستغيثين يا مفرج كرب المكروبين، يا مجيب دعوة المضطرين، صل على سيدنا محمد وآله واكشف كربى وحزنى كما كشفت عن رسولك حزنه وكربه في هذا المقام، يا حنان يا منان يا كثير المعروف

(١) المستدرک للحاکم ٣: ١٢ وصححه الذهبي، وسنن النسائي ٢: ٢٧، كنز العمال ١٢

: ٢٦٥، الدر المنثور للسيوطي ٣: ٢٧٨.

(٢) الدر المنثور للسيوطي ٣: ٢٧٧.

(٣) صحيح مسلم ٤: ١٢٨، مسند أحمد ٢: ٣٠، السنن الكبرى للبيهقي ٥: ٢٤٨.

(٤) صحيح مسلم ٤: ١٢٨، مسند أبي داود الطيالسي: ٢٥٢.

٣٧٢ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

والإحسان يا دائم النعم يا أرحم الراحمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٣٠ - ينبغي للزائر بعد زيارة النبي ﷺ وأهل البقيع وأحد أن يقصد سائر المزارات والآثار النبوية والأماكن المباركة والمساجد التي صلى فيها النبي ﷺ، التماساً لبركته ﷺ.

قال السمهودي: صرح جماعة من الشافعية باستحباب ذلك كله، وقد كان ابن عمر يتحرى الصلاة والنزول والمرور حيث حل النبي ﷺ ونزل، وغير ذلك^(١).

وقال القاضي عياض: ومن إعظامه ﷺ وإكباره إعظام جميع أسبابه وإكرام مشاهدته وأمكنته ومعاهدته، وما لمسه ﷺ أو عرف به^(٢).

أقول: ومن المعلوم إن تحقق هذا الإعظام والإكرام بزيارة تلك المشاهد والآثار والتبرك بها.

٣١- إذا أراد الخروج من المدينة استحب أن يذهب إلى القبر الشريف ويعيد الزيارة ودعائها ويصلي ركعتين في الروضة ويسأل الله ﷻ أن يرزقه العود إليه والسلامة في سفره ويقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، ولا تجعله آخر العهد لنيك وحط أوزاري بزيارته، واصحبي في سفري السلامة، ويسر رجوعي إلى أهلي ووطني سالماً يا أرحم الراحمين.

ويقول: اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما تحب وترضى، اللهم كن لنا صاحباً في سفرنا وخليفة على أهلنا، اللهم

(١) وفاء الوفا للسمهودي ٤: ١٤١٢.

(٢) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ٢: ٥٦.

ذلل لنا صعوبة سفرنا واطوعنا بعده، اللهم إنا نعوذ بك من وعشاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في الأهل والمال، اللهم أصحابنا بنصح وقلوبنا بذمة اللهم اكفنا ما أهمنا وما لا نهتم له، وارجعنا سالمين مع القبول والمغفرة والرضوان ولا تجعله آخر العهد بهذا المحل الشريف.

وبعيد السلام والدعاء المتقدم في الزيارة ويقول: اللهم لا تجعل هذا آخر العهد بحرم رسولك ﷺ وحضرته الشريفة ويسر لي العود إلى الحرمين سبيلاً سهلاً وارزقني العفو والعافية في الدنيا والآخرة. وليخرج مع التأذب مقدماً رجله اليسرى على اليمنى أيضاً ويكون متأثلاً متحزناً على فراق الحضرة النبوية، متأسفاً على ما يفوته من تركه ملازمتها، وليقل: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك وحط أوزاري بزيارته وأصحابي في سفري السلامة ويسر رجوعي إلى أهلي ووطني يا أرحم الراحمين.

٣٢- ويستحب أن يشتري بعض الهدايا لأهله وعياله حين الرجوع إلى وطنه وإذا أمكن فمن تمر المدينة وماء آبارها، وأن يتصدق على الفقراء والمستحقين من جيران رسول الله ﷺ بما أمكن.

٣٣- أن يكون حال الخروج من المدينة المنورة باكياً حزيناً على فراق الحضرة النبوية، ويستحب أن يكبر على كل شرف من الأرض ويقول: آثبون تائبون لربنا حامدون، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده اللهم لا تجعل هذا آخر العهد بحرم رسولك ويسر لي العود إلى الحرمين سبيلاً سهلاً وارزقني العفو والعافية والمعافة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة وردنا سالمين غاثمين.

وعن الفخوري: إذا قفل منصرفاً قاصداً وطنه كبر في طريقه على كل مرتفع ثلاثاً ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، آثبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون

صدق الله وعده ونصر عبده وعز جنده، وهزم الأحزاب وحده^(١).

هذا حاصل ما ورد من الآداب في الزيارة عند علماء العامة وأكابرهم.

فأنت أيها القارئ الكريم عندما تطالع هذه الآداب مضافاً إلى المعرفة بها تجد أن الزائر من ابتداء سفره إلى انتهائه يقصد التقرب بزيارته إلى الله تعالى ونيل جزيل الثواب والأمن من العقاب، وتراه يجعل هذه العبادات والزيارات طريقاً وسُلماً لتحصيل معرفته ورضاه سبحانه، وهل ترى فيها شيئاً من الشرك والبدعة والضلال كما قال المخالف المرتاب؟! أو تراها مشحونة من الشهادة بوحداية الله ﷻ وأن محمداً عبده ورسول الله، وهكذا في زيارة سائر الأنبياء والأولياء.

ولأجل إزدياد يقينك بكذب ما يدعيه المخالف، نذكر لك آداب طائفة أخرى من المسلمين، وهم أتباع وصي رسول رب العالمين وأهل بيته المعصومين سلام الله عليهم أجمعين.

(١) الكفاية لذوي العناية للفاخوري: ١٣٠.

ثانياً:

آداب الزيارة عند الإمامية

١ - ينبغي لزائر المدينة إذا كان طريقه على مسجد غدیر خم أن ينزل ويصلي فيه ركعتين للتحية أو ما شاء من الصلاة، فإنه المكان الذي أقام النبي ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام مقامه بأمر من الله تعالى فقال: «ألست أولى بكم من أنفسكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله والعن على من ظلمه».

وقد بايعه الناس على إمرة المؤمنين فأنزل الله سبحانه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١)، فهو موضع أظهر الله فيه الحق، ويلزم تكريمه وتعظيمه، وتذكر مقام النبي ﷺ وأمير المؤمنين صلوات الله عليه فيه، فقد ورد في الروايات فضيلة الصلاة فيه.

٢ - يستحب النزول في معرس النبي ﷺ إن كان المرور عليه، والصلاة فيه^(٢).

(١) الأحاديث فيه قد بلغت حد التواتر من الفريقين، فراجع الكتب المعلقة لهذا

الأمر، وراجع روضة المتقين حول هذا الأدب ٥ : ٣١٦.

(٢) كما في روضة المتقين للفتي المجلسي ٥ : ٣١٨. مسجد ذي الحليفة الحالي، وهو

الموضع الذي كان ينزل فيه للاستراحة ويصلي فيه ثم يرحل لغزاة أو غيرها،

٣ - إذا وقع نظره على حيطان المدينة وحرم الرسول يشكر الله على توفيقه ويحمده على ما أنعم عليه ويكثر من ذكر الله، والإستعداد والتهيؤ الروحي للتشرف بحرم الرسول المصطفى ﷺ.

والتأدب عند وروده المدينة وأن يكون على سكونة ووقار، وينبغي ترك اللغو في الكلام والمخاصمة في كل ما يشغله عن ذكر الله ويزيل حالة الحضور والخشوع من الزائر في المدينة وخصوصاً في المشاهد المشرفة.

٤ - يستحب أن يغتسل قبل دخول المشهد الشريف وأن يكون على طهارة من الحدث والخبث ويلبس أحسن ثيابه وأن يأتيه بمخضوع وخشوع.

٥ - ينبغي الوقوف على بابه ﷺ والإستيطان بالمأثور والدخول من باب جبرئيل وأن يقدم رجله اليمنى حين الدخول واليسرى حين الخروج، ويكبر الله مائة مرة ويصلي ركعتين تحية للمسجد الشريف ويسعى في تحصيل الخضوع والخشوع، لأن الغرض الأهم هو حضور القلب لتلقي الرحمة النازلة من الرب.

٦ - يذهب إلى جانب الحجرة الشريفة ويقف عند الضريح ويمسح يده عليه ويقبله ويتبرك به إن أمكن، وإلا فليس بواجب، فيتوجه إليه بحضور القلب وكأنه ينظر إلى رسول الله ﷺ، وتوهم أن البعد وعدم لمسه وتقبيله من الأدب، وهم لاوجه له، فقد نُصَّ على الإتكاء على الضريح وتقبيله، وسوف نتعرض إلى هذه المسألة بعد ذكر الآداب إن شاء الله.

٧ - إستقبال وجه المزور واستدبار القبلة حال الزيارة، وأن يزور

والموضع معروف قرب مسجد الشجرة.

عن الجوهرى: التعريس نزول القوم في السفر من آخر الليل يقعون فيه وقعة للاستراحة يرتحلون....

واقفاً ويزور بالمأثور، ويكفي السلام والحضور أيضاً، وأما المأثور من الزيارة، فيقول:

السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا محمد بن عبد الله، السلام عليك يا خاتم النبيين، أشهد أنك قد بلغت الرسالة وأتمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وعبدت الله مخلصاً حتى أتاك اليقين، فصلوات الله عليك ورحمته وعلى أهل بيتك الطاهرين.

٨ - يقف عند الإسطوانة المتقدمة في الجانب الأيمن من القبر مستقبلاً القبلة ويكون جانبه الأيسر محاذياً للقبر وجانبه الأيمن محاذياً للمنبر، فإنه موضع رأس رسول الله ﷺ، ويقول:

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأشهد أنك رسول الله، وأنت محمد بن عبد الله، وأشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ونصحت لأمتك وجاهدت في سبيل الله وعبدت الله حتى أتاك اليقين بالحكمة والموعظة الحسنة، وأدبت النبي الذي عليك من الحق، وأنت قد رؤفت بالمؤمنين، وغلظت على الكافرين، فبلغ الله بك أفضل شرف محل المكرمين، الحمد الذي استنقذنا بك من الشرك والضلالة، اللهم فاجعل صلواتك وصلوات ملائكتك المقربين وأنبيائك المرسلين وعبادك الصالحين وأهل السماوات والأرضين ومن سبّح لك يا رب العالمين من الأولين والآخرين على محمد عبدك ورسولك ونبيك وأميتك ونجيبك وحبيبك وصفيك وخاصتك وصفوتك وخيرتك من خلقك، اللهم أعطه الدرجة الرفيعة وآته الوسيلة من الجنة وابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون، اللهم إنك قلت: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.

وإني أتيتك مستغفراً تائباً من ذنوبي وإني أتوجه بك إلى الله ربي وربك ليغفر لي ذنوبي.

ثم يرفع يده للدعاء ويدعوا بما شاء ويطلب حوائجه لدنياه وأخراه، فإنه مستجاب إن شاء الله، وينبغي أن يعم في الدعاء إخوانه المؤمنين، فإنه أسرع للإجابة.

وقد روى ابن قولويه بسنده عن محمد بن مسعود قال: رأيت أبا عبد الله ﷺ عند قبر رسول الله ﷺ وقد وضع يده على القبر وقال: أسأل الله الذي اجتباك واختارك وهداك وهدى بك أن يصلي عليك، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

ويستحب أن ينوب في الزيارة والسلام عن أهله وأحبته وكل من وصاه بالسلام، بأن يقول: السلام عليك يا رسول الله نيابة عن فلان، فإن شاء ذكرهم كلهم بسلام واحد وإن شاء سلم نيابة عن كل واحد منهم.

٩ - ويذهب إلى المنبر ويمسح يده على قبته ويمسح بها وجهه ويمحمد الله ﷻ ويشني عليه ويطلب حوائجه، فقد صح عنه ﷺ: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ثرعة من ثرع الجنة»^(١). فينبغي أن يكثر من الصلاة على محمد وآل محمد، والدعاء والتوبة وتلاوة القرآن، ويكثر الصلاة في هذه الروضة الشريفة مادام موجوداً فيها، فإن الصلاة فيها تعدل ألف صلاة في غيرها، وتقدم ذكر بعض الأحاديث في فضلها.

(١) تقدم مصدر هذا الحديث في آداب العامة. وعند الإمامية فراجع روضة المتقين للفتي المجلسي ٥: ٣٣٠، وقد أخرج المجلسي هذا الحديث من طرق متعددة وبألفاظ متفاوتة، الثرعة: الباب.

١٠- ويذهب إلى مقام جبرئيل وهو الموضع الذي كان يقف عنده جبرئيل حين الدخول على النبي ﷺ ليأذن له، ومحلّه تحت الميزاب، فيقول: أسألك أي جواد أي كريم أي قريب أي بعيد أن تردّ علي نعمتك.

زيارة فاطمة الزهراء عليها السلام

١١- ثم يزور فاطمة الزهراء عليها السلام في الروضة المطهرة، فقد اختلف في موضع قبرها، حيث إن أمير المؤمنين دفنها ليلاً وسراً وعفا موضع قبرها عملاً بوصيتها، فقد أوصته صلوات الله عليها أن يغسلها بالليل ويكفنها بالليل ويدفنها بالليل ولا يعلم أحداً.

فعلى قول: إنها دُفنت في الروضة الشريفة، وعلى قول: إنها دفنت في بيتها ولما وسّع المسجد صاربيتها في المسجد، وعلى قول: إنها دفنت بالبقيع.

والذي عليه أكثر الأصحاب أن تزار في البيت أو الروضة الشريفة، ومن يزورها في المواضع الثلاثة، فهو الأفضل وفيه أداء لحقها وتعظيمها لها أكثر فأكثر، وأما زيارتها، فهي:

يا ممتحنة امتحنتك الله الذي خلقك قبل أن يخلقك فوجدك لما امتحنتك صابرة وزعمنا أنا لك أولياء ومصدقون وصابرون لكل ما أتانا به أبوك عليها السلام وأتى به وصيه، فإننا نسألك إن كنا صدقناك إلا الحققتنا بتصديقنا لهما لنبشر أنفسنا بأننا قد طهرنا بولابتك.

ويستحب أن يقول أيضاً: السلام عليك يا بنت رسول الله، السلام عليك يا بنت نبي الله، السلام عليك يا بنت حبيب الله، السلام عليك يا بنت خليل الله، السلام عليك يا بنت صفي الله، السلام عليك يا بنت أمين الله، السلام عليك بنت خير خلق الله، السلام عليك يا بنت أفضل أنبياء

الله ورسله وملائكته، السلام عليك يا بنت خير البرية، السلام عليك يا سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، السلام عليك يا زوجة ولي الله وخير الخلق بعد رسول الله، السلام عليك يا أم الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، السلام عليك أيتها الصديقة الشهيدة، السلام عليك أيتها الرضية المرضية، السلام عليك أيتها الفاضلة الزكية، السلام عليك أيتها الحوراء الانسية، السلام عليك أيتها التقية النقية، السلام عليك أيتها المجددة العليمة، السلام عليك أيتها المظلومة المغصوبة، السلام عليك أيتها المضطهدة المقهورة، السلام عليك يا فاطمة بنت رسول الله ورحمة الله وبركاته، وصلى الله عليك وعلى روحك وبدنك، أشهد أنك مضيت على بينة من ربك وأن من سرك فقد سر رسول الله ﷺ، ومن جفاك فقد جفا رسول الله ﷺ، ومن وصلك فقد وصل رسول الله ﷺ، ومن قطعك فقد قطع رسول الله ﷺ، لأنك بضعة منه وروحه الذي بين جنبيه - كما قال ﷺ - أشهد الله ورسله وملائكته أنني راض عمّن رضيت عنه، ساخط على من سخطت عليه، متبرء ممن تبرئت منه، موال لمن واليت، معاد لمن عاديت، مبغض لمن أبغضت، محب لمن أحببت. وكفى بالله شهيداً وحسيباً ورازقاً ومثيباً.

ثم تصلي عليها وعلى أبيها وعلى الأئمة الأطهار ﷺ .

وقد ذكر العلماء زيارات أخرى لها فراجع الكتب المعتمدة لهذا المجال .

قال الشيخ في التهذيب: إن ما ورد في فضيلة زيارتها من الروايات أكثر من أن تحصى .

وروى المجلسي رحمه الله عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن فاطمة أنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «يا فاطمة! إن من صلى عليك غفر الله تعالى له وألحقه بي حيث كنت من الجنة»^(١) .

وعن يزيد بن عبد الملك عن أبيه، عن جده، قل: دخلت على فاطمة عليها السلام فبدأتني بالسلام، ثم قالت: ما غدا بك؟ قلت: طلب البركة، قالت: أخبرني أبي وهو ذاهبي أنه: «من سلم عليه وعلي ثلاثة أيام أوجب الله له الجنة». قلت لها: في حياته وحياتك؟ قالت: نعم وبعد موتنا^(١).

١٢- ينبغي بعد الفراغ من الزيارة أن يصلي ركعتين في الروضة ويهديها إلى المزور، وأن يدعو بعدها بالمأثور، أو بما شاء ويكثر من الصلوات وتلاوة القرآن وإهداءه إلى المزور والمنفعة بذلك الزائر نفسه، وفيه تعظيم للمزور، والأفضل أن تكون الصلاة عند رأس المزور إن كان المزور أحد الأئمة عليهم السلام، وينبغي أن لا يتقدم عليه، وينبغي أن يكثر من الاستغفار والتوبة والاقلاع وإحضار القلب في جميع أحواله ما استطاع وينبغي أن يكون الزائر بعد الزيارة خيراً منه قبلها، فإنها تُحط الأوزار إذا صادف القبول.

١٣- تعجيل الخروج عند قضاء الوطر من الزيارة والدعاء، لتعظيم الحرمه وأن يشتد الشوق، وروي أن الخارج يمشي القهقري حتى يتوارى.

زيارة أئمة البقيع

١٤ - فإذا خرج من الروضة النبوية يتوجّه إلى البقيع لزيارة أئمة البقيع عليهم السلام وسائر السادة والصالحين والصلحات والشهداء المدفونين فيه. والأئمة المدفونون فيه هم:

١ - الإمام السبط الشهيد الحسن المجتبي عليه السلام.

(١) التهذيب ٦: ٩. ووردت هذه الرواية في المناقب لابن المغازلي الشافعي بنفس الطريق باختلاف يسير في اللفظ، فلاحظ المناقب: ٢٤٤، ط منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.

٢ - الإمام علي بن الحسين زين العابدين ﷺ .

٣ - الإمام محمد بن علي الباقر ﷺ .

٤ - الإمام جعفر بن محمد الصادق ﷺ .

فإن احترامهم وتعظيمهم وتعظيم النبي ﷺ واحترامه، لأنهم أبنائه وأحفاده وورثة علمه وخلقه الكريم، فإن المرء يكرم في ولده.

ولا يخفى: أن الآداب التي وردت في زيارة قبر النبي ﷺ واردة في زيارة سائر الأئمة ﷺ .

فإذا ذهب إليهم، فليقف عند الباب ويستأذن للدخول ويقول: يا موالي يا أبناء رسول الله عبدكم وابن أمتكم الذليل بين أيديكم والمضعف في علو قدركم، والمعترف بحقكم، مستجيراً بكم، قاصداً إلى حرمكم، متقرباً إلى مقامكم، متوسلاً إلى الله تعالى بكم، أدخل يا موالي، أدخل يا أولياء الله، أدخل يا ملائكة الله المحققين بهذا الحرم المقيمين بهذا المشهد، وبعد الاستئذان وتحصيل حالة الخشوع والرقعة واستحضار وجوههم الكريمة ومناقبهم العظيمة وتذكر مصائبهم ومظلوميتهم، يقدم رجله اليمنى في الدخول ويقول: الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، والحمد لله الفرد الصمد الماجد الأحد المتفضل المنان المتطول الحنان الذي من بطوله وسهل زيارة ساداتي بإحسانه ولم يجعلني عن زيارتهم ممنوعاً، بل تطول ومنح.

ثم يتوجه إلى القبور الشريفة ويقرب منها ويقف أمامها، ويقول مع التأدب والاحترام: السلام عليكم أئمة الهدى، السلام عليكم أهل التقوى، السلام عليكم أيها الحجج على أهل الدنيا، السلام عليكم أيها القوامون في البرية بالقسط، السلام عليكم أهل الصفوة، السلام عليكم آل رسول الله، السلام عليكم أهل النجوى، أشهد أنكم قد بلغت

ونصحتهم وصبرتم في ذات الله وكذبتهم وأسئى إليكم فغفرتم، وأشهد أنكم الأئمة الراشدون المهتدون، وأن طاعتكم مفروضة، وأن قولكم الصدق، وأنكم دعوتهم فلم تجابوا، وأمرتم فلم تطاعوا، وأنكم دعائم الدين وأركان الأرض، لم تزالوا بعين الله ينسخكم من أصلاب كل مطهر وينقلكم من أرحام المطهرات، لم تدنسكم الجاهلية الجهلاء، ولم تشرك فيكم فتن الأهواء، طبتهم وطاب منبتكم، من بكم علينا ديان الدين، فجعلكم في بيون أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وجعل صلواتنا عليكم رحمة لنا وكفارة لذوبنا، إذ اختاركم الله لنا وطيب خلقنا بما من علينا من ولايتكم، وكنا عنده مسمين بعلمكم معترفين بتصديقنا إياكم، وهذا مقام من أسرف وأخطأ واستكان وأقر بما جنى ورجى بمقامه الخلاص، وأن يستنقله بكم مستنقذ الهلكى من الردى، فكونوا لي شفعاء فقد وفدت إليكم إذ رغب عنكم أهل الدنيا واتخذوا آيات الله هزوا واستكبروا عنها، يا من هو قائم لا يسهو ودائم لا يلهو ومحيط بكل شيء لك المن بما وفقتني وعرفتني بما أقمتمني عليه إذ صد عنه عبادك وجهلوا معرفته واستخفوا بحقه ومالوا إلى سواه، فكانت المنة منك علي مع أقوام خصصتهم بما خصصتني به.

فلك الحمد إذ كنت عندك في مقامي هذا مذكوراً مكتوباً، فلا تحرمني ما رجوت ولا تخيبني فيما دعوت، بحرمة محمد وآله الطاهرين وصلى الله على محمد وآل محمد.

فيدعو ويطلب من الله ما يشاء من حوائجه ولسائر المؤمنين والمؤمنات، ويصلي ثمان ركعات ويهدي كل ركعتين لواحد منهم.

ثم يزور العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وفاطمة بنت أسد الهاشمية أم أمير المؤمنين عليه السلام بنفس البقعة التي فيها الأئمة الأربعة عليهم السلام.

وهناك مراقد أخرى تتعلق بآل الرسول ينبغي الحضور عندها وزيارتها وقراءة الفاتحة عندها، وقد ذكر لكل واحدة منها زيارة تحيل الطالب إلى الكتب

المدونة لها.

وفي البقيع قبور أخرى أيضاً تتعلق بشهداء الإسلام وبعض الصالحين والمؤمنين والمؤمنات ينبغي زيارتها وإهداء الفاتحة والصلوات لأهلها، وإذا شئت فافقره الزيارة الخاصة لأهل القبور التي كان رسول الله يقراها عند مجيئه إلى البقيع الغرقد وكان يعلم الأصحاب بقراءتها، وقد ذكرناها في الآداب التي وردت عند العامة.

١٤- ويستحب أن يذهب إلى أحد، وهو جبل قريب من المدينة قد استشهد عنده جمع كثير من المسلمين ودُفِنوا في نفس المكان، ومن أعظمهم شأنًا سيد الشهداء حمزة عم النبي ﷺ.

زيارة حمزة سيد الشهداء عم النبي ﷺ

وقد تقدمت نبذة من الأحاديث في فضائله وفضائل زيارته في آداب العامة، تقول في زيارته كما ورد:

السلام عليك يا عم رسول الله ﷺ، السلام عليك يا خير الشهداء، السلام عليك يا أسد الله وأسد رسوله، أشهد أنك قد جاهدت في الله ﷻ حق جهاده، وجدت بنفسك، ونصحت رسول الله، وكنت فيما عند الله سبحانه راغباً، بأبي أنت وأمي، أتيتك متقرباً إلى الله ﷻ بزيارتك، راغباً إليك في الشفاعة أبتغي بزيارتك خلاص نفسي، متعوذاً بك من نار إستحقها مثلي بما جنيت على نفسي، هارباً من ذنوبي التي احتطبت بها على ظهري، فزغاً إليك رجاء رحمة ربي أتيتك من شقة بعيدة، طالباً فكاك رقبتي من النار، وقد أوقرت ظهري ذنوبي وأتيت ما أسخط ربي ولم أجد أحداً أفزع إليه خيراً لي منكم أهل بيت، فكن شفيعاً يوم فقرى وحاجتي، فقد سرت إليك محزوناً وأتيتك مكروباً وسكبت عبرتي عندك باكياً، وصرت إليك مفرداً، وأنت ممن أمرني الله بصلته وحثني على بره ودلني على فضله

وهداني لحبه ورغبني في الوفاة إليه وأهمني طلب الحوائج عنده أنتم أهل بيت لا يشقى من تولاكم ولا يخيب من أتاكم ولا يخسر من يهواكم ولا يسعد من عاداكم.

فتصلي ركعتين وتهديها إلى عم رسول الله ﷺ، وتضع يدك على قبره إن أمكن وتقول: اللهم إني تعرضت لرحمتك بلزومي لقبر عم نبيك ﷺ ليجيرني من نعمتك في يوم تكثر فيه الأصوات وتشغل كل نفس لما قدمت وتجادل عن نفسها، فإن ترحمني اليوم فلا خوف علي ولا حزن، وإن تعاقب فمولى له القدرة على عبده ولا تخيبي بعد اليوم، ولا تصرفني بغير حاجتي، فقد لصقت بقبر عم نبيك وتقربت به إليك ابتغاء مرضاتك ورجاء رحمتك، فتقبل مني وعُدلي بحلمك على جهلي وبرأفتك على جناية نفسي، فقد عظم جرمي وما أخاف أن تظلمني ولكن أخاف سوء الحساب، فانظر اليوم تقلبي على قبر عم نبيك، فبهما فكّني من النار ولا تخيب سعبي ولا يهونن عليك ابتهالي ولا تحجب عنك صوتي ولا تقلبني بغير حوائجي، يا غياث كل مكروب ومخزون، ويا مفرجاً عن الملهوف الحيران الغريق المشرف على الهلكة، فصل على محمد وآل محمد وانظر إلي نظرة لا أشقى بعدها أبداً وارحم تضرعي وعبرتي وانفراحي فقد رجوت رضاك وتحريت الخير الذي لا يعطيه أحد سواك فلا ترد أملِي، اللهم إن تعاقب فمولى له القدرة على عبده وجزائه بسوء فعله فلا أخين اليوم ولا تصرفني بغير حاجتي ولا تخين شخصي ووفادتي، فقد أنفدت نفقتي وأتعبت بدني وقطعت المفايزات وخلفت الأهل والمال وما خولتني وآثرت ما عندك على نفسي ولذت بقبر عم نبيك ﷺ وتقربت به ابتغاء مرضاتك، فعُد بحلمك على جهلي وبرأفتك على ذنبي فقد عظم جرمي، برحمتك يا كريم يا كريم.

وفي فضل زيارته قال المحدث القمي رحمه الله نقلاً عن فخر المحققين: إن رسول الله ﷺ قال: «من زارني ولم يزر عمي حمزة فقد جفاني».

٣٨٦ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

وقال المفيد رحمه الله: كان رسول الله ﷺ يأمر في حياته بزيارة قبر حمزة رضي الله عنه وكان يسلم عليه وعلى الشهداء، ولم تنزل فاطمة رضي الله عنها بعد وفاته ﷺ تغدو إلى قبره وتروح والمسلمون يتتابون على زيارته وملازمة قبره^(١).

وقد ظهرت منه لزائريه كرامات كثيرة، منها ما أخرجه البيهقي عن الواقدي: أن فاطمة الخزاعية قالت: زرت قبر حمزة، فقلت: السلام عليك يا عم رسول الله، فسمعت كلاماً ردّ علي: وعليكم السلام ورحمة الله^(٢).

زيارة قبور سائر الشهداء رضوان الله عليهم بأحد

فتقول: السلام على رسول الله، السلام على نبي الله، السلام على محمد بن عبد الله، السلام على أهل بيته الطاهرين، السلام عليكم أيها الشهداء المؤمنون، السلام عليكم يا أهل بيت الإيمان والتوحيد... إلى آخر ما ورد في زيارتهم فراجع^(٣).

وتقرء من القرآن ما شئت، وقد ورد قراءة سورة القدر، وتهديه إلى الشهداء.

زيارة مسجد قبا

ومسجد الفضيل ومسجد الفتح وسائر آثار النبوة

١٥- ويستحب أن تذهب إلى مسجد قبا وتصلي فيه صلاة التحية وتدعو فيه بما شئت، وقد ورد تسبيح فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وورد دعاء آخر أيضاً لا يسع الكراس ذكره.

(١) مفاتيح الجنان للمحدث القمي رحمه الله زيارة شهداء أحد.

(٢) حكاية النبهاني عن البيهقي في جامع كرامات الأولياء: ١٣٢.

(٣) مفاتيح الجنان للمحدث القمي رحمه الله زيارة شهداء أحد.

وكان رسول الله ﷺ يذهب إلى مسجد قبا يصلي فيه، فإنه المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم.

وتذهب إلى مسجد الفضيخ ويقال له مسجد رد الشمس، لما روي بأن الشمس قد ردت فيه لأمير المؤمنين عليه السلام، فتصلي فيه.

ثم تذهب إلى مسجد الفتح، ويسمى مسجد الأحزاب وتصلي فيه وتدعو الله فيه، فإن رسول الله ﷺ دعا فيه يوم الأحزاب وقال: «يا صريخ المستصرخين ويا مجيب دعوة المضطرين ويا مغيث المهمومين إكشف عني ضري وهمي وكربي وغمي فقد ترى حالي وحال أصحابي».

ولكنك تقول بل قد ترى حالي... كما كشفت عن نبيك ﷺ وكفيت هول عدوه واكفني ما أهمني من أمر الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين.

وتذهب أيضاً إلى مشربة أم هاني وهو بيت سكن فيه رسول الله ﷺ.

وبيت الإمام زين العابدين عليه السلام، وبيت الإمام جعفر الصادق عليه السلام.
ومسجد سلمان، ومسجد أمير المؤمنين وهو محاذ لقبر حمزة عليه السلام، ومسجد المباهلة، وتصلي وتذكر الله فيها.

وتذهب إلى سائر آثار النبوة في المدينة على قدر إمكانك.

١٦ - ويستحب التصدق على المحتاجين سيما سادات المدينة وذرية آل الرسول ﷺ فإن الصدقة مضاعفة هناك.

١٧ - يستحب للزائر أن يغتنم القرص في الإكثار من الزيارات في كل يوم والدعاء والتوسلات وكثرة الصلاة في مسجد النبي ﷺ وتلاوة القرآن مادام في المدينة، وأن يسلم على النبي ﷺ كلما شاهد المشهد الشريف وهكذا زيارة أئمة البقيع والسلام عليهم.

وينبغي أن يحفظ نفسه من ارتكاب المعاصي والاشتغال بالأمور الدنيوية وكل ما يشغل فكره عن عبادة الله.

وأن يستحضر في نفسه شرافة الحرم النبوي وبالأخص المسجد النبوي، حيث كان النبي ﷺ يصلي فيه ويضع قدمه الشريف عليه وعلى سائر مواضع أرض المدينة، وكان جبرئيل وسائر الملائكة المقربين ينزلون فيها، ولنعم ما قيل:

أرض مشى جبريل في عرصاتها والله شرف أرضها وسمائها

فإن لأرض المدينة شرف وفضل على سائر البقاع لتشرفها بقدم خاتم الأنبياء وأقدام أهل بيته الشرفاء صلوات الله عليهم أجمعين، وإنها صارت حرم رسول الله، كما أن مكة حرم الله ﷻ، فلها من الحرمة كما لمكة، وأما تعيين مسافة حرم المدينة ومقدار حرمتها فيرجع به إلى الكتب المدونة في هذا المجال.

والحاصل: أنه ينبغي لزائر المدينة حينما وفقه الله للتشرف بها أن لا يفوت وقته عبثاً وأن لا يقضيه بالأكل والنوم والتردد في الأسواق والإشتغال بغير ذكر الله، فإن إضاعة الفرصة غصة، والفرصة تمر كمر السحاب، كما ورد في الأحاديث.

وليس من المعلوم أن يمهله الأجل ويوفقه الله تعالى مرة أخرى للتشرف بزيارة سيد المرسلين، فيندم على ما فوته وضيعه ولن ينفعه الندم.

فلا بد للإنسان أن يسعى عند تشرفه بأن يكون قد أصلح فيما بينه وبين الله وطهر نفسه من درن الذنوب والآثام والشرك والعصيان وأن يكون حاله حين الرجوع أحسن من حاله حين الدخول في المدينة.

زيارة الوداع

١٨ - وإذا أراد الانصراف والسفر إلى وطنه فليستطهر وليغتسل ويذهب إلى قبر رسول الله ﷺ، ويأتي بتلك الآداب التي ذكرت في الزيارة ويزور النبي ﷺ ويودعه ويكون متأثراً على فراقه ويطلب من الله العود إلى زيارته وأن لا يرده خائباً خاسراً.

ويقول: السلام عليك يا رسول الله، أستودعك الله وأسترعيك، وأقرأ عليك السلام، أمنت بالله وبما جئت به ودلت عليه، اللهم لا تجعله آخر العهد مني لزيارة قبر نبيك، فإن توفيتني قبل ذلك فإني أشهد في مماتي على ما شهدت عليه في حياتي أن لا إله إلا أنت وأن محمداً عبدك ورسولك ﷺ، فيصلي ركعتين ويهديها إليه ﷺ وهكذا يزور فاطمة الزهراء عليها السلام.

وإذا أراد الخروج يخرج متأثراً على الفراق ويحاول أن يخرج مع القهقري، فإنه أقرب للأدب وأن يُخرج رجله اليسرى أولاً.

ويتوجه إلى أهل البقيع فيزور أئمة البقيع وسائر المدفونين، بنفس الآداب المتقدمة ويودع أئمة ويطلب من الله تعالى أيضاً العودة إليهم ويظهر التألم على الفراق ويقول في وداعه:

السلام عليكم أئمة الهدى ورحمة الله وبركاته أستودعكم الله وأقرء عليكم السلام آمناً بالله وبالرسول وبما جئتم به ودلتم عليه اللهم فاكتبنا مع الشاهدين.

تنبيه ينبغي الالتفات إليه

وإليك تنبيه ذكره الشهيد بعد الآداب، وهو أن: من دخل المشهد والإمام يصلي بدأ بالصلاة قبل الزيارة، وكذلك لو كان قد حضر وقتها، وإلا فالبدء

٣٩٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله الطيبين بدعة أوشع؟

بالزيارة أولى، لأنها غاية مقصده، ولو أقيمت الصلاة استحب للزائرين قطع الزيارة والإقبال على الصلاة ويكره تركه، وعلى الناظر أمرهم بذلك.

وإذا زارت النساء فليكن مفردات عن الرجال، ولو كان ليلاً فهو أولى، وليكن متكررات مستترات، ولو زرن بين الرجال جاز، وإن كره.

وينبغي مع كثرة الزائرين أن يخفف السابقون إلى الضريح في الزيارة وينصرفوا، ليحضر من بعدهم فيفوزوا من القرب إلى الضريح والتبرك به بما فاز أولئك^(١).

إلى هنا قد تم ما تيسر لي من ذكر الآداب والزيارة في المدينة المنورة الواردة عند الشيعة، وقد حاولت الاختصار وهربت من الإيجاز الموجب للإخلال في تحصيل الغرض وهو: إثبات مشروعية تلك الزيارات بشد الرحال إليها، حيث إن تلك الآداب خاصة للمسافر.

وإن من كان أهل التحقيق وبعيداً عن التعصب والعناد لم يجد فيها أي دليل ولا قرينة على الشرك والضلال، بل يجد هذه الأمور من أقرب الطرق إلى التقرب بالواحد القهار والابتعاد عن إطاعة النفس والشيطان، ويحصل له العلم بأن المخالف لهذا الأمر العظيم ومن كفر المسلمين هو في ضلال مبين.

وقد اقتبست هذه الآداب من كتب الأعلام، منها الدروس للشيخ الشهيد، وروضة المتقين للنتقي المجلسي، وبحار الأنوار للباقر المجلسي، والحدائق الناضرة للبحراني، ومفاتيح الجنان للمحدث القمي.

ونعيد مرة أخرى: بأن الزيارة بشد الرحال لو لم تكن مشروعاً لما ذكرها علماء الأمة الإسلامية مع اختلاف مذاهبها هذه الآداب، فذكرها يفيدنا

(١) الدروس: ١٥٨ ط إيران سنة ١٢٦٩.

التسالم عليها.

مضافاً إلى أن السفر للزيارة حتى لو لم يكن مطلوباً وراجحاً بالذات فإنه مطلوب وراجح بالعرض، لأنه مقدمة للوصول إلى المطلوب وهو الزيارة، حيث قد اعترف بمطلوبيتها ولو ظاهراً حتى الوهابية إلا أنهم منعوا من شد الرحال.

إلى هنا أثبتنا لك بهذه الأدلة الكثيرة مشروعية زيارة القبور ورحجانها وشد الرحال إليها خصوصاً زيارة الأنبياء والمرسلين، وبالأخص خاتم المرسلين وعترته الطيبين الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

ولولا خوف اغترار البعض بسبب تدليسات العدوان لما أطلت فيها الكلام واقتصرت على أقل البيان.

وسنوافيك بذرائع المانعين مع جوابها بعون الله تعالى.

ذرائع

المانعين من الزيارة

ذرائع المانعين من الزيارة

تساؤل:

ازاء كل ما ذكرته، نجد أنه لا يبد من الإجابة على تساؤل قد يطراً في بل الكثيرين، وهو:

مع وجود هذه الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة والعقل والإجماع وسيرة المسلمين سلفاً وخلفاً وعلماهم وعوامهم وهذه الدلائل المستفادة من بعض الفروع التي ذكرت والآداب التي إذا اطلع عليها من كان له أدنى معرفة بالدين وأقل نصيب من العقل والإنصاف يخضع لها برغبة واشتياق، كيف إذا كان عالماً بارعاً ومن أهل العقل والسداد.

فما الذي أوقع المانعين في هذه الشذوذات التي لم ينتفع منها إلا الاعداء، وهل يمكن أن تكون مخالفة هذه الجماعة بدون دليل وبرهان؟!

الجواب: أن مخالفتهم ارتكزت على ثلاثة أمور:

١ - جهلهم الفاحش أو حقدهم وعداوتهم الكامنة لساحة النبي ﷺ ولآله الأطهار.

٢ - وجود روايات بعيدة عن المقام، بل دلالتها تؤيد المرام مثل قوله ﷺ: «لا تشد الرحال...» وقوله ﷺ: «لا تجملوا قبوري عيداً...»

٣ - وجود بعض الاشتباهات والخرافات من بعض العوام الخالين من الأغراض.

الكلام في حديث «لا تشد الرحال»

فقد استدل الخصم على عقيدته الباطلة بهذا الحديث وهو على فرض صحته ووثاقه سنه، لا ربط له بزيارة خير الأنام ﷺ، فإنه في مقام بيان أفضلية بعض المساجد على غيرها، وهذا الاستدلال دليل على غباوته وعدم معرفته بأدنى علوم العربية وأصول علم الحديث، أو أنه مع علمه بعدم الدلالة اضطر إلى التمسك به لفقدان الدليل، وبهذا النحو أراد أن يغوي جهال المسلمين.

أما متن الحديث فقد روي على ثلاثة أنحاء:

١- رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى».

ورواه مسلم في الحج والصلاة، إلا أنه قال بدل (مسجد الرسول) مسجدي هذا.

٢- ورواه مسلم في الحج والصلاة أيضاً بنحو آخر، وهي رواية معمر عن الزهري، عن أبي هريرة: «تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد»، من غير حصر.

٣- ورواه مسلم بنحو ثالث في الحج والصلاة: «إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة ومسجدي ومسجد إيليا»، وورد بالفاظ آخر أيضاً قد ذكرت أشهرها، والأشهر منها هو النحو الأول الذي فيه «مسجدي هذا»^(١).

فقد استدل بهذا الحديث ابن تيمية وأتباعه على حرمة شد الرحال.

(١) أوردها مسلم في صحيحه: ٤ باب الحج باب لا تشد الرحال، وذكرها أبو داود في

سننه: ١ كتاب الحج والنسائي في سننه المطبوع مع شرح السيوطي ٢: ٣٧ - ٣٨.

كلمة المانعين للزيارة

ففي الهدية السنية لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: تسن زيارة النبي ﷺ إلا أنه لا يشد الرحل إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه، وإذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس^(١).

ويقول عبد العزيز بن باز: ولو كان شد الرحال لقصد قبره ﷺ أو قبر غيره مشروعاً لدل الأمة عليه وأرشدهم إلى فضله، لأنه أنصح الناس وأعلمهم بالله وأشدهم له خشية، وقد بلغ البلاغ المبين، ودل أمته على كل خير، وحذرهم من كل شر، كيف وقد حذر من شد الرحل لغير المساجد الثلاثة، وقال: «لا تتخذوا قبوري عيداً ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم» والقول بشرعية شد الرحال لزيارة قبر الرسول ﷺ يفضي إلى اتخاذه عيداً، ووقوع المخذور الذي خافه النبي ﷺ من الغلو والإطراء، كما قد وقع الكثير من الناس في ذلك بسبب اعتقادهم شرعية شد الرحال لزيارة قبره ﷺ^(٢).

وقال قدوتهم ابن تيمية: وإن كان قصده بالسفر زيارة قبره ﷺ دون الصلاة في مسجده فهذه المسألة فيها خلاف، والصحيح أنها ليست واجبة باتفاق المسلمين، بل ليس فيها أمر في الكتاب ولا في السنة، وإنما الأمر الموجود في الكتاب والسنة بالصلاة عليه والتسليم، فصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، فالذي عليه الأئمة وأكثر العلماء: أن شد الرحل لزيارة قبره ﷺ غير مشروع ولا مأمور به، بل المشروع والمأمور به شد الرحال إلى الثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى، إذن التقرب إلى الله ﷻ بما ليس بطاعة

(١) الهدية السنية الرسالة الثانية من مجموع الرسائل.

(٢) الحج والعمرة والزيارة على ضوء الكتاب والسنة لعبد العزيز بن باز.

معصية، ولأنه نهى عن ذلك والنهي يقتضي التحريم.

وقد نص العلماء على أن من نذر السفر لزيارة قبر النبي لا يجب عليه الوفاء، لأن النذر إنما يجب الوفاء به إذا كان في طاعة، ونذر زيارة قبر النبي وغيره من الأنبياء والصلحين والأولياء معصية لذا لم يجب الوفاء بها.

وأيضاً نص بعض أهل العلم كابن عقيل وغيره على أن المسافر لزيارة قبور الأنبياء والصلحين لا يقصر الصلاة في هذا السفر، لأنه معصية لكونه معتقداً أنها طاعة وليس بطاعة والتقرب إلى الله ﷻ بما ليس بطاعة هو معصية^(١).

هذا وقد مشى سائر أتباعه على هذا المرام تقليداً للباطل.

الجواب:

والجواب عن هذه المقالة من وجوه؟

الأول: لاجلنا لنا للبحث هنا في صحة السند؛ لأننا لو سلمنا بصحته فإنه لا دلالة فيه على مرادهم، حيث إن المراد من هذا الحديث بين وواضح لمن له أدنى معرفة بالعلوم العربية وأصول الفقه وعلم الحديث، فإن المتبادر العرفي من مثل هذا الكلام الذي يذكر فيه كلمة المسجد هو: أنه لا فضيلة لشد الرحال لمسجد إلا المساجد الثلاثة.

الثاني: إن الحصر في هذه الأخبار إضافي لا حقيقي^(٢)، فإن جملة لا

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٧، ٢٨، ٢٩، نقلاً عن كتاب تنبيه زائر المدينة لصالح السدلان: ٣٤.

(٢) إن الحصر الحقيقي والإضافي اصطلاحان في علوم العربية والأصول، والمراد منها: أن الحكم إذا كان منحصراً بموضوع أو موضوعات متعددة قليلة فالحصر إضافي، مثلاً إذا قلنا أن الحكم الفلاني لم يقله من الفقهاء إلا فلان فقيه فهذا

تشد الرحال إلا إلى ثلاثة... جملة إستثنائية ويسمى الإستثناء مفرغاً حيث لم يذكر فيه المستثنى منه، وعليه فلا بد من تقديره، وأن يكون المقدر مناسباً مع المستثنى، والمناسب له لا يخرج عن اثنين، وهو إما أن يكون « المكان » أو « المساجد » فيصير: لا يشد الرحال إلى مكان إلا إلى ثلاثة، أو لا يشد الرحال إلى مسجد إلا إلى ثلاثة مساجد...

وأما تقدير كلمة القبر، بأن تكون الجملة لا تشد الرحال إلى قبر إلا إلى ثلاثة مساجد فواضح بطلانه عند كل من له ذوق سليم وقرأ شيئاً من العربية فضلاً عن العالين بها، لأنه لا مناسبة بينه وبين المستثنى أبداً، ودليل عدم تقديره أيضاً عدم خطوره ببال أحد من أهل العرف، بل الذي يحظر بالبال هو تقدير المسجد.

وأما المكان إذا أردنا تقديره فمعناه: لا يشد الرحال إلى أي مكان سواء كان للتجارة أو النزهة أو طلب العلم أو الجهاد أو زيارة العلماء والصلحاء أو التداوي أو غيرها إلا إلى المساجد الثلاثة، وهذا النوع من التحديد في السفر مخالف للضرورة الفقهية، للاتفاق على جواز السفر إلى أي مكان سواء كان للنزهة أو التجارة أو الزيارة أو الجهاد أو طلب العلم أو للصلاة في مسجد من المساجد غير الثلاثة أو غيرها، بل السفر في بعض الموارد مستحب وفي بعضها واجب كفائي أو عيني.

فلا شك في أن شد الرحال إلى عرفة والمشعر ومنى لقضاء المناسك واجب بإجماع المسلمين والحال أنه ليس من المساجد الثلاثة ولطلب العلم في أي مكان كان جائز، وقد يكون مستحباً أو واجباً كفاثياً أو عينياً، لقوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمته وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ

الحصر إضافي، وأما إذا قلنا لم يقله أحد من البشر إلا فلان فهو حصر حقيقي، والحصر في أحاديث لا تشد الرحال من قبيل الحصر الإضافي.

٤٠٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

كُلُّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ^(١).

وهكذا للجهاد ولزيارة الوالدين وبرهما وزيارة الأقارب والصالحين وزيارة الأنبياء والمرسلين سيما خاتم النبيين ﷺ وأهل بيته المعصومين، لما ورد من الروايات والدلائل المتقدمة، فإنه مستحب، وللتجارة والسياحة وسائر الأغراض فإنه مستحب.

فتحصل مما ذكرنا أنه لا يصح تقدير المكان، مضافاً إلى أنه لا يتبادر عند العرف، بل العرف لما يرى كلمة المساجد في المستثنى يفهم أن المستثنى منه هو المسجد، فحينئذ يتعين تقدير (المسجد).

فإن قلت: إن سائر الأسفار قد خرجت بالدليل ويبقى تحت النهي السفر للزيارة فقط.

قلنا: يلزم من هذا تخصيص الأكثر وهو مستهجن وغير جائز، كما ثبت في الأصول، هذا أولاً.

مضافاً إلى أنه إذا قلنا بالتخصيص فالسفر للزيارة أيضاً خارج من تحت النهي، لما ورد من الدليل الوافر على استحبابه، فلماذا تفرقون بين الزيارة وسائر الأغراض؟ وهل هذا إلا علامة العناد؟

ومن جهة أخرى إذا صار المقرر تقدير أحد اللفظين، فتقدير ما لم يلزمه تخصيص الأكثر المستهجن أولى.

وعليه فهذه الأحاديث الأجنبية عن زيارة النبي ﷺ وأهل بيته الكرام صلوات الله عليهم أجمعين والسفر إليها ولا تعم المشاهد المشرفة كما لا تعم سائر الأسفار، ولم يقل بعمومها للزيارة أحد.

وهذا نظير ما لو قال شخص خبير: لا تمض إلا إلى ثلاثة أطباء فلان وفلان وسامهم بأسمائهم، فلا يفهم منه في أي محاورة وأي لسان حرمة المضي إلى غير الأطباء من العلماء والصلحاء وأمثالهم، وهكذا لا تشد الرحال فإنه لا يفهم أحد منها حرمة سائر الأسفار التي منها سفر الزيارة.

ويؤيد ما أثبتناه أنه ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي سعيد أن النبي قال ﷺ: «لا تشد الرحال إلى مسجد إلا لثلاثة مساجد...» فهو تصريح بما ذكرناه من التقدير وبه أيضاً يرتفع الإشكال وينتهي المقال، وقد ذكر هذا الحديث سليمان بن عبد الوهاب النجدي في الهدية السنية^(١).

ويؤيده أيضاً الحديث الآخر لمسلم: «تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد...» بصيغة الإثبات، أي أن هذه المساجد الثلاثة تستحق وتستأهل شد الرحل إليها لعظم فضلها فهي جديرة بذلك، ومن شد الرحل إليها لا يكون تعباً ضائعاً أو فائدته قليلة، بل يحصل من الثواب ما يقابل العناء وزيلة.

ويؤيده ما أخرجه أحمد بن حنبل من طريق شهر بن حوشب، قال سمعت أبا سعيد، وذكرت عنده الصلاة والسلام في الطور فقال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي للمطي أن يشد رحاله إلى مسجد تبغني فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي».

وفي لفظ آخر: «لا ينبغي للمطي أن تشد رحالها إلى مسجد ينبغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا».

ويؤيده ما رواه البزار عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «أنا خاتم الأنبياء ومسجدي خاتم مساجد الأنبياء وأحق المساجد أن يزار وتشد

(١) الهدية السنية لسليمان النجدي: ١١٥ نقلاً عن البراهين الجلية: ١١٥ وقد روي

مثله في مسند أحمد بسند مرفوع حسن، ذكره القسطلاني في إرشاد الساري شرح

صحيح البخاري في شرح قوله لا تشد الرحال...

إليه الرواحل: المسجد الحرام ومسجدي، صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد، إلا المسجد الحرام^(١).

٣ - وعلى فرض دلالتها على منع السفر للزيارة فهي معارضة بتلك الروايات الكثيرة المتعاضدة المتقدمة وعند التعارض تقدم الروايات المؤكدة على السفر إلى الزيارة بعد الحج وقبله المؤيدة بالكتاب وبحكم العقل والإجماع وسيرة المسلمين وإعراض المسلمين عن مثل لا تشد الرحال لاستمرار سيرتهم على شد الرحال من الأماكن البعيدة إلى زيارة قبر النبي ﷺ بعد وفاته.

فحينئذ لا يبقى أي مانع من السفر إلى زيارة النبي ﷺ بعد وفاته كما كان حين حياته.

وينبغي التنبيه إلى أن النبي ﷺ ليس مراده من لا تشد الرحال أن تشد الرحال إلى سائر المساجد حرام، بل مراده ﷺ أن سائر المساجد غير هذه الثلاثة ليست بتلك المرتبة من الفضيلة بحيث تستحق أن يشد الرحال إليها ويتحمل الإنسان مشقات السفر وصرف الأموال للسفر إليها، فإن المساجد تختلف رتبها من حيث الفضيلة مع المساجد الثلاثة، حيث إن لكل مسجد في العالم فضيلة تختلف عن الآخر فإن الصلاة في المسجد الجامع أكثر فضيلة من الصلاة في مسجد الحبل وهكذا فإن مسجد الكوفة أكثر فضيلة من كثير من المساجد، والمساجد الثلاثة أكثر فضيلة من سائر المساجد.

فتحصل أن المساجد التي ينبغي ويستحب شد الرحال إليها هي تلك المساجد الثلاثة، لا أن السفر إلى سائر المساجد حرام، والدليل على ذلك هو ما ورد في الأحاديث وقد ذكره أصحاب الصحاح مثل البخاري:

أن النبي ﷺ كان يأتي مسجد قبا كل سبت ماشياً وراكباً وأن ابن عمر كان يفعل كذلك والحال أنه لم يكن من المساجد الثلاثة، ولا يفرق في

السفر كونه بعيداً أو قريباً لعموم النهي لو كان صحيحاً ووارداً عنه.

وهكذا كان عمل الصحابة وسائر المسلمين بالنسبة إلى المساجد، ولم نر أحداً من أئمة المسلمين يفتي بحرمة السفر إلى مسجد من المساجد، وحتى الوهابية لم يصرحوا في كتبهم بهذا المطلب.

و بعد هذا البيان في معنى الحديث يثبت لك بوضوح أن تمام الهدف من الاستدلال والتشبيث بهذه الروايات: هو منع المسلمين من السفر لزيارة سيد المرسلين ﷺ وسائر المشاهد المشرفة.

ولا يبقى أي دليل لهذا المنع إلا وجود الضغائن الكامنة بالنسبة إلى مظاهر التوحيد، فقد ثبت عند أعداء الدين أن تلك المشاهد لو يتركوها بحالها ولم يمنعوا الناس عنها لأدت إلى انتشار كلمة التوحيد وعلو الإسلام وتقوية أركانه، وعندئذ تخيب آمالهم وتفشل مؤامراتهم في تخريب الدين وانحراف المسلمين والسيطرة عليهم، ولهذا تراهم قد حشدوا جميع قواهم بإهتمام تام من أجل تخريب تلك البيوت المرفوعة التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه.

وترى أنهم حاولوا في تنفيذ هذه الأهداف، ولولا خوفهم من صيحة المسلمين لخرّبوا قبر الرسول المصطفى ﷺ كما قد خربوا قبور عترته في البقيع، وخرّبوا الكعبة المعظمة كما أنهم قد سعوا في منع الناس من الحج.

هذا ولنا إشكال آخر عليهم وهو أنهم يقولون إذا قصد مع زيارة المسجد النبوي زيارة القبر المطهر فلا بأس به، فنقول لهم: إن هذا المطلب محقق عند قاطبة المسلمين لأن كل من يزور قبر النبي ﷺ يزور المسجد الشريف ويصلي فيه ومع أنه قبل زيارته للنبي يصلي ركعتين تحية المسجد، فإذا كان المنع مرتفعاً بهذا القصد وهو متحقق عادة عند الزائرين، فما هذا القيل والقال وكثرة الإصرار على المنع من شد الرحال، وإيذاء المسلمين عند

٤٠٤ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

تشرفهم في ذلك المقام والتعرض عليهم بالضرب والشتم وبكلمات شنيعة مثل عباد القبور والمشرك وأمثالها من ألفاظ التكفير التي لا تليق بشان أي مسلم فضلاً عن خدمة الحرمين الشريفين فإنهم أولى بالأدب والتقوى وحفظ حرمة المسلمين.

وأنت تعلم أن كبارهم قد حكموا وأفتوا بكفر المسلمين الزائرين والمعظمين للمشاهد المشرفة واستحلوا دمائهم ونواميسهم وأموالهم، فأين هذا من الدين ومن سنة خاتم النبيين الذي قد ورد عنه روايات كثيرة في حرمة من كفر المسلمين وتجاسر عليهم، وما سيواليك نبذة منها:

النهي عن تكفير المسلمين

قوله ﷺ: «كفوا عن أهل لا إله إلا الله لا تكفروهم بذنب فمن كفر أهل لا إله إلا الله فهو إلى الكفر أقرب».

وقوله ﷺ: «بني الإسلام على خصال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والإقرار بما جاء من عند الله والجهاد ماض منذ بعث رسله إلى آخر عصابة تكون من المسلمين فلا تكفروهم بذنب ولا تشهدوا عليهم بشرك».

وقوله ﷺ: «لا تكفروا أحداً من أهل القبلة بذنب وإن عملوا الكبائر».

وعن أبي ذر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يرمي رجل رجلاً بالفسق أو بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك».

وعن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «من قال لأخيه يا كافر فقد بهأ بهما أحدهما».

وعنه ﷺ: «ما شهد رجل على رجل بكفر إلا بهأ بهما أحدهما إن

كان كافراً فهو كما قال وإن لم يكن كافراً فقد كفر بتكفيره إياه^(١).

وما ورد من الروايات التي تنهى عن تكفير المسلم الذي أقر بالشهادتين، فضلاً عما كان يمارس الواجبات الدينية والعبادات الشرعية، كثيرة قد ذكرها علماء المذاهب، فراجع.

وأنت يا أخي المسلم لما تتأمل قي خصوصيات هذه الفرقة المنحرفة وجنباياتهم وعقائدهم الفاسدة في أصول الدين، والقرائن الواضحة في ارتباط شيخهم مع الأعداء واستخدامه في تنفيذ الأهداف والمطامع تتيقن بضلالتهم.

وترى أن هذه الروايات التي ذكرناها في حرمة تكفير المسلمين وهكذا تلك الروايات الواردة عن النبي ﷺ في ذم أهل نجد كلها تنطبق عليهم، وعند ذلك أراك تضرب شبهاتهم وتشكيكاتهم على الجدار.

ومن بعد الجواب عن استدلالهم بروايات شد الرجال نأتي إليك بأقوال الأعلام حول أحاديث شد الرجال، تأييداً لما قدمناه لك من الجواب.

كلمات الأعلام حول أحاديث شد الرجال

قال القسطلاني في إرشاد الساري في شرح قوله ﷺ: «لا تشد الرجال...»: أي إلى مسجد للصلاة فيه، ثم قال وقد بطل بما مر من التقدير المعتضد بمحدث أبي سعيد المروي في مسند أحمد بإسناد حسن مرفوع «لا ينبغي للمطي أن تشد رحاله إلا مسجد الحرام والأقصى ومسجدي هذا» قول ابن تيمية حيث منع من زيارة قبر النبي ﷺ وهو من أشنع المسائل المنقولة عنه.

(١) هذه الأحاديث قد وردت مفصلاً في جامع الأصول ١: ١٠ - ١١ وقد أوردها على

كثرتها أئمة المذاهب في الصحاح والمسانيد وسائر الكتب المعتمدة عندهم

ومن جملة ما استدل به على دفع ما ادعاه غيره - من الإجماع على مشروعية زيارة النبي ﷺ - ما نقل عن مالك أنه كره أن يقول زرت قبر النبي ﷺ، وأجاب عنه المحققون من أصحابه: أنه كره اللفظ أدباً لا أصل الزيارة، فإنها من أفضل الأعمال وأجل القرب الموصلة إلى ذي الجلال وأن مشروعيتها محل إجماع بلا نزاع.

ثم قال القسطلاني: فشد الرحال للزيارة ونحوها كطلب العلم ليس إلى المكان، بل إلى من فيه وقد التبس ذلك على بعضهم - كما قاله المحقق التقي السبكي - فزعم أن شد الرحال إلى الزيارة في غير الثلاثة داخل في المنع، وهو خطأ كما مر، لأن المستثنى إنما يكون من جنس المستثنى منه، كما إذا قلت ما رأيت إلا زيداً، أي ما رأيت رجلاً واحداً إلا زيداً، لا ما رأيت شيئاً أو حيواناً إلا زيداً^(١).

وقال في موضع آخر: الإستثناء مفرغ والتقدير لا تشد الرحال إلى موضع ولازمه منع السفر إلى كل موضع غيرها كزيارة صالح أو قريب أو صاحب أو طلب علم وتجارة أو نزهة، لأن المستثنى منه في المفرغ يقدر بأعم العام، لكن المراد بالعموم هنا الموضع المخصوص وهو المسجد^١. انتهى كلام القسطلاني.

كلام النووي

قال النووي في شرح صحيح مسلم: قوله: « لا تشد الرحال... » فيه عظيم فضيلة هذه المساجد الثلاثة ومزيتها على غيرها لكونها مساجد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وفضل الصلاة فيها....

(١) إرشاد الساري للقسطلاني ٢: ٣٢٩.

(٢) إرشاد الساري للقسطلاني ٢: ٣٣٣.

إلى أن قال: واختلف العلماء في شد الرحال وإعمال المطي إلى غير المساجد الثلاثة كالذهاب إلى قبور الصالحين وإلى المواضع الفاضلة ونحو ذلك، فقال الشيخ أبو محمد الجويني من أصحابنا: هو حرام، وهو الذي أشار القاضي عياض إلى اختياره، والصحيح عند أصحابنا وهو الذي اختاره إمام الحرمين والمحققون: أنه لا يجرم ولا يكره، قالوا: والمراد أن الفضيلة التامة إنما هي في شد الرحال إلى هذه الثلاثة خاصة^(١).

وقال النووي في موضع آخر: في هذا الحديث فضيلة هذه المساجد الثلاثة وفضيلة شد الرحال إليها، لأن معناه عند جمهور العلماء: لا فضيلة في شد الرحال إلى مسجد غيرها، وقال الشيخ محمد الجويني من أصحابنا: يجرم شد الرحال إلى غيرها، وهو غلط^(٢). انتهى كلام النووي.

كلام الفيروز آبادي

قال الفيروز آبادي في (الصلاة على خير البشر).

إن حديث «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد...» لا دلالة فيه على النهي عن الزيارة، بل هو حجة في ذلك، ومن جعله دليلاً على حرمة الزيارة فقد أعظم الجرأة على الله ورسوله، وفيه برهان قاطع على غباوة قائله، وقصوره عن نيل درجة كيفية الاستنباط، والاستدلال، والحديث فيه دليل على استحباب الزيارة من وجهين.

الأول: إن موضع قبره ﷺ أفضل بقاع الأرض وهو أفضل الخلق وأكرمهم على الله، لأنه لم يُقسم بحياة أحد غيره، وأخذ الميثاق من الأنبياء بالإيمان به وبنصره، كما قال تعالى في آل عمران: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ

(١) هامش إرشاد الساري ٦ : ٢٧.

(٢) هامش إرشاد الساري ٦ : ١١١.

النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٠٠﴾، شرفه بفضله على سائر المرسلين، وكرمه بأن ختم به النبيين، ورفع درجته في عليين، فإذا تقرر أنه أفضل المخلوقين، وأن تربته أفضل بقاع الأرض، إستحب شد الرحال إليه وإلى تربته بطريق أولى.

الثاني: أنه يستحب شد الرحال إلى مسجد المدينة، ولا يتصور من المؤمنين الخالصين إنفكاك قصده عنه ﷺ، وكيف يتصور أن المؤمن المعظم قدر النبي ﷺ يدخل مسجده ويشاهد حجرته، ويتحقق أنه يسمع كلامه، ثم بعد ذلك يسعه أن لا يقصد الحجرة والقبر ويسلم على رسول الله ﷺ، هذا ما لا يخفاء به عند أحد، وكذلك لو قصد زيارة قبره لم ينفك قصده عن المسجد.

ومن الدليل الأحاديث الكثيرة الصحيحة في فضل زيارة الإخوان في الله، فزيارة النبي ﷺ أولى فأولى.

ومنها: أن حرمة واجبة حياً وميتاً، ولا شك أن الهجرة إليه في حياته من أهم الأشياء فكذاك بعد موته.

ومنها: الأحاديث الدالة على استحباب زيارة القبور، وهذا في حق الرجال مجمع عليه، وفي حق النساء فيه خلاف، وهذا في غير قبر النبي ﷺ، وأما زيارة قبره ﷺ فالإجماع على استحبابها للرجال والنساء.

ومنها: الإجماع على جواز شد الرحال للتجارة وتحصيل المنافع الدنيوية، فهذا أولى، لأنه من أعظم المصالح الأخروية.

ومنها: إجماع الناس العملي على زيارته وشد الرحال إليه بعد الحج

من بعد وفاته ﷺ إلى زماننا هذا.

ومنها: الإجماع القولي على أن زيارة قبره ﷺ سنة من سنن المسلمين مجمع عليها.

ومنها: ما ذكره السمهودي في وفاء الوفا بأخبار المصطفى من شد الرحال إلى عرفة لقضاء النسك، وهو واجب بالإجماع، وكذا سفر الجهاد والهجرة من دار الكفر بشرطه، وغير ذلك^(١). إنتهى كلامه

أقول: الظاهر أنه أراد أن يستدل بقول السمهودي على أنه لو كان شد الرحال إلى غير المسجد الثلاثة منهي عنه فيشمل كل سفر حتى الأسفار الواجبة لأنه عام، ومنها السفر إلى عرفة والجهاد والهجرة من دار الكفر.

والحال أن تلك الموارد واجبة بالإجماع فظهر منه أن المراد هو شد الرحل إلى مسجد غير المساجد الثلاثة.

كلام ابن حجر

ويقول الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري عند قوله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»:

إن المستثنى منه محذوف، فإما أن يقدر عاماً فيصير: لا تشد الرحال إلى مكان في أي أمر كان، إلا لثلاثة، أو أخص من ذلك، ولا سبيل إلى الأول، لإفضائه إلى سد باب السفر للتجارة وصلة الرحم وطلب العلم وغيرها، فتعين الثاني.

والأولى أن يقدر ما هو أكثر مناسبة وهو: لا تشد الرحال إلى مسجد

(١) راجع السيرة النبوية لليومي مهرا ن ٣ : ١٢٣ .

٤١٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

للصلاة فيه، إلا إلى الثلاثة، فيبطل بذلك قول من منع شد الرحال إلى زيارة القبر الشريف وغيره من قبور الصالحين، والله أعلم^(١).

كلام السبكي

فقد تكلم السبكي في معنى الحديث مفصلاً ومن كلامه: وأما معناها فاعلم: أن هذا الاستثناء مفرغ، تقديره؛ لا تشد الرحال إلى مسجد إلا إلى المساجد الثلاثة، أو لا تشد الرحال إلى مكان إلا إلى المساجد الثلاثة. ولا بد من أحد هذين التقديرين ليكون المستثنى مندرجاً تحت المستثنى منه. والتقدير الأول؛ لأنه جنس قريب، ولما سببته من قلة التخصيص أو علمه على هذا التقدير.

وقال: ثم اعلم: أن السفر فيه أمران...^(٢) إلى آخر كلامه، فإنه قد فصل، فراجع إذا شئت.

كلام السمهودي

قال السمهودي: ويستدل بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ على مشروعية السفر للزيارة بشموله المحيي من قرب ومن بعد، وبعموم «من زار قبري...» وقوله ﷺ في الحديث الذي صححه ابن السكن «من جائي زائراً...»، وإذا ثبت أن الزيارة قريبة فالسفر إليها كذلك، وقد ثبت خروج النبي ﷺ من المدينة لزيارة قبور الشهداء، فإذا جاز الخروج للقريب جاز للبعيد، وقبره ﷺ أولى وقد انعقد الإجماع على ذلك، لإطباق السلف والخلف عليه.

(١) لاحظ السيرة النبوية للدكتور محمد بيومي مهران ٣: ١٢٦.

(٢) شفاء السقام: ٢٣٤ ط الرابعة.

وأما حديث: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» فمعناه لا تشدوا الرحال إلى مسجد إلا إلى المساجد الثلاثة، إذ شد الرحال إلى عرفة لقضاء النسك واجب بالإجماع وكذلك سفر الجهاد والهجرة من دار الكفر بشرطه، وغير ذلك، وأجمعوا على جواز شد الرحال للتجارة ومصالح الدنيا، وقد روى ابن شبة بسند حسن أن أبا سعيد - يعني الخدري - ذكر عنده الصلاة في الطور فقال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي للمطي أن تشد رحالها إلى مسجد ينبغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى»، فهذا الحديث صريح فيما ذكرناه.

على أن في شد الرحال، لما سوى هذه المساجد الثلاثة مذاهب نقل إمام الحرمين عن شيخه أنه أفتى بالمنع، قال: وربما كان يقول يكره، وربما كان يقول يحرم، وقال الشيخ أبو علي لا يكره ولا يحرم.

ثم قال: قال الماوردي من أصحابنا - يعني الشافعية - عند ذكر ما يلي أمر الحج: فإذا قضى الناس حجهم سار بهم على طريق مدينة رسول الله ﷺ رعاية لحرمة وقياماً بحقوق طاعته، وذلك وإن لم يكن من فروض الحج، فهو من مندوبات الشرع المستحبة وعبادات الحجيج المستحسنة.

وقال القاضي حسين: إذا فرغ من الحج فالسنة أن يأتي المدينة ويزور قبر النبي ﷺ.

وقال القاضي أبو الطيب: ويستحب أن يزور النبي ﷺ بعد أن يحج ويعتمر. وقال الحاملي في التجريد: ويستحب للحاج إذا فرغ من مكة أن يزور قبر النبي ﷺ، وقال أبو حنيفة: إذا قضى الحاج نسكه مر بالمدينة.

إلى أن قال: وفي كتاب تهذيب الطالب لعبد الحق، سئل الشيخ أبو محمد بن أبي زيد في رجل استؤجر بمال ليحج به وشرطوا عليه الزيارة فلم

يستطع أن يزور قال: يرد من الأجرة بقدر مسافة الزيارة^(١).

وفي موضع آخر ذكر السمهودي من سافر إلى زيارة النبي ﷺ مثل بلال وذكر قصته، وأن عمر بن عبد العزيز كان يبرد البريد من الشام لأن يسلم على النبي ﷺ، وأن عمر لما فتح الشام قال لكعب هل لك أن تسير معي إلى المدينة وتزور قبر النبي ﷺ وتمتع بزيارته؟ فقال: نعم، وأن عمر لما قدم المدينة كان أول ما بدأ بالمسجد وسلم على النبي^(٢).

وقال أيضاً: وأن الصحابة كانوا يقصدون زيارته ﷺ قبل وفاته ﷺ، بل روى أحمد بإسنادين أحدهما برجال الصحيح عن يعلي بن مرة من حديث قال فيه: ثم سرنا فنزلنا منزلاً فنام النبي ﷺ فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيتها ثم رجعت إلى مكانها، فلما استيقظ ذكرت له فقال: «هي شجرة استأذنت ربها ﷻ أن تسلم على رسول الله فأذن لها فإذا كان هذا حال شجرة فكيف بالمؤمن المأمور بتعظيم هذا النبي الكريم المتلي بالشوق إليه، وحديث حنين الجذع ذكر في محله^(٣). انتهى كلام السمهودي.

ومراده أنه لا فرق بين حياته ومماته لأنه حي يسمع من سلم عليه، وقد جعل هذا كله دليل على جواز شد الرحال وأنه لو كان منع لمنع الصحابة والتابعون منها.

كلام الغزالي

وقال الغزالي في إحياء العلوم: القسم الثاني: هو أن يسافر لأجل العبادة إما لحج أو جهاد... ويدخل في جملة زيارة قبور الأنبياء ﷺ وزيارة

(١) وفاء الوفا للسمهودي ٤: ١٣٦٤ - ١٣٧٠.

(٢) وفاء الوفا ٤: ١٣٥٦ - ١٣٥٧.

(٣) وفاء الوفا ٤: ١٦٦٩.

قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء، وكل من تبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته، ويجوز شد الرحال لهذا الغرض.

ولا يمنع من هذا قوله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا ومسجد الحرام ومسجد الأقصى»، لأن ذلك في المساجد، فإنها متمثلة في الفضيلة بعد هذه المساجد، وإلا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء والأولياء والعلماء في أصل الفضل.

وإن النهي عن شد الرحل إلى المساجد الأخرى لأجل أن فيه إتعاب النفس دون جدوى أو زيادة ثواب، لأنه في الثواب سواء، لأن العبادة في المسجد...^(١) انتهى كلامه ملخصاً.

عزيزي القارئ: ما قدمناه لك هو بعض كلمات الأعلام حول مسألة شد الرحال ليطمئن قلبك بما ذكرنا لك من الجواب عما استدل به لمنع زيارة النبي ﷺ وآله الأطياب.

وقد رأيت أن عمدة دليل الخصم على منع الزيارة بشد الرحال وتكذيب الأحاديث الكثيرة الواردة في الحث على الزيارة، تلك الأحاديث التي لا تدل على ما ادعاه، بل يستفاد منها بطلان ما رآه وتقوية ما رويناه من أحاديث الزيارة، لأن شد الرحال بقصد المسجد الشريف - على ما يقول - لا ينفك عن قصد حرمة الشريف.

وحينئذ لا يبقى له أي عذر وأي دليل على منع الزيارة لا مطلقاً ولا بشد الرحال، إلا بعض الوسوس الشيطانية والإلقاءات الأجنبية التي تطرحها أيدي الأعداء في البلدان الإسلامية لأجل إلقاء الشبهة والاختلاف في صفوف المسلمين، والحال أنها لا صحة لها ولا أساس.

(١) إحياء العلوم كتاب آداب السفر ٢: ٢٤٧ طبعة دار المعرفة - بيروت.

ذريعة أخرى للماتعين

وهي قولهم: إن شد الرحال لزيارة قبره ﷺ يفضي إلى اتخاذه عيداً، ووقوع المحذور الذي خافه النبي ﷺ من الغلو والإطراء، وتشبثوا هذه المرة بقول النبي ﷺ: «لا تتخذوا قبوري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا علي فإن صلاتكم تبليغي حيث كنتم»^(١).

والجواب: أن هذه الكلمات كلها لا صحة لها، وأنها ناشئة عن حسدهم وحقدهم لساحة النبي الأعظم وأهل بيته وأصحابه، وأنتك يا عزيزي القارئ بوسعك أن تفحص وتحقق، من بعد وفاة النبي ﷺ إلى زماننا هذا هل ترى أحداً من المسلمين علمائهم وعوامهم قد وقع في هذا المحذور الذي صنعته أنفسهم الحاسدة؟ وهل ترى له من أثر في جميع المشاهد المشرفة؟

بل إنك ترى عكسه حتماً وقطعاً، فإن هؤلاء المسلمين الذين تشرفوا بزيارة من دفن في تلك المشاهد وتذكروا حياتهم وحالاتهم وعبادتهم وكلماتهم يحصل عندهم، التوجه إلى الله والانقطاع إليه، وتحصل عندهم حالة التوبة والإنابة إلى الله ويتقوى في قلوبهم وأفكارهم توحيد الله وعبادته وترك معصيته وجميع ما يبعدهم عنه تعالى.

ولذا ترى هؤلاء الزائرين عندما يرجعون إلى أوطانهم قد تغيرت حالاتهم السابقة وتحسنت أحوالهم وكثرت عباداتهم وطاقاتهم وتقيدهم بالنسبة إلى صلاتهم وفرائضهم وتراهم قد ابتعدوا عما كانوا عليه من المعاصي قبل زيارتهم، وليس هذا كله إلا بسبب زيارتهم لمظاهر التوحيد وأركان الهدى وأعلام التقى، وهذا أثر من آثار الزيارة لا كلها.

(١) المصنف لابن أبي شيبة ٣: ٢٥٥ ط دار الفكر، عون المعبود شرح سنن أبي

فلو فرض أن لم يكن للزيارة إلا هذا الأثر المهم، لكان المفروض على جميع علماء المسلمين وكل من فيه روح إسلامية وتوحيدية ترغيب الناس وتشويقهم لهذا الأمر العظيم لما فيه من الأثر الكبير والفوز العظيم بالقرب من الرب الرحيم.

فإنما لما نلاحظ جهود الأنبياء والمرسلين سيما من هو رحمة للعالمين وصاحب الخلق العظيم وهكذا أهل بيته المكرمين وأصحابه ومن سار بسيرتهم من علماء المسلمين.

نرى أن كلها كانت من أجل الوصول إلى هذا الأثر العظيم وهو قد حصل بسبب زيارتهم للرسول الأمين وعترته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، وما أحسن من هذا الطريق وأقربه للوصول إلى التوحيد الواقعي وعبادة رب العالمين؟.

فإن المانعين لو كانوا صادقين في مقالتهم وكان دافعهم مسألة التوحيد، فلماذا ينعون الناس عن زيارة رسول الله ﷺ والصلحين من عترته وأصحابه، ويسعون في إيذائهم ويستحلون دمائهم وأموالهم وينسبوهم إلى الشرك والكفر؟

وما الفرق بين الزائرين المجاورين والمسافرين إذا كان في زيارتهم الوقوع في هذا الخذور، حيث إن محذور الغلو والإطراء يتحقق للمجاورين أيضاً وأنهم ليسوا مصونين من هذه الجهة على فرض كلامهم.

فهذه التفرقة وهذه الأعذار كلها لأجل إغواء الجهال وإغفالهم من أن يلتفتوا إلى سوء سريرتهم ومخالفتهم في أصل الزيارة لو تمكنوا منها.

فمن هذه الأمور يثبت لك ما نقول من عداوتهم لصاحب هذا الدين المبين وعدم اعتقادهم بما أتى به، وما يجري على ألسنتهم من الكلمات المدلسة كلها كلمات حق يراد بها باطل، وكلها في سبيل تنفيذ أهداف أعداء الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الكلام في حديث «لا تتخذوا قبوري عيداً»

فقد بينا أن الخصم حين لم يبق له أي دليل على منع الزيارة بالأخص بشد الرحل إليها تثبت بشبهة الخوف من الإطراء والشرك بسبب الزيارة، كما قد وقع اليهود والنصارى في هذا المحذور وأيد شبهته الفاسدة التي أجبنا عنها آنفاً بحديث نسب إليه ﷺ وهو قوله:

«لا تتخذوا قبوري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»

وذيلوه بكلامه ﷺ: «لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(١)، وادعى بأن هذا المنع كله محافظة على التوحيد، وأن أصول الشرك بالله إتخاذ القبور مساجد.

وقد ورد هذا الحديث بألفاظ مختلفة منها:

«لاتتخذوا بيوتي عيداً ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم، ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء».

وفي بعضها: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا...»^(٢).

فنقول وبالله نستعين ومع صرف النظر عن البحث في اعتبار الحديث سنداً:

أولاً: لا يذهب عن خاطرنا ما قلنا كراراً من أن ابن تيمية وأتباعه

(١) المصنف لابن أبي شيبة ٣: ٢٢٥ ط دار الفكر، عون المعبود شرح سنن أبي

داود للعظيم آبادي ٦: ٢٤ ط دار الكتب العلمية.

(٢) مسند أحمد ١: ٢١٨، ٢: ٣٦٦ ط دار الصادر - بيروت.

مخالفون لأصل الزيارة، وهذه الشبهة أحد الشواهد على ذلك فإنها عامة لا تختص بالسفر.

وثانياً: إن هذه الشبهة أيضاً مثل سائر شبهاته وكلماته الخاوية التي لا تصدر إلا عن معاند بليد قد ألقى نفسه في البحر لا يعرف السباحة ولأجل النجاة يتشبث بكل طحلب، فإن هذه الروايات أيضاً غير ناظرة إلى الزيارة وبعيدة عنها، فإن المراد منها على نظر الخصم النهي عن اتخاذ القبور مساجد، فأى ربط لها بزيارة القبور.

لأن جميع المسلمين أعم من الإمامية والسنة، لا يتخذ أحد منهم قبره الشريف مسجداً ولا يصلي عليه ولا يجعلونه قبلة، بل كلهم يزورونه ويدعون الله عنده مع الأدب والخشوع والخضوع لله، ويطلبون منه الدعاء والاستغفار والشفاعة، لعلمهم بأنه حي عند ربه يسمعهم ويحييهم كما قد ثبت بالدليل، وقد أعطاه الله ذلك المقام العظيم وهو مقام الشفاعة والإستغفار للامة وقد حث الناس على الحجى عنده وزيارته وطلب الشفاعة والإستغفار منه ووعدهم بالإجابة والتوبة والمغفرة كما في الآية الشريفة ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا...﴾.

وأين هذا من الشرك واتخاذ القبر وثناً ومسجداً، والحال أنه بأمر الله سبحانه، ويقصد إطاعته والتقرب إليه؟.

والعجب من كثرة جسارته على المسلمين حيث يقيسهم باليهود والنصارى الذين اتخذوا القبور مساجد، وتمسك بهذا الحديث لتكفير المسلمين ومنعهم من الزيارة بدعاء المحافظة على التوحيد.

والأعجب من ذلك أنه أراد أن يقوي فكرته وإغواء الجهال بقوله: فهم دفنوه في حجرة عائشة خلاف ما اعتادوه من الدفن في الصحاري، لئلا يصلي أحد عند قبره ويتخذ مسجداً، فيتخذ قبره وثناً.

وهذا الكلام أيضاً من التدليس الناشي عن سوء الفهم، حيث إنه غفل عن الحديث الشريف عنه ﷺ «إن الأنبياء ﷺ يدفنون حيث يقبضون»^(١) فقد دفن ﷺ في الحجرة الشريفة لوصيته وعملاً بالحديث الشريف.

وأما قوله: وكانت الصحابة والتابعون لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد لا تدخل للصلاة هناك ولا يتمتع بالقبر، ولا دعاء هناك.

فهو دليل عليه لا له، حيث إنه ادعى عدم زيارة السلف من الأصحاب والتابعون لقبره الشريف، وكلامه هذا يدل على أنهم كانوا يزورون النبي ﷺ ولكن بإدعائه بدون هذه الأفعال إلا الدعاء، ولو أن هذا الإدعاء أيضاً مردود عليه، لما تقدم منا من أن الصحابة والتابعين كانوا يزورون قبر النبي ﷺ.

منهم: أبو أيوب الأنصاري، فقد زار والتزم القبر وقبله، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وهكذا بلال الحبشي لما شد رحله لزيارة قبره ﷺ ولما وصل إليه جعل يمرغ وجهه على القبر ويكي وغيرهم من الذين تقدم ذكرهم خلال البحوث الماضية، والأهم من الكل أن ابنته الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء ﷺ كانت تأتي عنده وتقبل قبره وتبكي وتقول:

ماذا على من شم تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليها
صبت علي مصائب لوأنها صبت على الأيام صرن لياليا

وأما سائر كلماته في هذا المقام، فهي مثل ما تقدم منها في السخافة والبطلان، فلا نطيل الكلام بذكرها جميعاً.

والحاصل: أن ادعائه بأن الزيارة تؤدي إلى الشرك والوثنية، خيال فاسد، لأن المخذور بادعائهم هو اتخاذ القبور مساجد وعيداً ووضع تصوير

(١) المواهب اللدنية ٣: ٣٩٩، وتجدد في كثير من كتب القوم أيضاً.

الموتى عليها وهو المؤدى إلى الشرك عند تطاول الزمان وهو ممنوع كما ورد عنه ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(١) فحذر ﷺ عما صنعوا، كما هو مستفاد من قوله ﷺ لما أخبر بكنيسة بأرض الحبشة فيها تصاوير قال: «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصورة، أولئك شرار الخلق عند الله ﷻ يوم القيامة»^(٢).

فهذا هو النبي حذر منه، لا الزيارة والسلام على الميت والدعاء له وعنده، فإنه لا يؤدي إلى ذلك قطعاً، كما ترى أنه لا يوجد أحد من المسلمين وقع في هذا المخذور، بل ما تراه وتشاهده فهو العكس، والحمد لله.

وأزيدك جواباً: أنه لو كان الحضور عند القبر مؤدياً إلى الشرك لما شرعه الله ولا رسوله الذي ورد عنه أحاديث كثيرة في الحث على زيارة القبور وزيارة قبره وأهل بيته خاصة، وأوضح من ذلك فعله ﷺ حيث خرج بأمر الله تعالى إلى البقيع الغرقد وإلى قبور الشهداء، وفعل أصحابه أيضاً حيث كانوا يزورون قبره وسائر القبور.

فلو كان فيه المخذور لنهى الله نبيه وأطلعه على غيبه، ولنهى النبي أمته ﷺ لأنه أرفأ بهم من غيره، وأن الله جعله رحمة للعالمين وبعثه لأن يستنقذهم من الضلالة وظلمة الجهالة، فمن المستحيل أن يكون في زيارته هذا المخذور العظيم ولم يبينه لهم ولم يصرح به.

وإن قلت: إنه قد بين ونهى بسبب هذه الأحاديث.

قلنا: إنها لا دلالة لها على النهي عن الزيارة، ولما كان المخذور أمر

(١) صحيح البخاري ١: ١١٠ ط دار الفكر بيروت، مسند أحمد ١: ٢١٨ و٢:

٣٦٦ ط دار الصادر - بيروت.

(٢) صحيح البخاري ١: ١١٠ - ١١١.

هام جداً فلا بد من التصريح حتى لا يخفى على أحد.

مضافاً إلى أن الخصم قد استدلل لمدعاه بمنع الزيارة في دعائه ﷺ حيث قال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً وعيداً» فإذا كان النبي ﷺ قد دعا بهذا الدعاء وأنت تعلم بأن دعاء النبي ﷺ مستجاب وليس فيه شك ولا ارتياب فمن أي شيء تخاف وترتاب؟ فمع هذا الدعاء، كيف يُتخيل فضلاً عن أن يُعتقد بأن قبره الشريف يصير وثناً يعبد حتى في تطاول الزمان؟.

فلا بد أن يحصل الإطمئنان واليقين عند كل المسلمين بأن قبره لن يعبد وأن المسلمين لا يقعون في هذا المحذور أبداً، وإذا حصل الاطمئنان من هذه الجهة يلزم على جميع المسلمين الحث والترغيب والسعي في زيارته أكثر فأكثر لا المنع عنها، لما فيه من تقوية جانب التوحيد ونشره ورسوخه في قلوب جميع الناس حتى غير المسلمين، وفي الحقيقة أن خوف الخصم من هذا الأمر العظيم لا من الوثنية، ولكن لعدم جرأته بالتصريح تراه قد اعتل بعلل واهية لأجل إغواء الأفكار الخالية.

سائر الاحتمالات في الحديث

وأما سائر الاحتمالات، فهي مضافاً إلى عدم دلالتها على المنع، تدل على الحث على الزيارة وأن لا تُهمل.

قال الحافظ زكي الدين المنذري: يحتمل أن يكون المراد به الحث على كثرة زيارة قبره ﷺ وأن لا يهمل بحيث لا يزار إلا في بعض الأوقات كالعيد الذي لا يأتي في العام إلا مرتين ويؤيده قوله: «ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً» أي لا تركوا الصلاة فيها حتى تجعلوها كالقبور التي لا يُصل فيها^(١).

وقال السبكي: ويحتمل أن يكون المراد: لا تتخذوا له وقتاً مخصوصاً

(١) أورده السمهودي في وفاء الوفا، والسبكي في شفاء السقام: ١١٧.

لا تكون الزيارة إلا فيه، ويحتمل أيضاً أن يراد لا تتخذوه كالعيد في العكوف عليه وإظهار الزينة والاجتماع وغير ذلك مما يعمل في الأعياد، بل لا يأتي إلا للزيارة والسلام والدعاء، ثم ينصرف عنه^(١).

وقال محقق شفاء السقام في الهامش: إن المحفوظ من بعض النصوص قوله ﷺ: «لا تجعلوا بيتي عيداً» والظاهر أن من رواه بلفظ «قبري» إنما حرفة والقرينة على ذلك لفظ بيوتكم في ما ورد بلفظ قبري، وعلى هذا فالمراد منعهم من مراودة بيته ﷺ والجلوس فيه، للسهر والسمر، وهو أذية للرسول ومزاحمة لحياته، ولمن يريد الاستفادة من علمه، كما ورد في القرآن الكريم في سورة الأحزاب آية: ٥١: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاءً وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَخِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَخِي مِنَ الْحَقِّ﴾. ثم قال وللتفصيل محل آخر فراجع رسالتنا حول الزيارة^(٢).

أقول: ويؤيد ما ذكره من النص أنه قد أورده صالح السدلان في تنبيه زائر المدينة بهذا اللفظ أي «لا تتخذوا بيتي عيداً»^(٣).

وقال المجلسي: هذا الخبر رواه في الفردوس الأعلى وغيره من كتب

(١) شفاء السقام: ١٧٧ - ١٧٨.

(٢) لم يكتب إسمه في شفاء السقام إلا أنني حسب ما رأيت في كتاب آخر هو السيد محمد رضا الحسيني الجلالى، وقد أورد هذه التعليقة في هامش شفاء السقام: ١٨٨.

(٣) راجع كتاب تنبيه زائر المدينة: ٣٣ وهو من الكتب التي كتبت للمنع من الزيارة ونشرت في موسم الحج مجاناً لتشويش أذهان المسلمين وقد تقدم ذكره في أول الكتاب.

العامّة عن عليّ عليه السلام، وقال الطيب في شرح المشكاة في قوله ﷺ: «لا تتخذوا قبوري عيداً»، أي لا تجعلوا زيارة قبوري مظهر عيد، أي لا تجعلوا زيارتي كاجتماعكم للعيد، فإنه يوم هو وسرور وحال الزيارة بخلافه، وكان دأب أهل الكتاب، فأورثهم القسوة، ومنهج عبدة الأوثان حتى عبدوا الأموات.

أو إسم من الإعتياد من عادته واعتاده إذا صار عادة له، واعتياده يؤدي إلى سوء الأدب وارتفاع الحشمة، ويؤيده قوله ﷺ: «فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»، أي لا تتكلفوا المعاودة إليّ فقد استغنيتم عنه بالصلاة عليّ^(١).

وبعد اطلعك على معنى الحديث، فاعلم أنه على هذا المعنى يحمل ما نسب إلى أهل البيت مع الإغضاض عن صحته.

فقد روى عبد الرزاق في مصنفه بسنده إلى الحسن بن الحسن بن عليّ عليه السلام: «أنه رأى قوماً عند القبر فنهامهم وقال: إن النبي ﷺ قال: «لا تتخذوا قبوري عيداً، ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ حيث ما كنتم فإن صلاتكم تبلغني»^(٢).

ويؤيد ما ذكرنا من المعنى ما قد رواه القاضي إسماعيل بسنده إلى عليّ بن الحسين بن عليّ: «أن رجلاً كان يأتي كل غداة، فيزور قبر النبي ﷺ ويصلي عليه، ويصنع من ذلك ما انتهره عليه عليّ بن الحسين، فقال له عليّ بن الحسين ما يملكك على هذا؟ قال أحب التسليم على النبي ﷺ».

(١) راجع مصابيح الأنوار للسيد الشير: ١٩١، أقول وقد ظهر جواب ابن تيمية في استفادته المنع من قوله: «وصلوا عليّ حيث ما كنتم» حيث أنه ﷺ أراد التسهيل ورفع التكلف في المعاودة إلى زيارته دائماً لا المنع من الزيارة فإن في الحضور فضلاً لا يحصل في البعد.

(٢) المصنف لعبد الرزاق: ٥٧٧ ج ٣ ح ٦٧٢٧ وراجع شفاء السقام: ١٧٥.

فقال له علي بن الحسين عليه السلام: هل لك أن أحدثك حديثاً عن أبي؟ قال: نعم.

فقال له علي بن الحسين عليه السلام: أخبرني أبي عن جدي أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا قبوري عيداً، ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي وسلموا حيث ما كنتم، فسيلغني سلامكم وصلاتكم»^(١).

وفي بعضها إنه عليه السلام رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فقل: ألا أحدثك بحديث سمعته من أبي عن جدي رسول الله ﷺ قل: «لا تتخذوا قبوري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا علي فإن صلواتكم تبلغني حيثما كنتم»^(٢).

وقال السبكي في ذيل هذا الحديث: وهذا الأثر يبين لنا أن ذلك الرجل زاد في الحد، وخرج عن الأمر المسنون، فيكون كلام علي بن الحسين موافقاً لما تقدم عن مالك، وليس إنكاراً لأصل الزيارة، أو يكون أراد تعليمه: أن السلام يبلغ من الغيبة، لما رآه يتكلف الإكثار من الحضور^(٣).

وأنت أيها القارئ المحترم عند مطالعتك لمعنى الحديث وبعد الإغضاء عن سنده، سواء اتخذت المعنى الذي تمسك به الخصم أو سائر المعاني التي ذكرها أكابر العلماء وإن كان الحق هو ما ذكره العلماء وبعد هذه المقدمات وذكر الإحتمالات، فهل ترى فيه منعاً للزيارة؟

خصوصاً مع ذكر الروايات المنسوبة لأهل البيت والقرائن الموجودة

(١) فضل الصلاة على النبي للقاضي إسماعيل: ٣٣ وراجع شفاء السقام: ١٧٥. وقد تقدم ذكر هذه الأحاديث وبعض الكلام حولها في دليل السيرة أيضاً.

(٢) المصنف لابن أبي شيبه الكوفي ٢: ٢٦٨ ط دار الفكر، مجمع الزوائد للهيثمي ٣: ٤.

(٣) راجع شفاء السقام: ١٧٦.

فيها، مثل قوله: - رأى قوماً عند القبر - فإن الظاهر منه أنه رأيهم مجتمعين كاجتماعهم في العيد وإن الأمور التي تقع من الناس في تلك الأوقات لا تناسب أدب الحضور وتوجب إيذاء الرسول ﷺ كما تقدم، أو إنه رأيهم عاكفين عند القبر في حلقة الذكر كحلقات الصوفية التاركين لشؤوناتهم الاجتماعية والخارجين عن النظام والاعتدال، فنهاهم وعلمهم الطريقة الصحيحة، بدليل قوله: «صلوا علي وسلموا حيث ما كنتم» وقوله: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً» لأن البيت الذي لم يذكر الله فيه ولم يصل فيه يصير كالقبر الموحشة.

فالطلب هو الزيارة وإتيان آدابها المسنونة والإنصراف لا العكوف، لأن البقاء عند القبر الشريف يوجب إما إيذاء المزور، وإما مزاحمة الآخرين، وإما بروز حالة الملل وعدم التوجه الناشئ من الإعتياد وكثرة البقاء، وكلها غير مطلوبة، وقد ورد في آداب الزيارة الإنصراف عند الفراغ من الزيارة والسلام والدعاء - زر وانصرف - .

ثم ألا ترى فيه تأييداً وترغيباً على الزيارة خصوصاً إذا أخذت بما قاله العلماء؟

هذا السؤال، وأنت يجب أن تحيب عليه، فإنك إن كنت خالياً من التعصب وطالباً للحقيقة بعد هذا التحقيق الذي عرضته عليك، ما أراك تقع فيما وقع فيه المانعون من الإنحراف، وقد رأيت أن هذا الحديث هو آخر ما تشبث به الخصم في المنع من الزيارة، بل تراهم أتعبوا أنفسهم وأوقعوها في التناقض والتدليس وإخفاء الحقائق ومخالفة المسلمين.

وكل هذا من جهة حقدهم وعداوتهم لساحة النبي وآله صلوات الله عليهم أجمعين.

واعلم: أن لهم كلمات في أمور أخرى قد هجموا بها على المسلمين وبالأخص شيعة أمير المؤمنين ﷺ ونسبواهم إلى الشرك والضلال والغلو،

لأجل تلك الأمور، وأنت لو تأملت في كلماتهم واعتراضاتهم، وتباعدت عن التمايلات الطائفية والحالات النفسانية، لرأيتهما بأجمعها ناشئة عن ضعيفتهن الكامنة بالنسبة إلى أصحاب تلك المراقد العامرة، وليس لها توجيه منطقي ودليل شرعي.

وحيث إنها ترتبط بالمزارات وزوارها تتعرض لها ولجوابها، حتى لا يغتر بها عوام الناس أو الذين لا يرون إلا ظاهر الحياة الدنيا وغفلوا عن الحقائق الإلهية والأمور الباطنية.

التبرك بأثار

النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام

والأولياء

التبرك بآثار

النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام والأولياء

لطالب الحقيقة أن يقول: لقد اقتنعنا بأدلة مشروعية الزيارة والأجوبة التي وردت في إبطال كلام المخالف فيها، وثبت لنا فضلها والحث عليها وزال الشك فيها لكن السؤال الذي بقي عندنا هو:

ما الدليل على مشروعية التبرك بآثار النبي وآله صلوات الله عليهم أجمعين وسائر الأنبياء والأولياء، من قبيل لمس وتقبيل قبورهم وعتبات مشاهدهم وأضرحتهم وحيطانهم وكل ما يتعلق بهم، وما الدليل على تعظيمها، والطواف بها والنذر لها وتقديم القرابين إليها، وما الدليل على الإستشفاء بهم وبآثارهم وطلب البركة والحاجة منهم؟

واليس هذا من الشرك بالله وتعظيم وعبادة غيره، وأنه فعل الجاهلية وعبدة الأصنام والأوثان الذين كانوا يتخذون ما لا ينفع ولا يضر، أرباباً من دون الله؟

الجواب: إن هذه المسألة من المسائل التي خالفت الوهابية فيها - تبعاً لقدوتها ابن تيمية - جماهير المسلمين سلفاً وخلفاً وهكذا الأمم الماضية الموحدة، حيث قامت سيرتهم على تعظيم كبرائهم خاصة أنبيائهم والتبرك بكل ما يرتبط بهم، حباً واشتياًقاً لهم وتكريماً وتعظيماً لأمرهم، لمكانتهم وقربهم من الله، ولأن تعظيمهم تعظيم الله، وأنه تعظيم شعائر الدين ﴿وَمَنْ يُعْظِمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، وهذا أمر راجح عقلي يحكم

٤٣٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

بحسنه كل ذي عقل سليم، ولم يدل دليل على تحريمه لا شرعاً ولا عقلاً، ولا يفرق العقل في الإحترام والتكريم بين من كان حياً منهم أو ميتاً، ولا يُعد ذلك عبادة لهم ولا لقبورهم، فإن القبر بنفسه لا خصوصية له وإنما اكتسب الإحترام والشفافة بسبب من اتصل به، ولو كان ذلك عبادة لكان تعظيم النبي ﷺ حياً وزيارته والتسليم عليه عبادة له وشركاً.

والدليل على أنه ليس بعبادة لهم، واضح، لأنه ليس كل تعظيم وخضوع للغير يُعدّ عبادة لغير الله، بل إذا كان يقصد عبادته، فإذا كان يقصد احترام وتكريم من كرمه الله وعظمه فهو تكريم وتعظيم له سبحانه لا شرك به، فليس كل خضوع واحترام وتبرك موجباً للشرك كما ادعاه المخالف.

حقيقة التبرك

ثم إن من وصف المتبركين بالنبي ﷺ وآله وآثاره والأولياء والصلحاء، بالشرك والضلال، كما هو حالهم في كل شيء وأمرهم يوافق طبعهم وأفكارهم ويقتصر عن إدراكه فهمهم، فينسبونه إلى البدعة والكفر والضلال، فهم لا يفهمون مفهوم التبرك وإلا لما تفوهوا بهذه الكلمات الشائعة.

فإن التبرك حقيقة، ليس إلا توصل إلى الله سبحانه وتعالى وتقرب إليه بذلك المتبرك به، سواء كان أثراً أو مكاناً أو شخصاً.

أما التبرك بالأعيان فلاجل إظهار الحب لصاحبها، والاعتقاد بأن لها فضلاً وقرباً من الله تعالى مع عجزها عن جلب أي خير أو دفع أي شرٍ إلا بأذن الله.

وأما التبرك بالأثار، فلنسبتها واتصالها بتلك الأعيان، فشرفها وكرامتها بسبب انتسابها وإلا فبذاتها ليس لها شرف وكرامة، ولا فرق بينها وبين سائر الأثار العادية، وأما الأمكنة فلا فضل لها أيضاً لذاتها، بل صارت مباركة

ومشرفة بسبب من حل فيها ولأجل انتسابها إليه ونزول الملائكة فيها كما جاء في بعض الاخبار، ولما يقع فيها من الطاعات والمبرات وأنواع العبادات التي توجب نزول الرحمة الإلهية وجلب نظره تعالى ونزول ملائكته وإحاطتهم بمن يحضر في تلك المشاهد ونزول البركة والمغفرة على زاورها.

فهاهي البركة التي تطلب من الله تعالى في تلك الأماكن، فأين هذا من الشرك؟

ونتيجة الكلام: أنه إذا طلبت البركة منها بما هي مؤثرة ومن غير إضافتها إلى الله، فهو الكفر والشرك وإلا فلا.

ونزيدك توضيحاً في المسألة: وهو أن هناك فرقاً بين القول بأن الله هو المؤثر المباشر في كل شيء والقول بأنه هو المؤثر الأصيل لكن من طريق جعل الأسباب، فالله تعالى هو المؤثر والمخرج للثمرات من الأشجار، لكن بسبب الماء، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾^(١).

فتبين أن الله سبحانه هو المؤثر التام والقيوم المطلق الذي يقوم به كل شيء ويؤثر في كل شيء، وغيره لا يوجد ولا يؤثر إلا بإرادته وإذنه وهذه هي حقيقة التوحيد وخالفية الله سبحانه.

واعلم: أنه كما جرت سنة الله على إيصال الفيض إلى الناس من طريق العلل الطبيعية غالباً، جرت أيضاً في بعض الموارد على إيصاله من غير العلل المعروفة، والدليل عليه هو المعجزات والكرامات الكثيرة التي لا تُنكر، وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض منها وهي:

قوله سبحانه: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ

فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ ﴿١﴾ حيث أجرى الله تعالى فيضه على قوم موسى وسقاهم من طريق غير عادي.

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِرِزْقِ مَنْ يَشَاءُ بَغِيرِ حِسَابٍ ﴿٣﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهَرَبِي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٣﴾.

وقوله سبحانه بعد ما بشرتها الملائكة بالمسيح: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤﴾.

فمن خلال هذه الآيات نشاهد بوضوح، ظهور فيضه تعالى على أوليائه عن الطرق غير العادية، وهي من قبيل الكرامات لا المعجزات^(٥)، لأن الكليم على نبينا وآله وعليه السلام لم يكن في مقام التحدي وهكذا مريم ﷺ، بل هذا فضل الله وكرامته ولطفه الخاص الذي يتفق في بعض الأوقات حينما تقتضي المصلحة.

والغرض من ذكر هذه الآيات: هو إثبات أن هناك عللاً وأسباباً

(١) البقرة: ٦٠.

(٢) آل عمران: ٣٧.

(٣) مريم: ٢٥.

(٤) آل عمران: ٤٧.

(٥) هذا بناءً على القول بأن المعجزة تكون في مقام التحدي والكرامة لم تكن كذلك، وإلا فلا فرق بينهما.

مؤثرة في الوجود لم تكن نعتاها ولم تكن مألوفة عندنا، وقد أثرت في أمور بإذن الله، فلا يحق لنا أن ننكر تلك الأمور الخارقة للعادة إذا وقعت في الخارج، فإن معناه إنكار جميع الأمور الخارقة التي قد وقعت طيلة الزمان بإذن الله وقدرته، معجزة كانت أو كرامة والتي قد أشار إلى بعضها القرآن الكريم.

والمتحتم علينا أن نرجع إلى أنفسنا ونعترف بأن عقولنا قاصرة عن أن تدرك جميع الأمور خاصة الأمور الخارقة للعادة منها، ونذعن أمام قدرة الله وإرادته فإنه ﴿إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون﴾، و﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾.

فهذه عصا موسى مع أنها خشبة قد ظهر منها ما ظهر بإذن الله وهذا خاتم سليمان كان سبب حكومته، وهذا قميص يوسف مع أنه كان من صوف قد ألقى على وجه يعقوب فارتد بصيراً بقدرة الله.

فإنك إن أردت أن تحلل هذه الأمور تحليلاً علمياً وعقلياً، لن تستطيع أن تكشف ربطاً علمياً ظاهراً بين الصوف وعود البصر أو بين الخشب وبروز تلك الأمور العجيبة وهكذا في سائر الأمور الخارقة، حتى إذا استخدمت لهذا الأمر الأجهزة المهمة الحديثة التي قد استخدمت في المراكز العلمية العالمية.

والسبب في ذلك أن هذه الأمور ليست عادية ولا مبتنية على الأمور الطبيعية الظاهرة.

فإذا ثبت لك هذا الأصل المهم في إرادته وتدبيره سبحانه وتعالى تنحل لك كثير من الأمور التي يقصر العقل والفكر عن دركها.

ومنها: مسألة التبرك بالأنبياء والأولياء وآثارهم، فإن المسلمين قد ابتنى عملهم في التبرك بهذا الأصل الأصيل ومن أجل هذه العقيدة

والإيمان الراسخ بقدرة الله تراهم يجدون شفاء مرضاهم وقضاء حوائجهم وحصول كثير من أمورهم بفضلهم وقدرته وأحسن شاهد على تحقق هذه الأمور وقوعها الخارجي الذي قد ثبت كثير منها في صفحة التاريخ وعجز عن إنكارها وتحليلها عبيد الدنيا وزخرفها.

هذا فيما إذا كان التبرك بالآثار بقصد الحوائج وحصول المقاصد.

لكن قد يكون التبرك بالآثار ناشئاً عن الحب والاشتياق والتكريم والتعظيم من غير النيات إلى قضاء الحوائج وحصول المقاصد، بل ناشئاً عن شدة الود والوله فمن أحب شيئاً أحب آثاره ومن عشق شيئاً عشق آثاره، فإذا قبل المحب آثار محبوبه لا يُلام عليه، لأنه إن لم يره فهو يرى آثاره ويشم رائحته ويتذكر خصوصياته من خلال آثاره فحينما يقبل آثاره ويتبرك بها، كأنما قبله وتبرك به، وهذا مجنون ليلى يبين حبه وشوقه بقوله:

أمر على الديار ديار ليلي أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

فالآثار من قبيل الأضرحة والحيطان وأمثالها ليست مقصودة بالذات.

بل بالعرض والإضافة، ودليله أنها لو قطعت عن الإضافة لما اعتنى بها أحد، فيرجع هذا التعظيم والتقبيل إلى تعظيمهم وتكريمهم وإحياء أمرهم وهو أمر راجح عقلاً، لأنه تعظيم من عظمه الله.

مضافاً إلى أنها من الأمور العاطفية الذاتية الموجودة في كل أفراد البشر وحتى في الحيوانات، فالأم تحنّ على ولدها وتقبل وجهه ويديه والأب هكذا، فإذا غاب أو مات عزيزهم تراهم يقبلون آثاره من قبيل صورته ولباسه ومكانه الذي كان يصلي أو ينام فيه ويكون عليه ويقبلون قبره أيضاً، وهذا كله من شدة حبههم وشوقهم له وتأسفهم على فراقه وهكذا الولد بالنسبة إلى والديه والأرحام بعضهم بعضاً والأصدقاء أيضاً،

فهل ترى في هذه الأمور العاطفية بين البشر شيئاً من العبادة لغير الله والشرك به، فلو كانت كذلك وأن الله لا يحب أن يشرك به ويُعبد غيره لما جعل في الإنسان هذه الأمور الذاتية حتى لا يقعوا في الشرك.

فقد ورد عن النبي ﷺ: «من قَبَلَ رجل أمه كأنما قَبَلَ عتبة الجنة»^(١).

وفي كفاية الشعبي وفتاوى الغرائب وخزانة الرواية ما هذا لفظه: لا بأس بتقبيل قبر الوالدين، لأن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني حلفت أن أُقبَلَ عتبة الجنة وجبهة حور العين، فأمره أن يقبل رجل أمه وجبهة أبيه، فقال: يا رسول الله لم يكن أبواي حيين، قال: «قَبَلَ قبرهما»، قال: فإن لم أعرف قبرهما، قال: «خط خطين إنو أحدهما قبر الأم والآخر قبر الأب فقبلهما ولا تحنث في عيئك»^(٢).

فلو كانت هذه الأمور من عبادة غير الله فلماذا أمر النبي ﷺ بها ولماذا كان يقبل ابنته فاطمة الزهراء ويشم صدرها ويقول: «إني أشم منها رائحة الجنة»، ويقبل ولديها الحسن والحسين ويجلسهما في حضنه^(٣).

وروي أن رسول الله ﷺ كان يوماً مع جماعة ماراً في بعض طرق المدينة وإذا هم بصبيان يلعبون، فجلس النبي ﷺ عند صبي منهم وجعل يقبَل ما بين عينيه... فقال بعض الاصحاب يارسول الله: قد شرفته بتقبيلك... قال: «فإني رأيت هذا الصبي يوماً يلعب مع الحسين ورأيتَه يرفع التراب من تحت قدميه ويمسح به وجهه وعينيه»^(٤).

(١) المبسوط للسرخسي ١٠: ١٤٩ نشر دار المعرفة، الدر المختار للحصكفي ٦:

(٢) حكاة السيد الامين في كشف الارتباب: ٣٥٠.

(٣) راجع كتب القوم، فإنها مملوءة من هذه الاحاديث وقد بلغت حد التواتر.

(٤) المنتخب للطريحي ١: ٢٠٢، البحار ٤٤: ٢٤٢.

فلاحظت أن النبي ﷺ قبل ذلك الصبي من أجل حبه لولده الحسين ﷺ وتبركه بتراب قدمه، وهذا الحديث مضافاً إلى جواز التقبيل فيه دلالة على جواز التبرك بتراب أقدام الائمة أو موضع دفنهم واحترام ذلك التراب، حيث إن النبي قبل ذلك الصبي وحنّ عليه لاجل ذلك العمل الجميل الذي رآه منه.

فتحصل مما ذكرنا: أنه ليس لنا دليل على المنع من هذه الامور، بل الدليل قائم على الرجحان.

وإذا شئت الاطلاع عليها فإليك نبذة منها.

أدلة التبرك

ولا بأس بأن نذكر أولاً ما كتبه بعض الأعلام حول تبرك الصحابة بآثار النبي ﷺ قال المحقق محمد طاهر بن عبد القادر في تبرك الصحابة: لا شك أن آثار رسول الله ﷺ صفوة النبيين أثبت وجوداً وأشهر ذكراً وأظهر بركة، فهي أولى بذلك - أي التبرك - وأحرى، وقد شهدها الجم الغفير من أصحابه وأجمعوا على التبرك بها والاهتمام في جمعها وهم الهداة المهديون والقادة الصالحون، فتبركوا بشعره وبفضل وضوئه، وبعرقه وثيابه، وآنيته وبمس جسده الشريف وبغير ذلك مما عرف من آثاره الشريفة التي صحت به الأخبار عن الأخيار.

فلا جرم كان التبرك بها سنة الصحابة واقتضى آثارهم في ذلك من نهج نهجهم من التابعين والصالحين، وقد وقع التبرك ببعض آثاره في عهده وأقره ولم ينكر عليه، فدل ذلك دلالة قاطعة على مشروعيته، ولو لم يكن مشروعاً لنهى عنه وحذر منه.

وكما تدل الأخبار الصحيحة وإجماع الصحابة على مشروعيته تدل

على قوة إيمان الصحابة وشدة محبتهم وموالاتهم ومتابعتهم للرسول
الأعظم ﷺ على حد قول الشاعر:

أمر على الديار ديار ليلي أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا^(١)

بل إن المسلمين لشدة علاقتهم بنبيهم سجلوا كثيراً من خصوصياته
الأخلاقية والأشياء التي تمت إليه بصلة.

فذكروا صفة قراءته في صلاته وحسن صوته وحسن خلقه وعشرته
وكيفية مشيه وأكله وشربه وسائر خصوصياته في حياته.

قال ابن هشام في سيرته:

إن قريش بعثت عروة بن مسعود الثقفي إلى رسول الله ﷺ فجلس
بين يديه وبعدما وقف على نية الرسول من خروجه إلى مكة رجع إلى قومه
وأخبرهم بما دار بينهم وبين الرسول ﷺ .

ثم قال: إن محمداً لا يتوضأ إلا وابتدر أصحابه بماء وضوئه ولا يسقط
من شعره شيع إلا وأخذوه.

ثم قال: يا معشر قريش لقد رأيت كسرى في ملكه وتيصر في ملكه،
والنجاشي في ملكه، والله ما رأيت ملكاً في قومه قط مثل محمد في
أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه بشيء أبداً فروا رأيكم، فإنه عرض
عليكم رشداً فاقبلوا ما عرض عليكم فإني لكم ناصح...^(٢)

(١) تبرك الصحابة للمحقق محمد طاهر بن عبد القادر من علماء مكة المكرمة: ٥ .

(٢) سيرة النبي ﷺ لابن هشام في صلح الحديبية، وقد أورده البخاري في صحيحه

بسند، السيرة الحلبية ٣: ١٨، مسند أحمد ٣: ٣٢٤ ط دار الكتب العلمية

بيروت، المصنف لابن عبد الرزاق ٥: ٣٣٦ .

نماذج التبرك بالنبي ﷺ في حياته

قد تبرك المسلمون بالنبي في تحنيك أطفالهم.

قال ابن حجر: كل مولود ولد في حياته رآه وذلك لتوفر دواعي إحضار الأنصار أولادهم عند النبي للتحنيك والتبرك، ونقل ذلك جم غفير من أعلام السنة والحديث والتاريخ، بل قيل: إنه لما أفتحت مكة جعل أهل مكة يأتون إليه بصبيانهم يمسخ على رؤوسهم ويدعو لهم بالبركة.

ثم روى عن عائشة: أن النبي كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم. وعن عبد الرحمن بن عوف: ما كان يولد لأحد مولود إلا أتى به النبي، فدعا له^(١).

وورد أن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب لما ولد أتى به أبوه إلى النبي وهو في الشعب فحنكه بريقه، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين^(٢).

وورد أيضاً أن إبراهيم بن أبي موسى الأشعري أتى به أبوه إلى رسول الله ﷺ فسماه (إبراهيم) وحنكه بتمرّة وكان أكبر ولده^(٣).

(١) الإصابة ١: ٥، والاستيعاب على هامش الإصابة ٣: ٦٣١، ومثله في صحيح مسلم ٣: ١٦٩١. وفي النهاية لابن أثير: فحنكه وبرك عليه: أي دعا له بالبركة، ١: ١٢٠ المكتبة العلمية - بيروت.

(٢) أسد الغابة ٣: ١٩٣، وذخائر العقبى: ٢٢٧، السيرة الحلبية ١: ٢٢٦، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٥.

(٣) صحيح البخاري ٨: ٥٤، وصحيح مسلم ٣: ١٦٩٠، والإصابة ١: ٩٦، مسند أحمد ٤: ٣٩٩، أسد الغابة ١: ٤٢، كنز العمال ١٥: ٢٣٩. ومن المعلوم أن تلك التمرّة كان قد برّكها رسول الله ﷺ ثم حنكه بها، كما يستفاد من روايت أخر.

وقد تقدم منا ما قاله عروة بن مسعود مفوض قريش في عقد صلح الحديبية، وهو: إن عمداً لا يتوضأ إلا ابتدر أصحابه بماء وضوئه ولا يسقط من شعره شئ إلا أخذوه... .

ونقل أصحاب الصحاح والمسانيد وغيرهم من العلماء من هذه النماذج موارد كثيرة لا يسع المجال لذكرها، ومنها كتاب (تبرك الصحابة) للشيخ محمد طاهر المكي، يسعك أيها القارئ مراجعته.

تبرك كثير من الصحابة به ﷺ بالمسح والمس

فقد تباهى وتفاخر جمع كثير من الصحابة بمسح رسول الله ﷺ رؤوسهم وقد نقلوه في حياتهم بإعتزاز.

منهم: زياد بن عبد الله: لما وفد على النبي ﷺ فدخل على ميمونة زوج النبي، فدخل رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله هذا ابن أختي، ثم خرج حتى أتى المسجد وبعده زياد فصلى الظهر، ثم أدنى زياداً فدعا له، ووضع يده على رأسه، ثم حدرها على طرف أنفه، فكأت بنو هلال تقول: مازلنا نتعرف البركة في وجه زياد، وقال الشاعر لعلي بن زياد:

يا ابن النبي مسح برأسه ودعا له بالخير عند المسجد^(١)

ومنهم: خزيمه بن سواد، فقد مسح رسول الله وجه خزيمه بن سواد فضاءت غرة بيضاء^(٢).

ومنهم: السائب بن يزيد: ذهبت خالته إلى النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله: إن ابن أختي وجع، فمسح رأسه ودعا له بالبركة، وتوضأ

(١) الطبقات ١: ٥١، والإصابة ١: ٥٥٨.

(٢) الطبقات ١: ٤٣.

٤٤٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

فشرب من وضوئه^(١).

وحيث إن البحث في هذه المسألة إستطرادي، قد اكتفينا في إحصاء أسماء من تبركوا بمسح النبي ومسه ومن استشفى به بهذا المقدار.

التبرك بماء وضوئه وغسله ﷺ

إن الصحابة كانت تبرك بفضل ماء وضوئه ﷺ وكانوا يتنافسون ويتسابقون عليه، كما أشار إليه عروة بن مسعود بقوله: لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوئه.

وورد أن العباس بن عبد المطلب بعد فتح مكة انتزع دلواً من ماء زمزم فشرب منه النبي ﷺ وتوضأ، فابتدر المسلمون يصبون على وجوههم منه ولا تسقط قطرة إلا في يد إنسان، إن كانت قدر ما يشربها شربها، وإلا مسح بها جلده^(٢).

ثم إن جابر بن عبد الله الأنصاري بعد ما توضأ النبي في طست أخذ ماء وضوئه فصبه في بئرته^(٣).

وعن أبي جحيفة قال: أتيت النبي ﷺ وهو في قبة حمراء من آدم، ورأيت بلائاً أخذ وضوء النبي ﷺ والناس يتبادرون الوضوء فمن أصاب شيئاً تمسح به ومن لم يصب منه شيئاً أخذ من بلل يد صاحبه^(٤).

(١) أسد الغابة لابن كثير ٢: ٢٥٦.

(٢) السيرة الحلبية ٣: ١٠١.

(٣) كتّ العمال ١٦: ٢٤٩.

(٤) صحيح البخاري ١: ٥٤، مسند أحمد ٤: ٣٠٧ - ٣٠٨، السنن الكبرى للبيهقي ٣:

١٥٧، تبرك الصحابة: ٧، دلائل النبوة ١: ١٨٣.

التبرك بسؤر شراب النبي وطعامه ﷺ

فقد تبرك كثير من الصحابة بسؤر طعامه وشرابه وكانوا يأخذونه للاستشفاء وربما قدم بعضهم التبرك بفضل شرابه وطعامه على الصيام المستحب.

هذا أبو أيوب الأنصاري، مضيف رسول الله ﷺ عند وصول النبي إلى المدينة، تبرك هو وزوجته بآثار أصابع رسول الله ﷺ في قطعه الطعام عندما كان يُردّ عليه فضل طعام النبي ﷺ.

فقد روي عنه: كنا نضع له العشاء ثم نبعث فإذا رد علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة، حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له بصلاً وثوماً فرده رسول الله ﷺ ولم أر ليده فيه أثراً فجئته فزعاً فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي رددت عشائك ولم أر فيه موضع يدك وكنت حينما ترد علينا فضل طعامك أتيمم أنا وأم أيوب موضع يدك نبتغي بذلك البركة.

وفي لفظ أحرام هو؟ فقال النبي ﷺ لا ولكني أكرهه.

وروي هذا الحديث بألفاظ أخر أيضاً^(١).

وعن حنش بن عقيل، الذي كان من أصحاب النبي ﷺ قال: سقاني رسول الله شربة سويق شرب أولها وشربت آخرها، قال: ما برحت أجد شبعها إذا جعت، وربها إذا عطشت^(٢).

(١) صحيح مسلم ٣: ١٦٢٣، مسند أحمد ٥: ٤١٥ - ٤٢٠، الطبقات الكبرى ١:

١١٠، أسد الغابة ١: ٨١، كنز العمال ٢٠: ١٤، سيرة ابن هشام ٢: ١٤٤، تبرك

الصحابة: ١١، ورواه غيرهم من الأعلام أيضاً.

(٢) السيرة النبوية لزيني دحلان ٢: ٢٤٦.

وقال أبو موسى: كنت عند النبي وهو نازل بلجرانة - بين مكة والمدينة - ومعه بلال، فأتى النبي أعرابي فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني؟ فقال له: «أبشر» فقال: قد أكثرت علي من أبشر، فأقبل ﷺ على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان فقال: «إن هذا قد رد البشري فأقبلا أنتما»، قالوا: قبلنا، ثم دعا بقدر فيه ماء فغسل يديه ووجهه ومجّ فيه ثم قال: «إشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا»، فأخذوا القدر ففعلا، فنادت أم سلمة أن أفضيلاً لأمكما، فأفضلا لها منه طائفة^(١).

التبرك بشعره ﷺ

روى البخاري بسنده عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال: أرسلني أهلي إلى أم سلمة بقدر من ماء فجاءت بجلجل من فضة فيه شعر من شعر النبي ﷺ وكان إذا أصاب الإنسان عين أو شيء بعث إليها مخضبه، قال: فاطلعت في الجلجل فرأيت شعرات حمراً^(٢).

وفي عمدة القارئ شرح صحيح البخاري: وبيان ذلك على التحرير، أن أم سلمة كان عندها شعرات من شعر النبي ﷺ حمر، في شيء مثل الجلجل وكان الناس عند مرضهم يتبركون بها، ويستشفون من بركتها، ويأخذون من شعره ﷺ ويجعلونه في قدر من الماء، فيشربون الماء الذي فيه الشعر، فيحصل لهم الشفاء.

وكان أهل عثمان أخذوا منها شيئاً وجعلوه في قدر من فضة فشربوا الماء الذي فيه فحصل لهم الشفاء، ثم أرسلوا عثمان بذلك القدر إلى أم

(١) صحيح مسلم ٤: باب فضائل أبي موسى: ١٩٤٣، فتح الباري ١: ٢٥٦.

(٢) صحيح البخاري ٧: ٢٠٧ - مطبع الشعب ١٣٧٨. المراد من المخضب هو الشعر

سلمة فأخذته ووضعته في الجللجل، فاطلع عثمان في الجللجل فرأى فيه شعرات حمراً^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أنس: أن رسول الله ﷺ أتى منى فأتى الجمرة، فرماها، ثم أتى منزله بمنى ونحر، ثم قال للحلاق: «أخذ»، وأشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه للناس، وكان الناس يتبركون بشعره ﷺ^(٢).

وروى البخاري عن ابن سيرين قال: قلت لعبيدة عندنا من شعر النبي أصبناه من قبل أنس فقال: لأن تكون عندي شعرة منه أحب إلي من الدنيا وما فيها^(٣).

وعن أنس: أن رسول الله ﷺ لما حلق رأسه كان أبو طلحة أول من أخذ من شعره^(٤).

ومن هذه الروايات يظهر أنه كان متداولاً عند الصحابة أن يأخذوا شعر النبي ﷺ ويحتفظوا به للتبرك ولم يكن الرسول ﷺ يمنعهم، وفيه أحاديث كثيرة قد وردت في كتاب (التبرك).

نعم: إن الصحابة لم يكونوا يقتصرون في التبرك بما ذكر، بل كانوا يتبركون بكل ما يمت ويرتبط بالنبي ﷺ، فقد كانوا يتبركون بالماء الذي وضع فيه يده الشريفه، وبماء الآبار التي شرب منها، وبشعره وظفره والقدح الذي شرب منه وموضع فمه، وعرقه وملابسه، وموضع منبره

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري محمد بن محمود العيني ٢٢: ٧٦ ط دار الكتب العلمية - بيروت. الجللجل: ما يشبه القارورة.

(٢) صحيح مسلم ٣: ٩٤٧.

(٣) صحيح البخاري ١: ٥٢.

(٤) البخاري ١: ٥٣.

٤٤٤ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

والدنانير التي أعطاها، وعصاه وخاتمه والأماكن التي صلى بها، أو مشى عليها، وآثار أقدامه وغيرها مما قد ثبت في كتب السيرة والتاريخ، وإذا أردت نصوصها ومصادرها فراجع كتب القوم.

فقد ثبت عن عبد الله بن عمر وأنس بن مالك وغير واحد من الصحابة التبرك بآثار النبي وتوخي مواضع صلاته ومواطن أقدامه والشرب من قلدح، وكان عند أنس قلدح النبي ﷺ وعند عائشة بعض ملابسه وعند جماعة، منهم الشافعي شعر النبي ﷺ حتى أنه أمر أن يدفن معه في قبره توسلاً وتبركاً^(١).

وكل هذه الأمور تدل على جواز التوسل والتبرك به وبآثاره، وأن ذلك ثابت ومشروع:

ويؤيده أيضاً ما ورد عنه ﷺ في بيان فضائل أمير المؤمنين عليه السلام. عن جابر بن عبد الله قال: لما قدم علي بن أبي طالب بفتح خيبر قال له النبي ﷺ: «يا علي لولا أن تقول طائفة من أمتي فيك ما قالت النصراري في عيسى بن مريم، لقلت فيك مقالاً لا تمر ببلد من المسلمين إلا أخذوا من تراب رجليك، وفضل طهورك يستشفون بهما، ولكن حسبك أن تكون مني وأنا منك ترثني وأرثك وأنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي»^(٢).

(١) قد اورد هذه الاحاديث من مصادر اعلام السنة الشيخ الاحمدي في كتاب التبرك، فراجع.

(٢) علل الحديث للحافظ ابن أبي حاتم ١: ٣١٣، ومقتل الحسين للخوارزمي: ٤٥، وشرح نهج البلاغة ٢: ٤٤٩، ومجمع الزوائد ٩: ١٣١، وينايع المودة ١: ٢٠٠ ط دار الأسوة، وأرجح المطالب: ٤٤٨ ومناقب ابن المغازلي: ١٥٧ ط مكتبة الحياة - بيروت، ومناقب الخوارزمي: ١٣٠ ح ١٤٤. وذيل الحديث كما في مناقب

فإذا كان التبرك بأهل بيته والتوسل بهم مشروع، فالتبرك به ﷺ مشروع بطريق أولى، كما أن في ذلك دلالة على أنهم عليهم السلام منه وهو منهم.

التبرك به وبآثاره بعد حياته

منها: عمل ابنته الصديقة الطاهرة وريحانته ومهجة قلبه فاطمة الزهراء سلام الله عليها، وقد تقدم منا ذكره، فقد أخرج الحافظ ابن عساكر في التحفة من طريق طاهر بن يحيى الحسيني قل: حدثني أبي عن جدي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي عليه السلام قل: لما رمس رسول الله ﷺ جاءت فاطمة فوقفت على قبره ﷺ وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعت

ابن المغازلي: «وأنت تبرئ ذمتي وتستر عورتني وتقاتل على سنتي وأنت غداً في الآخرة أقرب الخلق مني وأنت على الحوض خليفتي، وإن شيعتك على منابر من نور مبيضة وجوههم حولي أشفع لهم ويكونون في الجنة جيراني، وإن حربك حربي وسلمك سلمي، وسريرتك سريرتي وعلايتك علانيتي وإن ولدك ولدي، وأنت تقضي ديني وتنجز وعدي، وإن الحق على لسانك وفي قلبك ومعك وبين يديك ونصب عينيك، والإيمان مخالط لحمك ودمك كماخالط لحمي ودمي، لا يرد علي الحوض مبغض لك، ولا يغيب عنه محب لك».

فخر علي ساجداً وقال: «الحمد لله الذي من علي بالاسلام وعلمني القرآن، وحببني إلى خير البرية وأعز الخليقة، وأكرم أهل السموات والارض على ربه، وخاتم النبيين، وسيد المرسلين وصفوة الله في جميع العالمين إحساناً من الله العلي إلي وتفضلاً منه علي».

فقال النبي ﷺ: «لولا أنت يا علي ما عرف المؤمنون بعدي، لقد جعل الله جل وعز نسل كل نبي من صلبه وجعل نسلي من صلبك يا علي فأنت أعز الخلق وأكرمهم علي وأعزهم عندي، ومحبك أكرم من يرد علي من أمتي».

على عينيها وبكت وأنشأت تقول:

ماذا على من شم تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت عليّ مصائب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا^(١)

فعمل فاطمة الزهراء أكبر دليل وحجة لجميع المسلمين على صحة وجواز التبرك بآثار رسول الله ﷺ، وهو غير قابل للإنكار، لما قد اعترف به جميع الأعلام.

وقد تقدم أيضاً عن أبي الدرداء أن بلالاً رأى في منامه رسول الله ﷺ وهو يقول: «ما هذه الجفوة يا بلال، أما أن لك أن تزورني يا بلال؟» فانتبه حزيناً وجللاً خائفاً، فركب راحلته وقصد المدينة فأتى قبر النبي ﷺ فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه، فأقبل الحسن والحسين ﷺ فجعل يضمهما ويقبلهما... إلخ^(٢).

وعن علي عليه الصلاة والسلام قال: (قدم علينا أعرابي بعدما دفننا رسول الله بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على قبر النبي ﷺ وحثا من ترابه على رأسه وقال...) وقد تقدم منا تفصيله وذكر مصادره الكثيرة فلو كان عمله غير راجح لمنعه أمير المؤمنين ﷺ^(٣).

وهذه وصية الإمام الحسن المجتبي سبط الرسول المصطفى الذي قال ﷺ في حقه وحق أخيه: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»، قد أوصى أخيه الحسين الشهيد ﷺ أن يذهب بجنازته إلى قبر رسول الله ﷺ لكي يحدث عهداً به وتبرك جنازته بقبر رسول الله ﷺ ثم يصرفه إلى أمه

(١) قد تقدمت مصادره الكثيرة في سيرة المسلمين.

(٢) قد تقدمت مصادره الكثيرة.

(٣) قد تقدم منا مصادره على كثرتها.

فاطمة الزهراء لكي يتبرك بقبرها ثم يرده إلى البقيع لكي يدفن بها^(١).

وهذا العمل يعطي حجة للمسلمين في مشروعية التبرك ورجحانه، فإن الحسن ابن رسول الله ومن نزلت فيه آية التطهير ولا أقل من أن يكون في عداد الصحابة العدول وقوله وعمله حجة على المسلمين وواجب إتباعه، فليس من الإنصاف أن يُنكر على الشيعة الإمامية في إتيانهم جناز موتاهم إلى المشاهد المشرفة لأجل التبرك بها، خاصة أن العامة أيضاً يدفنون في أماكن معينة يقصدون منها البركة، وبعضهم يُدفن في مقابر الشيعة لنفس العلة.

وقد تقدم كراراً أن أبا أيوب الأنصاري مضيّف رسول الله ﷺ كان واضعاً جبهته على القبر يقبله، فأقبل مروان وأخذ برقبته وقال هل تدري ما تصنع؟ فأقبل عليه فإذا أبو أيوب الأنصاري فقال: نعم لم آت الحجر إنما جئت رسول الله ﷺ ولم آت الحجر، سمعت رسول الله يقول: «لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ابكوا على الدين إذا وليه غير أهله».

وقال السبكي بعد ذكر هذه الحكاية: فإن صح هذا الإسناد لم يكره مس جدار القبر، وإنما أردنا بذكره القدح في القطع بكراهة ذلك^(٢).

وقد روي أن عبد الله بن عمر كان يتبرك بمقعد النبي من منبره، ونقل أنه كان كثير الإتيان لآثار رسول الله ﷺ، حتى أنه كان ينزل منازل

(١) ومتن وصيته: وجهني إلى رسول الله ﷺ لأحدث به عهداً ثم إصرفني إلى أمي ثم ردني إلى البقيع. الصواعق المحرقة: ٨٤، القصول المهمة: ١٥١، وفاء الوفا: ٣: ٥٤٨. ويظهر منه أن قبر أمه فاطمة بالقرب من قبر رسول الله ﷺ.

(٢) مجمع الزوائد ٥: ٢٤٥، تاريخ دمشق لابن عساكر ٥٧: ٢٥٠ ط دار الفكر، المستدرک ٤: ٥١٥ وصححه هو والذهبي في تلخيصه، وفاء الوفا: ٢: ٤١٠ و

٤٤٨ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

ويصلي في كل مكان صلى فيه، وحتى أن النبي ﷺ نزل تحت شجرة فكان عبد الله بن عمر يتعاهد بها بالماء لثلاث تيس^(١).

واعترف ابن تيمية بذلك في كتابه إقتضاء الصراط وروى عن الإمام أحمد أنه رخص في التمسح بالمنبر والرمانة وذكر أن ابن عمر وسعيد بن المسيب ويحيى بن سعيد من فقهاء المدينة، كانوا يفعلون ذلك^(٢).

وروى القاضي عياض عن يزيد بن عبد الملك بن قسيط قل: رأيت نقرأ من أصحاب النبي إذا خلاهم المسجد قاموا إلى رمانة المنبر فمسحوها^(٣).

وهكذا كان جماعة من الصحابة ومعهم يزيد بن قسيط التابعي، كما يقول الشريف الصديق الغماري في مقدمة كتاب (اعلام النبيل): يتمسحون بمنبر رسول الله ﷺ ويدعون عنده لأجل التبرك ورجاء استجابة الدعاء عنده، ولم يروا في ذلك حرجاً ولا بأساً، بل رأوا فيه الفضل والتقرب إلى الله تعالى بالدعاء عنده تبركاً بآثار رسول الله ﷺ المباركة المشرفة عند الله تعالى^(٤).

التبرك بأصحاب

رسول الله ﷺ فضلاً عنه وعن آثاره

روى الهيثمي عن يحيى بن الحارث الدُمَاري قال: لقيت وائلة بن الأسقع رضي الله عنه فقلت: بايعت بيدك هذه رسول الله، فقال: نعم، قلت: أعطني يدك أقبلها فأعطانيها فقبلتها.

(١) الشفاء للقاضي عياض ٢: ٥٤، ولاحظ الطبقات الكبرى ١: ١٣.

(٢) لاحظ السيرة النبوية لليبومي ٣: ١٦٥.

(٣) الشفاء للقاضي عياض ٢: ٨٦، ولاحظ الطبقات الكبرى ١: ١٣.

(٤) السيرة النبوية لليبومي ٣: ١٦٥.

وعن أبي نعيم في (الحلية) عن يونس بن مسرة قال: دخلنا على يزيد بن الأسود عائدين، فدخل عليه واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، فلما نظر إليه، مَدَّ يده فمسح بها وجهه وصدره، لأنه بايع رسول الله ﷺ فقال له: يا يزيد، كيف ظنك بربك، فقال حسن، فقال: أبشر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى يقول: أنا عند ظن عبدي بي، إن خيراً فخير وإن شراً فشر».

وروى الحافظ ابن حجر في المطالب العالية عن ثابت قال: كنت إذا أتيت أنساً يخبر بمكاني، فأدخل عليه وأخذ يديه وأقبلهما وأقول: بأبي هاتين اليدين اللتين مستا رسول الله ﷺ وأقبل عينيه وأقول: بأبي هاتين العينين اللتين رآتا رسول الله ﷺ^(١).

والذي يستفاد من الأخبار وعمل الأخيار: أن كل من كان له صلة برسول الله سواء كان بتشرفه لرؤيته وتقبيله وسماع كلامه، ومن كان نقل حديثه ومن كان حامل القرآن الذي أنزل عليه ومن كان عالماً بشريعته فهو مكرم عند الله ومعظم، وينبغي تعظيم وتكريم واحترام كل من عظمه الله، والتبرك به وبآثاره، لما فيه من تعظيم الله الواجب، فإن من كان رؤيته وسماع كلامه وآثاره يذكر الإنسان بالله ويوجب الاهتمام بعبادة الله وذكره والتقرب إليه، فهو من شعائر الله ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

وعلى هذا الاصل فما بالك بأهل بيت الرسول وعترته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، ومن بالغ النبي ﷺ بمودتهم ومتابعتهم والأخذ منهم وحذر عن مخالفتهم وأذيتهم والعدول عنهم.

فإذا كان لمن رأى رسول الله وقبَّله وحفظ آثاره هذا الفضل عند الله

(١) السيرة النبوية لليومى ٣: ١٦٦.

٤٥٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

فما قولك فيمن كان لحمه من لحم رسول الله ودمه من دمه وحربه حربه وسلمه سلمه ومن كان منه بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة وما نظرك بريجاتي رسول الله ومهجنا قلبه وبضعتة الذين كان يقبلهما ويعظمهما ويشمهما ويضمهما إلى صدره.

هذه فاطمة الزهراء أم أبيها وأم الأئمة النجباء صلوات الله عليهم أجمعين كانت عندما تدخل على رسول الله يقوم لها ويقبلها ويشم صدرها ويجلسها في مجلسه.

فقد روى الحاكم في المستدرک عن عائشة أنها قالت: ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله ﷺ من فاطمة، وكانت إذا دخلت على أبيها يقبلها ورحب بها، وأخذ بيدها فأجلسها في مجلسه، وكانت هي إذا دخل عليها رسول الله قامت إليه مستقبلة وقبلت يده^(١).

فهل يبقى لك تأمل في فضل التبرک بهم وبآثارهم والتقرب بهم إلى الله تعالى؟

وتحصّل من جميع ما أوردناه في مسألة التبرک أن ما يترتب على هذا الأصل ليس أمراً معيناً، بل إن كل ما صدق عليه عنوان التبرک بآثار النبي ﷺ وأهل بيته والصلحین من أتباعه يكون أمراً جائزاً لا يحق لأحد المنع منه بادعاء أنه شرك أو أنه محرم، وإلا فيلزم منه إنكار جميع الأحاديث والقضايا التي وردت حول التبرک وقد ذكرنا بعضها.

لكن مضافاً إلى ما قدمناه، نذكر لك آراء علماء المذاهب حول هذه المسألة حتى لا يبقى أي خفاء.

(١) المستدرک للحاكم النيسابوري ٣: ١٥٩، وقد ورد في كثير من كتب الاعلام

بألفاظ مختلفة، فلاحظ السيرة الخلية ٣: ٥٦، الإستهباب ٤: ٣٧٧، سنن أبي

داود ٤: ٣٥٥، السنن الكبرى ٧: ١٠١، وغيرها.

آراء أئمة المذاهب في التبرك

لم نر لأئمة المذاهب ممن يعتنى به وبرأيه في المجتمع الإسلامي في مسألة التبرك قول بالمنع والتحريم، نعم هناك شذمة قليلة قد خالفت في مسائل كثيرة منها مسألة التبرك، وشذوا عن الحق وأهله إعتقاداً على أفكارهم السخيفة واتباعاً لأهوائهم المنحرفة، فقد كفروا عليها المسلمين وسعواهم القبوريين أو عبّاد القبور وأمثال هذه الكلمات الشيعة التي لا تناسب أهل الملة والشريعة.

ومن قال بالنهاي عنه من الأعلام ليس مراده التحريم، بل التنزيه احتراماً وأدباً لصاحب القبر، فقله بالكراهة لزعم أن الدنو من القبر الشريف يخالف حسن الأدب وأن البعد منه أنسب للأدب، وليس هذا من باب الإفتاء، لأنه ليس من شأن الفقيه أن يفتي في الدين إستناداً على هذه الاعتبارات التي لا أساس لها إلا الأذواق المختلفة باختلاف الأنظار والحالات، فبعض الناس يرى كمال الأدب في التبعد وعدم اللمس ورعاية حالة الخضوع والتواضع إلى المزور، وبعض آخر يرى كمال المحبة والأدب والاحترام في الدنو من القبر والتمسح به وتقبيله والتبرك به، ولا يذم بعضهم البعض الآخر، لأن هذه الأمور كلها ناشئة عن منشأ الشوق والمحبة وتعظيم واحترام المحبوب، والكل يرى فيه رضا الله والتقرب إليه، وكلهم على خير إن شاء الله، فلا بد للفقيه أن يفتي عن دليل وبرهان يعتمد عليه علماء الإسلام وإلا فلا يصح الاستدلال. وفيما يلي بيان لأقوالهم.

رأي أحمد بن حنبل حول التبرك

حكى العز بن جماعة الحموي الشافعي عن كتاب العلل والسؤالات لعبد الله بن أحمد، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عن الرجل يمس منبر رسول الله ﷺ ويتبرك بمسه ويقبله ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء الثواب.

فقال: لا بأس به^(١).

وقال العز بن جماعة في ذيل كلام أحمد: وهذا يبطل ما نقل عن النووي من الإجماع.

وقد تعجب ابن تيمية حين رأى هذا الكلام من أحمد بن حنبل، حيث قال العلامة أحمد بن محمد المقرئ المالكي في كتابه - فتح المتعال - نقلاً عن ولي الدين العراقي:

أخبر الحافظ أبو سعيد بن العلا قال: رأيت في كلام أحمد بن حنبل في جزء قديم عليه خط ابن ناصر وغيره من الحفاظ، أن الإمام أحمد سئل عن تقبيل قبر النبي ﷺ وتقبيل منبره؟ فقال: لا بأس بذلك قال: فأریناهم التقي ابن تيمية، فصار يتعجب من ذلك.

ويقول: عجبت من أحمد، عندي جليل، هذا كلامه أو معنى كلامه، وقال: وأي عجب في ذلك وقد روينا عن الإمام أحمد أنه غسل قميصاً للشافعي وشرب الماء الذي غسله به؟^(٢).

والعجب من ابن تيمية ومن وافقه على ادعائهم الحنبلية كيف يخالفون إمامهم وقدوتهم في كثير من المسائل ويقلدونه فيما تهوى أنفسهم ويوافق رأيهم، فإن إمامهم يقول: لا بأس وهم يقولون بالباس والحرمة والشرك ويمنعون عنه أشد المنع!!

وإذا كان هذا تعظيم أحمد لرجل مثل الشافعي - باعتراف ابن تيمية - فما بالك بمقادير الصحابة وكيف بأثار الانبياء وأبناء الانبياء خصوصاً أبناء الرسول المصطفى صلوات الله عليهم أجمعين.

(١) كتاب العلل والسؤالات لعبد الله بن أحمد بن حنبل نقلاً من السيرة النبوية

لليومي ٣: ١٦٣، والتبرك للأحمدي ١٦٩، ووفاء الوفاة ٤: ١٤٠٤.

(٢) ذكره ابن الجوزي في مناقب أحمد: ٤٥٥، وابن كثير في تاريخه ١٠: ٣٣١.

وذكر الخطيب ابن حلة أن ابن عمر كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف وأن بلالاً رضي الله عنه وضع خديه عليه أيضاً، ثم قال: ورأيت في كتاب السؤلات والعلل لعبد الله بن الإمام أحمد، وذكر ما تقدم عن ابن جماعة نقله عنه من قول أحمد: لا بأس به.

ثم قال أيضاً: ولا شك أن الاستغراق في الحبة يحمل على الأذن في ذلك، والمقصود من ذلك كله الاحترام والتعظيم، والناس تختلف مراتبهم كما كانت تختلف في حياته، فأناس حين يرونه لا يملكون أنفسهم، بل يلبسون إليه وأناس فيهم أناة تراهم يتأخرون، والكل محل خير، انتهى كلامه^(١).

قال الحافظ ابن حجر: استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الحجر الأسود جواز تعظيم كل من يستحق التعظيم من آدمي وغيره، فأما تقبيل يد الأدمي فسبق في الأدب، وأما غيره، فنقل عن أحمد أنه سئل عن تقبيل منبر النبي ﷺ وقبره، فلم ير بأساً، واستبعد بعض أتباعه صحته عنه^(٢).

ونُقل عن أبي الصيف اليماني أحد علماء مكة من الشافعية جواز تقبيل المصحف وأجزاء الحديث وقبور الصالحين.

ونقل الطيب الناشري عن الحب الطبري أنه يجوز تقبيل القبر ومسحه قال: وعليه عمل العلماء الصالحين. وأنشد:

أمر على الديار ديار ليلي أقبيل ذا الجدار وذا الجدار^(٣)

(١) وفاء الوفا للسمهودي ٤ : ١٤٠٥.

(٢) وفاء الوفا للسمهودي ٤ : ١٤٠٥. أقول والمستبعد ليس هو إلا ابن تيمية ومن حذا حذوه من أهل الأهواء المضلة الذين لا يعاب بهم وآرائهم، وإلا فقد نقل قوله كثير من العلماء واستند به.

(٣) وفاء الوفا ٤ : ١٤٠٦

ونقل بعضهم عن أبي خيثمة قال: حدثنا مصعب بن عبد الله، حدثنا إسماعيل ابن يعقوب التيمي قال: كان ابن المنكدر يجلس مع أصحابه، قال: وكان يصيبه الصمات، فكان يقوم كما هو يضع خده على قبر النبي ﷺ ثم يرجع، فعوتب في ذلك، فقال: إنه يصيبني خبطة فاذا وجدت ذلك إستشفيت بقبر النبي ﷺ وكان يأتي موضعاً من المسجد في الصحن فيتمرغ فيه ويضطجع، فقليل له في ذلك، فقال: إني رأيت النبي ﷺ في هذا الموضع، - أراه قال في النوم -^(١).

وقال القاضي عياض المالكي في الشفاء بعد كلام طويل وبيان جميل في تعظيم قبر النبي ﷺ:

وجدت لمواطن عمرة بالوحي والتنزيل، وتردد بها جبرئيل وميكائيل، وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرضاتها بالتقديس والتسبيح، واشتملت تربتها على سيد البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنة نبيه ما انتشر، مدارس آيات ومساجد وصلوات، ومشاهد الفضائل والخيرات، ومعاهد البراهين والمعجزات، ومناسك الدين، ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين، وامتبأ خاتم النبيين، حيث انفجرت النبوة وأين فاض عبابها، ومواطن طويت فيها الرسالة، وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها، أن تُعظَّم عرضاتها، وتُنسَم نفحاتها، وتُقَبَّل ربوعها وجدرانها.

ثم ذكر هذه الأبيات، والظاهر أنه هو قائلها:

يا دار خير المرسلين ومن به	هُدِي الأنام وخص بالآيات
عندي لأجلك لوعة وصباية	وتشوق متوقد الجمرات
وعلي عهد إن ملأت محاجري	من تلكم الجدران والعرضات
لأعفرن مصون شبي بينها	من كثرة التقبيل والرشفات

لولا العوادي والأعادي زرتها
لكن سأهدي من حفيلى تحيتي
أزكى من المسك المفتق نفحة
وتخصه بزواكي الصلوات
أبدأ ولو سحياً على الوجنات
لقطين تلك الدار والحجرات
تغشاه بالأصال والبكرات
ونوامي التسليم والبركات^(١)

وقال السبكي في الرد على ابن تيمية في مسألة الزيارة: منع التمسح
بالقبر ليس مما قام الإجماع عليه.

واستدل بما رواه يحيى بن الحسين عن عمر بن خالد، عن ابن نباتة، عن
كثير بن يزيد، عن المطلب بن عبد الله، قال: أقبل مروان بن الحكم، فإذا رجل
ملتزم القبر، فأخذ مروان برقبته ثم قال: هل تدري ماذا تصنع؟!

فأقبل عليه فقال: نعم إني لم آت الحجر ولم آت اللبن، إنما جئت
رسول الله ﷺ، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تبكوا على الدين
إذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله»، قال المطلب: وذلك
الرجل أبو أيوب الأنصاري.

ثم قال السبكي: وأبو نباتة يونس بن يحيى ومن فوقه ثقات وعمر
بن خالد لم أعرفه، فإن صح هذا الإسناد لم يكره مس جدار القبر، وإنما
أردنا بذكره القدر في القطع بكرهه ذلك. انتهى كلامه^(٢).

(١) الشفاء للقاضي عياض ٢: ٥٨ ط دار الكتب العلمية.

(٢) شفاء السقام: ٢٨٠، ولا يخفى أن حديث أبي أيوب الأنصاري، والتزامه القبر
واحتضانه له، قد رواه المحدثون وأئمة المذاهب في كتبهم مثل مسند أحمد ٥:
٤٢٢، مسند أبي أيوب، ومستدرك الحاكم ٤: ٥١٥، وكنز العمال ٦: ٨٨ عن
أحمد والحاكم، ومجمع الزوائد ٥: ٢٤٥ عن أحمد، والطبراني في الكبير والأوسط
وصححه الذهبي في تلخيصه، وذكره السهودي في وفاء الوفا نقلاً عن أحمد بن
حنبل وقال رأيت بخط الحافظ أبي الفتح المراغي المدني.

عزيزي القارئ هذا الحديث فيه دلالة على أن المخالفين للزيارة والتبرك هم المعاندين والحاقدين لرسول الله ﷺ تلك الشجرة الملعونة والعصابة التي بذلت جميع جهودها في إيذاء الرسول الأمين ومنعه من تأسيس هذا الدين القويم وإطفاء نوره العظيم ولما لم ينالوا منه ﷺ في حياته أخذوا ينقذون مؤامراتهم بعد رحلته ففعلوا ما فعلوا، وقد أخبر ﷺ المسلمين بحبث طينتهم ومنوياتهم ولعنهم وحذر المسلمين من اتباعهم في مواطن عديدة.

فقد صح عنه ﷺ: «إذا بلغت بنو أمية أربعين اتخذوا عباد الله خولا ومال الله لحلا وكتاب الله دغلاً».

وصح عنه ﷺ: «إني أريت في منامي كأن بني الحكم بن أبي العاص ينزون على منبري كما تنزوا القرقة»، قال الراوي: فما رؤي النبي ﷺ مستجعماً ضاحكاً حتى توفي.

وصح عنه ﷺ: «لما استأذن الحكم بن أبي العاص عليه: «عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم وقليل ما هم، يشرفون في الدنيا ويضعون في الآخرة، ذوو مكرٍ وخديعة، يُعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق».

وصح عنه ﷺ لما أدخل عليه مروان بن الحكم: «هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون».

وصح عن عبد الله بن الزبير أن رسول الله ﷺ لعن الحكم وولده.

وصح عن عائشة: إن رسول الله ﷺ قال: لعن الله أبا مروان ومروان في صلبه، فمروان فضض من لعنة الله عز وجل^(١).

(١) قد أخرج هذه الروايات جمع من الأعلام وجمعها وصححها الحاكم النيسابوري في

فمع هذه الروايات الواردة في مخالف الزيارة والتبرك، بل مخالف الشريعة المحمدية وصاحبها، ومع عمل الصحابي الجليل الذي وقف أمام مروان وأخبره بما قاله النبي ﷺ حول شجرته الحبيثة، هل يبقى لك تأمل في مشروعية الزيارة والتبرك بقبره ﷺ وبسائر آثاره وآثار أهل بيته المعصومين؟

وهل يبقى لك تأمل في إحراف المخالفين عن الصراط المستقيم وسنة خير المرسلين.

فلا يحق لمسلم أن يسير خلف تلك الشجرة الملعونة ويقول بقولهم ويحقق أمنياتهم في إحصاء الدين، ولا يحق له أن يتبع أثر الذين اتخذوا دين الله دغلاً وعباد الله خولاً، وكتاب الله خولاً.

وقد تعرض الشيخ سلامة العزامي الشافعي لكلام ابن تيمية وهو: (من طاف بقبور الصالحين أو تمسح بها كان مرتكباً أعظم العظائم) فقال في جوابه ما ملخصه: وأتى بكلام ملتبس، فمرة يجعله من الكبائر، وأخرى من الشرك إلى مسائل من أشباه ذلك، قد فرغ العلماء المحققون والفقهاء المدققون من بحثها وتدوينها قبل أن يولد هو بقرون، فيأبى إلا أن يخالفهم، وربما ادعى الإجماع على ما يقول وكثيراً ما يكون الإجماع قد انعقد قبله على خلاف قوله، كما يعلم ذلك من أمعن في كلام من قبله وكلام من بعده ممن تعقبه من أهل الفهم المستقيم والنقد السليم.

وإليك مثلاً: التمسح بالقبر أو الطواف به من عوام المسلمين، فأهل العلم فيه على أقوال: الجواز مطلقاً والمنع مطلقاً على وجه كراهة التنزيه الشديدة، ولكنها لا تبلغ حد التحريم، والتفصيل بين من غلبه شدة شوق إلى المزور فتنتفي عنه هذه الكراهة، ومن لا فالأدب تركه.

وأنت إذا تأملت في الأمور التي كفر بها المسلمين وجعلها عبادة لغير الله، وجدت حجته ترجع إلى مقدمتين صدقت كبراهما وهي: كل عبادة لغير الله شرك، وهي معلومة من الدين بالضرورة، ثم يسوق عليه الأدلة بالآيات

الواردة في المشركين، وكذبت صفراهما وهي قوله: كل نداء لميت أو غائب أو طواف بقبر أو تمسح به أو ذبح أو نذر لصاحبه... فهو عبادة لغير الله: ثم يسوق الآيات والأحاديث الصحاح التي لم يفهمها أو تعمد في تأويلها على غير وجهها، ثم يخرج من هذا القياس الذي فسدت إحدى مقدماته بنتيجة لا محالة كاذبة وهي: أن جمهور المسلمين إلا إياه ومن شايعه مشركون كافرون.

ثم قال: ولقد تعدى هذا الرجل حتى على الجنب المحمدي فقال: إن شد الرحال إلى زيارته معصية، وأن من ناداه مستغيثاً به عليه الصلاة والسلام بعد وفاته فقد أشرك، فتارة يجعله شركاً أصغراً، وأخرى يجعله شركاً أكبراً، وإن كان المستغيث محتلي القلب بأنه لا خالق ولا مؤثر إلا الله، وأن النبي ﷺ إنما ترفع إليه الحوائج ويستغاث به، على أن الله جعله منبع كل خير، مقبول الشفاعة مستجاب الدعاء كما هي عقيدة جميع المسلمين مهما كانوا من العامة...^(١)

وقال جمال الدين عبد الله محمد الأنصاري: رحلنا مع شيخنا تاج الدين الفاكهي إلى دمشق فقصد زيارة نعل سيدنا رسول الله ﷺ التي بدار الحديث الأشرفية بدمشق وكنت معه فلما رأى النعل المكرمة حسر عن رأسه وجعل يقبله ويمرغ وجهه عليه ودموعه تسيل، وأنشد:

فلو قيل للمجنون ليلى ووصلها تريد أم الدنيا وما في طواياها
لقال: غبار من تراب نعالها أحب إلى نفسي وأشفى لبلواها^(٢)

وأخرج محب الدين الطبري حديثاً طويلاً فيما اتفق بالأبواء بين عمر بن الخطاب لما خرج حاجاً في نفر من أصحابه وبين شيخ استغاث به،

(١) فرقان القرآن: ١٣٣ للغزالي الشافعي.

(٢) لاحظ الغدير ٥: ١٥٥.

وفيه: لما انصرف عمر ونزل ذلك المنزل واستخبر عن الشيخ وعرف موته، فكأنني أنظر إلى عمر وقد وثب مباعداً ما بين خطاه حتى وقف على القبر - قبر الشيخ - فصلى عليه ثم اعتنقه وبكى^(١).

تساؤل!!!

يا أخي المسلم أطلب منك أن تعطي الإنصاف من نفسك وتجيبي عن هذا التساؤل وهو:

لو جاز لمثل عمر الوقوف على قبر رجل علي كان قد استغث به، واعتناقه والبكاء عليه، فما وازع الأمة عن الوقوف على قبر رسولها الكريم وإظهار الشوق والمحبة له واعتناق قبره الشريف والبكاء عليه، أو على قبور عترته الطاهرة التي قد وجبت علينا مودتهم وولايتهم؟!!

ولو أنصفت وابتعدت عن الهوى، هل تفرق بين نعال رسول الله ﷺ وسائر آثاره التي كانت الصحابة والأكابر من علماء المذاهب تبرك بها، وبين قبره الشريف الذي ضمن جسده الشريف المبارك وبورك به طيلة السنين والأعوام؟

أو أراك تقول في تقبيل قبره والتبرك به بالأولوية، خصوصاً مع العلم بحياته البرزخية، فإن هذا القبر منذ دهور قد تبرك وتشرف بالالتصاق ببدن مبارك ما التصق ببدنه مسلم وتمسه النار، فأولوية التبرك بقبره وبسائر الآثار واضحة.

ثم أسألك مرة أخرى: أليس من الظلم بساحة الرسول المصطفى وعترته النجباء صلوات الله عليهم أجمعين أن يُمنع من التبرك بقبورهم وتقبيليها؟ والحال أنه قد ورد النص في رجحان تقبيل قبور الصالحين والآباء

٤٦٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

وقد جرت عليه سيرة السلف وسائر المسلمين، فإذا كان الرجحان بالنسبة الى سائر القبور ثابت فالتبرك بقبره وسائر آثاره وتقبييلها ثابت بالطريق الاولى.

ففي السيرة الحلبية عن الخصائص الكبرى: ومن خصائصه أنه ما التصق ببدنه مسلم وتمسه النار^(١).

ومن المعلوم أن هذا ليس إلا ببركة بدنه الشريف، فمن التصق بقبره المبروك بالتصاقه ببدنه الشريف يرجى له ذلك.

فقد تقدم أن النبي ﷺ قال: «من قَبَّلَ رجل أمه كأنما قَبَّلَ عتبة الجنة»^(٢).

وتقدم من كفاية الشعبي وفتاوى الغرائب ومطالب المؤمنين وخزانة الرواية ما هذا لفظه: لا بأس بتقبيل قبر الوالدين، لأن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنني حلفت أن أقبل عتبة باب الجنة وجبهة حور العين، فأمره أن يقبل رجل الأم وجبهة الأب، قال: يا رسول الله إن لم يكن أبراي حين قال: «قبَّل قبرهما»، قال: فإن لم أعرف قبرهما، قال: «أخط خطين إنو أحدهما قبر الأم والأخر قبر الأب فقبلهما فلا تحنث في يمينك»^(٣).

ويناسب هنا تكرار ذكر كلام السبكي في الرد على ابن تيمية، ما لفظه: نحن نقطع ببطلان كلامه - ابن تيمية - وأن المعلوم من الدين وسيرة الصالحين التبرك ببعض الموتى من الصالحين فكيف بالأنبياء والمرسلين؟ ومن ادعى أن قبور الأنبياء وغيرهم من موتى المسلمين سواء فقد أتى أمراً عظيماً نقطع

(١) السيرة الحلبية ٢: ١٧١ ط سنة ١٣٢٠

(٢) المسبوط للسرخسي ١٠: ١٤٩، الدر المختار ٦: ٦٥٨.

(٣) لاحظ كشف الارتباب للسيد محسن الأمين: ٣٥٠.

ببطلانه وخطئه فيه، وفيه حط لدرجة النبي ﷺ إلى درجة من سواه من المسلمين وذلك كفر متيقن، فإن من حط رتبة النبي ﷺ عما يجب له فقد كفر.

فإن قال: إن هذا ليس بحط ولكنه منع من التعظيم فوق ما يجب له.

قلت: هذا جهل وسوء أدب ونحن نقطع بأن النبي ﷺ يستحق من التعظيم أكثر من هذا المقدار في حياته وبعد موته ولا يرتاب في ذلك من في قلبه شيء من الإيمان. إنتهى^(١).

ويمكن أن يقال: إن التبرك بقبر النبي بجميع أنواعه أو لا أقل بعض أنواعه بدعة ولم يرد فيه نص.

فنقول في الجواب - على فرض فقدان النص الصريح - : إنه يكفي في كون الشيء سنة دخوله في عمومات الأدلة وفحاويها ولا يلزم أن يرد نص بخصوصه، وبه يخرج من كون الشيء بدعة، فقد فهم من ضرورة الشرع أن في القبر الذي ضم جسد سيد ولد آدم بركة وفضلاً يمتاز به عن غيره وهو كاف في جواز التبرك بجميع أنواعه التي يرجى بها نيل بركته.

إلى هنا قد انتهينا من استقصاء الأدلة على مشروعية التبرك وإثبات عدم النهي عنه وأنه معلوم من الدين وقد وقعت عليه سيرة المسلمين سلفاً وخلفاً.

وقد ذكرنا آراء علماء الأمة على جوازه ورجحانه، خلافاً لما ادعاه ابن تيمية من الإجماع على خلافه.

والذي بقي من الكلام ويمكن أن يقع مورداً للسؤال، هو أنه:

مع وجود هذه الأدلة الكثيرة على جواز أنواع التبرك، فما بال بعض أئمة المذاهب والعلماء في نهيمهم عن التبرك بقبر النبي ﷺ وسائر الأنبياء؟

(١) شفاء السقام للحافظ السبكي: ٢٤٩ - ٢٥٠ ط الرابعة.

٤٦٢ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشع؟

وهل أنهم جهلوا تلك الأدلة الوافرة والأقوال الباهرة، وأفتوا بخلافها؟ أو كانوا عالمين بها ولكن نهوا عن التبرك لسبب آخر؟

والجواب قد تقدم سابقاً منا وهو: إن ما وقع في كلماتهم من النهي عن التبرك ليس هو النهي التحريمي، بل هو التنزيهي والإرشاد إلى أن البعد أقرب إلى الأدب والتعظيم بزعمهم، وقد صرح أكثرهم به ومن لم يصرح منهم فكلامه أيضاً محمول عليه، فلنذكر كلماتهم حتى يتضح الحل:

الكلمات الموهمة للمنع من التبرك

قال الشافعي الصغير محمد بن أحمد الرملي: ويكره أن يجعل على القبر مظلة، وأن يقبل التابوت الذي يجعل فوق القبر واستلامه وتقبيل الاعتاب عند الدخول لزيارة الأولياء.

نعم: إن قصد التبرك لا يكره كما أفتى به الوالد رحمه الله تعالى، فقد صرحوا - أي العلماء - بأنه إذا عجز عن استلام الحجر سن له أن يشير بعضاً وأن يقبلها^(١).

وقد قال أحمد الرملي الكبير الأنصاري: ولا يستلم القبر ولا يقبله، ويستقبل وجهه للسلام والقبلة للدعاء وذكره أبو موسى الإصبهاني: قل شيخنا: نعم إن كان قبر نبي أو ولي أو عالم واستلمه أو قبله بقصد التبرك فلا بأس به^(٢).

وقال الزرقاني المصري المالكي: تقبيل القبر الشريف مكروه إلا لقصد التبرك فلا كراهة، كما اعتقده الرملي^(٣).

(١) شرح المنهاج لشيخ مشايخ الشافعية محمد بن أحمد الرملي المتوفى ١٠٠٤.

(٢) حاشية روض الطالب المطبوعة في هامش أسنى الطالب ١: ٣٣١.

(٣) شرح المواهب للزرقاني ٨: ٣١٥.

قال شهاب الدين الخفاجي الحنفي في شرح الشفاء: ونقل من كتاب أحمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر، أن لا يلصق به ولا يمسه بشيء من جسده فلا يقبله فيكره مسه وتقبيله وإصااق صدره، لأنه ترك أدب، وكذا كل ضريح يكره فيه، وهذا أمر غير مجمع عليه، ولذا قال أحمد والطبري: لا بأس بتقبيله والتزامه، وروي أن أبا أيوب الأنصاري كان يلتزم القبر الشريف، قيل: وهذا لغير من لم يغلبه الشوق والمحبة وهو كلام حسن.

وقال الخفاجي في موضع آخر عند قول أبي مليكة - من أحب أن يكون وجه النبي فيجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه -: هو إرشاد لكيفية الزيارة وأن يكون بينه وبين القبر فاصل، فقيل: إنه يبعد عنه بمقدار أربعة أذرع وقيل ثلاثة، وهذا مبني على أن البعد أولى وأليق بالأدب كما كان في حياته ﷺ وعليه الأكثر، وذهب بعض المالكية إلى أن القرب أولى، وقيل: يعامل معاملته في حياته فيختلف ذلك باختلاف الناس، وهذا باعتبار ما كان في العصر الأول، وأما اليوم فعليه مقصورة تمنع من دنو الزائر فيقف عند الشباك^(١).

وقال الشيخ إبراهيم الباجوري الشافعي في حاشيته على شرح ابن قاسم الغزي: يكره تقبيل القبر واستلامه ومثله التابوت الذي يجعل فوقه وكذلك تقبيل الأعتاب عند الدخول لزيارة الأولياء، إلا إن قصد به التبرك بهم فلا يكره، وإذا عجز من ذلك لازدحام ونحوه كلختلاط الرجال بالنساء كما يقع في زيارة سيدي أحمد البدوي، وقف في مكان يتمكن فيه من الوقوف بلا مشقة وقرأ ما تيسر وأشار بيده أو نحوها ثم قبل ذلك، فقد صرحوا بأنه إذا عجز عن استلام الحجر الأسود يسن له أن يشير بيده أو عصا ثم يقبلها^(٢).

(١) شرح الشفا للخفاجي ٣: ٥٧٧ - ٥٧١.

(٢) لاحظ الغدير ٥: ١٥٤.

أقول: ويمكن أن يكون استناده الى ما رواه مسلم وأبي داود من أن النبي ﷺ طاف راكباً وكان يستلم الركن بمحجنه ويقبل المحجن^(١).

فعليه إذا جاز تقبيل المحجن لملامسة الركن، أفلا يجوز تقبيل قبر حلّ فيه أشرف الانبياء والمرسلين؟.

فان قلت: جواز تقبيل المحجن إقتداء بفعل رسول الله ﷺ ولو رأيناه يقبل القبر ما توقفنا في جوازه والعبادة بناءً على الاتباع.

قلنا: استفدنا من تقبيله ﷺ المحجن^(٢) الذي تبرك بلامسة الركن، جواز تقبيل كل مستحق للتعظيم على نحو ما استفاد ذلك بعض العلماء من تقبيل الحجر الأسود كما تقدم، حيث إن الخصوصية منتفية.

وقد حكى القسطلاني عن أصحاب المذاهب استلامه باليد وتقبيلها والإشارة إليه باليدين وتقبيلهما^(٣).

وقال الشيخ حسن العدوي الحمزاوي المالكي بعد نقل عبارة الرملي المتقدم ذكرها: ولا مرية حينئذ أن تقبيل القبر الشريف لم يكن إلا للترك، فهو أولى من جواز ذلك لقبور الأولياء عند قصد التبرك، فيحمل ما قاله العارف على هذا المقصد، لا سيما وأن قبره الشريف روضة من رياض الجنة^(٤).

فالتحصل من هذه الطائفة من الأقوال أن التبرك بالقبر الشريف

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ٩ : ٢٠ ط دار الكتاب العربي - بيروت، عون العبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي ٥ : ٢٣٤ ط دار الكتاب العلمية - بيروت.

(٢) المحجن بكسر الميم وسكون الحاء: عصا مخرجة الرأس.

(٣) إرشاد الساري للقسطلاني ٢ : ١٦١ وراجع كشف الإرتياب: ٣٣٩.

(٤) كنز المطالب: ٢٠ ومشارك الأنوار للحمزاوي: ٦٦.

وسائر الآثار جائز خصوصاً إذا كان يقصد التبرك فإنه ممدوح، ولم يقل أحد بأنه عبادة لصاحب القبر وحرام كما قالت أتباع ابن تيمية.
ومنشأ الكراهة هو البعد عن الأدب بزعمهم لا غير.

وإليك طائفة أخرى من الكلمات الموهمة للمنع:

منها: ما قاله النووي: لا يجوز أن يطاف بقبره ﷺ ويكره إصاق البطن والظهر بجدار القبر، قاله الحلبي وغيره، قال: ويكره مسحه باليد وتقبيله، بل الأدب أن يبعد كما يبعد منه لو حضر في حياته، هذا هو الصواب، وهو الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه، ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته، لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع وأقوال العلماء. انتهى كلام النووي^(١).

فهذا ما قاله النووي، وهل يستفاد منه إلا كراهة التبرك الذي منشأه البعد عن الأدب، حيث إن الأدب - بزعمه - بأن يبعد عنه كما لو حضر في حياته.

وأين الإجماع الذي تُسب إليه ادعائه؟ فإن الذي قاله هو أن العلماء أطبقوا على أن الأدب هو البعد عنه ﷺ لا الإطباق على حرمة القرب من القبر والاصفاق به.

مضافاً إلى أنه قال إن البركة بمطابقة الشرع وأقوال العلماء، ومسح القبر وتقبيله من سنن العلماء الموافقة للشرع كما ذكرنا سابقاً في مواضع كثيرة.

وقال الغزالي: مس المشاهد وتقبيلهما عادة النصارى واليهود، وقال

(١) وفاء الوفا للسمهودي ٤: ١٤٠٢.

٤٦٦ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

الأقشيري: قال الزعفراني في كتابه: وضع اليد على القبر ومسه وتقبيله من البدع التي تنكر شرعاً^(١).

وروي أن أنس بن مالك رأى رجلاً وضع يده على قبر النبي ﷺ، فنهاه، وقال: ما كنا نعرف هذا على عهد رسول الله ﷺ، وقد أنكروه مالك والشافعي وأحمد أشد الإنكار^(٢).

وقال ابن عساكر في تحفته: ليس من السنة أن يمس جدار القبر المقدس ولا أن يقبله ولا يطوف به كما يفعله الجهال، بل يكره ذلك ولا يجوز، والوقوف من بعد أقرب إلى الاحترام.

ثم روى من طريق أبي نعيم قال: أنبأنا عبد الله بن جعفر بن فارس، حدثنا أبو جعفر محمد بن عاصم، حدثنا أبو أسامة عن عبيد الله، عن نافع، أن ابن عمر كان يكره أن يكثر مس قبر النبي ﷺ.

وقال البرهان بن فرحون بعد ذكره: وهذا تقييد لما تقدم - وهو عن ابن عمر في القبر نفسه - فالجدر الظاهرة أخف، إذا لم يكثر منه، قال: وهو دال على قرب موقف الزائر، ويفسر معنى الدنو الذي عبر به مالك^(٣).

وقال أبو بكر الأثرم: قلت لأبي عبد الله يعني - أحمد بن حنبل - قبر النبي يلمس ويتمسح به؟

قال لا أعرف هذا، قلت: فللمنبر، قال: أما المنبر فتعم، قد جاء فيه شيء يروونه عن ابن أبي فديك، عن ابن أبي ذئب، عن ابن عمر: أنه

(١) وفاء الوفا للسمهودي ٤: ١٤٠٢.

(٢) وفاء الوفا للسمهودي ٤: ١٤٠٢.

(٣) وفاء الوفا للسمهودي ٤: ١٤٠٣.

مسح المنبر، ويروونه عن سعيد بن المسيب في الرمانة، أي رمانة المنبر قبل احتراقه.

ويروى عن يحيى بن سعيد شيخ مالك أنه حيث أراد الخروج إلى العراق جاء إلى المنبر فمسحه ودعا، فرأيته استحسنت ذلك، قلت لأبي عبد الله: إنهم يلصقون بطونهم بجدار القبر، وقلت له: ورأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسونه، ويقومون ناحيته، ويسلمون، فقال أبو عبد الله: نعم، وهكذا كان ابن عمر يفعل ذلك، نقله ابن عبد الهادي عن تأليف ابن تيمية^(١).

وأكثر شيء يتحصل من هذه الأقوال: هو أن مس القبر وتقبيله وأمثال ذلك شيء لم يعرف عند هؤلاء، وليس معناه أن التبرك عبادة لصاحب القبر كما ذهب إليه الخصم وكفر المسلمين به.

وما يستفاد من بعضهم، أن عدم قربهم للقبر الشريف وعدم مسه كان للإحترام، بقريظة أن ابن عمر كان يكره أن يكثر مس القبر لا أصله.

وأما الجواب عن هذه الأقوال الموهمة للمنع:

فنقول: أما ما ورد عن أحمد أنه كان ينكره أشد الإنكار فهو معارض بما تقدم من حكاية عبد الله ابنه عنه من الترخيص، وقوله: هكذا كان ابن عمر يفعل، لا يدل على أنه رجح فعل ابن عمر، ولا يبعد أن ابن عمر لزعمه أن البعد أقرب من الأدب كان قد ابتعد عن القبر.

والدليل على أنه ليس مخالفاً لمس القبر والتبرك به، ما ورد من أنه كان يضع يده على القبر وأنه كان يكره إكثار المس لا أصله، وكرهته الإكثار لظنه سوء الأدب.

(١) وفاة الوفاء ٤: ١٤٠٣

٤٦٨ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

مضافاً إلى أنه معارض أيضاً بما تقدم من وضع الزهراء البتول تراب القبر على عينها وبكائها وإنشادها: ماذا على من شم تربة أحمد.....

والتزام أبي أيوب الأنصاري للقبر ورده على مروان.

وتمريخ بلال وجهه ووضع على القبر الشريف.

ووضع الأعرابي وجهه على القبر وتلاوته تلك الآية ولم يعترضه أحد، مع أنه كان في حضور أمير المؤمنين علي عليه السلام على رواية أو العتيبي على الرواية الأخرى.

ومعارض أيضاً بما تقدم من استشفاء ابن المنكدر به بوضع خده عليه والاستشفاء أعظم من التبرك ودليل على أثر التبرك، وأمثال هذه المعارضات كثيرة.

ولذلك نرى أنه قد أجازها أبو الصيف اليماني أحد علماء مكة من الشافعية والمحب الطبري، وقال: إن عليه عمل العلماء الصالحين، وأنشد:

لو رأينا لسلمي أثراً ليجدنا ألف ألف للأثر^(١)

وكيف يمكن أن يكون ابن عمر مخالفاً لمس القبر وتقبيله مع أنه كان يتبرك بمسح موضع جلوس النبي من المنبر، وهكذا مالك وسعيد ابن المسيب ويحيى بن سعيد شيخ مالك كما مر، فإنهم كانوا يمسخون المنبر الذي تبرك بجلوس النبي ﷺ برهة من الزمان، فما ظنك بالقبر الذي يورك بضم جسده الشريف طيلة الزمان؟ لا القبر فقط، بل قد تبركت البقعة، بل كل أرض المدينة بسبب حلول نبي الرحمة ﷺ فيها، فإن تلك البقعة تفتخر على سائر البقاع بسبب كونها روضة من رياض الجنة، وأن استجابة الدعاء ونزول البركات فيها، وعبادة الله تقع عليها وكلها لأجل

(١) وفاة الوفاة: ١٤٠٦.

من ضممتها، فمن حقها أن يكون فيها البركة والشفاء.

وأما أرض المدينة فليس يخفي فضائلها وشرافتها على ما سواها، فقد ورد في فضل المدينة روايات كثيرة وذكر السمهودي فصلاً في الاستشفاء بتراب المدينة وبتمرها، وذكر روايات منها:

قوله ﷺ: «والذي نفسي بيده أن في غبارها شفه من كل داء».

وفي رواية زيادة: «ومن الجذام والبرص».

وقوله ﷺ: «عجوة المدينة شفه من السقم وغبارها شفه من الجذام».

وفي حديث رواه مسلم: «من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها حين يصبح لم يضره شيء حتى يمسي».

وروي في الصحيحين: «من تصبَّح بسبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر». إلى غير ذلك من الروايات^(١).

ويقال أن العجوة مما غرسه النبي ﷺ بيده الشريفة بالمدينة وهو ضرب من التمر أكبر من الصيحاني يضرب إلى السواد، حكاه السمهودي عن ابن الأثير والبزار، وقال: فلعل الأوداء التي كاتب سلمان الفارسي أهلها عليها وغرسها ﷺ بيده الشريفة بالفُقَيْر أو غيره من العالية كانت

(١) وفاء الوفا للسمهودي ١: ٦٧ نشر دار الكتب العلمية - بيروت، وتجد هذه

الروايات في مجمع الزوائد للهيتمي ٥: ٤٤ و ٨٩، فيض القدير شرح الجامع

الصغير للمناوي ٦: ١٣٦ ط دار الكتب العلمية، المعجم الأوسط للطبراني ٦:

١٣٠ ط مطبعة دار الحرمين، كنز العمال للمتقي الهندي ١٠: ٥٥، سبل الهدى

والرشاد للصالحى الشامي ١٠: ٣٢٠ و ١٢: ٢٠٣ ط دار الكتب العلمية -

بيروت، السنن الكبرى ٨: ١٣٥، سنن أبي داود ٢: ٢٢٣ ط دار الفكر.

٤٧٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

عجوة والعجوة توجد بالفقير إلى يومنا هذا. إنتهى كلام السمهودي^(١).

والمتحصل من روايات فضل المدينة هو ما قاله السمهودي:

إنعقد الإجماع على تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفة حتى على الكعبة، وأجمعوا على تفضيل مكة والمدينة على سائر البلاد، واختلفوا بان أيهما أفضل، فذهب عمر بن الخطاب وابنه عبد الله ومالك بن أنس وأكثر المدنيين إلى تفضيل المدينة.

ثم قال: وأحسن بعضهم فقال: الخلاف في غير الكعبة، فهي أفضل من المدينة ما عدا ما ضم الأعضاء الشريفة، وحكاية الإجماع على تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفة نقله القاضي عياض والقاضي أبو الوليد الباجي قبله، كما قال الخطيب بن حمله.

وكذا نقله أبو اليمن بن عساكر وغيرهم مع التصريح بالتفضيل على الكعبة، بل نقل التاج السبكي عن ابن عقيل الحنبلي: بان تلك البقعة أفضل من العرش.

وقال التاج الفاكهي: قالوا: لاخلاف أن البقعة التي ضمنت الأعضاء الشريفة أفضل بقاع الأرض على الاطلاق حتى موضع الكعبة، ثم قال: وأقول أنا: أفضل بقاع السموات أيضاً، ولم أرَ من تعرض لذلك والذي أعتقده أن ذلك لو عرض على علماء الأمة لم يختلفوا فيه، وقد جاء أن السموات تشرقت بمواطن قدميه ﷺ... إلى آخر ما ذكره السمهودي^(٢).

فأسألك عزيزي القارئ: ما هو السبب والدليل الذي به بلغت المدينة من الفضل ما بلغت، بحيث صارت أفضل البلدان وحتى أفضل من مكة المكرمة أو ما عدا الكعبة الشريفة على بعض الاقوال أو على السموات؟

(١) وفاء الوفا ١: ٧١. والأوداء جمع ودى وهو صغير النخل.

(٢) وفاء الوفا ١: ٢٨ ط دار الكتب العلمية.

وإذا كنت طالباً للحق ومن أهل السداد لا أراك تقول في الجواب غير ما يؤيده الفؤاد، وهو أن هذه الفضائل كلها من بركات وجود الرسول المصطفى ﷺ فيها حياً وميتاً.

فإذا كان موضع القبر الشريف مفضلاً على الكعبة وقد يُدعى عليه الإجماع، فما الخذور في التبرك به وتعظيمه، لما قد فضله الله وعظمه؟، ولماذا يجعله المخالف كفراً وشركاً ويجعله من الوثنية، مع أنه قد اعترف بروايات فضل المدينة فضلاً عن القبر الشريف؟ أليس هذا من الحقد والعداوة؟

نعم: إن المدينة المنورة وأهلها قد نالوا من الفضل بوجوده الشريف، بحيث ورد الحث على حفظ أهلها وإكرامهم وأنهم جيرانه ﷺ، وورد التحريض على الموت فيها وجوارها، وإن الله تعالى ببركة النبي ﷺ عصمها من الدجال والطاعون وقد وردت الأحاديث الكثيرة في تحريمها.

ومن المعلوم أن هذه الفضائل كلها بسبب تشرف هذه البلدة بقدم النبي ﷺ وسكنه بها حياً وميتاً، وقد ثبت أن الأنبياء أحياء يرزقون، وإلا فهي كسائر البلدان، فمن كانت هذه حرمة وهذا فضله عند الله، بحيث سبق الأولين والآخرين، وبلغ من القرب إلهي إلى حد لم يصله ملك مقرب ولا نبي مرسل حتى جبرئيل الأمين الذي توقف عند سدرة المنتهى وتجاوز نبينا الكريم إلى مقام قاب قوسين أو هو أدنى ووو...

أفلا يستحق ويسوغ أن يتبرك بقبره ويتمسح بتراب هذه حرمة عند الله تعالى، فقد روي: أن مالك مع ضعفه وكبر سنه لم يركب قط في أرض المدينة وكان يمشي عليها غير متنعل إحتراماً لمن مشى عليها وحلّ فيها.

ولكن من عجائب الزمان أن تأتي حثالة من الناس يجرمون زيارته ويكفرون من يتبرك بقبره وآثاره ﷺ ويجعلونه شركاً وكفراً، ويستدلون على مرامهم الفاسد بخبر عبادة يغوثن ونسر الذين كانوا قوماً صالحين، والحال أن الذم الذي ورد، كان على عبادة صورهم، فقد ورد أن الآباء

تبركت بهم والأبناء الذين أتوا من بعدهم عبدت صورهم، فالذم للأبناء على العبادة لا للأباء على التبرك.

ومن المعلوم أن المسلمين سلفاً وخلفاً على اختلاف مذاهبهم لم يكن ولا واحد منهم كذلك ولا تجد أحداً يعظم كتاباً أو نبياً أو مكاناً أو عبداً صالحاً من غير قصد التقرب إلى الله أو إضافته إلى الله وطلب الثواب منه سبحانه.

والدليل عليه كما قلنا سابقاً: أنه لو لم يُنسب ويضاف إلى الله لما كُرِّمَ وما عَظُمَ وكان مع غيره سواء، فظهر أن هذا كله من باب طاعة الله وتعظيمه والتقرب إليه لا غير.

ومن هنا يظهر جواب ما قاله الغزالي من الشبابة باليهود والنصارى، على أن صرف كون عمل يشبه عمل النصارى واليهود ليس دليلاً على المنع، فإن كثيراً من عادات وسنن الأولين أنبيائهم وعقلائهم كانت متداولة بين المسلمين وقد عمل بها الرسول الأمين وأمضاها، فما ثبت من الشرع جوازه لا ينبغي أن يمنع إلا بدليل وهو مفقود في المقام.

وأما من زعم أن إطالة الوقوف ولمس القبر وإلصاق البطن والظهر به مناف للأدب، والأقرب للأدب الإجتنب عن هذه الأمور والإبتعاد عن القبر الشريف، فزعمه صرف توهم، لأن تلك الأفعال إذا كانت بقصد التبرك، فهي من كمال الأدب وهكذا إكثارها وإطالة الوقوف طلباً لزيادة البركة والثواب من الله وليس فيه شيئاً منافياً للأدب.

نعم إن الناس تختلف سلائقهم وحالاتهم، فبعض يرون تمام الأدب في عدم الالتصاق بقبره وأن يكون الزائر في مقابله مع حالة الحضور والخضوع، وبعض من شدة علاقته وشوقه لا يتمالك نفسه في أن يبتعد عنه، بل يلقي نفسه ويلتصق به ويقبله كما لو كان حياً ﷺ، فإذا كان قصد الجميع هو الأدب والاحترام معه وأن الأعمال بالنيات، فما هذا

الإصرار والتعصب على تخطئة بعض وتأيد بعض آخر، والحال أن كلهم سواء والكل ينالون من الثواب على قدر معرفتهم ونياتهم وإن الله لا يضيع أجر العاملين.

تنبيه:

لا ينبغي الإشكال في التبرك بالرسول المصطفى ﷺ وأهل بيته وآثارهم، بما يصدر من فعل عوام المسلمين، حيث يتخيل بعضهم أن الزيارة معناها إلقاء البدن على القبر والاتصاق به وتقبيله وأمثال ذلك وإن لم يتمكن منه فلا تصح زيارته.

فإن هذه الأفكار من قلة معرفتهم وعدم إطلاعهم وبساطتهم، ولا بد من إرشادهم وتعليمهم الآداب الصحيحة في الزيارة والقراءة والكتابة.

فقد صادف بعض الأوقات حين الحضور في المشاهد لزيارة الأنوار المقدسة أن سألتني بعض البسطاء بأنني لم أتمكن من تقبيل الضريح المقدس ومسه لكثرة الزائرين وازدحامهم، فهل تقبل زيارتي؟

فقلت له بلسان طيب: نعم تقبل زيارتك، لأن معنى الزيارة وحقيقتها هو الحضور عند المزور ومن آدابها أن يقف الزائر أمام المزور بتواضع وأدب وأن يتذكر حالات مزوره وخصوصياته وفضله وقربه عند الله، ثم يزوره بالزيارات الواردة إن أمكنه، وإلا فنفس السلام كاف في تحققها، ولا يشترط في الزيارة تقبيل الضريح ولمسه وأن يتحمل المشقة أو يصير سبباً لإيذاء الآخرين عند الإزدحام، وتارة يوجب رفع الأصوات التي هي خلاف الأدب والاحترام.

ثم قلت له: نعم لو لم يشق عليك ولا على الآخرين وتمكنت من تقبيله مع رعاية الأدب والاحترام قاصداً بذلك التبرك وزيادة الثواب والتقرب به إلى الله تعالى فهو راجح ومطلوب وفيه الثواب وتعظيم من

عظمه الله، وإلا فلا حاجة إليه ولا هو مشروط.

والحاصل أنه لا بد لأهل المعرفة من إرشاد العوام إلى الصواب لا منعهم وزجرهم وهتك حرمتهم أو لاسمح الله تكفيرهم، لأنهم عباد الله وأحبائه وأعمالهم هذه ناشئة عن محبتهم وشوقهم ورجاء لرضا الله وفضله والقرب منه، لكنهم جهلوا الطريقة والاسلوب اللائق.

فلا ينبغي لمنصف أن يحتج بعمل بعض العوام ويحرم أصل المرام وهو التبرك بقبر خير الأنام وعترته الكرام عليهم صلوات الملك العلام.

فقد تحصل من جميع ما قدمناه لحد الآن: أن التبرك بالأنبياء والأولياء وآثارهم مهما كان وخصوصاً التبرك بالنبي وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين وسائر آثارهم أمر راجح لا مانع منه شرعاً ولا عقلاً وفيه تعظيم ما عظمه الله مضافاً إلى أنه أمر عاطفي ذاتي بشري لا يُمنع منه.

ومنه يعلم أن كل ما له نسبة وإضافة إلى الله وإلى أولياء الله فهو مستحق للاحترام والتعظيم، لما ناله من الشرافة والفضل والبركة، سواء كان قبراً أو حجراً أو شعراً أو لباساً أو مكاناً أو موضع قدم، وحتى الأمكنة والأحجار المنسوبة إلى النبي المكرم أو أحد من أهل بيته مثل غار حراء أو شعب أبي طالب أو جبل فلان أو مقام فلان أو موضع قدم النبي ﷺ أو محل ولادته أو موضع قدم أحد من أهل بيته، ومن الجدير أن نذكر بعضها:

منها: موضع قدم الإمام الرضا ﷺ بالقرب من نيشابور المسمى بـ (قدمگاه)، فهناك أثر قدم بضعة رسول الله ﷺ وقد نبع الماء من تحت قدمه المبارك وصار مكاناً مباركاً ولحد الآن يأتونه الناس ويتبركون به ويأخذون من ماء ذلك البئر الذي نبع ببركته.

ومنها: موضع يقال: إن أمير المؤمنين ﷺ مرّ به وقد نبع الماء من تحت قدمه الشريف ويسمى ذلك الموضع بشاهان گرم آب بالقرب من

التبرك بآثار النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام والأولياء ٤٧٥

مشهد، فببركة أمير المؤمنين عليه السلام قد أعطى الله لهذه البئر خصوصية شفاء الأمراض الجلدية والعظمية وقد بني فيه حمامات وإلى حد الآن ينبع منه ماء حار ولهذا سمي به كرم آب.

وأمثال هذه المواضع والمقامات التاريخية المباركة كثيرة وفي كثير من الأقطار والبلدان.

ومنها: ما يسمى بسرداب الغيبة الذي غاب في ذلك الموضع الإمام الحجة صلوات الله وسلامه عليه في مدينة سامراء على قول.

ومنها: ما يسمى بمشهد النقطة، ومنها ما يسمى بمشهد السقط في حلب من سوريا، ويلحق بها أيضاً المواضع والأماكن التي ظهرت فيها كرامة من أحد أولياء الله المقربين وصار ذلك المكان مباركاً، ويلحق أيضاً بها كل مكان يذكر فيه اسم الله ويعبد فيه ويذكر فيه أولياءه المقربون وعبادته الصالحون خاصة أهل بيت النبوة وموضع الرسالة صلوات الله عليهم أجمعين.

فمن المعلوم أن المكان الذي يذكر فيه الله سبحانه وفيه ذكر أوليائه يمتاز عما لا يذكر فيه الله ولا يعبد.

فقد ورد عن نافع، عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من قوم اجتمعوا يذكرون فضائل محمد وآل محمد إلا هبطت ملائكة من السماء حتى لحقت بهم تحدثهم، فإذا تفرقوا عرجت الملائكة إلى السماء وتقول الملائكة الآخر لهم إنا نشم رائحة منكم ما شمنا رائحة أطيب منها فتقول لهم: كنا مع قوم كانوا يذكرون فضل محمد ﷺ وآل محمد فعترونا، فتقول: اهبطوا بنا إليهم، فيقولون: إنهم تفرقوا، فيقولون: اهبطوا

بنا إلى المكان الذي كانوا فيه»^(١).

وعن الصادق عليه السلام قال: إن من الملائكة الذين في سماء الدنيا ليطلعون على الواحد والاثنين والثلاثة وهم يذكرون فضل آل محمد ﷺ فيقولون: أما ترون هؤلاء في قلتهم وكثرة عدوهم يصفون آل محمد ﷺ فتقول الطائفة الأخرى من الملائكة: ذلك فضل الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم^(٢).

فتحصل أن في تلك الأماكن من البركة ما ليس في غيرها والذي يستفاد مما قدمناه، أن الحسينيات وأمثالها في الفضل والشرافة من بعد المسجد، فكما أن الصلاة والذكر في المسجد يمتاز عن غيره من الأماكن العادية، فهكذا من بعد المسجد، الحسينيات وبعض المشاهد والمزارات التي تتعلق بأهل بيت النبي صلوات الله عليهم أجمعين من أولاد الأئمة عليهم السلام.

فلا تشك في أن هذه الأماكن والمقامات والآثار كلها مشمولة للأدلة ولا ريب في فضلها وشرفها عند الله وأن الدعاء أقرب للإجابة فيها من غيرها ونزول البركات من الله أكثر مما في غيرها من الأماكن العادية.

ولا ريب في جواز التبرك بها والصلاة فيها و.... بشرط أن يثبت صحتها بالطرق الصحيحة، لا يقول الجهال وعمل العوام الذي ربما لا أساس له في الكتب والتاريخ.

وإليك نموذجاً من هذه الأحجار المباركة التي قد أمضى بركتها الشارع المقدس.

(١) يتابع المودة ٢: ٢٧٢، الكافي ٨: ١٥١ وفيه يذكرون فضل علي بن أبي طالب عليه السلام ، مستدرک سفينة البحار ٢: ٧٩ وفيه بدل قوله (حتى لحقت بهم...) حتى تحف بهم وبدل (تقول الملائكة الآخر) فيقول لهم الملائكة.

(٢) روضة الكافي: ٣٤٤ ح ٥٢١، تفسير نور الثقلين ٥: ٣٢٤، بحار الأنوار ٧١: ٢٦٠، الوسائل للحر العاملي ١٦: ٣٤٦.

فقد روى السمهودي عن يحيى بن عباد أنه قال: أن بيت فاطمة الزهراء عليها السلام لما أخرجوا منه فاطمة بنت الحسين وزوجها حسن بن حسن وهدموا البيت بعث الحسن ابنه جعفر وكان أكبر ولده فقال له: إذهب ولا تبرحن حتى بينوا، فتنظر الحجر الذي من صفته كذا وكذا، هل يدخلونه في بنيانهم، فلم يزل يرصدهم حتى رفعوا الأساس وأخرجوا الحجر فجاء جعفر إلى أبيه فأخبره فخرّ ساجداً وقال: ذلك حجر كان النبي ﷺ يصلي إليه إذا دخل إلى فاطمة - أو كانت فاطمة تصلي إليه - الشك من يحيى - .

وقال علي بن موسى الرضا عليه السلام: ولدت فاطمة عليها السلام الحسن والحسين على ذلك الحجر .

قال يحيى: ورأيت الحسين بن عبد الله بن عبد الله بن الحسين ولم أر فينا رجلاً أفضل منه إذا اشتكى شيئاً من جسده كشف الحصى عن الحجر فيتمسح به الحديث....^(١)

وفي قصص الأنبياء: أن إبراهيم عليه السلام لما جاء لزيارة ولده إسماعيل بمكة، جاءت زوجته إسماعيل بحجر وهو حجر المقام الذي بنى عليه الكعبة، فجلس عليه فغاضت رجلاه في الحجر، فغسلت شقيه الأيمن والأيسر وأفاضت الماء على رأسه وبدنه وانصرف، فلما جاء إسماعيل وجد رائحة أبيه، فسأل زوجته، فأخبرته وقالت هذا موضع قدميه، فقبل موضع قدم أبيه من الحجر وحفظه يتبرك به إلى أن بنى عليه فيما بعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام الكعبة^(٢).

فهذا حال حجر تبرك بولادة فاطمة الزهراء عليها السلام ولديها عليه وبصلاة

(١) وفاء الوفا للسمهودي ٢: ٥٧٢ .

(٢) تاريخ مكة المكرمة «بأعلام بيت الله الحرام» لقطب الدين الحنفي نقلاً عن

كشف الارتباب: ١٤١ .

أبيها أو صلاتها عليه، وهذا حال السلف الصالح في التبرك به والاستشفاء به، فما تقول في قبره الشريف وسائر آثاره؟ فهل يبقى عندك شك في جواز التبرك والتمسح والاستشفاء بها وطلب الحوائج من الله عندها؟ وما تقول في قبور أهل بيته المعصومين وسائر آثارهم؟

وما أظنك تفرق بينه وبينهم حيث أنهم من شجرة واحدة ونور واحد لحمهم من لحمه ودمهم من دمه، مَنْ أحبهم وعظمهم فقد أحب وعظم رسول الله ﷺ ومن عظمهم وأحبهم فقد عظم الله وأحبه، فحبههم وتعظيم شأنهم والتبرك بهم يرجع إلى الله ﷻ لأنهم من أشرف عباد الله وأفضلهم وأقربهم منزلة منه.

ثم إن تقبيل إسماعيل الحجر وتبركه به لا بد أن يكون عند المخالفين كفراً وشركاً! العياذ بالله من هذه النسبة إلى أنبياء الله، وإلا فما مزية هذا الحجر على بقعة حَوَتْ جسد أشرف الأنبياء والمرسلين وسيدهم وقدوتهم، التي قد حرموا تقبيلها وزجروا الناس عن التبرك بها والوقوف عندها وجعلوه شركاً ومن عبادة غير الله.

والعجيب أنهم منعوا أيضاً عن التبرك بالبناء الذي على مقام إبراهيم ﷺ الذي بلغ من الفضل عند الله بركة وقوف خليله عليه أن أمر سبحانه بأن يتخذ مصلى فقال عز وجل: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فإذا كان الصلاة عند المقام مأموراً به وهو أعظم من تقبيله ولم ينهى عنه ولم يعدّه شركاً وعبادة لغيره، فما بال المانعين يمتنعون التبرك به ويعدونّه من العبادة لغيره، ويضربون الناس عليه إلى حد قد أدى في بعض الموارد إلى قذف الدم وتنجيس المسجد الحرام، فإنهم قد خالفوا الله بفعلهم هذا فضلاً عن خلق الله.

طواف القبور

طواف القبور

بقي الجواب عما ادعي من نسبة الطواف بالقبور.

فنقول وبالله نستعين: إن هذه النسبة لا أساس ولا صحة لها وهي من افتراءات الأعداء على زائري المشاهد المشرفة عموماً والشيعة خصوصاً، فقد اتهموهم بتهم سخيفة، منها: أنهم يطوفون حول القبور وينحرون الذبائح عندها ويطلبون من أصحاب القبور أموراً لا يقدر عليها إلا الله.

وقد تعدى بعضهم في الافتراء والكذب فقال: صنف المفيد أحد علمائهم كتاباً سماه (مناسك حج المشاهد)، وقال: إن معظمهم يعتقد أن الحج إليها أفضل من الحج إلى مكة.

وفي بعض كلماتهم: إنهم يحجون إليها كما يحجون إلى مكة، ومن هذا القبيل من الأكاذيب الواهية التي ينكرها كل من له أذن واعية.

والجواب عنها: أولاً: إن طواف الحج له كيفية خاصة ويتحقق بسبعة أشواط كاملة وهو أحد واجبات حج بيت الله الحرام بتمام أنواع الحج ولم يقل أحد من المسلمين من الشيعة والعمامة علمائهم وعوامهم بجوازه في غير حج بيت الله الحرام، ولو فرض أن قال أحد به، فهو كافر ومبتدع.

وعليه فما يدعى من رؤية بعض الناس أنهم يطوفون حول القبور، فإن كان يقصد الطواف المخصوص الذي يقع في الحج وبتلك الكيفية أي كونه سبعة أشواط وبنية أنه مأمور به وعبادة فهو تشريع محرم قطعاً من أي أحد كان ولا بد من النهي عنه.

لكن من المتيقن أن هذا النحو من الطواف لم يأت به أحد من المسلمين حتى عوامهم فضلاً عن علمائهم ولا يعتقد به أحد، بل الذي يقع عند بعض المسلمين هو التداور أطراف الأضرحة ولمسها وتقبيلها بقصد حصول البركة أكثر فأكثر بحيث لا يبقى جانب من القبر أو الضريح إلا وتناله بركته بلمسه وتقبيله، وهذا النحو من التبرك ليس شبيهاً بالطواف.

ولو فرض كونه شبيهاً بطواف الكعبة فإنه ليس مجرام ولا تشريع، حيث إنه ليس كل شبيه بالعبادة الخاصة يكون محرماً وممنوعاً، وإلا لحرم تقبيل الميت مثلاً، لشباهته بتقبيل الحجر الأسود ولا يقول به أحد، فإن ملاك الحرمة في أمثال هذه الموارد هو القصد والنية.

فلو فرض أن شخصاً طاف حول الضريح ولم يكن قصده طواف الحج وبنية العبادة ولا يعتقد بأنه من شرط صحة الزيارة، فهذا العمل ليس مجرام ولا إشكال فيه قطعاً.

ولو فرض أيضاً أن شخصاً وقع على العتبة لا بقصد أنه مأمور به أو جزء من الزيارة، فلم يكن محرماً ولا إشكال فيه، بل إذا كان بقصد التبرك والاحترام فهو مطلوب وفيه تعظيم من عظمة الله، فإن العتبة والقبر والحائط والضريح والباب وأمثالها كلها متعلقة بذلك المزور ومضافة إليه ومن آثاره، وقد ثبت أن التبرك بالآثار أيضاً لا مانع منه، بل هو مطلوب أيضاً، وورد: إن الأعمال بالنيات، وليست كل شبهة بعبادة منهي عنها.

وأزيدك تأييداً ومثلاً: إن الشكر بنحو عام ولكل من له فضل على الانسان جائز وممدوح وإذا وقع لله كان عبادة له سبحانه، ولذا جاء الأمر به لغير الله في قوله تعالى: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾^(١)، فلو كان الشكر لغيره عبادة للغير لما أمر به، وقد ورد كثيراً في الروايات الحث على الشكر لمن

أحسن إلى الإنسان.

وأهم مثال هو: أن السجود لله عبادة وهي خاصة به، فلو سجد شخص لأحد السلاطين كان عبادة لغير الله ويُعدّ شركاً، وهكذا إذا سجد لصنم أو غيره، ولكن مع ذلك نرى صدور الأمر به لغيره تعالى، فقد سجدت الملائكة لآدم إلا إبليس أبى واستكبر فكان من الغاوين^(١)، لعدم امتثاله لأمر رب العالمين، وقد أجمع المفسرون بأن سجدتهم لآدم ما كانت سجدة عبادة، بل كانت سجدة تعظيم لما في صلبه من الأنوار المقدسة وهو نور محمد وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

فتبين أن المشابهة الظاهرية ليست ملاكاً في الشرك، بل الملاك هو القصد. فلو كانت المشابهة لعمل المشركين مؤثرة في الشرك، لما أمر به الله.

والمثال الآخر: هو سجود يعقوب وأبناؤه ليوسف، كما في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾^(٢) وهو أيضاً سجود تعظيم لا عبادة، ومنه سجود الكواكب والشمس والقمر ليوسف، حيث قال: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(٣). فلو كان هذا النوع من السجود عبادة لغيره وشركاً به لما أمر الله به ولما أمضاه، كما في قصة يوسف.

وهكذا خفض جناح الذل للوالدين والخضوع لهما وتقبيل أيديهما وأرجلهما، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ

(١) سورة الحجر: ٢٩ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ

سَاجِدِينَ﴾.

(٢) يوسف: ١٠٠.

(٣) يوسف: ٤.

الرَّحْمَةَ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا^(١). فإنه بأمر الله ويُعدّ طاعة له وعبادة له، مع أنه مشابه لعبادة الأصنام والخضوع لها في الظاهر، فلو كانت الشباهة موجبة للشرك لما أمر الله به وما رغب فيه.

ومثله بيت الله الحرام والصفاء والمروة، فالبيت من جهة الظاهر شبيهة بالأحجار والطين الذي يتخذهُ المشركون صنماً ويعبدونه، ولكن الله سبحانه قد أمر عباده بالطواف حول هذه الأحجار، قال سبحانه: ﴿وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ^(٢)﴾.

وهكذا السعي بين الجبلين صفا ومروة، بحيث أصبحت من شعائر الله، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا...^(٣)﴾.

فطواف المسلم حول هذه الأحجار عبادة لله وامتنال لأمره، والسعي بين الصفا والمروة عبادة لله ومظهر لتوحيده وتذكر لعمل امرأة صالحة موحدة سعت بينهما لطلب الماء.

وبعكسه لو طاف شخص حول الأصنام التي صنعت من الحجر أو الطين أو سعى بين جبلين قد وُضع عليهما صنم لصار مشركاً.

فتحصل أنه لو كان ملاك الحرمه والشرك صرف الشباهة لما أمر الله سبحانه بهذه الأفعال، وظهر أن ملاك العبادة هو القصد والنية.

وبيتني على هذا الأصل سائر الأمور التي وقعت شبهة الشرك فيها.

(١) الإسراء: ٢٤.

(٢) الحج: ٢٥.

(٣) البقرة: ١٥٨.

ففي تقبيل واستلام الحجر الأسود شباهاة شكلية وظاهرية لتقبيل الصنم واستلامه والتبرك به مع أن ذاك مستحب مؤكد وعبادة لله، وهذا حرام وشرك بالله. فقد روي: أن عمر جاء إلى الحجر فقَبَلَهُ وقال: إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك^(١).

وفي رواية: أنه لما دخل المطاف استقبل الحجر وقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك ثم قبله، فقال له علي عليه السلام: بلى يا أمير المؤمنين هو يضر وينفع، قال: بيم؟ قال: بكتاب الله، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾^(٢).

خلق الله آدم ومسح على ظهره، فقررهم بأنه الرب وأنهم العبيد وأخذ عهودهم وموآثيقهم وكتب ذلك في رق وكان لهذا الحجر عينان ولسان، فقال له افتح فاك ففتح فاه فألقمه ذلك الرق، وقال اشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة، وإني أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالحجر الأسود يوم القيامة له لسان ذلق يشهد لمن يستلمه بالتوحيد»، فهو يا أمير المؤمنين يضر وينفع، فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن^(٣).

فإذا كان الملاك هو القصد فلا مانع أيضاً من التقبيل والطواف حول

(١) صحيح البخاري ٢: ١٨٣ - ١٨٦، صحيح مسلم ٢: ١٦٠، مسند أحمد ١: ١٦ و ٤٦

٢٦ و ٣٦ و ٥٣، سنن النسائي ٥: ٢٢٧، السنن الكبرى ٥: ٧٤، البداية والنهاية ٥:

١٥٣ بأسانيد متعددة، وقد ورد في كتب القوم مع اختلاف في اللفظ.

(٢) الاعراف: ١٧٢.

(٣) المستدرک للحاکم ١: ٤٥٧ وقد أورده الذهبي في تلخيصه للمستدرک بنفس الصفحة،

فتح الباري ٣: ٣٧٠، الدر المشور ٣: ١٤٤، وأورده ابن الجوزي في سيرة عمر ١٠٦،

شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٢٢، كنز العمال ٥: ٩٣، وتراه في كثير من كتبهم.

٤٨٦ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

القبر النبوي الشريف وسائر آثاره والتبرك بها وقبور أهل بيته وسائر الأولياء
وآثارهم إن كان الله ﷻ.

وهكذا الأمر أيضاً في تقديم الهدى في منى وشباهته بعمل المشركين
في تقديمهم القرايين لأصنامهم، فإذا كان الملاك هو القصد فلا مانع من
تقديم ثواب الذبائح والقرايين إلى النبي وأهل بيته وسائر الأولياء والصالحين
إن كان العمل لله تعالى.

فقد ورد في الأحاديث: إن الأعمال بالنيات، وإغا لكل امرئ ما
نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله ومن
كانت هجرته إلى دنيا يصيبها وامرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه^(١).

إذن للقصد دور مهم وحساس في تقبيل الأعمال وفسادها، وهو الملاك
في تمييز العبادة لله والشرك به، وأما المشابهة فليس لها أي أثر في المسألة.

فاتضح مما تقدم: أن شبهة الخصوم في مسألة الطواف والتقبيل والتبرك
كلها فاسدة.

لأن الطواف والتقبيل والتمسح من الأفعال التي لا تكون عبادة لغيره إلا
إذا أتى بها بقصد عبادة غير الله، وإذا كان القصد لله فهي راجحة مطلوبة.

وقس على هذه الشبهة سائر شبهاتهم واتهاماتهم للمسلمين خاصة
شيعة أمير المؤمنين ﷺ.

وقد يتحير الإنسان من قلة حياضهم وكثرة جرأتهم في نشر الأكاذيب
والافتراءات المرسله من خارج بلاد الإسلام، حيث ادعوا:

أن الشيعة يحجون إلى القبور وأن معظمهم يعتقد أن الحج إليها أفضل
من الحج إلى مكة.

(١) فيض القدير للمناوي ١١/٣٠ ط مصر.

والحال أنك لم تعثر على واحد من الشيعة الإمامية من يتخيل بهذا الخيال الفاسد فضلاً عن اعتقاده، فإن حجة الإسلام واجبة بنص القرآن والسنة ولا خلاف فيها بين الشيعة والسنة، وأن زيارة قبور الأئمة المعصومين وحتى زيارة قبر النبي الأمين صلوات الله عليهم أجمعين مستحبة، والمستحب لا ينوب ولا يقوم عن الواجب أصلاً ولا يسقط الفرض بالمستحب أبداً.

والعجب من غباء هؤلاء المخالفين في جعلهم الأكاذيب التي لم تلتصق حتى بعوام المسلمين فضلاً عن علماء الدين، لأن الحج فريضة مركبة من مجموعة أجزاء وشرائط التي منها الطواف وليس الطواف لوحده حج، فلو فرضنا وسلمنا جدلاً أن بعض المسلمين يطوفون حول القبور، فهل تتحقق هذه الفريضة بصرف الطواف وهل يمكن تسمية هذا الطواف بالحج؟! فمن أين أتوا بهذه التهمة المضحكة!؟

فظهر أن نسبة أفضلية حج القبور على حج بيت الله الغفور صرف افتراء لا يصدر إلا من العدو.

وينبغي التنبيه على كلمة وهي: أنه قد وقع الكلام بين الأعلام حول زيارة الحسين عليه السلام في يوم عرفة لمن كان قد حج حجة الإسلام وسقطت عنه الفريضة وصار له مندوباً، فأيهما يقدم؟ الكون في عرفة أو كربلاء؟ فقال جمع من الأكابر بتقديم زيارة الحسين عليه السلام لمن لم تكن عليه فريضة الحج، وإلا فيقدم الفريضة عند الاستطاعة والإمكان.

وهذا القول ليس من عند أنفسهم، بل مستند إلى روايات كثيرة معتبرة وردت عن أئمة الهدى عليهم السلام في فضل زيارة الحسين عليه السلام وأهميتها، وقد تقدم ذكر بعضها.

هذا وقد تجاوز غباؤهم عن الحد حيث اتهموا أحد كبار علماء الشيعة بلا مدرك وتحقيق، فقالوا: بأن المفيد كتب كتاباً سماه (مناسك حج المشاهد) وقد غفلوا من أن ليس كل الناس مثلهم أغبياء، فإن طالب الحقيقة يطالبهم

بالمدرک وسألهم أين هذا الكتاب الذي لم يطلع عليه ولا يراه أحد لا من الشيعة ولا من السنة ولا يوجد اسمه وأثره في مصنفات الإمامية؟

فراجع الكتب الرجالية لهم والكتب التي ورد فيها أسماء مصنفاتهم، فهل ترى لهذا الكتاب من أثر؟

هذا العالم الرجالي الكبير أحمد بن علي النجاشي قد ذكر في كتابه - فهرست أسماء مصنفي الشيعة - في ترجمة الشيخ المفيد مائة وأربعين كتاباً له غير الرسائل ولم يذكر له كتاباً ولا رسالة بهذا الاسم.

نعم قد أُلّف أكثر علماء الشيعة كتباً في مناسك الحج، كسائر علماء المذاهب ومن الشيعة الشيخ المفيد ﷺ حيث أُلّف ثلاثة كتب باسم مناسك الحج، وقد خُصّصت هذه الكتب ببيان أعمال فريضة الحج.

وللمفيد أيضاً كتاباً باسم (المزار الصغير) وهو خاص بأداب الزيارة في المشاهد المشرفة، كما أن كثيراً من العلماء قد أُلّفوا في هذا الباب وسموه بالمزار، وليس ببعيد من هذه العصابة عند ما يحسّوا بهذه الفضيحة أن يضعوا كتاباً بهذا الاسم وينسبوه إلى المفيد، كما فعل أسلافهم في دسّ الروايات الموضوعة.

ولكن الباحث المنصف لا يغفل من أن علم الرجال قد أُسس لأجل تشخيص هذه الأمور، فتمام مؤلفات رجال العلم مضبوطة محفوظة ولا يمكن الدس فيها، وإغواء المؤمنين بسببها. فبعد بيان هذه الحقائق والاطلاع على هذه الأكاذيب المدسوسة من الأيدي المرموزة أراك تقول: لعن الله كل كذاب أثيم ومفتر زني.

أو تقول: والدعاوي إن لم يقام عليها بينات فأبناؤها أديعاء.

النذور

لأهل القبور

النذور لأهل القبور

هذه المقولة أيضاً من المقولات التي تفوه بها المخالفون لزيارة القبور من أجل تكفير الشيعة وسائر فرق المسلمين، فاتهموهم بأنهم يقدمون القرابين والنذور التي لا تصح إلا لله، للنبي وآله صلوات الله عليهم أجمعين.

ففي كتاب فتح المجيد: والاحجار التي تقصد للتبرك والنذر لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها^(١).

وفي موضع آخر منه: المشاهد والأماكن وقبور الأولياء التي صارت محلاً للزيارة والخيرات والنذورات... كلها محل الشيطان، والتوقف في أماكن مثل الزينية ورأس الحسين في سورية وكر بلا والنجف حرام، وكان فيما مضى مثلها في الحجاز وبحمد الله قد أخرجها عبد العزيز آل السعود، ونأمل من الله أن يخرب أمثالها^(٢).

ونقل عن ابن تيمية ومن تبعه: أن من نذر شيئاً للنبي من النبيين والأولياء من أهل القبور أو ذبح له ذبيحة، كان كالمشركين الذين يذبحون لأوثانهم وينذرون لها فهو عابد لغير الله فيكون بذلك كافراً^(٣).

وفي فرقان القرآن نقلاً عن ابن تيمية: من نذر شيئاً للنبي أو غيره من النبيين والأولياء من أهل القبور أو ذبح ذبيحة كان كالمشركين الذين

(١) فتح المجيد: ٢٧٤.

(٢) فتح المجيد: ١٣٧ وما نقلته ملخص ومضمون عبارته.

(٣) راجع كتاب مع الوهابيين للسبحاني.

٤٩٢ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

يذبحون لأوثانهم وينذرون لها، فهو عابد لغير الله فيكون بذلك كافراً^(١).

فنتقول وبالله نستعين: إن هذه الفرية مثل سائر افتراءاتهم التي لصقوها بالمسلمين وخاصة شيعة أمير المؤمنين ﷺ، لا صحة لها ولا أساس، بل هي ناشئة عن عداوتهم وحسدكم لآل المصطفى صلوات الله عليهم أجمعين.

فإن المتفق عليه عند الإمامية هو أن النذر والعهد والأضحية لا تكون إلا لله تعالى وهي جائزة في كل مكان ولا اختصاص لها بالمشاهد المشرفة وزائري قبور الأنبياء والأولياء، بل يمكن للإنسان أن ينذر لله في بيته أو أي مكان.

وللنذر صيغة خاصة لا يتحقق إلا بها، وهي بأن يقول: لله عليّ نذر أن أفعل كذا وكذا ويُعيّن ما ينويه، وإن كان لنذره شرط فيظهر شرطه، مثلاً بأن يقول لله عليّ نذر: إن قضيت حاجتي أو عوفي مرضي أو كذا وكذا أن أهدي المبلغ المعين أو الهدية المعينة أو ثواب عمل معين إلى شخص صالح معين سواء كان نبياً أو إماماً أو من أبناء الأئمة وغيرهم من الصالحين، وهذا النذر لله وليس لهم، والشاهد عليه كلمة (لله عليّ) في نفس الصيغة.

وأما قول بعض الناس: نذرت للنبي أو نذرت للحسين ﷺ أو لأبي الفضل العباس أو لمريضي أو لميتي أو لمسافري وأمثال ذلك، فالمراد من اللام هنا هي الجهة التي يصرف فيها الصدقة أو النذر من مصالح النبي أو الولي في حياته وجماعته، وإلا فالنذر لله، نعم جهته إهداء الثواب للنبي أو الإمام أو ابن الإمام أو الميت، أو جهته شفاء المريض وقضاء الحاجة، فليس اللام هنا هي نفس اللام الموجودة في نذرت لله أو لله عليّ أو تصدقت لله، بل هي كاللام في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾،

(١) فرقان القرآن: ١٣٢ للعزامي نقلاً من ابن تيمية في الرد عليه، وراجع الغدير

فإذا نذر الشيء له فهو لا يقصد إلا أن يتصدق بذلك عنه ويجعل ثوابه إليه، فيكون من هدية الأحياء للأموات أو الأحياء للأحياء المشروعة المثاب عليها.

ويؤيد ما ذكرنا من أن النذر إذا كان لله فهو راجح ولو في أي مكان سوى مكان يوجد فيه الأوثان، وبأي جهة سوى معصية الله، ما روى أبو داود السجستاني عن ثابت بن الضحاك قال: نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلاً ببوانة فأتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال ﷺ: «هل كان فيها وثن يعبد من أوثان الجاهلية» قال: لا، قال: «فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟» قال: لا، قال رسول الله ﷺ: «أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا في ما لا يملك ابن آدم»^(١).

ويؤيده أيضاً ما نقل عن ميمونة بن كردم، ومضمونه أن أباهما قال للنبي ﷺ: «إني نذرت أن أذبح خمسين شاة على بوانة، فقال ﷺ: «هناك شيء من هذه النُصُب؟»، فقال: لا، قال: «فأوف بنذرك»، فذبح تسعاً وأربعين وبقيت واحدة فجعل يعدو خلفها ويقول: اللهم أوف بنذري، حتى أمسكها فذبحها»^(٢).

ويؤيده أيضاً ما قاله علماء السنة في هذه المسألة:

حيث قال الخالدي: إن المسألة تدور مدار نيات الناذرين، وإنما الأعمال بالنيات فإن كان قصد الناذر، الميت نفسه والتقرب إليه بذلك لم يجز قولاً واحداً، وإن كان قصده وجه الله تعالى وانتفاع الأحياء بوجه من الوجوه به

(١) أخرجه أبو داود السجستاني في سننه ٢: ٨٠ بإسناده عن ثابت بن الضحاك.

البوانة: بضم الميم وتخفيف الواو، قصبه وراء ينبع قريبة من ساحل البحر كان يعبد فيها الأوثان.

(٢) معجم البلدان ٢: ٣٠٠.

وثوابه لذلك المنذور له سواء عين وجهاً من وجوه الانتفاع أو أطلق القول فيه ويكون هناك ما يطرد الصرف فيه في عرف الناس من مصالح الفقراء أو أهل بلده أو مجاوريه أو الفقراء عامة وأقرباء الميت أو نحو ذلك، ففي هذه الصورة يجب الوفاء بالندور.

وحكى ما ذكره عن كثير من علماء عصره ومن قاربه، ومنهم، الأذرعى، والزركشي، وابن حجر الهيتمي، والرملي الشافعي والقباني البصري، والرافعي، والنووي، والرملي الحنفي، والغزي، والشيخ قاسم الحنفي^(١).

وقال بعد ذكر حديثي أبي داود: وأما استدلال الخوارج بهذا الحديث على عدم جواز النذر في أماكن الأنبياء والصالحين زاعمين أن الأنبياء والصالحين أوثان والعياذ بالله أعياد من أعياد الجاهلية، فهو من ضلالهم وخرافاتهم وتجاسرهم على أنبياء الله وأوليائه، حتى سموهم أوثاناً وهذا غاية التحقير لهم خصوصاً الأنبياء، فإن من انتقصهم ولو بالكناية يكفر ولا تقبل توبته - في بعض الأقوال - وهؤلاء المخذولون بجهلهم يسمون التوسل بهم عبادة ويسمونهم أوثاناً، فلا عبرة بجهالة هؤلاء وضلالتهم والله أعلم...^(٢).

وقال العزامي في الرد على ابن تيمية بعد ذكر كلامه المتقدم (من نذر شيئاً للنبي أو غيره... كان كالمشركين): ويُطيل في ذلك الكلام، واغتر بكلامه بعض من تأخر عنه من العلماء ممن ابتلى بصحبته أو صحبة تلاميذه، وهو منه تلبيس في الدين وصرف إلى معنى لا يريد مسلم من المسلمين.

ومن خبر حال من فعل ذلك من المسلمين وجدهم لا يقصدون بذبائهم وندورهم للميتين من الأنبياء والأولياء إلا الصدقة عنهم،

(١) صلح الإخوان للخالدي: ١٠٢ - ١٠٩.

(٢) صلح الإخوان للخالدي: ١٠٩.

وجعل ثوابها إليهم، وقد علموا أن إجماع أهل السنة منعقد على أن صدقة الأحياء نافعة للأموات واصله إليهم، والأحاديث في ذلك صحيحة مشهورة.

فمنها ما صح عن سعد: أنه سأل النبي ﷺ: أن أُمي قد أفنتت وأعلم أنها لو عاشت لتصدقت، فإن تصدقت عنها أينفعها ذلك؟ قال: «نعم»، فسأل النبي ﷺ: أي الصدقة أنفع يا رسول الله؟ قال: «الماء». فحفر بشراً وقال: هذه لأم سعد.

فهذه اللام هي الداخلة على الجهة التي وجهت إليها الصدقة لا على المعبود المتقرب إليه، وهي كذلك في كلام المسلمين، فهم سعديون لا وثنيون، وهي كاللام في قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾، لا كاللام التي في قول القائل: صليت لله ونذرت لله، فإذا ذبح للنبي أو نذر الشيء له فهو لا يقصد إلا أن يتصدق بذلك عنه، ويجعل ثوابه إليه فيكون من هدايا الأحياء للأموات المشروعة المثابة على إهدائها، والمسألة مبسطة في كتب الفقه وفي كتب الرد على هذا الرجل ومن شايعه^(١)...

فثبت أن النذر بالذبح وغيره للأنبياء والأولياء أمر مشروع سائغ وقد جرت عليه سيرة المسلمين عامة من دون أي اختصاص بفرقة دون أخرى، والناذر يثاب به إن كان نذره لله وذبح المنذور باسم الله، بمعنى أن الثواب لهم والمذبوح منذور لوجه الله، كقول الناس: ذبحت لميتي بمعنى تصدقت عنه ومثل قول القائل: ذبحت للضيف بمعنى أنه كان السبب في حصول الذبح، وليس هناك أي مانع من جواز نذر الذبح ولزوم الوفاء به إن كان على الوجه الذي ذكرناه، ولا يتصور من مسلم غيره.

ومع هذه التفاصيل وثبوت مشروعية النذور، فلو اتفق أن أحداً

(١) فرقان القرآن للعزامي: ١٣٣.

من العوام الذين لا معرفة لهم بالأحكام، نذر لهم ولم تكن نيته لله، فلا يتحقق نذره ولا بد أن يرشد إلى الصواب، ولا يضر عمل العوام بأصل الأحكام، وإلا لعطلت كثير من العبادات لاشتباه بعض الجهال.

ثم إنه لا بد من التنبيه على الفوائد والآثار الاجتماعية التي تحصل بسبب هذه الأعمال الخيرية، فإن الناذر مضافاً إلى قضاء حاجته فهو بسبب نذره لله وتقديم الهدية والثواب للمنذور له قد أعان طائفة من المسلمين المحتاجين والفقراء الجائعين عند تقسيمها عليهم، حيث إن الله سبحانه غني عن العالمين لا يحتاج إلى نذورنا، وهكذا النبي أو الإمام أو أبناء الإمام ولا يصل من ذلك إليهم إلا الثواب، سوى ما يصرف منها في شؤونات المشاهد الموجبة لترفيح شأنها وتوفير إمكاناتها من أجل الزائرين فيكثر وقوفهم ويفرغ بالهم لذكر الله وعبادته فيها، وبها تتقوى كلمة التوحيد ودعائمها، ففي الحقيقة: الذي ينتفع بها هم هؤلاء المستحقون المحتفون بهذه الأماكن ونفس الزائرين أيضاً.

فظهر أن هذه الهدايا والنذورات تترتب عليها آثار اجتماعية وإنسانية كثيرة، وترتفع بها كثير من المشاكل العائلية، وقد حث الشارع المقدس عليها بأحاء مختلفة وحذر عن تركها فقال ﷺ: «من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم ومن سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم»^(١).

وقال ﷺ: «أيها الناس اعلموا أن كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»^(٢). وأمثال هذه.

وعلى أي حال نقول: إن النذور والهدايا لأهل القبور هي في الحقيقة

(١) الكافي ٢: ١٦٤ ح ٥ وتراه في أبواب أخرى من هذا الكتاب، الجامع الصغير

للسيوطي ٦: ٦٧ ط سنة ١٣٥٧.

(٢) صحيح مسلم كتاب الامارة ٣: ١٤٥٩ ط دار إحياء التراث.

نذور لله وهي من العبادات الراجحة وفيها من الفوائد الاجتماعية والتربوية ما لا يخفى على أحد حصولها، ومع وضوح الأمر لا يعتنى بمخالفة الحاسدين المعاندين.

والأصل الذي ارتكزت عليه مسألة التبرك والطواف والنذر، هو أن الملاك في تمييز ما كان عبادة لله ولغيره والشرك به هو القصد، لا صرف الشباهة الظاهرية بعمل المشركين، وإلا لصارت جملة من الأعمال التي أمر الله بها وحث عليها - وقد ذكرنا بعض أمثلتها - شركاً بالله وعبادة لغيره.

وعلى هذا الأصل الاصيل تترتب كثير من المسائل التي جعلها الخصم ذريعة للمنع من زيارة القبور والتبرك بها، ومنشأها الخلط والاشتباه في الملاك.

ومن تلك المسائل هي مسألة بناء المساجد حول القبور، والصلاة فيها والدعاء عندها، وتعمير القبور والمشاهد، وسيوافيك الكلام عنها إن شاء الله.

**تعمير قبور الأنبياء
والأولياء والصلاة عندها**

تعمير قبور الأنبياء والأولياء والصلاة عندها

لقد وقع النكير الأكيد والتكفير الشديد من جانب المانعين لزيارة القبور في تعمير القبور والمشاهد وبناء القبب والأضرحة عليها والمساجد حولها، وأفتوا بتخريبها وتسويتها وسعوا في درس آثارها وإهانتها بعبور الحيوانات عليها وتوسيعها، بنحو يبكي المؤمنون عند رؤية تلك القبور المخروبة والحرمات المهتوكة، وإلى حد يتعجب غير المسلمين من جفاء هؤلاء المنحرفين عن أئمة الدين، وشذوذهم عن المسلمين وحتى عن سائر الأمم في تعظيم أوليائهم، وكبرائهم وحفظ آثارهم وصيانتها من الإندراس.

فإن في تعظيمهم وحفظ آثارهم تذكراً لهم ولما دعوا الناس إليه من كلمة التوحيد وعبادة الله سبحانه وحده، والبعد عن الجهل والشرك.

والتذكر وحفظ الآثار يوجب عدم اندراس تلك الكلمة، بل تقويتها وتجزيرها في صفوف المسلمين وعلو أمر الدين المبين وأن لا يعلى عليه.

وهذا الأثر المهم هو الذي يخاف منه أعداء الدين، ولهذا بذلوا كل جهودهم في الصدّ عنه والمنع عن انتشار هذا النور العظيم، فقد خططوا كل المخططات في قلع جذور الدين والمخططات المسلمين، ومن مخططاتهم التوغل في صفوف المسلمين واستخدام المنحرفين لأجل إيجاد التفرقة بين الموحددين وزرع المذاهب والعقائد الفاسدة بينهم وإلقاء الشبهات المدلسة في أذهانهم ونشر الفساد والفحشاء في بلادهم وتشجيع الناس وبالأخص الشباب في مخالفة أوامر ربهم.

٥٠٢ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

ونتيجة هذه الأمور هو التسلط عليهم والقدرة على محو آثار أوليائهم وانطماس أعلامها وقد حققوا كثيراً من هذه الأهداف على أيدي عملائهم. ويؤيد ما ذكرناه ما ورد في مذكرات الهمفري الجاسوس البريطاني وغيره من الجواسيس. وإليك بعضها:

من نقاط القوة التي يجب تضعيفها: يجب صرف المسلمين عن العبادات والتشكيك في وجوبها وتلقيهم بأن الله غني عن إطاعة الناس، ويلزم المنع الشديد عن الحج وعن كل اجتماع بين المسلمين مثل (صلاة الجماعة) وحضور مجالس الحسين والمسيرات الحزينة له، كما يلزم المنع الشديد عن بناء المساجد والمشاهد والكعبة والحسينيات والمدارس.

ومنها: المقابر، فاللازم هدمها بدليل أنها لم تكن في عصر النبي وإنها بدعة، كما أن اللازم صرف الناس عن الزيارات بالتشكيك في كون هذه المقابر للنبي والأئمة والصلحين...

والبقيع يجب تسويتها مع الأرض كما يجب هدم كل القباب والأضرحة الموجودة للمسلمين في كل بلادهم^(١).

وقد شاهد التاريخ تحقيق هذه الأمور على يد هؤلاء المتسيين إلى الإسلام - ويدعوى حفظ الإسلام -، وكان تحققها في ضمن استخدام المال والسلاح، والتهديد والإرهاب وسفك الدماء وهتك الأعراض.

ومنها: تكفير كل المسلمين وإبلحة قتلهم وسلب أموالهم وهتك أعراضهم وبيعهم في أسواق النخاسة وتجوير جعلهم عبيداً ونسائهم جوارى. ومنها: هدم الكعبة باسم أنها آثار الوثنية إن أمكن ومنع الناس عن الحج وإغراء القبائل بسلب الحجاج وقتلهم.

(١) راجع مذكرات الهمفري: ٥٧ - ٥٨.

ومنها: هدم القباب والأضرحة والأماكن المقدسة عند المسلمين في مكة والمدينة وسائر البلاد التي يمكنه ذلك فيها، باسم أنها وثنية وشرك، والاستهانة بشخصية النبي محمد وخلفائه رجال الإسلام بما تيسر^(١).

فقد تحققت كثير من تلك الأمنيات على يد بعض المتحرفين وشاهد العالم الإسلامي فجائعهم وسجل التاريخ جنائياتهم وجسارتهم على أعلام الدين وأركان المؤمنين في تخريب قبورهم وهدم مشاهدهم والإغارة على الأموال والمجوهرات التي كانت فيها وسفك دماء المؤمنين الأبرياء وهتك نواميسهم.

فإنهم لما تمكنوا من بسط سلطتهم على مكة المكرمة والمدينة المنورة وأطرافها، أخذوا في إجراء أفكارهم بلباس ديني مزور، بأن أرسلوا سليمان بن بلهيد قاضي قضاة نجد للاستفتاء من علماء المدينة للحصول على مبرر شرعي لعملهم الشنيع الذي لم يكن يوافق عليه أهل الإسلام فضلاً عن علمائهم.

وكان من تدليسهم، أن الأسئلة التي طرحها ابن بلهيد كانت تحتوي على الأجوبة في ضمنها، وكان المفروض على علماء المدينة الجواب طبق ما حوت الأسئلة لا طبقاً لنظرهم وإلا لاتهموا بالكفر والشرك ولحكيم بقتلهم وهتك أعراضهم، لأن تلك الجماعة كان دخولهم المدينة وسيطرتهم عليها بالرعب والإرهاب وسفك الدماء وهتك النواميس، فما كان لأحد الجرأة على مخالفتهم.

وأما متن أسئلتهم التي نشرته جريدة أم القرى في شوال ١٣٤٤ هـ وأدى إلى إثارة ضجة كبيرة بين المسلمين شيعة وسنة، لأن المسلمين كانوا يعلمون بأن هذا الاستفتاء وإن كان قد حصل بالتهديد والإرعاب لكنه

(١) راجع مذكرات الهمفري: ٦٧.

٥٠٤ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

سيؤدي إلى هدم مشاهد أئمة المسلمين وقبورهم سريعاً لما رأوا من القساوة والجلادة في هذه العصابة، فعندما تم الاستفتاء من جمع من العلماء هجموا على بقيع الغرقد وخرّبوا تلك القبور الطاهرة والقباب المنورة لأهل بيت الوحي وأئمة الهدى ونهبوا جميع الآثار النفيسة التي كانت فيها وحولوا تلك المشاهد الشريفة إلى مزبلة تثير الرعب والوحشة في قلب كل من يشاهدها من الزائرين بل ما يهيئوا الامكانيات الرفاهية لزائري تلك القبور المقدسة.

وإليك متن الأسئلة، ولا تغفل عن الجواب الذي لُقن في ضمنها.

الأسئلة الموجهة إلى علماء المدينة

قال ابن بلهيد في سؤاله: ما قول علماء المدينة زادهم الله فهماً وعلماً في البناء على القبور واتخاذها مساجد، هل هو جائز أم لا؟ وإذا كان غير جائز، بل ممنوع منهي عنه نهياً شديداً، فهل يجب هدمها ومنع الصلاة عندها أم لا؟ وإذا كان البناء في مسبلة كالبقيع وهو مانع من الانتفاع بالمقدار المبني عليه، فهل هو غضب يجب رفعه لما فيه من ظلم المستحقين ومنعهم استحقاقهم أم لا؟

وما يفعله الجهال عند هذه الضرائح من التمسح بها ودعائها مع الله والتقرب بالذبيح والنذر لها وإيقاد السرج عليها هل هو جائز أم لا؟

وما يفعل عند حجرة النبي ﷺ من التوجه إليها عند الدعاء وغيره والطواف بها وتقبيله والتمسح بها، وكذلك ما يفعل في المسجد من الترحيم والتذكير بين الأذان والإقامة وقبل الفجر ويوم الجمعة هل هو مشروع أم لا؟ أفتونا ملجورين وبينوا لنا الأدلة المستند إليها لازلتم ملجأ

للمستفيدين؟^(١)

نص الجواب المنسوب إلى علماء المدينة

أما البناء على القبور فهو ممنوع إجماعاً لصحة الأحاديث الواردة في منعه ولهذا أفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه مستندين إلى ذلك بحديث علي عليه السلام أنه قال لأبي الهياج: (ألا أبعثك على ما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته). رواه مسلم.

وأما اتخاذ القبور مساجد والصلاة فيها وإيقاد السرج عليها، فممنوع لحديث ابن عباس: «لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج»، رواه أهل السنن والصحاح.

وأما ما يفعله الجهال عند الضرائح من التمسح بها والتقرب إليها بالذبايح والنذور ودعاء أهلها مع الله، فهو حرام ممنوع شرعاً لا يجوز فعله أصلاً.

وأما التوجه إلى حجرة النبي صلى الله عليه وسلم عند الدعاء، فالأولى منعه كما هو معروف من معتبرات كتب المذاهب، ولأن أفضل الجهات جهة القبلة.

وأما الطواف والتمسح بها وتقبيلها، فهو ممنوع مطلقاً.

وأما ما يفعل من التذكير والترحيم والتسليم في الأوقات المذكورة فهو محدث، هذا ما وصل إليه علمنا. انتهى^(٢).

(١) جريدة أم القرى العدد ٦٩ بتاريخ ١٧ شوال ١٣٤٤، وقد علق على هذه الفتوى بمقالة افتتاحية قائلة: إن الحكومة ستسير في تنفيذ أحكام الدين رضي الناس أم كرهوا.

(٢) لاحظ كشف الارتباب: ٣٥٩.

ونحن نتعرض للجواب عن هذه الفتوى المنسوبة بما يرتبط ببحثنا، وقد تعرضنا للجواب عن قسم منها سابقاً في موضوع التبرك والطواف حول القبور إذا شئت فراجع حتى تتضح لك سفاهة هذه الكلمات.

نظرة في الفتوى المنسوبة

فأنت أيها القارئ الكريم لما تنظر إلى متن السؤال وتلقين الجواب ضمنه تعلم جيداً بأن الهدف من السؤال ليس هو كسب التكليف الشرعي، بل الهدف هو الحصول على مستمسك يضل به الرأي العام حتى لا يُثار عليهم وبالنتيجة تدمير آثار الدعوة النبوية ومعالمها، وإلا فما الداعي لهم لتلقين الجواب في ضمن السؤال، ومن خلال القرائن الموجودة من الخوف والإرهاب وتلقين الجواب وادعاء الإجماع على التحريم ومطابقة الجواب مع الألفاظ الملقنة في السؤال ومطابقته أيضاً مع سائر كلمات المانعين في رسائلهم وكتبهم، يمكننا القول بأن تلك الأسئلة والأجوبة مجعونة مزورة.

ولو سلّم وجودها وإمضاء العلماء لها، فإنها قد أُعدت مع أجوبتها أولاً، ثم قُدمت للعلماء لجهة الإمضاء فقط لا إظهار النظر، بدليل أنه ليس من المعقول أن يكون نظرهم وفتواهم هكذا في مدة طويلة من الزمن ولم يظهره لأي أحد من الناس، فإن وظيفة العالم أن يظهر علمه وينهى الناس عما يراه بدعة وشركاً بالله، وهل هناك أهم من هذه المسائل التوحيدية؟

وكيف يعقل أن يتغير نظرهم تجاه هذه المسألة فجأة، وكان عليها عملهم وعمل العلماء الماضين والصحابية والتابعين وسيرة الصالحين المسلمين ولم يوجد لها أي مخالف ونكير، بل قد أمضاها النبي الكريم وأصحابه الصالحون والأئمة الميامين.

وكيف تصدر منهم فتوى بتحريم البناء على القبور ولزوم تخريبها،

والحال أنهم كانوا وآبائهم من المروجين لآثار النبوة وحمايتها وزوارها خلال سنين متمادية.

فهل يبقى لك تردد في القول بأنها مزورة، أو صدرت خوفاً من الجلادين وليس لها أي اعتبار عند المسلمين.

وأما الجواب عن الفتوى فضلاً عن تزويرها:

فهو يرتكز على أمور:

الأول: الإجماع المدعى.

والجواب عنه: أنه أين كان هذا الإجماع الذي لم يعلم به أحد من المسلمين، علماؤهم وعوامهم، فلو كان هذا الإجماع موجوداً في مثل هذه المسألة المهمة لبان ولنقله علماء المسلمين في كتبهم.

والحال أن السيرة قامت على خلاف ذلك حيث نرى المسلمين في كل زمان على مدى التاريخ - عدا ابن عبد الوهاب - قد أجمعوا وتوافقوا ولم يعترض أحد منهم على مسألة البناء على قبور الأنبياء والأولياء والصلحاء وتعظيمهم وزيارتهم في جميع البلدان والأمصار.

فإن هذه السيرة كانت ثابتة في زمن النبي ﷺ بالنسبة إلى قبور بعض الأنبياء والأولياء ولم يردع عنها، بل أمضاها وسيأتي الكلام عنها.

كما أنها كانت ثابتة في زمن الأئمة الأطهار أوصياء النبي المختار ولم يردعوا عنها، بل كانوا يعملون بها، فلو كان البناء على القبور كفراً وشركاً لماذا لم ينكروا عليه؟

فنفس قيام السيرة المستمرة من المسلمين إجماع عملي يشملها دليل حجية الإجماع لكشفها كشفاً قطعياً لا يعتريه ريب عن نظر الشارع المقدس، وبها يعلم عدم وجود أي مخالف فضلاً عن الإجماع.

نعم يمكن أن يكون هذا الإجماع مخفياً ومضموماً عند الأجانب الكفار فأظهروه لعملائهم الفجار، ثم لقتوه لهؤلاء العلماء مع الخوف والإجبار!!

واعلم أنه لا يضر بتلك السيرة العظيمة التي سنفصل لك الكلام حولها إن شاء الله، ما قد يوجد في بعض الكتب من المنع عن البناء على القبور استناداً إلى بعض الروايات المخدوشة من حيث السند والدلالة والشذوذ وعدم عمل الأصحاب والمسلمين بها، فإن تلك الأقوال مردودة حتماً.

والعجب من غفلة هذه العصابة من أنه لو كانت الروايات المانعة عن البناء معتبرة عند علماء المسلمين لالتفتوا إليها وعملوا بها، ولما تحققت تلك السيرة المتبعة عند جميع الأجيال، ولأمر النبي ﷺ بهدم قبور الأنبياء المرسلين والأولياء في أنحاء العالم الإسلامي حيث كانت قبورهم مشيدة في زمانه ﷺ وبقيت مشيدة إلى زماننا هذا.

والأعجب من ذلك أنهم قد اعترفوا بتلك السيرة المتحققة، فهذا الصنعاني المؤيد لهم قد اعترف في رسالته الموسومة بتطهير الاعتقاد، حيث أورد على نفسه سؤالاً بأن هذا أمر عم البلاد وطبق الأرض شرقاً وغرباً بحيث لا بلدة من بلاد الإسلام إلا وفيها قبور ومشاهد.

بل مساجد المسلمين غالبها لا تخلو عن قبر أو مشهد ولا يسع عقل عاقل بأن يكون هذا منكراً يبلغ إلى ما ذكر من الشناعة ويسكت عليها علماء الإسلام الذين ثبتت لهم الوطأة في جميع جهات الدنيا.

ولكنه ما أنصف في الجواب وغض نظره عن أن هذه السيرة كانت من زمن النبي ﷺ والخلفاء وكانوا قادرين على المنع والإرشاد ومع ذلك لم يمنعوا عنها، بل كانوا عاملين بها، وأحسن دليل عليه دفن نفس النبي ﷺ في حجرته واتخاذ البناء حول قبره الشريف.

فتراه قد تكلم بكلمات تضحك ذوي الألباب ومحصلها حيث لا طائل في نقل تمامها هو: أن سكوت العلماء عن وقوع منكر ليس دليلاً على الجواز، وقاس مسألة البناء بالمكوس التي أخذ بها الحكام والملوك، المعلوم حرمتها بالضرورة من الدين، وقاس أيضاً هذه المسألة بالمقامات الأربعة التي وضعت لعلماء المذاهب في بيت الله الحرام، وأن هذه الأمور قد سكت عنها العلماء، واستنتج من هذا القياس الفارق أن سكوت العلماء عن أمر بدعي ليس دليلاً على الجواز.

وغفل عن أن قياسه تلك الأمور بالبناء على القبور، قياس مع الفارق.

أما الفارق في الأول: هو أن الآخذين للمكوس هم الحكام وأعوانهم فقط لكن البانين للقبور والمشاهد والمعظمين لها والمتبركين بها هم الزوار الموحدون وجميع طبقات المسلمين هذا أولاً.

وثانياً: إن المكوس أمور حكومية تعارض فيها الحكام الذين تخاف سطوتهم لمنافاة تركها لمصلحتهم وإخلاله بأمر دولتهم، بخلاف بناء القبور وتعظيمها والتبرك بها فإنها أمور دينية صرفة يؤول أمرها إلى العلماء والمتدينين، فسكوت العلماء عن المكوس لا يدل على رضاهم لأنه بالقهر والغلبة، بخلاف البناء والتعظيم، فإنه يدل على رضاهم، لأن أمره بيدهم، ولا محذور ولا خوف في مخالفتهم إذا كان مخالفاً للشرع.

وثالثاً: كيف يقال إن العلماء كانوا ساكتين عن المخالفة في مسألة المكوس، والحال أن جميعهم قد أعلنوا بتحريم المكوس وذم قابضها وأفتوا بالتجنب عنها بحيث أجابوا بذلك كل من سألم عنها وأثبتوه في كتبهم ومجمعاتهم والناس يعرفون حكمه ولا يخاف أحد منهم من الحكام الآخذين للمكوس.

وحتى أن نفس الصنعاني قد صرح بحكمه في كتابه مع أنه كان في زمانهم، ولو أنهم لم يكونوا قادرين على المنع منه حيث إنه أمر حكومي،

فثبت أنهم لم يكونوا ساكتين عن التحريم.

فتحصل أن القياس باطل من جميع الجهات، وأن سكوت العلماء، بل عملهم دليل قاطع على الجواز، بل الرجحان وليس ناشئاً عن الخوف والخذلان خصوصاً أنه كان في صدر الإسلام ولم يمنع منه الخلفاء ولا علماء الإسلام.

وأما المقامات الأربعة التي وضعت للأئمة الأربعة فتمثيله بها أظهر فساداً من مسألة المكوس، لأن المكوس معلوم حرمتها وأنكرها جميع العلماء بخلاف المقامات الأربعة حيث لم يسمع من أحد إنكارها قبل ابن عبد الوهاب، مع أنها مسألة دينية ولا خوف في مخالفتها أصلاً، وليس كل ما لم يكن في زمن النبي ﷺ ولا كل ما لم يرد بخصوصه نص، بدعة بعد دخوله في عمومات أدلة الشرع وإطلاقاتها، وعدم مخالفته لأحكام الدين.

هذا مضافاً إلى أن قياس البناء على القبور بالمقامات الأربعة باطل أيضاً لأن البناء على القبور قد اتفق على فعله جميع طوائف المسلمين إلا الوهابية، وأما المقامات الأربعة فاختص فعلها بأهل المذاهب الأربعة لا كل المسلمين.

ولا نطيل بالجواب عنه، لأن كلامه واضح الفساد ولا طائل في جوابه أكثر من هذا، وإذا شئت فراجع كتاب كشف الارتباب.

ولنرجع إلى جواب الفتوى المنسوبة، ونقول: إن الإجماع الذي ادعوه قد عللوه بصحة الأحاديث المنقولة فيكون متوقفاً على صحتها.

والجواب عنه مضافاً إلى ما قلنا سابقاً من عدم تحقق هذا الإجماع وأنه كذب مفترى على علماء الإسلام ومعارض بسيرة المسلمين التي هي أقوى من الإجماع اللفظي، أن هذه العلة عليلة جداً لا يعتمد عليها ولا يستند بها، فإن صرف صحة الحديث بنظرهم وادعائهم ليس معناه صحته عند الآخرين أيضاً، فلا بد من البحث عنه، وعليه فكيف يدعون الإجماع ويركزونه على أساس متزلزل ويعللونه به.

فسوف تعلم إن شاء الله أن الأحاديث التي يستندون بها مخدوشة سنداً وامتناً ودلالة.

فإذا خرب الأساس خرب كل البناء وهو ادعائهم الإجماع على تحريم البناء، ويستفاد من نفس كلامهم أيضاً تكذيب الإجماع ففي قولهم: (ولهذا أفتى كثير من العلماء بوجود هدمه) دلالة على عدم إفتائهم جميعاً، وإلا فلماذا لم يقولوا أفتى جميع العلماء.

الأحاديث التي استدل بها الخصم

فهي كما قلنا سابقاً مخدوشة سنداً وامتناً ودلالة ولا يمكن الاستناد بها أصلاً، وهي:

الأول: حديث أبي الهياج عن علي عليه الصلاة والسلام أنه قال لأبي الهياج: ألا أبعثك على ما بعثني رسول الله ﷺ: أن لا تدع تمثلاً إلا طمسته ولا قبراً إلا سويته.

الثاني: حديث جابر، قال: نهى رسول الله ﷺ أن يخصص القبر، وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه.

الثالث: حديث أبي سعيد وأم سلمة: نهى رسول الله ﷺ أن يبنى على القبر أو يخصص.

هذه هي الأحاديث التي استخدمتها أعداء الدين لتكون ذريعة لتدمير الآثار الإسلامية وعلامات التوحيد، لكنهم فشلوا هذه المرة أيضاً في ذريعتهم وما رحبت تجارتهم.

فلنشرع في دراستها حتى يتضح للقارئ العزيز ثمن بضاعة الخصم وحالها.

نظرة في الأحاديث المانعة عن البناء على القبور

الحديث الأول:

فقد رواه مسلم في صحيحه عن وكيع، عن سفيان الثوري، عن حبيب ابن أبي ثابت، عن أبي وائل الأسدي، عن أبي الهياج الأسدي، قال: قال لي علي بن أبي طالب: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته) ^(١).

وورد هذا الحديث بنحو أتم من الأول، وتماه أنه قال ﷺ قبل الذي تقدم: (كان رسول الله ﷺ في جنازة، فقل: «أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثناً إلا كسره ولا قبراً إلا سواه ولا صورة إلا لطختها؟» فقال علي ﷺ: أنا أنطلق يا رسول الله، قال فانطلق، ثم رجع، فقل: يا رسول الله لم أدع بها وثناً إلا كسرته، ولا قبراً إلا سويته ولا صورة إلا لطختها) ^(٢).

وقد تكرر ذكر هذا الحديث في الكتب واكتفينا بهذين اللفظين حيث إن أحدهما متمم للآخر.

أما الكلام في سنده:

فقد وقع في سنده من لا يعتمد عليه وهم:

١- وكيع ٢- سفيان الثوري ٣- حبيب بن أبي ثابت ٤- أبو وائل

(١) صحيح مسلم: ٣، كتاب الجنائز: ٦٠، وسنن الترمذي ٢: ٢٥٦، باب ما جاء في تسوية القبور.

(٢) مسند أحمد ١: ٧٨، ٨٩، ٩٦، ١١٠، ١٢٨، ١٣٨، ١٤٥، ١٥٠، ومسند الطيالسي: ٩٦، ١٥٥.

تعمير قبور الأنبياء والأولياء والصلاة عندها ٥١٣
الأسدي.

الأول: وكيع بن الجراح بن مليح، الرواسي الكوفي، روى عن عدة، منهم سفيان الثوري، وروى عنه جماعة منهم يحيى، وهو مع ما مدحوه قد نقلوا فيه قدحاً كثيراً يغلب على المدح.

فقد قال في حقه أحمد بن حنبل: أنه أخطأ في خمسمائة حديث، وحكاه عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني عن عبد الله بن أحمد عن أبيه.

وقال عبد الله بن حنبل في موضع آخر: ابن مهدي أكثر تصحيحاً من وكيع ووكيع أكثر خطأ منه.

وقال أيضاً: قال آخر في ترجمته: قال محمد بن نصر المروزي: كان يحدث بآخره من حفظه فيغير ألفاظ الحديث، كأنه كان يحدث بالمعنى ولم يكن من أهل اللسان^(١).

وقال العسقلاني أيضاً: قال ابن عماد: قلت لوكيع: عدوا عليك بالبصرة أربعة أحاديث غلطت فيها؟

فقال: حدثتهم بعبادان بنحو من ألف وخمسمائة، وأربعة ليس بكثير في ألف وخمسمائة.

وقال علي بن المديني: كان وكيع يلحن ولو حدث بألفاظه لكان عجباً^(٢).

وقال الذهبي بعدما مدحه: قال ابن المديني: كان وكيع يلحن ولو حدث بألفاظه كان عجباً^(٣).

(١) تهذيب التهذيب للعسقلاني ١: ١٢٥.

(٢) تهذيب التهذيب للعسقلاني ١١: ١٢٥ - ١٣١.

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي ٤: ٣٣٦.

٥١٤ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

فمن وصف بالخطأ والتصحيح تارة، واللحن والنقل بالمعنى تارة أخرى والأتعس من ذلك استهانتة بالخطأ كما نقل عنه ابن عماد، فهل يبقى له اعتبار وفي مروياته اعتماداً؟ فإن هذه الصفات تجعل هذا الرجل في زمرة الضعفاء وتسقطه عن الوثاقة.

الثاني: سفيان الثوري، وهو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، وقد كثر مادحوه.

وقال الذهبي فيه: مع أنه كان يدلّس عن الضعفاء، ولكن كان له نقد وذوق ولا عبرة لقول من قال: يدلّس ويكتب عن الكذابين^(١).

وقال ابن حجر العسقلاني: قال ابن مبارك حدث سفيان بحديث فجنّته وهو يدلّس فلما رأيته استحيى، وقال: نرويه عنك^(٢).

وقال ابن حجر أيضاً في ترجمة يحيى بن سعيد بن فروخ، قال أبو بكر: وسمعت يحيى يقول: جهد الثوري أن يدلّس علي رجلاً ضعيفاً فما أمكنه، قال مرة: حدثنا أبو سهل عن الشعبي، فقلت له أبو سهل محمد بن سالم، فقال: يا يحيى ما رأيت مثلك لا يذهب عليك شيء.

وقال أيضاً في ترجمة سفيان: قال ابن المديني عن يحيى بن سعيد: لم يلق سفيان أباً بكر بن حفص ولا حيان بن أيّاس ولم يسمع من سعيد بن أبي بردة^(٣).

ثم قال: وقال البغوي: لم يسمع من يزيد الرقاشي.

وحكى عن أحمد أنه قال: لم يسمع من سلمة بن كهيل حديث السائبة

(١) ميزان الاعتدال للذهبي ٤ : ٣٣٦.

(٢) تهذيب التهذيب ٤ : ١١٥.

(٣) تهذيب التهذيب ٤ : ١١٥ و ١١٨ : ٢١٨.

يضع ماله حيث يشاء» ولم يسمع من خالد بن سلمة حديث «المعروف بألقاً» ولا من ابن عون إلا حديثاً واحداً^(١).

فمن صرح أكثر العلماء بتدليسه وتكذيبه في النقل، فهو فاقد للملكة العدالة وساقط عن الاعتبار، حيث كان يصور غير الواقع واقعاً.

والعجب من الذهبي حيث إنه أذعن بتدليسه ونقله عن الكذابين، لكن غض نظره عن هذا الوهن وأعجب بذوقه ونقله الذي يحصل عند كثير من المدلسين الذين يتسلط عليهم الشيطان الرجيم.

وروى الذهبي بسنده عن سفيان أنه قال: دخلت على جعفر بن محمد وعليه جبة خز وكساء خز دخاني فقلت: يا بن رسول الله ليس هذا من لباس آبائك.

قال: (كانوا على قدر إقتار الزمان، وهذا زمان قد أسبل عزاليه)^(٢).

ثم حسر عن جبة صوف تحت، وقال: (يا ثوري! لبسنا هذا لله وهذا لكم، فما كان لله أخفيناه وما كان لكم أبديناه)^(٣).

وهذا وهن آخر في سفيان، حيث اعترض على الإمام المعصوم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، لعدم فهمه للأمور وعدم معرفته بها كما هي، فإن سفيان كان من المتصوفة وقد أخطأ في معنى الزهد وكيفيته ولهذا اعترض على الإمام الصادق عليه السلام، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام في معنى الزهد أنه قال: الزهد كلمة بين كلمتين من القرآن قال الله تعالى: ﴿لِكَيْ لَا تَأْسَوْا

(١) نفس المصدر السابق ٤ : ١١٥.

(٢) العزالي: جمع عزلاء وهي مصب الراوية، فقوله: قد أسبل كل شيء عزاليه، يريد به وفور الخير وانتشار البركة وكثرة الغنم وتفشي الرخاء.

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي ١ : ١٦٧.

عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ فَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَاضِي، وَلَمْ يَفْرَحْ بِالْآتِي فَقَدْ أَخَذَ الزَّهْدَ بِطَرْفِيهِ^(١).

وقال النبي ﷺ: «الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أو ثقتك منك بما في يد الله، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها أبقيت لك»^(٢).

الثالث: حبيب بن أبي ثابت قيس بن دينار تابعي.

فقد وثقه البعض، لكن قال ابن حبان في الثقات: كان مدلساً.

وقال العقيلي غمزه ابن عون، وقال القطان: له غير حديث عن عطاء لا يتابع عليه، وليست محفوظة.

وقال ابن خزيمة في صحيحه: كان مدلساً، وقال العقيلي أيضاً: له عن عطاء أحاديث لا يتابع عليها^(٣).

وقال ابن حجر في تقريب التهذيب: حبيب بن ثابت: قيس، ويقال: هند بن دينار الأسدي، مولاهم: أبو يحيى الكوفي، ثقة فقيه جليل، وكان كثير الإرسال والتدليس من الثالثة، مات سنة تسع عشرة ومائة^(٤).

فتحصل أن الرجل الثالث في هذا الحديث أيضاً من المدلسين.

(١) البحار ٧٨ : ٧٠ ح ٢٧ و ٧٠ : ٣٢٠ ح ٣٥.

(٢) كنز العمال للمتقي الهندي ٣ : ١٨١ ح ٦٠٥٩، ورواه عن الترمذي باب ما جاء في الزهادة في الدنيا ح ٢٣٤١.

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر ٢ : ١٧٩.

(٤) تقريب التهذيب ١ : ١٤٨ ط دار الكتب العلمية - بيروت.

الرابع: أبو وائل الأسدي، وهو شقيق بن سلمة الكوفي^(١).

كان منحرفاً عن علي بن أبي طالب عليه السلام ومبغضاً له، ويؤيد انحرافه عن علي عليه السلام ما قاله ابن حجر: أنه قال عاصم بن بهدلة: قيل لأبي وائل أيهما أحب إليك علي أو عثمان؟ قال: كان علي أحب إلي ثم صار عثمان^(٢).

وليس المراد هنا من أحب التفضيل في الحب، بل المراد أنه كان يحب علياً أولاً ثم أعرض عنه وصار يحب عثمان، لأن الحزبين في ذلك الوقت كان يبغض أحدهما الآخر ولا يجتمعان في الحب.

ويؤيده كلام ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، فإنه قال: ومنهم أبو وائل شقيق بن سلمة كان عثمانياً يقع في علي عليه السلام ويقال إنه كان يرى رأي الخوارج، ولم يختلف في أنه خرج معهم، وأنه عاد إلى علي عليه السلام منياً مقلعاً.

روى خلف بن خليفة قال: قال أبو وائل: خرجنا أربعة آلاف فخرج إلينا علي فما زال يكلمنا حتى رجع منا ألفان.

وروى صاحب كتاب (الغارات) عن عثمان بن أبي شيبة عن الفضل بن دكين، عن سفيان الثوري، قال: سمعت أبا وائل يقول: شهدت صفين وبئس الصفوف كانت، قال: وقد روى أبو بكر بن عياش عن عاصم ابن أبي النجود قال: كان أبو وائل عثمانياً^(٣).

(١) وليس هو القاضي عبد الله بن بجير، بدليل رواية حبيب بن أبي ثابت عنه، فقد ذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب أنه ممن يروي عنه وليس هو القاضي عبد الله بن بجير.

(٢) تهذيب التهذيب ٤: ٣٦٢.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ٤: ٩٩.

وأضاف ابن أبي الحديد فقال: وقال أبو وائل استعملني ابن زياد على بيت المال بالكوفة^(١).

فلاحظ أيها المحقق المنصف، أي وهن أعظم من عداوة وصي رسول رب العالمين وزوج ابنته ووارث علمه ومن قال النبي ﷺ في حقه يوم الغدير في منظر المسلمين: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله»، وقد تواتر هذا الحديث واعترف به أكثر المحققين من العامة بحيث لا يبقى عليه أي ظلام وأي مجال للإنكار.

وقد صح عنه ﷺ وتواتر أنه قال: «يا علي! لا يجبك إلا مؤمن ولا ييغضك إلا منافق»^(٢) فهل يبقى تأمل في رد وسقوط حديث رواه ثلاثة من المدلسين ورابعهم من المنافقين بنص رسول الله ﷺ. إن قلت: إنه قد ورد المدح فيهم.

قلت: على فرض ورود مدح فيهم، فهو معارض بما ورد من الجرح الكثير، وعند التعارض يقدم الجرح على المدح، فيسقط به الحديث عن الاعتبار.

وعليه فلا بد أن نلاحظ باقي الأدلة إن كانت، وإلا فالأصل في المقام هو الجواز.

هذا مضافاً إلى أنه شاذ انفرد به أبو الهياج، بل قال السيوطي: إنه ليس لأبي الهياج في الكتب إلا هذا الحديث الواحد^(٣)

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ١٢: ٢٢٣.

(٢) المناقب لابن المغازلي: ١٣٧ رواه بطرق متعددة، وتجدد في أكثر كتبه.

(٣) شرح سنن النسائي للسيوطي: ٢٨٦.

ثم إنك لو ضمنت وهن رجال هذا الحديث وانفراد أبي الهياج به مع القرائن الموجودة في متن الحديث تتيقن بكذبه ووضعه من جهة أولئك المدلسين والمائلين عن علي عليه السلام.

القرائن الدالة على كذب الحديث:

أما القرائن فهي أولاً: أن هذا الأمر متى صدر من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وذلك التشيع أين كان؟ هل كان في مكة وقبل استقرار حكومته على المدينة؟، فبعث من يكسر الأصنام ويطم القبور ويلطخ الصور، فرجع خائباً، وذهب أمير المؤمنين عليه السلام ونفذ ذلك الأمر ورجع وهم لا يزالون في ذلك التشيع، فأخبر رسول الله بتنفيذ الأمر، فهل من الممكن هذا الأمر وهل يعقله ذو لب سليم؟!

أو أن التشيع كان في أطراف المدينة وبعد استقرار دولة الإسلام على المدينة، فإذا كان كذلك، هل كان أصحاب تلك الأوثان والصور مسلمين؟ إذن فكيف احتفظوا بها؟

أو كانوا مشركين وقبل استقرار حكومة الإسلام، فكيف استسلموا للأمر بمجرد ذهاب أمير المؤمنين، فدمرها سريعاً ورجع بحيث أدرك ذلك التشيع المستمر طيلة ذهاب ذلك الرجل ورجوعه ثم ذهاب أمير المؤمنين وتنفيذ الأمر ورجوعه!!! عجباً من هذا التشيع المستغرق لوقت طويل وشخصية ذلك الميت الذي لا يعلم اسمه وعجباً من هذه الأكاذيب؟

وثانياً: إن أمير المؤمنين متى بعث أبا الهياج إلى هذه المهمة؟ هل كان في عصر خلافته وبعد الفتوحات الإسلامية؟ ففي ذلك الوقت لم يكن مورد لهذا الأمر لانتفاء موضوعه، حيث لم تكن في ذلك الوقت أوثان ولا أصنام.

٥٢٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

أو كان في عصر الخلفاء الثلاثة؟ فهو في ذلك الوقت لم يكن مبسوط اليد ولم يكن حاكماً حتى يأمر بمثل هذه الأمور التي هي من اختيارات الحاكم. فالتحصل من البحث عن هذا الحديث سنداً ومتناً هو أنه مكذوب موضوع لا يخفى كذبه على كل باحث لبيب.

ولو تنزلنا عن صحة الحديث وفرضنا أن أمر النبي وأمر أمير المؤمنين كان مرتبطاً بقبور المشركين في بلاد الكفر، فإذاً كيف يصح تسرية هذا الحكم إلى قبور المسلمين والحكم بوجوب تخريبها وإهانتها؟ مع هذا كله لم تكن هناك ضرورة للبحث عن سند هذا الحديث، حيث إنه لم يدل على ما يدعيه الخصم حتى يكون لهم ذريعة. وإليك البحث عن دلالاته:

دلالة الحديث :

قلنا أنه ليس فيه دلالة على ما يدعيه الخصم من عدم جواز البناء على القبور، بل هو وارد في الأمر بالتسطيح والنهي عن التسنيم، وبيان ذلك يتوقف على توضيح كلمتين وردتا في الحديث وهما:

١- «مشرفاً»: ففي قاموس اللغة، المشرف محرّكة: العلو، ومن البعير سنامه فتبين أن التسنيم نوع من العلو، أو أحد معانيه، وعلى هذا المعنى، المشرف بإطلاقه أو بوضعه يشمل العالي بنحو التسنيم وبغيره، فتعيين أحدهما يحتاج إلى قرينة، وكلمة سويته قرينة على أن المراد هو الإشراف بنحو التسنيم، فلاحظ معنى الكلمة الثانية وهي:

٢- «سويته»: ففي المصباح المنير: إستوى المكان: إعتدل، وسويته: عدلته وفي القاموس: سواه: جعله سوياً، فقوله: إلا سويته قرينة على أن المراد من الإشراف هو العلو بالتسنيم لا مطلق العلو، لأن مطلق العلو لا

يقابل التسوية، لاحتمال أن يكون عالياً مستويًا، فلا يناسب مقابلة العالي بالمستوي، بل كان اللازم أن يقابله بكلمة لاطناً وأمثالها بأن يقول: ولا قبراً مشرفاً إلا لظئته.

فتحصل مما ذكرنا أن إرادة الهدم من التسوية غير صحيحة ولا يساعد عليها العرف ولا اللغة، لأن التسوية ليس معناها الهدم ولا تستعمل فيه، نعم لو عُذِّيت إلى المفعول الثاني بحرف التعدي بأن يقال سويته بالأرض، لأمكن إرادة الهدم، لكن يردُّ هذا الاستعمال أن التسوية بالأرض ليست من السنة قطعاً، للاتفاق على استحباب رفع القبر عن الأرض بالجملة وفي بعض الروايات بمقدار شبر.

ويؤيد ما ذكرنا من الاستعمال ما ورد في القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾^(١) وقوله: ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نَسُوِيَ بَنَاتِهِ﴾^(٢) وقوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(٣) ففي هذه الآيات قد استعملت هذه الكلمة بحسب اختلاف الموارد تارة في كمال الخلقة واستقامته في مقابل نقصه واعوجاجه وتارة في التعديل مقابل العوج، والبسط مقابل التسنيم.

وهذا الاستعمال هو المراد من سويته في الحديث، كما أنه قد ورد في القرآن أيضاً متعدياً إلى المفعول الثاني بحرف التعدي مثل قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾^(٤) أي يودون أن يكونوا تراباً متساوين مع التراب أو ميتين مدفونين

(١) الأعلى: ٢.

(٢) القيامة: ٤.

(٣) الحجر: ٢٩.

(٤) النساء: ٤٢.

تحت الأرض، وقوله: ﴿إِذْ نُسَوِّبُكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) أي نعد الآلهة المكذوبة متساوين مع رب العالمين فنضيف إليكم ما نضيف إلى رب العالمين.

وعليه لو كان المراد من التسوية هو المساواة مع الأرض لعُدَّت كلمة سويته إلى المفعول الثاني بالباء كما في هاتين الآيتين.

وما ذكرناه من المراد - وبعد الغض عن كذب الحديث - هو الذي فهمه شراح الحديث، فقد روى مسلم بسنده عن ثمامة، قال كنا مع فضالة بن عبيد برودس من أرض الروم، فتوفى صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوّي، ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها ثم عقبه بحديث أبي الهياج^(٢).

فمن المعلوم أن أمر فضالة بأن يسوى القبر معناه أن يسطح ولم يجعل مسنماً، وليس المراد أنه أمر بهدم القبر لأنه لم يكن مبنياً قبل ذلك الوقت حتى يُهدم، وليس المراد أنه أمر به فسوّي مع الأرض لأنه خلاف السنة المتفق عليها في استحباب تعلية القبر عن الأرض في الجملة.

وهكذا خبر أبي الهياج الذي عقبه فضالة بكلامه وجعله دليلاً على أمره، ورواه مسلم وأبو داود أيضاً في ذيل كلام فضالة، ومن المعلوم أن تمسك فضالة به ورواية مسلم له دليل على أنه حمل قوله «ولا قبراً مشرفاً إلا سويته» على معنى ولا قبراً مسنماً إلا سطحته.

وقال النووي: قوله يأمر بتسويتها وفي الرواية الأخرى ولا قبراً

(١) الشعراء: ٩٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنائز ٢: ٦٦٦ ط دار إحياء التراث العربي، برودس:

جزيرة بأرض الروم، سنن أبي داود السجستاني ٢: ٨٣ ط دار الفكر.

مشرفاً إلا سويته، فيه أن السنة أن القبر لا يرفع عن الأرض رفعاً كثيراً ولا يسنم، بل يرفع نحو شبر ويسطح وهذا مذهب الشافعي ومن وافقه^(١).

وقد خص الترمذي هذه المسألة بباب، وجعل عنوانه (باب ما جاء في تسوية القبور) فلاحظت أنه لم يقل في هدم القبور ولو كان معناه هو الهدم لجعله عنواناً للباب، ثم أورد حديث أبي الهياج، ومن المعلوم أنه قد حمل التسوية على التسطيح لأنه المعنى اللغوي والعرفي للتسوية ولا ربط له بعدم جواز البناء على القبور الذي أفتى به المانعون تمسكاً بهذا الحديث.

ويؤيده أيضاً ما رواه أبو داود والحاكم من طريق القاسم بن محمد بن أبي بكر قال: دخلت على عائشة وقلت لها: يا أم أكشفي لي عن قبر النبي ﷺ وصلحيه فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة، مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء^(٢). أي لا مرتفعة ولا لاصقة بالأرض.

ولا يعارض رواية القاسم بن محمد الدالة على التسطيح، ماروي عن سفيان التمار أنه رأى قبر النبي مسنماً، لأن سفيان ولد في زمان معاوية، فلم ير القبر الشريف إلا في آخر الأمر فيحتمل - كما قال البيهقي - أن القبر كان مسطحاً ولم يكن في الأول مسنماً، بل سنم عندما سقط الجدار في زمن وليد بن عبد الملك وقيل في زمن عمر بن عبد العزيز وأصلح^(٣).

وإنما صار التسنيم بدعة والتسطيح سنة لأن النبي لما دفن ابنه إبراهيم سطح قبره ولم يسنمه^(٤).

(١) هامش صحيح مسلم ٢: ٦٦٦.

(٢) سنن أبي داود ٢: ٨٤، المستدرک للحاکم النيسابوري ١: ٣٦٩ ط دار المعرفة -

بيروت، وفاء الوفا ٢: ٥٥١ - ٥٥٦.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٤ ط دار الفكر - بيروت.

(٤) إرشاد الساري للقسطلاني ٢: ٤٦٨.

وقال القرطبي: قال علمائنا: ظاهر حديث أبي الهياج منع تسنيم القبور ورفعها، وأن تكون لاطئة...^(١).

لكن ما ذكره القرطبي من استفادة عدم كون القبر مرتفعاً مردود بما اتفق عليه كلمة فقهاء المذاهب الأربعة والإمامية^(٢)، فإنهم أجمعوا على استحباب رفع القبر بقدر شبر.

وفي ما ذكرناه من التحقيق في الحديث كفاية لأهل التدقيق، وإذا شئت التكثر فراجع إرشاد الساري لابن حجر القسطلاني^(٣).

وفي خاتمة الكلام وبعد فرض التنزل عن كذب الحديث نقول: هناك احتمال آخر للحديث وهو: أن السنة المتداولة في القبور كانت هي التسطیح، ولما طرأ بعدها التسنيم أمر علي ﷺ بأن تكافح هذه البدعة ويسطح كل قبر مسنم، ولم تجد أي دليل على مشروعية هدم القبور وهتك حرمة أهلها وزائريها أبداً.

الحديث الثاني:

وقد استدل على حرمة البناء على القبور وجواز هدمها بحديث آخر، فقد روى مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن حفص بن غياث عن ابن جريج، عن ابن الزبير، عن جابر بن عبد الله، قال: نهى رسول الله ﷺ أن يخصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه^(٤).

(١) تفسير القرطبي ١٠: ٣٨٠ ط مؤسسة التاريخ العربي.

(٢) الفقه على المذاهب الأربعة ١: ٤٢٠.

(٣) إرشاد الساري ٢: ٤٦٨.

(٤) صحيح مسلم كتاب الجنائز ٣: ٦٢، وسنن الترمذي ٢: ٢٠٨ وصحيح ابن

ماجة كتاب الجنائز: ٤٧٦، وصحيح النسائي ٤: ٨٧، وسنن أبي داود ٣: ٢١٦،

ومسند أحمد ٣: ٢٩٥ و٣٣٥.

وهذا الحديث موهون كسابقه سنداً ومنتأً.

أما سنداً:

لأن فيه رجلين قد ضعفهما علماء الرجال إلى غاية الضعف وهما:

١- ابن جريج، (عبد الملك بن عبد العزيز).

٢- أبو الزبير، (محمد بن مسلم الأسدي) ^(١).

مضافاً إلى أن بعض طرق الحديث مشتمل على عبد الرحمن بن أسود المتهم بالكذب والوضع ^(٢).

أما سرد كلام الرجال فيهما، فنعتذر منه، حذراً من التطويل الممل، فإننا قد أطلنا الكلام في سند الحديث الأول للاعتبار، ولا يسع المجال للإطالة في كل الأحاديث، فإذا كنت راغباً فراجع تهذيب التهذيب لابن حجر وكشف الارتياح للسيد الأمين.

وأما منتأً:

فقد روي هذا الحديث بصور شتى وألفاظ مختلفة، ففي بعضها ورد لفظ البناء وفي بعضها لم يرد، وهكذا سائر الألفاظ، وهذا الاختلاف يرشدنا إلى أن الرواة قد تصرفوا ولعبوا فيه مع غض النظر عن أصل صدوره، وإذا شئت الوقوف على متونه المختلفة فراجع مصادره المذكورة في الهامش.

إذن فكيف يصح الاستدلال على حديث هذا حاله سنداً ومنتأً، مع هذا الاضطراب الشديد إضافة على كون الراوي واحداً.

(١) لاحظ تهذيب التهذيب ٦/ ٢ - ٤، ٦٠٥.

(٢) لاحظ تهذيب التهذيب ترجمة أبو الزبير: ٤٤٢.

وأما دلالة:

لو سُئِمَ صدور الحديث من النبي ﷺ، لكن النهي الذي ورد في هذا الحديث وفي كثير من الأحاديث قد استعمل في الكراهة لا الحرمة، وهذا لا يشك أحد فيه.

مضافاً إلى أنه قد أعرض المسلمون عن بعض صور هذا الحديث والأحاديث التي مثله، لأن البناء على القبور كان متعارفاً قبل الإسلام وبعده ولم يشاهد أي منع وردع عنه وقد استمرت هذه السيرة إلى يومنا هذا.

فإن قبور الأنبياء التي حول بيت المقدس كقبر داود ﷺ وقبور إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف الذي نقله موسى من مصر إلى بيت المقدس كلها مبنية مشيدة قبل الإسلام وبقية مشيدة أيضاً بعد الفتوحات الإسلامية إلى يومنا هذا، وقد اعترف ابن تيمية بهذا الأمر بقوله: إن البناء الذي على قبر إبراهيم الخليل ﷺ كان موجوداً في زمن الفتوح وزمن الصحابة.

ولا يضر قوله الآخر - على فرض صحته - (إلا أنه كان باب ذلك البناء مسدوداً إلى سنة الأربعمئة) لأن الغرض إثبات وجود البناء وقد اعترف به ابن تيمية، ولأن الكتابة على القبور كانت متداولة من عصر الصحابة إلى الآن، كما نبّه عليه الحاكم في مستدركه، وهو ينبئ عن الإعراض عن أصل الحديث وسائر الأحاديث التي مثله، وإلا لما صح الإعراض عن جملة منه والعمل بجملة أخرى، ومن لم يعرض عنها وعمل بها أو ببعضها فإنه لم يحملها إلا على الكراهة، أو خصها بما لا يكون تعميره من إقامة شعائر الدين كقبور الأنبياء والأولياء والصالحين.

ثم إن الكراهة التي وردت في الأحاديث على فرض تسليمها، قد ترتفع بسبب طرو مصالح مهمة، ففيما نحن فيه، إذا كان البناء على قبور

الأنبياء والأولياء والصالحين وإيجاد الظل وسائر الإمكانات الرفاهية فيها سبباً لعبادة رب العالمين وكثرة ذكره وتلاوة القرآن وإتيان الأعمال والأذكار المستحبة وسيما اجتماع المسلمين على كلمة التوحيد ووحدة قلوبهم وتحكيم عقائدهم.

وفي النهاية صار سبباً لتعظيم شعائر الله، وحفظ الآثار الإسلامية وصيانتها من الاندساس ومن هتك حرمتها، وإرغام أنف المخالفين الحاسدين.

فأي مصلحة وأي فائدة أهم منها وأكثر أثر منها، وقد عرفت أن خوف عدو الدين من هذه الأمور، ولهذا أصبح تحريّب القبور أمراً سياسياً ولأجل المنع من زيارة القبور والاجتماع حولها وذكر الله وعبادته عندها.

هذا مضافاً إلى أن بناء المشاهد وتعميرها ليس له أي منافاة مع تلك الأحاديث، لأن نفس القبر لم يرفع أكثر من شبر.

ولم يجلس عليه ولا يمشي أحد عليه، بل إنما يوضع عليه صندوق وضريحٌ صوتاً من الإندراس ورعاية من أن يمشي عليه أحد، أو يجلس عليه ورعاية للأدب والاحترام.

وقد يستدل أيضاً على التحريم بأحاديث أخر، مثل حديث أبي سعيد، وأم سلمة، فقد روى أبو سعيد أن النبي نهى أن يبنى على القبر^(١).

وروي عن أم سلمة أنها قالت: نهى رسول الله ﷺ أن يبنى على القبر أو يخصص، أو أنها قالت: نهى أن يُخصص قبر أو يُبنى عليه أو يجلس عليه^(٢).

وهذه الأحاديث كما ترى مثل الحديث الثاني من حيث المضمون

(١) صحيح ابن ماجه ١: ٤٧٤.

(٢) مسند أحمد ٦: ٢٢٩.

والدلالة والجواب نفس الجواب ولا نعيد الكلام فيها.

وأما من حيث السند، فهي أيضاً مخدوشة لما فيها من الوضاعين والضعاف، فإن الأول يشتمل على وهب، وهو مردد بين سبعة عشر رجلاً وفيهم الوضاعون والكذابون^(١).

وأما الثاني والثالث، ففيهما عبد الله بن لهيعة الذي ضعفه العلماء ولا يمكن الاحتجاج به^(٢).

وإذا شئت كثرة التحقيق في سندها فراجع ميزان الاعتدال للذهبي.

والحاصل أن هذه الأحاديث هي ذريعة الخصم نحو الآثار الإسلامية، وقد عرفت حالها ودالتها، ومع وجود أدلة محكمة على الجواز لا يبقى لتلك الضعاف مجال للاعتماد.

والخصم لأجل التفاته إلى وهن ذريعته، التجأ إلى ذريعة أخرى أحسن من الأولى، لعله يأمن من اعتراض المسلمين عليه في تخريب قبور أهل بيت الوحي ﷺ، وهي:

كون البقيع مسبلة موقوفة والبناء على القبور يمنع الانتفاع بأرضها.

ادعاء الخصم على كون البقيع مسبلة

فقد لقن القاضي ابن بلهيد هذا الإدعاء عند طرح أسئلته لعلماء المدينة، وأقروا ادعاءه في الجواب.

والجواب عنه: أن هذه الدعوى مثل سائر دعاويهم الخاوية، هي دعوى بلا دليل، إذ لم ينقل أحد، أن شخصاً وقفها، بل هي باقية على الإباحة وليست مسبلة.

(١) مسند أحمد ٦: ٢٢٩.

(٢) ميزان الاعتدال ٣: ٣٥٠ - ٣٥٥.

وإليك تاريخها وكلام العلماء فيها:

قال السهوي: روى ابن زبالة عن قدامة بن موسى: أن أول من دفن رسول الله ﷺ بالبقيع عثمان بن مظعون، وقال أيضاً: روى أبو داود بإسناد حسن عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، عن بعض الصحابة:

لما مات عثمان بن مظعون ودفن، أمر النبي ﷺ رجلاً أن يأتي بحجر فلم يستطع حمله، فقام إليه رسول الله ﷺ وحسر عن ذراعيه (قال الراوي) كأنني أنظر إلى بياض ذراعي رسول الله ﷺ حين حسر عنهما، ثم حمله فوضعه عند رأسه وقل: «أتعلم به قبر أخي وأدفن إليه من مات من أهلي».

ورواه ابن شبة وابن ماجه وابن عدي عن أنس، والحاكم عن أبي نافع.

وقال أيضاً: عن محمد بن قدامة، عن أبيه، عن جده قال:

لما دفن النبي ﷺ عثمان بن مظعون أمر بحجر فوضع عند رأسه، قال ابن قدامة: فلما صفق البقيع وجدنا ذلك الحجر، فعرفنا أنه قبر عثمان بن مظعون.

وعن شيخ من بني مخزوم يدعى عمر، قال: كان عثمان بن مظعون أول من مات من المهاجرين، فلحد له رسول الله ﷺ وفضل حجر من حجارة لحده فحمله رسول الله ﷺ عند رجليه، فلما ولي مروان بن الحكم المدينة مرّ على ذلك الحجر فأمر به فرمي به، وقال: والله لا يكون على قبر عثمان بن مظعون حجر يعرف به، فأتته بنو أمية فقالوا: بشس ما صنعت، عمدت إلى حجر وضعه النبي ﷺ فرميت به، بشس ما عملت، فمرّ به فليرد، فقال! أما والله إذ رميت به فلا يرد، وفي رواية أنه جعل

ذلك الحجر على قبر عثمان بن عفان^(١).

ثم قال السمهودي: وروى أبو غسان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه لما توفي إبراهيم ابن رسول الله ﷺ أمر أن يدفن عند عثمان بن مظعون، فرغب الناس في البقيع وقطعوا الشجر، فاختارت كل قبيلة ناحية، فمن هنالك عرفت كل قبيلة مقابرها.

ثم قال: وروى ابن أبي شيبة عن قدامة بن موسى: كان البقيع غرقداً، فلما هلك عثمان بن مظعون دفن بالبقيع وقطع الغرقد عنه^(٢).

فقد تبين مما قدمناه أن البقيع كانت مواتاً مملوءة من شجر الغرقد، واتخذ المسلمون مقابر حينما دفن النبي ﷺ فيه عثمان بن مظعون وولده إبراهيم، رغبة فيه، فقد دفنت كل قبيلة موتاهم في قسم منها إما بالحيازة فصار ملكهم، أو أنه بقي على ما كان عليه من أصالة الإباحة.

ويستفاد من الروايات جواز فعل كل ما كان علامة ومانراً للقبر مثل وضع الحجر عليه والكتابة عليه أو غيرهما، وعلم منها ماهية مروان بن الحكم وعناده للرسول الأعظم ﷺ واستهانته بالدين وأهله، وأن من خرب قبور المؤمنين سيما الأئمة المعصومين واستهان بها وبزائريها قد حذا حذوه.

ويأتي السؤال هنا: بأنهم من أين استخرجوا كون البقيع أرضاً حية فوقها صاحبها لدفن الأموات!؟

والحال أنه دل الدليل على أن قبور العباس وأهل البيت ﷺ كانت

(١) وفاء الوفا للسمهودي ٣: ٨٩٢ - ٨٩٤ طبع دار إحياء التراث العربي بيروت.

الغرقد اسم شجر كانت في أرض البقيع على كثرة ولهذا سمي البقيع بالغرقد.

(٢) وفا الوفا للسمهودي ٣: ٨٩٢، طبع دار إحياء التراث العربي في بيروت.

من دار عقيل، فأين هذا من الوقف والتسبيل؟، هذا ابن شبة قال - فيما نقله عن غسان - قال عبد العزيز: دفن العباس بن عبد المطلب عند قبر فاطمة بنت أسد بن هاشم في أول مقابر بني هاشم التي في دار عقيل^(١).

فبعد ما ثبت أن قبور أهل البيت كانت في دار عقيل، ما هو المجوز لتخريبها وهتك حرمتها وحرمان الزائرين من الحضور عندها والاستظلال تحت قبابها وتلاوة القرآن والدعاء فيها وعبادة الله وكثرة الصلاة عندها؟! وهل تبقى قيمة لتلك الفتوى المدلسة المجعولة من جانب سائلها؟ وهل يبقى لك شك في كفر وضلالة من هدمها وهتك حرمتها وأنه منقذ لأوامر أعداء الدين؟

ويؤيد ما ذكرنا من عدم كونها مسبلة ما نقله السمهودي عن ابن شبة، عن عبد العزيز: أن سعد بن معاذ دفنه رسول الله ﷺ من طرف الزقاق الذي بلزق دار المقداد بن الأسود وهو المقداد بن عمر، وإنما تبناه الأسود بن عبد يغوث الزهري، وهي الدار التي يقال لها دار ابن أفلح في أقصى البقيع عليها جنبذة^(٢).

وهذا صريح في أنها كانت داراً مملوكة ولم تكن أرضاً مسبلة، وكان عليها قبة وبناء.

ويؤيده أيضاً: ما روي أن عقيلاً لما حفر في داره بئراً وجد حجراً منقوشاً مكتوباً فيه هذا قبر أم حبيبة بنت صخر بن حرب، فدفن عقيل البئر، وبنى عليه بيتاً، قال ابن السائب: فدخلت ذلك البيت فرأيت فيه ذلك القبر^(٣).

(١) وفاء الوفا: ٣: ٩١٠ طبع دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٢) وفاء الوفا: ٣: ٩١٥.

(٣) وفاء الوفا: ٣: ٩١٢.

وفي رواية أنه وجد في دار علي بن أبي طالب، فدل على أن محل قبرها كان مملوكاً.

والحاصل أن هذه الأخبار مضافاً إلى دلالتها على الملك وعدم التسبيل تدل على جواز البناء حول القبور والدفن في محل البناء والكتابة عليها وأن سيرة المسلمين عليها.

وأضيفك شاهداً يوصلك إلى القطع بأن أعمال هذه العصابة ناشئة من العداوة لأهل بيت النبوة ومعالم التوحيد، وأن الاستدلال بالروايات تارة وبكون البقيع مسبلة تارة أخرى ذرائع ظاهرية هدفها إغواء الجاهلين وإغفالهم عن الحقائق.

والشاهد: أنه لو كان حجتهم في تخريب القبور هو تسبيل البقيع فهي خاصة بالبقيع والقبور الموجودة فيه على فرض التنزل.

فما بالهم في تخريب سائر القبور التي ليست في البقيع مثل قبر عم النبي ﷺ حمزة سيد الشهداء الذي كان عليه مشهد عظيم وقبة مجللة، ومن أهم القبور التي خربوها وتجاسروا عليها هو قبر الحسين بضعة الرسول وفضلته كبله سيد شباب أهل الجنة الذي قال رسول الله ﷺ في حقه وحق أخيه الحسن المسموم: «الحسن والحسين سيदा شباب أهل الجنة»^(١) وقال «من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة»^(٢).

فقد شاهد التاريخ من هذه العصابة جرائم وجنایات لا تمنحني آثارها، فإنهم لما علموا بذهاب كثير من أهالي كربلاء إلى زيارة أمير المؤمنين ﷺ وبقي فيها من لا قدرة له على الدفاع استغلوا الفرصة وهجموا عليها وسفكوا دماء العجزة والنساء والأطفال وهم يتصارخون، وسلبوا أموالهم

(١) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب باب ٣١، ولاحظ نور الابصار للشبلنجي: ١٧٥

(٢) نفس المصادر السابقة

وهتكوا نواميسهم فقتلوا ما يبلغ خمسة آلاف منهم، وهدموا قبر الحسين الشهيد عليه السلام ومشهده الشريف وسلبوا كل ما كان فيه من المجوهرات والأشياء الثمينة^(١) وفعلوا ما فعلوا في كربلاء وسائر البلدان وتجاسروا على شعائر الله بكل تعظيمها. وحاولوا في تخريب قبر أمير المؤمنين، ولولا خوفهم من المسلمين لهدموا حتى قبر الرسول ومشهده وقبته الشريفه.

فهذه الجرائم أحسن شاهد على عداوتهم للدين وأهله، وليس غرضهم الدفاع عن الدين وحقوق المسلمين وإن هذه الكلمات كلها كلمات حق يراد بها باطل.

والباطل هو تحقيق آمال أعداء الدين اليهود المشركين.

ونتيجة البحث إلى هنا:

هو أنه لم يوجد أي مانع للبناء على القبور خاصة قبور الأنبياء والأولياء حيث إنها من تعظيم شعائر الله وأعلام توحيده، ومع فقد المانع فالأصل هو الإباحة.

وهذا مع فرض عدم الدليل على الجواز. ولكن إليك أدلة الجواز.

(١) وكان هجومهم على كربلاء في سنة ١٢١٦ وفي يوم الغدير، قال الدكتور منير العجلاني: دخل اثنا عشر ألف جندي ولم يكن في البلدة إلا عدد قليل من الرجال المستضعفين لأن رجال كربلاء كانوا قد خرجوا يوم ذاك إلى النجف الأشرف لزيارة قبر الإمام أمير المؤمنين يوم الغدير، فقتل الوهابيون كل من وجدوهم، فقدر عدد الضحايا في يوم واحد بثلاثة آلاف، وأما السلب فكان فوق الوصف، ويقال أن مأتي بعير حملت فوق طاقتها بالنهبويات الثمينة. تاريخ العربية السعودية: ١٢٦ - ١٢٧.

أدلة جواز البناء على القبور

الاستدلال على جواز البناء على قبور الأنبياء والأولياء والصلحين،
وتعميرها ووضع القُبُب عليها والحث على تعظيمها، من وجوه:
الأول: من الكتاب: فقد ورد في القرآن آيات يستنبط منها جواز
البناء على قبور الأنبياء والأولياء.

الآية الأولى:

في سورة الكهف

قد تعرض القرآن الكريم لبيان قصص كثيرة حول الأمم السابقة
وبيان أحوالهم وعاقبة أمرهم لأجل الاعتبار والإتعاض فبعض قد ذمهم
وبعض مدحهم وأجلهم.

ومن الذين مدحهم أصحاب الكهف الفتية الذين آمنوا بربهم فزادهم
الله هدى، ولما اعتزلوا قومهم وما كانوا يعبدون من دون الله والتجؤا إلى
كهفهم أماتهم الله مع كلهم مدة من الدهر وأحياهم وأماتهم مرة أخرى
ليكونوا آية للناس والقصة طويلة إلى أن عشر الناس عليهم فاختلفوا
بينهم بعدما رأوا من آيات الله، فقال بعضهم: ﴿ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا﴾ ،
و ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾^(١).

فقد نقل القرآن الكريم كلا القولين من دون أن يذمهم على تلك
الفكرة بل الظاهر منه هو تحسين كلام القوم، لأن أصحاب الكهف قد
بلغ أمرهم إلى حد من الكرامة بحيث صاروا آية من آيات الله العظمى
وعلائم توحيده وعظمته وقدرته، وقد اتفق الناس على تكريمهم وتعظيم
شأنهم والتبرك بهم، وكان الاختلاف في كيفية التكريم، فبعض قال بلزوم

اتخاذ البناء على قبورهم والبعض باتخاذ المسجد وعبادة الله فيه.

وحيث إن كلمات القرآن وقصصه قد وضعت لأجل الاعتبار والانتباه وإرشاد الناس وتربيتهم وليس كتاب قصة، فلو كان في عملهم وفكرتهم خطأ وضلالاً وشركاً، لذمهم وعاب عليهم، كما هو شأنه عند التعرض للمشركين وأهل العناد والتضليل، فبعنوان المثال في قصة فرعون، يقول الله عز وجل:

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فذمه وعاب عليه بقوله: ﴿عَآ لَآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١).

فمن هذه الجهة أصبح القرآن وآياته أكبر دليل وبرهان لعمل المسلمين ومشيههم بضميمة ما يرد من الرسول الأمين وعترته الميامين صلوات الله عليهم أجمعين من التفسير والتبيين.

فالمتحصل منه هو إن البناء على قبور الصالحين وتعظيمها، بل بناء المسجد عليها وعبادة الله فيها كان جائزاً في الأمم المؤمنة الماضية، وقد أمضاه وحسنه الشارع المقدس من غير منع ودم.

الآية الثانية:

آية الترفيع

فقد أذن الله الحكيم لخصوص بعض البيوت أن ترفع وتعظم ويذكر فيها اسمه ويسبح له بالغدو والأصاال فقال: ﴿فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ

(١) يونس: ٩١.

وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ^(١).

ومن المعلوم أن المراد من البيوت في هذه الآية هي بيوت الأنبياء وأوصيائهم.

فقد ورد في تفسير الآية عن أنس بن مالك وبريدة: قرأ رسول الله هذه الآية، فقام إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ فقال: «بيوت الأنبياء».

فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا منها؟ مشيراً إلى بيت علي وفاطمة، قال: «نعم من أفاضلها»^(٢). وعليه فلا يكون المراد من البيوت في هذه الآية هو المساجد، لأن البيوت في القرآن جاءت في مقابل المساجد. ثم إن المراد من ترفيع البيوت فيه احتمالين:

الأول: الترفيع: بمعنى الرفع الظاهري وتشديد البناء وإقامة الجدران والقواعد وتعميرها، كما ورد بهذا المعنى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾^(٣).

الثاني: بمعنى الرفع المعنوي، أي بمعنى احترام تلك البيوت وتعظيمها وإعطاء المكانة العالية لها وحراستها من الاندثار وحفظها من التخريب والتوهين، كما ورد بهذا المعنى أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا مَكَانَنَا عَلَيْكَ﴾^(٤).

(١) النور: ٣٦ - ٣٧.

(٢) تفسير الدر المنثور للسيوطي ٥ : ٥٠.

(٣) البقرة: ١٢٧.

(٤) مريم: ٥٧.

وعلى أي حال: إن كان المراد هو المعنى الأول فيدل على جواز تشييد بيوت الأنبياء وتعميرها وصيانتها من الخراب في حياتهم وبعد مماتهم وقد تبين أنه لا فرق بين الحياة والممات من هذه الجهة، أي جهة الترفيع وقد ثبتت الحياة لهم ولا فرق في أن يكون بيته قبل الدفن أو صار بيته بعد الدفن.

وإن كان المراد هو المعنى الثاني، فقد أذن الله سبحانه في تكريمها وتعظيمها والحفاظة عليها مما لا يليق بشأنها، وهذا المعنى من الترفيع المعنوي له مصاديق ومظاهر ومن مظاهر رفعة البيوت، هو توجه القلوب إليها وزيارتها وبذل المال وجميع الإمكانات لحفظها من الإهيار وأيدي الأعداء واستخدام الخدم لأجل نظافتها وتطهيرها من الأوساخ وبسط جميع وسائل الرفاه للناس من قبيل فرشها وإشعال المصابيح فيها وإيقاد المدفئات والمبردات فيها وإيجاد الظل عليها من أجل صيانة الزائرين من الحر والبرد والمطر.

وكل هذه الأمور تكون من جهة رفعتها وتوجه الناس إليها، وبالنتيجة تصير مكاناً لأن يذكر فيها الله ويسبح له في الغدو والأصال، وبهذا النحو ينتشر الدين وتثبت قواعده ويصان من الاندثار والانهيار وتصبح شريعة الإسلام شريعة خالدة مدى الدهور والأعوام، ولو كره المشركون والكفار. وليعلم الأعداء بأن نور الله لا يُطفأ بمخالفتهم ومخاربتهم مع تلك البيوت الرفيعة، وتخريبها وإهانتها - كما فعل عملائهم في البلدان الإسلامية -.

وبعنوان المثال يمكنك ملاحظة قبور أئمة الهدى وأبناء رسول الله في البقيع التي قد هدمتها أيدي الأعداء وسعت في إهانتها وحاولت منع الناس عن زيارتهم، فقد فشلت جميع محاولاتهم وانعكست عليهم، لأن القلوب صارت تهوي وتحن إليهم وترق لمظلوميتهم أكثر فأكثر ولم يمنعهم

برد ولا حرّاً ولا مطر ولا مدر ولم تأخذهم في الله لومة لائم، بل ازدادت قلوبهم حباً لهم وبغضاً ونفرة من أعدائهم وظالميههم ومخربي قبورهم وهذا هو معنى إذن الله في رفعها.

وهذا قبر ريحانة رسول الله الحسين الشهيد ﷺ صار علماً لدين الله ومصباحاً للهداية، ولم يتمكن أي شخص لحد الآن من أن يطفى نوره ويمحو اسمه وآثاره مع تلك المحاولات المشؤمة، وكما أن قتله ﷺ أدى إلى انتشار الدين المبين وتثبيت قواعده وأمنها من الانهيار فهكذا تخريب قبره ومنع الناس من زيارته قد انعكس معه الأمر وعظم أمره وازداد زائروه وكثر محبوه ومبغضوا أعداءه، وهكذا الأمر في سائر المشاهد المشرفة لأهل بيت الوحي.

فالنصيحة: لكل من صد عن هذا الأمر العظيم وصار في خدمة أعداء الدين أن يتنبه ويخرج من غفلته ويعلم بأن الله إذا أراد أن يرفع أحداً ويعظمه لا يمنع مانع منه أبداً.

بل تراه ينفذ إرادته ولو كره المشركون ولو كان بعض لبعض ظهيراً، وعلى العكس من ذلك، فإذا أراد الله أن ينزل أحداً فلا معز له أبداً، فالأولى أن نقرّ له جميعاً كما ورد في الدعاء: (فأنا أشهد بأنك أنت الله لا إله إلا أنت لا رافع لما وضعت ولا واضح لما رفعت ولا معز لمن أذلت ولا مثل لمن أعززت ولا مانع لمن أعطيت ولا معطي لما منعت بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) ونقول: (لا تسئل عما تفعل وهم يسألون).

والأولى لمخالفتي زيارة القبور أن يسلموا لله ولا يخالفوا أمره وأن يعظموا من عظمه الله ورفعه وأن يبذلوا جهدهم في رفع بيوت الرسول وبنائها والمحافظة عليها وترغيب الناس في زيارتها واحترامها والتبرك بها، ويكون لهم الأجر والثواب.

ولا يبذلوا جهدهم في تحقيق أوامر الأعداء ويصيروا لعبة في أيديهم

بتكفير المسلمين واستباحة دمائهم وصددهم عن سبيل الله وتعظيم شعائره، فتكون عاقبتهم الخزي في الدنيا والآخرة ويكون لهم سوء العقاب.

الآية الثالثة:

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

تلاحظ في هذه الآية: إن الله سبحانه رغب الناس وحثهم على تعظيم شعائره وجعله دليلاً على تقوى القلوب^(١).

ومن المعلوم أن المراد من شعائر الله التي يجب تعظيمها هي علائم دين الله ودلائل توحيده.

لأن الشعائر جمع شعيرة وهي بمعنى الدليل والعلامة، وليس المقصود منها العلائم والدلائل التي تثبت وجود الله، لأن العالم وما فيه كله دليل على وجود الله، ولا ترى أحداً يقول بأن تعظيم كل ما في الكون دليل على تقوى القلوب، ولهذا قال المفسرون بأن المراد من ﴿شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ معالم دين الله^(٢).

فإذا كان الصفا والمروة والهدي الذي يذبح في منى، من شعائر الله لأنه من معالم ودلائل الدين الحنيف دين إبراهيم الخليل، وإذا سميت المزدلفة بالمشعر الحرام لأنها علامة من علائم دين الله وأن الوقوف فيه دليل على العمل بدين الله وطاعته، وإذا أطلقت كلمة الشعائر على مجموع مناسك الحج، فهو بدليل أن تلك الأعمال دلائل وعلائم توحيد الله وعبادته وطاعته.

(١) الحج: ٣٢.

(٢) مجمع البيان ٥: ٨٣.

٥٤ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

والحاصل أن تعظيم كل ما يكون شعيرة وعلامة لدين الله فهو يؤدي إلى التقرب إلى الله، ومن الواضح أن أنبياء الله ورسله وأوليائه من أعظم وأبرز علائم دين الله، لأنهم السبب في نشر دينه وترويجه وتثبيت دعائمه بين الناس، وهذا مما لا ينكره أي منصف.

بل الحق هو أن النبي والأئمة ﷺ من علامات الدين وأركانه وأنه لا بد من تعظيمهم وحمايتهم وحماية آثارهم وقبورهم من الخو والاندراس حتى تبقى أسمائهم وآثارهم وقبورهم رمزاً للدين الخالد وعلامة لبقائه وعلو شأنه، لأن تلك الآثار التاريخية في الواقع معالم الأصالة الإسلامية ودليل على واقعية الرسالة المحمدية وجذورها التاريخية.

وهذا الأصل لا يخص المسلمين فقط، بل جرى عليه عمل سائر الشعوب والأمم المؤمنة والراقية في العالم، فهم يدفنون كبارهم وشخصياتهم ومن له دورٌ وأثرٌ في حضارتهم وترقيتهم في مقابر وأماكن خاصة ويسعون في المحافظة عليها وصيانتها من الخراب والاندثار، ويحافظون على كل أثر تاريخي وتراث ثقافي منهم، ويعلنون بهذا العمل على أنهم باقين ومتمسكين بفكرتهم وطريقتهم وقد جعلوهم رمزاً لتخليد أفكارهم وعقائدهم.

ويستنبط من هذه الآية حكم جلي وهو جواز تعظيم وتكريم كل ما ينطبق عليه أنه من شعائر الله، ومن أعظمها وأتمها هو تعظيم وتعمير قبور النبي وأهل بيته المعصومين وزيارتها والسعي في حفظ سائر آثارهم.

ولا شك أن في هدم تلك المعالم والآثار الإسلامية في المدن الإسلامية وخاصة في مهد الإسلام مكة ومدينة الرسول ﷺ آثاراً سيئة على الأجيال الآتية التي لا ترى أثراً منها ولا عيناً فيقعوا في الشك والترديد في أصالة تلك الفكرة وربما يحصل لهم الاعتقاد بأن الإسلام قضية مفتعلة وليس لها

أساس واقعي، وأنه لا خبر جاء ولا وحي نزل^(١).

كما حصل هذا الأثر المخرب في أذهان واعتقاد كثير من أتباع السيد المسيح عليه السلام بأنه ليس إلا قضية أسطورية حاكتها أيدي القساوسة، والسبب في هذا الاعتقاد هو عدم وجود أثر ملموس يدل على أصالة هذا الدين ووجود هذه الشخصية.

ولذلك حث الله سبحانه على تعظيم شعائر دينه ومعاله والسعي في حفظ آثار النبوة ونشرها والمواظبة عليها من أن تنالها يد الأعداء، لأن هذا الأمر سبب لبقاء الدين وخلوده، وهو الذي يسعى الأعداء في الخيلولة دون تحقيقه بكل وسيلة.

الآية الرابعة:

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾

فقد أمر الله تعالى جميع المسلمين بالحب والمودة لقرابات النبي صلى الله عليه وآله وجعله أجر الرسالة وتلك الجهود العظيمة التي بذها النبي صلى الله عليه وآله من أجل أمته ومن أجل إخراجهم من الظلمات إلى النور فأصبحوا مسلمين.

فإن إعطاء الأجر والمكافئة أصل عقلائي قد أمضاه وأكد عليه الشارع المقدس لكل من قدم صنعاً حسناً وخدمة لأهل بلد أو وطن بحيث صار

(١) هذا البيت تمثل به يزيد بن معاوية عندما وضع رأس الحسين الشهيد عليه السلام

أمامه، فكانت أحد كفرياته أن قال:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

وهي كما ترى صريحة في إنكار النبوة ونزول الوحي والقرآن الكريم وهذه الفكرة هي التي يتابعها أعداء الدين. ألا لعنة الله على القوم الكافرين.

٥٤٢ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

سبباً لحل مشاكلهم وتقديمهم وصار فخراً تاريخياً وتراثاً وطنياً لهم ولحضارتهم، فتقديم الأجر أمر عقلائي قد جرت على العمل به جميع الأمم المتحضرة، ومثابجه في التاريخ كثيرة.

ثم إن إعطاء الأجر يختلف باختلاف مراتب الخدمة فلجر البعض هو الملك أو الشكر اللفظي فقط، والبعض الآخر لا يقابل عملهم بالملك، بل يقابل بالتكريم والتعظيم والتجليل لهم ولأهل بيتهم وحتى لقومهم لأنهم من قوم الشخص الفلاني الذي بنى وطنهم أو أنقذهم من سلطة المتجاوزين أو اخترع لهم الأمر الفلاني.

وترى أن اسمه يسجل في صفحة التاريخ وفي كل أنحاء الوطن، ويذكر بالتمجيد والتجليل، فإذا مات شيعوه أعظم التشييع ودفنوه في أحسن مكان وبنوا على قبره أحسن بناء وجعلوا قبره رمزاً تاريخياً لحضارتهم، وأقاموا الذكرى السنوية عنده وحافظوا على قبره من أن يخرب حتى يبقى رفيعاً ومجلاً مدى الزمان.

وهكذا حالهم بالنسبة إلى أهل بيته وعائلته، خاصة إذا كان في أهل بيته نفس الخصوصيات والخصال الكريمة وكانوا ورثة علمه وخلقه وصفاته وجعلهم خلفائه وأوصيائه.

وهذا الأصل ينطبق على النبي الأمين وأهل بيته المعصومين أحسن الإنطباع وأكملهم، بل لا يقاس شخص به ولا يقاس عمل وأثر على ما أتى به الرسول الكريم ولا يقاس أهل بيت على أهل بيته، فإنه وأهل بيته أفضل من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين وشريعته أفضل الشرائع والأديان.

ولهذا السبب لما اجتمع كبار المسلمين وصمموا على أن يجاوزوه ويعطوه

ويعطونه الأجر مقابل تلك الزحمات الكثيرة والرسالة العظيمة^(١) لم يجبهم النبي ﷺ من عند نفسه حتى نزل الوحي بهذا الأمر العظيم وقال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾^(٢)، ثم نزل بعده ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنِ اجْتَبَيْتُمْ لِأَعْلَى اللَّهِ﴾^(٣).

فترى أن النبي ﷺ ليس له أي توقع منهم ولا طمع في أموالهم وديارهم، بل قال لهم كما في الآية ﴿إِنِ اجْتَبَيْتُمْ لِأَعْلَى اللَّهِ﴾، لكن الله سبحانه فرض عليهم ذلك الأمر العقلاني الذي يقبله كل من له وجدان وكان بعيداً عن التعصب والعناد ولو كان غير مسلم، خصوصاً أن امتثال هذا الأمر كله من صلاحهم وفيه منفعتهم وسعادة الدنيا والآخرة، كما دل عليه في قوله: ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنِ اجْتَبَيْتُمْ لِأَعْلَى اللَّهِ﴾^(٤).

وقد ثبت في الروايات عنه ﷺ عندما سألوه: من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم؟ أن المراد من القريبى هو علي وفاطمة وابناهما

(١) فقد ورد من طرق العامة أن سبب نزول الآية ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ...﴾ أنه ﷺ لما قدم المدينة كانت تنويه نوابه وليس في يده شيء فجمع له الأنصار ملاً، فقالوا يا رسول الله إنك ابن أختنا وقد هدانا الله بك وتنويك نوابه وحقوق وليس معك سعة، فجمعنا لك من أموالنا ما تستعين به عليها، فنزلت الآية ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ...﴾، الصواعق المحرقة: ٢٢٧.

(٢) الشورى: ٢٣.

(٣) سبأ: ٤٧.

(٤) سبأ: ٤٧.

الحسن والحسين ﷺ^(١)، وفي بعض الروايات عندما سأله ﷺ قال: «هم أهل بيتي». وقد ورد عن الباقر ﷺ أنه سئل عن هذه الآية فقال: (هي فريضة من الله على العباد لمحمد ﷺ في أهل بيته)^(٢).

وفي كفاية الطالب عن أمامة الباهلي عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله خلق الأنبياء من أشجار شتى وخلقني وعلياً من شجرة واحدة، فأنا أصلها وعلي فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمرها، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجى، ومن زاغ عنها هوى، ولو أن عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام ثم ألف عام ثم لم يدرك محبتنا أكبه الله على منخريه في النار»، ثم تلا هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قال الكنجي: هذا حديث حسن عال رواه الطبري في معجمه كما أخرجناه سواء، ورواه محدث الشام في كتابه بطرق شتى^(٣).

والمودة: من الود والتودد وهي أمر فوق المحبة، والمحبة هو الحب القلبي، لكن المودة هي الحب الذي يتجاوز عن القلب واللسان ويصل إلى الإبراز بالأركان المودة إظهار وإبراز الحب بأي نحو كان.

وهذا النوع من الحب له مظاهر ومصاديق في الخارج وبحسب مقتضيات الزمان والأجيال ولا يمكن تحديده؛ اختلاف هذه المقتضيات حسب اختلاف

(١) ذخائر العقبى: ٢٥ نقله عن أحمد في المناقب وروى أيضاً عن النبي أنه قال: «إن الله جعل أجري عليكم المودة في أهل بيتي وإني سألتكم غداً عنهم» ولاحظ الصواعق لابن حجر: ٢٢٧.

(٢) تفسير الصافي ٤: ٣٧٣ - نقله عن المحاسن.

(٣) كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ٣١٧ الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٤، وحكاه عن مستدرك الصحيحين ٣: ١٦٠، كنوز الحقائق: ١٥٥، كنز العمال ٦: ١٥٤، ذخائر العقبى: ١٦ وتجدد في كثير من كتب القوم باختلاف في اللفظ.

الظروف وتطور العصور، فإن الشارع دعا إلى أصل مودة النبي وأهل بيته وترك المصاديق والكيفيات إلى عرف الناس واختلاف ظروف الأجيال.

فإذا ثبت أن المودة أصل من أصول الإسلام وفريضة على العباد، كما قاله ﷺ فلا بد للمسلم أن يأتي بكل ما يُعدّ مظهراً ومصادقاً لحب النبي وعترته الطاهرة، بشرط أن يكون عملاً مشروعاً بالذات ولم يكن منهياً عنه.

والحب له مصاديق كثيرة بين الناس منها: أن يؤثر الإنسان محبوبه بماله ونفسه وأهله وأن يدافع عنه وعن أهله وماله وعرضه بتمام وجوده فإذا افتقر أعانه وواساه وإذا مرض عاده وتفقدته وإذا حُبس سعى في خلاصه بأي شكل كان وقام بأمر عائلته وأولاده وإذا مات شهد تشييعه وتجهيزه واغتم على موته وساهم في جميع مراسمه وعزى أهله وأولاده وساعدهم وواساهم في المصيبة والبكاء وذهب إلى قبر صديقه لزيارته وقراءة القرآن والدعاء له وإعطاء الصدقات له وسعى في نشر آثار محبوبه والاحتفاظ بها وقام بأنواع الذكريات له وعمّر قبره وحفظه من أن يخرب و... ويهتم بكل ما يعد في العرف مظهر المحبة.

وما ذكرته من المصاديق ترتبط بالمحبة العرفية بين الناس، وأما محبة أهل البيت فلا تقاس على محبة الناس بعضهم بعضاً، لأنها من الواجبات والأصول الإسلامية، بل من أهم الواجبات وعلامة الإيمان وشرط قبول الأعمال، كما ورد في الروايات الصحيحة ويستفاد من نفس الآية الشريفة أيضاً.

إذن لا بد على كل مسلم أن يظهر محبته ووده لهم ويسعى في تحقق تلك المصاديق بنحو أحسن وأكمل، وأن يقصد بها التقرب إلى الله وعبادته وأداء الوظيفة.

فتحصل أن إقامة الذكريات السنوية والاحتفالات وإقامة العزاء

٥٤٦ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

والبكاء ونشر الفضائل والكرامات وزيارة القبور وتعميرها والبناء عليها وتعظيمها وبذل الأموال في هذه المجالات وكل ما يعدّ وُدّاً ومحبة لهم جائز شرعاً، بل واجب ووظيفة كل مسلم ومسلمة بنص القرآن وبما صح وتواتر من الأحاديث النبوية.

وينبغي التنبيه على أن زيارة قبور الأئمة والعترة الطاهرة بما أنها أحد مصاديق المحبة والود فالآية تثبت مشروعيتها ورجحانها أيضاً.
هذا وقد ورد في الروايات الصحيحة ما يحث على تحقيق هذه الأمور ويرغب في إتيانها، ويحذر من المنع عنها وهي:

السنة والبناء على القبور وتعميرها

فقد ورد وصح عن رسول الله ﷺ ذكر فضيلة تعمير قبور أهل البيت وزيارتها وكثرة ثوابها وذم المخالفين لها.

منها: ما رواه البناني واعظ الحجاز عن جعفر بن محمد، عن أبيه عن جده الحسين، عن أبيه علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «والله لتقتلن في أرض العراق، وتدفن بها» قلت يا رسول الله ما لمن زار قبورنا وعمرها وتعاهدها؟

فقال: يا أبا الحسن: «إن الله جعل قبرك وقبر ولديك بقاعاً من بقاع الجنة وعرصه من عرصاتها، وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تمن إليكم وتحتمل المذلة والأذى فيكم فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها، تقرباً منهم إلى الله، ومودة منهم لرسوله أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي والواردون حوضي، وهم زواري غدأ في الجنة.

يا علي! من عمر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود

على بناء بيت المقدس، ومن زار قبوركم عدل ذلك ثواب سبعين حجة بعد حجة الإسلام وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه، فابشر وبشر أوليائك ومحبيك من النعيم وقرّة العين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولكن حثالة من الناس يعيرون زوار قبوركم بزيارتكم كما تعير الزانية بزناها، أولئك شرار أممي لا أنالهم الله شفاعتي ولا يردون حوضي».

وأول الحديث كما في الرسائل، عن أبي عامر واعظ أهل الحجاز بسنده، قال: أتيت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له يا بن رسول الله ما لمن زار قبره - يعني أمير المؤمنين عليه السلام - وعمر تربته؟ فقال: يا أبا عامر حدثني أبي، عن أبيه، عن جده الحسين بن علي، عن علي عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال له: «والله لتقتلن...»^(١).

سيرة المسلمين والبناء على القبور

فقد جرت سيرة المسلمين من عصر الصحابة إلى يومنا هذا على بناء القبور وتعميرها والحفاظ عليها خاصة قبور الأنبياء والأئمة عليهم السلام والصلحاء والعلماء، وهي أقوى دليل على الجواز لأن اتفاق العلماء في عصر على حكم يعود حجة شرعية، فما تقول باتفاقهم عليه على مر الزمان بالأخص في عصر الصحابة.

فقد دفن النبي صلى الله عليه وآله في حجرته المبنية ودفن بعده أبو بكر وعمر في نفس الحجرية ولم يسمع ولا خطر ببال أحد مخالفة هذا العمل والقول بأن

(١) الرسائل ١٤ : ٣٨٢، في أبواب المزار نقلاً عن التهذيب ٦ : ٢٢ / ٥٠، وقد روي هذا الحديث عن أبي عامر بسندين آخرين معتبرين وباختلاف بسير في متن الحديث، وقد تقدم ذكره في أدلة الزيارة.

البناء على القبور محرم وأنه من الوثنية ولم ير أحد فرقاً بين البناء السابق على القبر أو اللاحق لأنه يعد تعظيماً لصاحب القبر واحتراماً له، ولو فرض على زعم البعض أن تواجد قبر تحت بناء من الشرك بالله وتعظيماً لغيره لما صح أن يدفن النبي في الحجرة المبنية وكان اللازم تخريب الحجرة الشريفة ثم دفنه فيه، وما صح دفن أبي بكر وعمر تحت ذلك البناء، لأن ما ورد في شأن رسول الله من الدفن حيث يموت لم يشملهما ولم تكن ضرورة تستوجب دفنهما هناك وارتكاب الحرام على زعم المخالف، لكنه ما خطر ببال أحد من المسلمين والصحابه الأخيار ما ألقى الشيطان ببال المخالفين الأشرار.

تاريخ بناء الحجرة النبوية

على أن الحجرة الشريفة قد رمت كراراً وبنيت لاحقاً، فقد بنى فيها عمر بن الخطاب حائطاً وبنيت عائشة حائطاً بينها وبين القبور وكانت تسكنها وتصلي فيها قبل الحائط وبعده وبنائها عبد الله بن الزبير، ثم سقط حائطها فينبه عمر بن عبد العزيز ولما وسع المسجد بنى الوليد حصاراً محيطاً بالقبر.

وفي رواية: هدم البيت ثم بنه وتولى ذلك عمر بن عبد العزيز وآزر الحجرة بالرخام ثم أعيد تأزيها في زمن المتوكل العباسي ثم جدد في زمن المستضي ثم عمل في زمنه للحجرة مشبك من خشب الصنل والأبنوس على رأس جدار عمر بن عبد العزيز.

ثم لما سقط حائط الحجرة في دولة المستضي أعيد بناؤه، ثم لما احترق الحرم الشريف سنة ٦٥٤هـ شرعوا في تجديد الحجرة الشريفة في دولة المستعصم وأكمل تعميرها من آلات وصلت من مصر في عهد الملك المنصور أيك الصالح، وأخشاب من صاحب اليمن الملك المظفر، ثم أكمل تعميرها في أيام الملك المنصور قلاوون الصالح صاحب مصر، فعملت أول قبة على الحجرة

وهي القبة الزرقاء بناها أحمد بن عبد القوي ناظر قوص سنة ٦٧٨هـ، ثم جددت في أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، ثم في أيام الملك الأشرف سنة ٧٦٥هـ، ثم جددت في دولة الظاهر جقمق سنة ٨٥٢هـ، ثم جدد بناء الحجرة سنة ٨٨١هـ في دولة الملك الأشرف قايتباي صاحب مصر وعمل عليها قبة سفلية تحت القبة الزرقاء.

ثم لما احترق الحرم الشريف ثانياً سنة ٨٨٦هـ أعيد بناء الحجرة الشريفة وعمل عليها قبة عظيمة بدل القبة الزرقاء وذلك في دولة الملك أشرف قايتباي، ثم جدد بناؤها سنة ٨٩١هـ في دولة الملك الأشرف، ولم يزل ملوك بني العباس يجددون ما انهدم منها وكذلك ملوك بني عثمان، وقد جددت في عهد السلطان عبد المجيد منهم^(١).

تاريخ بناء قبور الأئمة الأطهار عليهم السلام

وقد بنى الرشيد قبة على قبر أمير المؤمنين عليه السلام وكان الرشيد في المائة الثانية وقد تتابع البانون في بنائها إلى العصر الحاضر.

وقال فيها الحسين بن الحجاج الشاعر المشهور المتوفى ٢٩١هـ في مطلع قصيدة:

يا صاحب القبة البيضاء على النجف من زار قبرك واستشفى لديك شفي^(٢)

وقال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: إن الكاظم عليه السلام دفن في مقابر الشونيزية خارج القبة وقبره هناك مشهور يزار وعليه مشهد عظيم فيه القناديل وأنواع الآلات والفرش ما لا يُحَدّ.

(١) راجع كشف الارتباب: ٣١٤ - ٣٢٢، وقد نقل هذا التاريخ من السهمودي في وفاء الوفا: ٢ تاريخ بناء الحجرة النبوية.

(٢) لاحظ كشف الارتباب: ٣٠٨، فقد نقله عن عملة الطالب وغيره.

٥٥٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

ومن كلام الخطيب يستفاد أنه كانت قبة قبل دفن الكاظم عليه السلام في سنة ١٨٢هـ^(١).

وهذه قبور أئمة الهدى أبناء رسول الله ﷺ الإمام زين العابدين والباقر والصادق عليه السلام في البقيع، فإنهم دفنوا في قبة الحسن بن علي عليه السلام والعباس بن عبد المطلب، وكانت وفاة الإمام زين العابدين في سنة ٥٩ والباقر عليه السلام في سنة ١١٤هـ على الأقوى والصادق عليه السلام في سنة ١٤٨هـ.

وهذا قبر الإمام الرضا عليه السلام الذي وقع في القبة التي دفن فيها هارون الرشيد في دار حميد بن قحطبة وقد بنى المأمون تلك القبة على قبر أبيه وكان في ذلك الزمان كثير من العلماء وأئمة الدين وفي صدرهم الإمام الرضا ووارث علم الرسول المصطفى صلوات الله عليه الذي كان المأمون يعترف بعلمه وكماله، فلو كان البناء حراماً وشركاً لنهت الصحابة والتابعون وتابعوا التابعين وأئمة المسلمين ولنهى الإمام علي بن موسى المأمون من بناء القبة على قبر الرشيد ولما أوصى أن يدفن في تلك البقعة، ولا أقل من الإشارة على المأمون بعدم البناء.

وما ذكرته بعض ما ذكره قاطبة المؤرخين والرجاليين في كتب التراجم والتاريخ حول المباني التي بنيت على القبور من زمن الصحابة إلى العصر الحاضر، واستقصائها لا يناسب هذا المجال.

ومن جميعها يظهر كذب ما زعمه المخالفون من أن البناء على القبور حدث بعد المائة الخامسة.

وهذا قبر بضعة الرسول الحسين بن علي عليه السلام في كربلاء الذي هدموه وسرقوا ما فيه من الجواهر والتحف، واقتدوا في تحريبه بالمتوكل اللعين المعروف بالنصب لأهل البيت، حيث أمر بهدم قبر الحسين عليه السلام في

(١) راجع كشف الارتباب: ٣٠٩.

سنة ٢٣٦هـ وإزالة أثره وأن يعاقب من وجد عنده، فقد بذل الجوائز لمن يقدم على تخريبه ولكن لم يجترأ أحد عليه، وخشي عقوبة الله فأحجم، ولما رأى الديزج إحجامهم تناول مسحة وهدم أعالي قبر الحسين، فعند ذاك قدم الفعلة على العمل ولم يزل قبر الحسين مخروباً وزيارته ممنوعة حتى استخلف المنتصر^(١).

ومنه يظهر أن قبر الحسين ~~الذي~~ كان مبنياً بناءً عالياً مشيداً بدليل قوله: فهدم أعالي القبر.

ولهذا تألم المسلمون من عمله وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد وهجاه الشعراء فقال بعضهم:

تالله إن كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمرى قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رميماً^(٢)

ويظهر أيضاً من تألم المسلمين وشتمهم للمتوكل والإمتناع من هدم القبر أن هدم قبور الأولياء وأئمة الدين كان معلوماً قبحه عند المسلمين، لكن بعض النجديين اقتدوا في تخريب القبور بشخص منفور عند جميع المسلمين وأصبحوا كمقتداهم منفورين عند المسلمين بسبب هذه الأعمال الشنيعة والجرائم القبيحة التي يقبحها كل من له ضمير حي وعقل سليم، وينبغي أن يعتبروا من عاقبة المتوكل حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر فسلط عليه الأتراك وقتلوه بآعس وجه وبرأي ولله المنتصر، وهكذا تكون عاقبة كل جبار عنيد.

ولا يخفى أن مسألة البناء على قبور الأئمة والصلحاء لا تخص

(١) لاحظ كشف الارتباب: ٣١٠ وقد نقله عن المسعودي.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٣٤٧ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

المسلمين فقط، بل كانت سيرة جارية بين الأمم وأهل الأديان الماضية، حتى إذا انتصر المسلمون وفتحوا بلاد الشام في خلافة عمر بن الخطاب، وقفوا على قبور الأنبياء وأبنيتها الشاخنة ولم يتعرضوا لها بسوء ولم يخطر ببال أحد منهم - وفي رأسهم عمر - بأن البناء على القبور أمر محرم يجب هدمه.

وهكذا سائر القبور المشيدة المتعلقة بالأنبياء في سائر البلدان بقيت محفوظة مقدسة ولم يأمر أحد بتخريبها ولم يعتقد أحد حرمة تعميمها، إلا العصابة المارقة عن الدين.

وإذا شئت التحقيق والاستقصاء فراجع كتب التاريخ.

ونحن ننقل لك شمة منها، ففي دائرة المعارف الإسلامية:

إن المسلمين عند فتحهم فلسطين وجدوا جماعة في قبيلة (لخم) النصرانية يقومون على حرم إبراهيم (حبرون) ولعلمهم استغلوا ذلك ففرضوا أتاوة على حجاج هذا الحرم....

وربما يكون توصيف تميم بالداري أن يكون نسبة إلى الدار أي الحرم، وربما كان دخول هؤلاء اللخمين في الإسلام، لأنه قد مكنتهم من القيام على حرم إبراهيم الذي قدسه المسلمون تقديس اليهود والنصارى من قبلهم^(١).

وجاء أيضاً في مادة الخليل: ويقول المقدسي وهو أول من أسهب في وصف الخليل: إن قبر إبراهيم كانت تعلوه قبة بنيت في العهد الإسلامي. ويقول مجير الدين: إنها شيدت في عهد الأمويين وكان قبر إسحاق مغطى بعضه، وقبر يعقوب قبالة، وكان المقدسي أول من ذكر تلك الهبات الثمينة التي قدمها الأمراء الورعون من أقاصي البلاد إلى هذا الضريح وذلك الاستقبال الكريم الذي يلقاه الحجاج من جانب التميميين^(٢).

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٥ : ٤٨٤ ، مادة تميم الداري.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٥ : ٤٢٠ ، مادة خليل.

وفي معجم البلدان في مادة الخليل: الخليل اسم موضع وبلدة فيها حصن وعمارة وسوق يقرب البيت المقدس بينهما مسيرة يوم، فيه قبر الخليل إبراهيم عليه السلام في مغارة تحت الأرض وهناك مشهد وزوار وقوام في الموضع وضيافة للزوار، وبلد الخليل سمي الموضع واسمه الأصلي حبرون وقيل حبرى.

وفي التوراة: إن الخليل اشترى من عفرون بن صوحار الحثي موضعاً بأربعمائة درهم فضة ودفن فيه سارة، وقد نسب إليه قوم من أصحاب الحديث وهو موضع طيب نزه روح أثر البركة ظاهر عليه، ويقال إن حصنه من عمارة سليمان بن داود عليه السلام.

وقال الهروي: دخلت القدس في سنة ٥٦٧ هـ واجتمعت فيه، وفي مدينة الخليل مشايخ حدثوني: إن في سنة ٥١٣ هـ في أيام الملك بردويل الخسف موضع في مغارة الخليل فدخل إليها جماعة من الفرنج بإذن الملك فوجدوا فيها إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام وقد بليت أكفانهم وهم مستندون إلى حائط وعلى رؤوسهم قناديل ورؤوسهم مكشوفة، فجدد الملك أكفانهم ثم سد الموضع.

قال: وقرأت على السلفي أن رجلاً يقال له الأرمني قصد زيارة الخليل وأهدى لقيم الموضع هدايا جمة وسأله أن يمكنه من النزول إلى جثة إبراهيم عليه السلام فقال له: أما الآن فلا يمكن، لكن إذا أقمت إلى أن ينقطع الزوار فعلت، فلما انقطعوا قلع بلاطة هناك وأخذ معه مصباحاً ونزلاً في نحو سبعين درجة إلى مغارة واسعة، الهواء يجري فيها، وبها دكة عليها إبراهيم عليه السلام ملقى وعليه ثوب أخضر والهواء يلعب بشيبته وإلى جانبه إسحاق ويعقوب، ثم أتى به إلى حائط المغارة فقال له أن سارة خلف هذا الحائط، فهم أن ينظر إلى ما وراء الحائط فإذا بصوت يقول: إياك والحرم

فغدوت من حيث نزلت^(١).

وفي تاريخ ابن عساكر ما ملخصه: عندما كانوا يحفرون بعد سنة ٨٦ هـ جامع دمشق بأمر الوليد بن عبد الملك (ت: ٩٦ هـ) وجدوا رأس يحيى بن زكريا في سبط في صندوق تحت ركن من أركان القبة فجعلوه تحت عمود من الأعمدة مسقط الرأس^(٢).

وترى لهذا القبر ضريحاً مجللاً تزوره الناس كما زرته كراراً.

وفي النجف قبر هود وصالح وفي قرب الحلة قبر ذي الكفل وعلى هذه القبور مشاهد وقباب تزورها الناس مع أنها كانت في زمن النبي ﷺ وزمن الخلفاء خاصة خلافة أمير المؤمنين التي كان مركزها الكوفة، ولم يتعرض لها أبداً، وهكذا قبر النبي دانيال عليه السلام في شوش له مشهد عظيم يزوره الناس وفي إصفهان قبر نبي الله شعياً وله مشهد وقبة وزوار وقد زرت المشهدين أيضاً كراراً، وهناك قبور ومشاهد أخرى في سائر البلدان.

ولو أردنا أن نحصي ونستقصي الأبنية والمشاهد الرفيعة التي كانت مشيدة على قبور الأنبياء والصالحين قبل الإسلام وما بناه المسلمون في عصر الصحابة والتابعين من العلماء وأئمة الدين إلى يومنا هذا في جميع البلدان، لأصبح كتاباً ضخماً مستقلاً في هذا الباب، ومن ذلك نتوصل إلى هذا الحكم الشرعي الأصيل وهو:

مشروعية البناء على القبور وتعميرها والتحفظ عليها، وهو حكم جار في السنة الشريفة في عصر الرسول ﷺ والصحابة والتابعين وتابعي التابعين إلى يومنا هذا، ولم يسمع له أي مخالف ومعارض.

(١) معجم البلدان - مادة الخليل، وراجع كتاب البناء على قبور الأنبياء والأولياء

للسيد مرتضى العسكري: ١٣ - ١٤.

(٢) تاريخ ابن عساكر الجزء الأول، ولاحظ البداية والنهاية لابن كثير ٢: ٦٥ و ٩: ١٧٨.

بل إن الجميع يرونه إظهاراً للمحبة وتعظيماً لشعائر الله واحتراماً لمعلم دين الله، ومكافئة للأنبياء والمرسلين والأئمة الهداة المهديين والعلماء الصالحين عما تحملوه من الجهد والإضطهاد من أجل نشر كلمة التوحيد وعبادة الرب المجيد.

ومن خالف تلك السنة الحسنة وعدها شركاً بالله ومن قبيل عبادة الأصنام وخربها وهتك حرمتها، فقد اتبع غير سبيل المؤمنين وصار في صفوف المخالفين المشركين، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(١).

وفي ختام البحث عن مسألة البناء على القبور وتعميرها، وبعدما بينا كلمات الخصم وأدلته التي فندناها بالدليل والبرهان والنقض والإبرام بحيث لم يبق أي مانع لمشروعية البناء.

وبعد ما قدمنا أدلة الجواز والرجحان من الكتاب والسنة والسيرة وقد حاولنا الاختصار بنحو لا يخل بالاستدلال، يمكن أن يكون قد بقي عندك - أخي القارئ - هذا السؤال وهو:

سلمنا رجحان البناء على قبور الأنبياء والأئمة والأولياء وتعميرها وأنها من تعظيم شعائر الله ومن أداء حقوق أولياء الله وسبباً لبقاء كلمتهم وفكرتهم.

لكن ما هذا التعدي عن الحد في ترفيع البناءات وتزيينها وبئذ الأموال وتوفير وسائل الراحة فيها التي يمكن أن تؤدي إلى التجمل والإسراف والتضييع؟ مع أن القبور التي كانت في صدر الإسلام وكان

متداولاً بناؤها ما كانت بهذا الحد من بناء القباب المذهبة والأضرحة المزينة وغيرها من المصاييح والأفرشة النفيسة الكثيرة.

الجواب:

إن الحسن والقبح العرفيين يختلفان باختلاف الأزمنة وأحوال الناس وشؤوناتهم، فرب شيء كان في زمن حسناً عند العرف ومزيةً وفي الزمن اللاحق إنعكس أمره وهكذا العكس فالعيار في الحسن والقبح العرفيين هو تناسب الحال والزمان.

وفي ابتداء أمر الإسلام حيث إن المسلمين كانوا في حالة الفقر والعسر وضيق المعيشة، وفي هذا الحال لو وُجد مال لكان الأولى أن يصرفوه على تأمين معاشهم أو في أمرٍ أهم مثل الجهاد.

وحتى أن النبي ﷺ بما أنه قدوتهم ونبيهم كان يواسيهم في المأكل والملبس والسكن، فترى أنه يأكل الجشب ويلبس الخشن أو الخلق، ومسكنه البيت اللاطئ المبني باللبن والسعف ومسجده عريش كعريش موسى، وكانت خطبته في الجمعة أو العيد باتكائه إلى جذع النخل، ثم عملوا له منبراً ونفس المنبر لم يكن يمتاز كثيراً عن الجذع إلا في هيئته.

وهذا كله لئلا تنكسر قلوب الفقراء وأطفالهم، ولأجل أن تطمئن أنفسهم، لأن الناس إذا رأوا سيدهم قانعاً بئدنى اللباس وأدنى الأكل وأقله إطمأنوا به وقويت قلوبهم واتحدت كلمتهم، ولهذا ما كان الالتفات في ذلك الوقت إلى كثرة البناء على القبور وتشبيدها وتزيينها.

لكن هذا الأمر قد انعكس في الأزمنة اللاحقة، فإن الإسلام لما توسع أمره وقويت شوكته وحسن حال المسلمين واستولوا على كنوز كسرى وقيصر تغير حالهم في الملبس والمأكل والسكن، فوسعوا المسجدين المكي

والنبيوي وحسنوا بنائهما، وحسنوا بناء الحجرة الشريفة أيضاً ووسعوا سائر المساجد وحسنوا أمرها وما زال أمر التوسعة والتعمير والترفيح مستمراً ومناسباً لتوسعة الأحوال وتطور الأزمان وكثرة الأجيال ولم يكونوا بذلك عاصين ومشركين ولا مبدعين.

بل هذا أمر لا بد منه، لازدياد المسلمين يوماً فيوماً وكثرة استقبالهم وتوجههم لتلك المساجد والمشاهد والبيوت الرفيعة التي يذكر فيها الله ويسبح له بالغدو والآصال، فإن المسلمين طبق فهمهم من أحكام الشريعة تصریحاً أو تلويحاً، يرون البناء على قبور أئمة الدين وعظماء المسلمين وتشييدها وتعظيمها، تعظيماً لشأنهم واحتراماً لهم وإحياءً لأمر الدين ويرون فيه شوكة المسلمين وإرغاماً للمخالفين الملحددين.

وعلى فرض تسليم الكراهة في البناء على سائر القبور فإنها محدودة بالقبور التي لم يكن في البناء عليها تعظيماً لشعائر الدين وتقوية لأركانه، فلا تشمل مثل قبور الأنبياء والأئمة الهداة وخيار الصحابة وعظماء الشهداء والعلماء، فإن حفظ حرمتهم وتعظيمهم ورفعهم وربطها وتعظيمهم لأمر الله وتجديرٌ لدينه وإرغامٌ لأنوفٍ مخالفين.

وأما كيفيتها وحدها فيتبع شؤونات الزمان وتطور الاحوال، ففي مثل هذا الزمان وهو زمان التطور والترقي عندما نرى بيوت سائر الناس مرتفعة مزينة وقصور الأشراف مجللة، فلا وجه لجعل بيوت الله وبيوت الأنبياء والأولياء أنزل منها، ولا يرضى أي عاقل بتعلية بيوت سائر الناس على بيوت الله التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، البيوت التي في رفعها وتعظيمها تعظيمٌ لشعائر الله وترويحٌ لدينه.

فالمفروض علينا أن نسعى في زيادة بنائها وتعليتها وزيادة الروايات والمساجد في أطرافها ونصب القباب الرفيعة عليها وبذل جميع الإمكانيات فيها من الفرش والزينة والمصابيح حتى يعظم شأنها وتكون علامة لدين

الله وسبباً لجذب سائر الناس وترغيباً لكثرة عبادة الله فيها.

فإن الإمكانات إذا توفرت وارتاح الزائر عندها توجب كثرة بقائه في تلك المشاهد وكثرة اشتغاله بالدعاء وقراءة القرآن وإقامة الصلاة وأداء الفرائض فيها وهذا هو الذي يخاف العدو منه ويكره تحققه، ولهذا تراه يسعى إلى الحيلولة بإلقاء الشبهات والأفكار السخيفة بألفاظ ظاهرها حسن وباطنها سم مهلك.

فلا بد للمسلمين - وخاصة شبابهم - الحذر من الوقوع في مصائد العدو والاعتماد على كلماته المظلة.

ولا يخفى عليك أنه ليس في بناء القباب وترفيعها وتزيينها، تجديداً لنفس القبور وتعلية لها، فإنها باقية على حالها، بل إنما وُضع أساس القبة بعيداً عنها ليكون فيها علامة للمزار الذي ندب إلى زيارته العزيز الجبار، وهكذا الصندوق الذي على القبر والأضرحة التي حولها فإنها لا ربط لها بالقبر وإنما وضعت لأجل رعاية حرمة وعدم المشي والجلوس عليه.

والحاصل أن أصل البناء من أجل تلك المقاصد المهمة ولبقاء الآثار، وأن تكون علامة للناس خاصة للزائرين مما لا بأس به ولا منع عنه في الشريعة المقدسة.

على أن لازم التوصل إلى زيارة كثير من الاموات وضع العلام على القبور على اختلاف مراتب المقبورين، فوضع هذه العلام لأجل التمكن من إدراك فضيلة زيارة القبور.

وفي خصوص الزينة نضيف لك كلمة تزيد في يقينك بأنه لا مانع من الزينة وهي: أنه روي عن علي ﷺ أن بعض الصحابة أشاروا على عمر أن يأخذ زينة الكعبة ليقوي بها جيوش المسلمين، فقال له علي ﷺ: إن الأموال قسمها النبي ﷺ على الفقراء وكانت في ذلك اليوم الحلي

موجودة ولم يقسمها، فلا تخالف وضع رسول الله ﷺ، فقال عمر: لولاك افتضحنا، وأبقى الحلبي على حالها^(١).

فإذا كانت الكعبة التي هي من شعائر دين الله وعلامة عبادته تُحلى بأنواع الحلبي وتزين بأنواع الزينة ولم يمنع منها النبي ﷺ مع كونها في ابتداء الإسلام وضعف أهله، فهكذا في سائر شعائر دين الله، لأن الملاك موجود في الجميع، بل إن النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين من أعظم وأفضل شعائر دين الله وعلائمه فالملاك في تعظيم بيوتهم وتجليلها وتزيينها أقوى وأتم. وهذا مضافاً إلى تطور الزمان وتغير الأحوال.

فالتحصل من جميع ما ذكرنا أن الشبهات التي أوردها أعداء الدين بين المسلمين في زيارتهم لقبور أئمة الدين وبنائها وتعميرها ورفع شأنها بكل نحو ممكن وبحسب اختلاف الأزمان وتطور الأحوال، كلها مردودة وأن هذه الأمور مما لا مانع لها في الشرع المبين، بل هي ممدوحة وتعدّ من عبادة الله وتعظيم شعائره وأداء حقوق أوليائه.

وأما جواب سائر شبهاتهم مثل اتخاذ الخدم والسدنة لتلك المشاهد، فخذها مما فصلناه لك سابقاً ولا نكرر.

بقي الكلام حول اتخاذ المساجد عند القبور والصلاة والدعاء فيها.

وهذه الشبهة قد ظهر جوابها مما تقدم لكن نزيدك جواباً ودليلاً وبرهاناً فيها حتى لا يبقى حجة لمن في قلبه مرض ولا يغر الجاهلين.

(١) إحقاق الحق ٨: ٢٠٣ نقلاً عن ربيع الأبرار للزنجشيري.

الصلاة عند القبور وبناء المساجد عليها أو حولها

فالأدلة على جوازها مضافاً إلى ما اتضح في ضمن ما تقدم في البناء على القبور هي:

أولاً:

ما ورد في القرآن الكريم

فقد أمر الله سبحانه المسلمين أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى فقال: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ ، والحال أن المقام كان حجراً قد وضع إبراهيم عليه السلام قدمه حين بناء الكعبة عليه، فقد تشرف بقدم إبراهيم الخليل وصار معظماً وبلغت عظمته أن أمر الله أن يعبد عند هذا المقام ولم يراه من الشرك وعبادة الأوثان وجعله شعاراً من شعائر دينه وعبادته وطاعته.

إذن فما تقول في قبر تشرف وتبرك بضم جسد أعظم أنبياء الله وأشرفهم طيلة الزمان مع العلم بأن جسده لا يبلى وأنه حي عند ربه مرزوق، ولا تقل الصلاة عند القبر من الصلاة عند المقام في الفضيلة والبركة، وهكذا الأمر في مشاهد وقبور سائر الأنبياء والأئمة الهداة، فإن الصلاة عندها تمتاز عن غيرها لتشرفها بمن سكن فيها.

وقال سبحانه حاكياً عن المسلمين الذين اطلعوا على أمر أصحاب

الكهف بأنهم رأوا أن يبنوا على مضاجعهم مسجداً يصلون فيه ويعبدون ربهم تبركاً بهم لكن اختلفوا في كيفية. فقال بعضهم بإيجاد البناء عليهم وبعضهم باتخاذ مضجعهم مسجداً يعبدون الله فيه، ولم يذمهم الله على ذلك.

بل الظاهر من الآية هو المدح والتقرير لفكرتهم، وما حكه الله من قصص الماضين ليس إلا لأجل اعتبار المسلمين واقتدائهم بالمدوح واجتنابهم القبيح.

فلو كان اتخاذ المسجد على القبور والصلاة عندها حراماً ومنهياً عنه لذمهم الله على فعلهم كما ذم الكفار والمشركين في كثير من الآيات ولحذر المسلمين منه.

لكن من المهازل أن البعض جعلوا هذه الآية دليلاً على مدعاهم وفرضوا رأيهم في تفسير الآية - خلافاً لما أطبق عليه المفسرون - وكفروا أولئك المؤمنين الذين غلبوا على أمر أصحاب الكهف.

فقالوا بعد ذكر الآية: هذا دليل على أن الذين غلبوا هم الكفار إذ لو كانوا مؤمنين ما اتخذوا على قبور الصالحين مسجداً، لأن النبي ﷺ لعن فاعل ذلك.

فانظر واضحك لكلماتهم التي يرونها كالوحي المنزل وناسخة للقرآن بحيث يجب حمل القرآن على ما يقولون ولا يحق للقرآن مخالفة نظرياتهم، وكان النبي ﷺ كان موجوداً في زمان أصحاب الكهف ولعن فاعل ذلك ولأجل مخالفتهم لكلام النبي ﷺ صاروا كافرين.

فاستنتجوا من هذه المزاعم أن أصحاب الكهف كانوا كافرين فذمهم الله على فكرتهم، ومنه يستفاد حرمة اتخاذ المساجد على القبور!!!

ولا تعجب كثيراً لأن سائر كلماتهم واجتهاداتهم أمام القرآن والسنة وعلماء المسلمين من هذا القبيل.

ثانياً:

من سنة الرسول

الف: إن قبور نبي الله إسماعيل وأمه هاجر وسائر الأنبياء الذين دفنوا في حجر إسماعيل وغيره في المسجد الحرام وحتى أن بعضها كان ظاهراً إلى قرون بعد عصر الرسول الأكرم ﷺ، وقد صلى الرسول والأئمة وسائر المسلمين هناك وطاقوا حول الحجر إلى يومنا هذا، كل ذلك دليل قاطع وبرهان ساطع على صحة اتخاذ المساجد عليها وصحة الصلاة عندها.

بل ترى أن الصلاة في المسجد الحرام وخاصة في الحجر وتحت الميزاب والدعاء عنده صار أفضل من الصلاة في سائر المساجد والبقاع بمراتب كثيرة، ولو كان شركاً بالله وعبادة للقبور لورد النهي عن الصلاة عندها والطواف حولها وخرّبت تلك القبور في عهد الرسول ومن بعده، والحال أنه لم نر أحداً يتفوه بهذا الكلام ولم يخطر ببال أحد أن اتخاذ المساجد والصلاة عندها حرام.

ب: ومن أقوى الأدلة على صحة اتخاذ المسجد حول القبر وقوع قبر النبي ﷺ جنب المسجد الشريف وفي حجرتة المسقفة، وصلاة عائشة عنده مدة طويلة ولما دُفن أبو بكر وعمر في جنبه ضُرب الحائط لها.

ولما أزداد عدد المسلمين في عهد الصحابة وأرادوا توسيع المسجد صار قبره الشريف وحجرتة المتينة في وسط المسجد، وذلك في خلافة الوليد بن عبد الملك، وما زال كذلك إلى يومنا هذا وهو بمرأى أهل بيت النبوة والصحابة والتابعين وعلماء الأمة وصلحائها في كل فترة من الزمان، وقد تولى توسعته عمر بن عبد العزيز من بني أمية الذي اعترف به وبفضله قاطبة أئمة المذاهب وهو الذي منع من سب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ورد فدكاً لأولاد فاطمة سلام الله عليها.

ومع هذه التفاصيل لم يسمع من عالم من علماء الأمة في جميع القرون، أنه أفتى بتحريم اتخاذ المساجد على القبور وجعله شركاً وعبادة للقبر، إلا في عصر ابن عبد الوهاب.

فقد قال ابن القيم: إنه لا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر.

وهو بقوله هذا قد أنكر على وقوع قبر الرسول المصطفى ﷺ في المسجد الشريف، وأنكر على وقوع قبور الأنبياء العظام في المسجد الحرام، وخالف صريح القرآن في حكايته اقتراح اتخاذ المسجد على مضجع أصحاب الكهف، وقد أنكر على أجلاء الصحابة الذين هم أعلم بسنة رسول الله ﷺ منه ومن قدوته، الصحابة الذين ادعى هو وقدوته الاقتداء بهم وأنهم كالنجوم بأيهم اقتدى اهتدى.

فقد أنكروا عليهم جعلهم قبر النبي في وسط المسجد، بل على جميع المسلمين إلى يومنا حيث رضوا بذلك وأقروه، فقد لزم من إنكارهم نخطئة جميع الأمة الإسلامية.

ثم إنه لو كان ما يدعونه من التحريم حقاً وما يستندون إليه من الراويات صحيحاً وكان فيه دلالة على مدعاهم، فلا يبقى لهم وجه في التأمل في تخريب المسجد الشريف أو القبر الشريف أو المسجد الحرام والقبور التي فيه، ولا يجوز لهم الصلاة والدعاء فيهما.

فقد صاروا أيضاً مشركين وعباداً للقبور، لعدم العمل على طبق نظرهم، لأنهم كما خربوا المسجد العظيم الذي كان على قبر حمزة سيد الشهداء في أحد وكما خربوا قبره الشريف وسووه مع التراب، كان المفروض عليهم طبق عقيدتهم الباطلة تخريب المسجد الحرام وما فيه من القبور العظام وقبر النبي ﷺ ومسجده الشريف.

لكنهم اكتفوا من هذا التحريم بوضع الشرطة حول الضريح الشريف

٥٦٤ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

من أجل إيذاء الزائرين وضربهم وشتيمهم ومنعهم من الدنو إلى القبر الشريف وتقبيله والتبرك به، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

ج: ومن الأدلة على جواز البناء حول القبور أيضاً المسجد المجلل الذي كان فيه قبر حمزة سيد الشهداء، وكان معموراً مجللاً إلى زمان ابن عبد الوهاب، فخربوه مع القبر الشريف ظلماً وعدواناً لشهداء الإسلام وعم الرسول المصطفى ﷺ.

قال السمهودي: قال عبد العزيز الغالب: عندنا أن مصعب ابن عمير وعبد الله بن جحش دفنا تحت المسجد الذي بني على قبر حمزة.

وقال قبل ذلك سيأتي عن عبد العزيز بن عمران: أنه كان على قبر حمزة قديماً مسجداً وذلك في المائة الثانية^(١)، انتهى.

وقال أيضاً: وأما قبر حمزة فإنه اليوم مبني بمحصى بالفضة لا خشب عليه، وفي أعلاه من ناحية رأسه حجر فيه بعد البسمة: ﴿إِنَّمَا يَغْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، هذا مصرع حمزة بن عبد المطلب ﷺ ومصلى النبي ﷺ عمه الفقير إلى رحمة ربه حسين بن أبي الهيجاء غفر الله له ولوالديه سنة ثمانين وخمسائة^(٢).

ويؤيد ما نقلناه: أن فاطمة سلام الله عليها كانت تأتي إلى قبر حمزة ﷺ وتبكي عنده وتصلي عنده وترم القبر.

ولو كان اتخاذ المسجد على القبر حراماً والصلاة فيه شركاً لما دفن حمزة في ذلك الموضع ولما صلى النبي ﷺ وابنته الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء سلام الله عليها عنده ولمنع منه ونهى عنه علماء الإسلام وأئمتهم

(١) وفاء الوفا للسمهودي ٣: ٨٩٧.

(٢) وفاء الوفا للسمهودي ٣: ٩٢٢.

في طيلة هذه القرون المتمادية، ولم نسمع هذا المنع من أحد من المسلمين مطلقاً.

د: ومنها ما رواه السمهودي عن ابن شبة، عن عبد العزيز بن عمران بسنده إلى محمد بن علي بن أبي طالب في حديث ذكر فيه وفاة فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب عليه السلام، إلى أن قال: فلما توفيت خرج رسول الله ﷺ فأمر بقبورها فحفر في موضع المسجد الذي يقال له اليوم قبر فاطمة.....

قال السمهودي: وقوله في موضع المسجد.... يقتضي أنه كان على قبرها مسجد يعرف به في ذلك الزمان. انتهى كلام السمهودي^(١).

أما قوله: في موضع المسجد..... الظاهر أنه من كلام محمد ابن الحنفية المتوفى سنة ٥٨١هـ، فيعلم منه أن المسجد كان معموراً قبل ذلك ودفنها رسول الله ﷺ فيه، وهذا العمل من النبي دليل على أنه ليس منهيّاً عنه.

وما نسب إليه ﷺ من الروايات على فرض صحتها لا دلالة فيها على مدعى الخصم وإنما غريبة عنه.

هذا وقد قدمنا لك ما عثرنا عليه من دليل من الكتاب والسنة وأيدناه بسيرة المسلمين حول صحة الصلاة عند القبور والدعاء عندها وبناء المساجد حولها، ومن هذه الأدلة يعلم حال ما استدل به الخصم من الروايات لتحريم الصلاة والدعاء عند القبور وبناء المساجد عليها، ولجعلها ذريعة لمنع المسلمين من زيارة تلك المشاهد المشرفة وتخريبها.

وتلك الروايات وإن تعرضنا لها سابقاً وفندناها وأثبتنا عدم إمكان الاستفادة الخصم منها وإنه جعلها ذريعة لمدعاه، لكن نذكرها مرة أخرى من

(١) وفاة الوفا للسمهودي ٣: ٨٩٧.

غير تفصيل وهي:

ما نسب إليه ﷺ من قوله: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

وقوله ﷺ: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك».

وقوله ﷺ: «إن أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة».

وقوله ﷺ: «لعن الله زائرات - أو - زوارات القبور والمتخذين عليها مساجد والسروج».

وأول من استند بهذه الأحاديث وجعلها ذريعة لتحريم الزيارة والبناء على القبور والصلاة والدعاء عندها هو ابن تيمية وقد اقتدى به تلامذته ومن مال إلى فكرتهم المنحرفة، لكنهم اغتروا بها ووقعوا في الاشتباه الفاحش المضحك وقد غفلوا عن الخصوصيات الموجودة في نفسها والقرائن المحفوفة بها فضلاً عن المعارضات الخارجية المسبوق ذكر بعضها في ضمن الأدلة.

وعلى فرض تسليم صحة الأحاديث ومع الغض عن ضعف سندها واضطراب متنها^(١)، فإن الطالب للحقيقة والمبتعد عن الطائفية إذا أمعن النظر فيها يصل بسهولة إلى ما سنذكره، وهو: أن كلام النبي ﷺ ناظر إلى اليهود والنصارى الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وقبلة وعبودهم.

والدليل عليه ما رواه مسلم من أن أم حبيبة وأم سلمة أخبرن رسول الله ما رأتا من عمل اليهود والنصارى في كنيسة في الحبشة، حيث كانوا

(١) فقد تكلم في سندها السيد محسن الأمين في كشف الارتباب وضعفها سنداً ومنتأ

ينصبون الصور على قبور صلحائهم ويجعلون تلك القبور قبلة أين ما اتجهوا ويعبدونها من دون الله.

فكان كلام رسول الله ﷺ ناظراً إليهم، حيث قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». وقال: «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة».

فإن هذه العبارة «إن أولئك...» صريحة في الإشارة إلى ما ذكرته أم حبيبة وأم سلمة بالنسبة لليهود والنصارى لا غيرهم، فلا ربط لها بالمسلمين أبداً.

وعلى نفس هذا المراد يحمل ما في رواية لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد، فإنه كما فسرت رواية كنيسة الحبشة تلك الروايات التي أطلق فيها لعن اليهود والنصارى الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، فهكذا تفسر هذه الرواية أيضاً لأن الروايات تفسر بعضها بعضاً.

مضافاً إلى ما في جملة «المتخذين عليها المساجد» من لام العهد فإنها إشارة إلى أولئك اليهود المذكورين.

وأما اتخاذ السرح فإنه لا مانع منه إذا كان لغرض مهم وفيه فائدة كثيرة كتلاوة القرآن والدعاء، بل إنه معاون على البر والتقوى كما في الآية، وأنه لا إسراف في الضياء، وعليه فإذا سلمت الكراهة فتخصص بغير تلك الموارد^(١).

والدليل الثاني على أن كلامه ﷺ ناظر إلى اليهود والنصارى لا

(١) ولا يخفى أن البحث عن صدر الرواية «لعن الله زوارات القبور» قد تقدم في زيارة النساء للقبور مفصلاً ولا نعيده هنا.

غيرهم: قوله ﷺ في رواية مسلم أيضاً: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد». فما أصرح منه؟

والدليل الثالث: قوله ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد».

فإن فيه تحذيراً للأمة عن أن يجعل قبره وثناً يعبد مثل ما فعله اليهود والنصارى، فهذا الكلام قرينة مفسرة لما نهى عنه من اتخاذ القبور مساجد.

والدليل الرابع: قول عائشة التي صلت عند قبره الشريف مدة خمسين عاماً: ولولا ذلك لأبرزوا قبره غير أنني أخشى أن يتخذ مسجداً.

فإن خوفها من السجود إلى القبر لا اتخاذ المسجد حوله، ولأجل ذلك بني الحائط وجعل حاجزاً بين القبر والمصلين في المسجد، وإلا فالصلاة عند القبر لله سبحانه واتخاذ الكعبة قبلة أمر ممكن لا مانع منه سواء كان حاجزاً أو لم يكن، أبرز قبره أو لم يبرز، والدليل عليه أنها صلت هناك مدة طويلة من عمرها.

فقد ثبت بما تقدم من الأدلة والقرائن بطلان ما استدلل به الخصم من الروايات على تحريم الصلاة عند القبور وبناء المساجد حولها.

وثبت أن الظاهر من جميع تلك الروايات هو النهي عما كان يفعله السابقون من اتخاذ قبور أنبيائهم والصور التي كانت عليها قبلة والصلاة والسجود إليها كما يسجد للوثن.

ومن الواضح والمعلوم عند الجميع أن هذا لا يفعله أحد من المسلمين حتى عوامهم ولا يؤيئه أحد منهم وهم بريئون من هذا العمل، فالروايات لا تشملهم.

حيث إن كل من يحضر تلك المشاهد ويזורها تراه يتجه إلى الكعبة المعظمة ويصلي لله عند تلك القبور المنورة المشرقة بسبب تضمنها ولي

الله وحجته أو صالحاً من عباده تبركاً بها وطلباً لزيادة الثواب، لشرف المكان الذي ثبت شرفه وحرمته عند الله بسبب ضمه الجسد الشريف.

فإنه قد أصبح ممتازاً عن سائر الأمكنة العادية، والصلاة وعبادة الله عنده لو لم يكن راجحاً لا يكون محرماً قطعاً، ولا تشمله تلك الأخبار.

وحتى لو اتفق كون القبر أمام المصلي وفي قبلته، من دون قصد الصلاة إليه، بل كان قصده الاتجاه إلى الكعبة المعظمة والصلاة إليها لله تعالى، فأيضاً لا تشمله تلك الروايات.

نعم الصلاة على القبر مكروه، كما أن الجلوس عليه كذلك، وهذا أمر لا يتفق في المشاهد، لما على القبور من الأضرحة المانعة من السجود والصلاة عليها.

هذا ويمكن حمل جعل المساجد على القبور التي ورد في الروايات بعد التنزل عن الخدشة في سندها، على السجود والصلاة عليها، فإنه مكروه كما عرفت، ولا ينافيه اللعن الوارد فيها فإنه لتشديد الكراهة، لأن اللعن لغة بمعنى الطرد، وفاعل المكروه مطرود عن الثواب والقرب الإلهي.

ويؤيده ما ورد من اللعن الذي ورد في من يسافر وحده أو يأكل الطعام وحده أو ينام في البيت وحده أو ينام بين الطلوعين وأمثاله، ومن المعلوم أنه لم يقل أحد بالحرمة فيها، بل كلها تدل على الكراهة.

ومن حسن الاتفاق عدم وقوع هذا الأمر المكروه في المشاهد المشرفة لما عليها من الأضرحة وعدم إمكان الصلاة عندها لوجود الإزدحام الناشئ من كثرة الزوار، فلم يبق أي حجة للخصم على المنع والتحريم وإيذاء الزائرين وتخريب تلك القبور المطهرة وهتك حرمتها.

وأما إذا كان حول القبر مسجد كما في الحرم النبوي وبعض المشاهد المشرفة فتكون صلاتهم وعبادتهم لله في المسجد، خاصة مع وجود كثرة

٥٧٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

الزائرين وازدحامهم، ففي ذلك الحال لا يمكن الصلاة عند القبور وهو أمر منتف، كما هو مشاهد بالعيان.

وآخر جواب عن تلك الروايات: هو أنه لو سلمنا صحة سندها ودلالاتها على ما يدعيه الخصم، فهي مطروحة لمعارضتها مع ما قدمناه من الكتاب والسنة وسيرة المسلمين التي لا يقف أمامها أي دليل فضلاً عن الضعيف الذي لا دلالة فيه.

ولا يخفى عليك أن تشدد المانعين تبعاً لقدوتهم ابن تيمية في أمر المشاهد ناشئ من العداوة والحنق للرسول المصطفى وأهل بيته والغضب على شيعة أهل البيت وقد بلغ عداوة ابن تيمية إلى حد أنكر جملة من فضائل أهل البيت خاصة أمير المؤمنين فقد أنكر فضل ضربته يوم الخندق التي هي أفضل من عبادة الثقلين وأمثالها التي تواتر نقلها حتى من أهل السنة، ولم يجعل حداً في عداوته بالنسبة إلى شيعة أهل البيت بحيث رامهم بأنواع التهم والافتراءات الواهية.

ومما قاله بشأنهم:

الرافضة يعمرّون المشاهد التي حرم الله ورسوله ببناءها يجعلونها بمنزلة دور الاوثان^(١)، وتقدم عنه: يعطلون المساجد التي أمر الله ان ترفع...^(٢).

وأمثال هذه الكلمات الوقحة التي يعلم بكذبها كل إنسان منصف، لأن أعمال الشيعة وبلدانها ليست مخفية على أحد من الناس، فإن كل من يحضر في بلدانهم واجتماعاتهم يقطع بكذب المفترين، حيث يجدون مساجدهم معمورة ومملوءة من المصلين وإنهم يهتمون بانعقاد الجماعات فيها، ولم تكن محلة أو قرية إلا وفيها مسجد مجلل تقام فيه الجماعات.

(١) و (٢) منهاج السنة لابن تيمية: ٢: ٣٩ و ١٠: ١٣١.

وأما تعمير المشاهد فهو أمر لا يخص الشيعة فقط، فقد شاركهم جميع المسلمين حتى أمثال من يدعي الخصم الاقتداء بهم وبمذهبهم في هذا الأمر العظيم الذي هو من تعظيم شعائر الدين والحفاظة عليها، وهو امتثال لأمر رب العالمين وأداء لحق أئمة الدين، وفيه إرغام للمخالفين.

فتحصل من جميع ما قدمناه من الأدلة والجواب عن كلمات الخصم أنه لا مانع من الصلاة عند القبور وتلاوة القرآن والدعاء فيها، وجواز بناء المساجد حولها، بل إنه أمر محمود ومن تعظيم شعائر الله وطاعته.

وفي نهاية المطاف نختتم الكلام في الجواب عن الشبهات حول الزيارة والمزار، ونتمنى أن نكون قد أبدينا الصواب وأتقنا الجواب طالبين بذلك رضا العزيز الوهاب.

ونعتذر من إطالة الكلام وسوء التعبير والنقيصة في الخطاب وصلى الله على سيدنا محمد وآله الاطياب واللعنة الدائمة على أعدائهم أعداء الله الذين لعنهم الله في كتابه فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾^(١) وقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢).

ومن المعلوم أن من آذى أهل بيت رسول الله ﷺ بقتلهم وغصب حقوقهم وتخريب قبورهم ومنع الناس من زيارتهم فقد آذى رسول الله ﷺ لما ورد عنه ﷺ في حديث الكساء:

«اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وخاصتي وحماتي اللهم أذهب عنهم

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) التوبة: ٩.

٥٧٢ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

الرجس وطهرهم تطهيراً، أنا حرب لمن حاربهم سلم لمن سالمهم عدو لمن عاداهم...»^(١).

وقال ﷺ: «اشتد غضب الله على من آذاني في عترتي»^(٢).

وقال: «الويل لظالمي أهل بيتي عذابهم مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار»^(٣).

والحمد لله رب العالمين

سيد عبد المجيد ميردامادي

١٤ ربيع الثاني ١٤٢٤ هـ ش

مشهد المقدسة

(١) ذخائر العقبى: ٢٣.

(٢) المناقب لابن المغازلي: ١٨٣.

(٣) المناقب لابن المغازلي: ٦١.

فهرس المصادر

- القرآن الكريم

حرف الألف

- الابانة عن أصول الديانة لابن بطة العكبري الخنبلي المتوفى سنة ٣٨٧ هـ، نقلته بالواسطة.

- الاتحاف بحب الاشراف، الشيخ عبد الله الشراوي الشافعي شيخ جامع الأزهر، المتوفى سنة ١١٧٢ هـ، طبع في مطبعة مصطفى الحلبي، والادبية بمصر

- إتحاف الزائر، عبد الصمد ابن عساكر المتوفى سنة ٦٨٦ هـ، طبع شركة دار الأرقم - بيروت.

- إتحاف السادة المتقين، محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الحنفي المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ، طبع في اليمينية بمصر.

- الاحتجاج، للشيخ أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي من علماء القرن السادس، طبع نشر المرتضى.

- احقاق الحق وازهاق الباطل، السيد نور الله الحسيني المرعشي التستري الشهيد في بلاد الهند سنة ١٠١٩ هـ، طبع مكتبة المرعشي النجفي - قم.

- الأحكام السلطانية، أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي

٥٧٤ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ، طبع دار الكتاب العربي - بيروت.

- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ، طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

- أخبار إصبهان، لابي نعيم الاصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ، طبع مؤسسة النصر بطهران.

- أخبار القضاة، لابن حبان الاندلسي المتوفى سنة ٣٣٠ هـ، طبع في مطبعة الاستقامة بالقاهرة.

- الاربعين، للحافظ ابن أبي الفوارس، نقلته بالواسطة.

- أرجح المطالب، الشيخ عبيد الله الأمرتسري الحنفي المتوفى سنة ١٩٦ هـ، طبع في لاهور والقاهرة.

- إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري، للقسطلاني المتوفى سنة ٩٢٣ هـ، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- الارشادات السنية، الشيخ عبد المعطي السقا الشافعي المتوفى سنة ١٢٨٩ هـ، نقلته مع الواسطة.

- الاستبصار، للشيخ محمد بن الحسن الطوسي المتوفى ٤٠٦ هـ، طبع دار الكتب الإسلامية - قم.

- الاستيعاب، لابن عبد البر القرطبي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ، طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين علي بن محمد المعروف بابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ، طبع المدرسة الإسلامية بمصر.

- الاصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ، طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

- أعلام النسب في عالمي العرب والإسلام، عمر رضا كحاله، طبع مؤسسة الرسالة - بيروت.
- إقبال الاعمال، السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس، المتوفى سنة ٦٦٤ هـ، طبع مكتب الاعلام الاسلامي.
- إكمال الرجال للخطيب العمري التبريزي المتوفى سنة ٧٣٧ هـ. طبع في دار الفكر - بيروت.
- أمالي الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى ٣٨١ هـ، طبع مؤسسة البعثة - قم.
- أمالي الطوسي، للشيخ محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٦٠ هـ، طبع مكتبة الداوري - قم.
- الامام الحسين عليه السلام، للدكتور محمد بيومي مهران، طبع دار النهضة العربية - بيروت.
- إمتاع الأسماع بما للنبي صلى الله عليه وآله من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تقي الدين أحمد بن علي المقرئ المتوفى سنة ٨٤٥ هـ، طبع منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية بيروت.
- أنساب الاشراف، أحمد بن يحيى البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ هـ، طبع دار الفكر - بيروت.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين البيضاوي المتوفى سنة ٦٩١ هـ، طبع ونشر دار الجيل.
- أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور، للحافظ أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي المتوفى سنة ٧٩٥ هـ، طبع انتشارات الشريف الرضي.

٥٧٦ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

- الإيضاح في المناسك محي الدين النووي الشافعي، المتوفى سنة ٦٧٦هـ نقلته عن الوساطة.

حرف الباء

- البداية والنهاية، لابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ، طبع دار الفكر - بيروت.

- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، للعلامة محمد باقر المجلسي المتوفى سنة ١١١١هـ، طبع مؤسسة الوفاء - بيروت.

- بشارة المصطفى، لمحمد بن علي الطبري المتوفى سنة ٥٢٥هـ، طبع مؤسسة النشر الإسلامي.

- البناء على قبور الأنبياء والأولياء، للسيد مرتضى العسكري نقلته بالوساطة

- بيان القرآن والعترة في أسرار الحج والعمرة السيد حسين الفالي، الطبعة الثانية نكين - قم.

حرف التاء

- التاج الجامع للاصول، للشيخ منصور علي ناصف من علماء الأزهر، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الخامسة.

- تاج العروس، لمحمد بن مرتضى الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥هـ، طبع مكتبة الحياة - بيروت.

- تاريخ الاسلام والرجال، سراج الدين عثمان ددة الحنفي، نقلته بالوساطة.

- تاريخ بغداد، للحافظ الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ، طبع

دار الكتاب العربي - بيروت.

- تاريخ الخلفاء، للحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

- تاريخ الكامل، لابن الأثير مبارك بن محمد الشافعي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ، طبع المنيرية مصر سنة ١٣٥٦ هـ.

- تاريخ مدينة دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن الشافعي المعروف بابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ هـ، طبع دار الفكر - بيروت.

- تاريخ مكة المكرمة، لقطب الدين الحنفي، طبع بهامش خلاصة الكلام بمصر.

- التبرك، للشيخ الأحمد المياحي، طبع في قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - طهران.

- تبرك الصحابة، للمحقق محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي من علماء مكة المكرمة المتوفى سنة ١٩٨٠ م، طبع بالقاهرة سنة ١٩٧٤ م.

- تبين المسالك في شرح تدريب السالك إلى أقرب المسالك، للشيخ عبد العزيز حمد آل مبارك الاحساني المالكي، طبع دار الغرب الإسلامي - بيروت.

- تحقيق النصر في تاريخ دار الهرة، زين الدين أبو بكر القريشي العثماني تأليف المصري المراغي المتوفى سنة ٨١٦ هـ، طبع بمصر.

- تدريب الراوي، في شرح تقريب النووي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي المتوفى سنة ٩١١ هـ، طبع المكتبة العلمية - المدينة المنورة.

- تذكرة الحفاظ، لشمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبي المتوفى

٥٧٨ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

سنة ١٣٤٨هـ، طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

- تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي - يوسف البغدادي - المتوفى سنة ٦٧١هـ، طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

- التعليقة على حسن الأثر، الشيخ محمد الحوت البيروتي الشافعي المتوفى سنة ١٢٧٦هـ، نقلته بالواسطة

- تفسير الجلالين، للإمامين جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المتوفى سنة ٩٠٠هـ، طبع دار المعرفة - بيروت.

- تفسير الخطيب الشربيني الشافعي المتوفى سنة ٩٧٧هـ، طبع دار المعرفة - بيروت.

- تفسير روح البيان، للبروسي، طبع ونشر دار إحياء التراث العربي - بيروت

- تفسير روح المعاني، شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي المتوفى سنة ١٢٧٠هـ، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- تفسير علي بن إبراهيم القمي، المتوفى سنة ٣٢٩هـ، طبع مؤسسة دار الكتاب - قم.

- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ، طبع دار المعرفة - بيروت.

- التفسير الكبير، للفخر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- تفسير مجمع البيان، للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى سنة ٥٦٠هـ، طبع مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

- تفسير محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة ٦٧١هـ، طبع مؤسسة التاريخ العربي - بيروت.
- تفسير النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، طبع دار الكتب العلمية - بيروت.
- تفسير نور الثقلين، للشيخ العروسي الحوزي المتوفى ١١١٢هـ، طبع في مطبعة العلمية - قم.
- تقريب التهذيب، للحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ، طبع ونشر دار الكتب العلمية - بيروت.
- تلخيص الخبير لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ، طبع دار الفكر - بيروت.
- تنبيه زائر المدينة على الممنوع والمشروع في الزيارة، صالح غانم السدلان، طبع دار بلنسية للنشر والتوزيع - الرياض.
- تهذيب الأحكام، للشيخ محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ، طبع دار الكتب الإسلامية - إيران.
- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ، طبع في مطبعة العثمانية - حيدر آباد.
- تهذيب الطالب، لعبد الحق بن محمد الصقلي المالكي المتوفى سنة ٤٦٦هـ، نقلته بالواسطة.
- تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد الأزهري المتوفى سنة ٣٧٠هـ، طبع الدار المصرية للتأليف والنشر.
- التوسل والوسيلة، للشيخ تقي الدين ابن تيمية الحراني المتوفى سنة ٧٢٨هـ، طبع دار الكتاب الإسلام، لبنان.

حرف الناء

- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: للشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين المتوفى سنة ٣٨١هـ، طبع منشورات الشريف الرضي - قم.
- الثقات، محمد بن حبان البستي المتوفى سنة ٣٥٤هـ، طبع دار المعارف العثمانية - حيدر آباد.

حرف الجيم

- جامع الأخبار، للشيخ محمد السبزواري من أعلام القرن السابع الهري، طبع مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم.
- الجامع الصغير، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى ٩١١هـ، طبع دار الفكر - بيروت.
- جامع كرامات الأولياء، للشيخ يوسف بن اسماعيل النبھاني المتوفى سنة ١٣٥٠هـ، طبع دار الفكر بيروت.
- جامع مسانيد أبي حنيفة، محمد بن محمود أبو مؤيد الخوارزمي المتوفى سنة ٦٥٥هـ، طبع في حيدر آباد.
- جريدة ام القرى السعودية، العدد ٦٩ بتاريخ ١٧ شوال سنة ١٣٤٤.
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، لابن أبي الوفاء عبد القادر القرشي الحنفي المتوفى سنة ٧٧٥هـ، طبع في حيدر آباد - هند.
- جواهر المطالب، شمس الدين محمد بن أحمد الدمشقي الباعوني الشافعي المتوفى سنة ٨٧١هـ، طبع مجمع إحياء الثقافة الاسلامية - قم.
- الجواهر المنظم في زيارة القبر المكرم، ابن حجر الهيتمي المكي الشافعي المتوفى سنة ٩٧٣هـ، طبع سنة ١٢٧٩ بمصر.

حرف الحاء

- حاشية الإيضاح، لابن حجر الهيتمي المتوفى سنة ٩٧٣هـ نقلته بالواسطة.

- حاشية غرر الأحكام، المطبوعة بهامش درر الأحكام، للشيخ أبي البركات حسن بن عمار الوفائي الشرنبلالي الحنفي المتوفى سنة ١٠٦٩هـ، نقلته بالواسطة.

- الحج والعمرة والزيارة على ضوء الكتاب والسنة، لعبد العزيز بن باز، نقلته بالواسطة.

- حلية الأولياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الإصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ، طبع دار الفكر- بيروت.

- حياة الامام علي عليه السلام، محمود شلبي، معاصر، طبع دار الجيل - بيروت.

- حياة الأنبياء في قبورهم، أبو بكر أحمد بن البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ، نقلته بالواسطة.

حرف الخاء

- الخصائص الكبرى، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي الشافعي المتوفى سنة ٩١١هـ، طبع دار الكتاب العربي بيروت.

- الخصال، للشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المتوفى ٣٨١هـ، طبع مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم.

- خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام، لمؤلفه المفتي أحمد زيني دحلان المكي الشافعي المتوفى سنة ١٣٠٤هـ، طبع بمصر سنة ١٣٠٥هـ.

٥٨٢ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

- الخيرات الحسان، لابن حجر الهيتمي المكي المتوفى سنة ٩٧٤هـ،
طبع في مصر.

- دائرة المعارف الإسلامية، حسن الأمين، طبع في دار التعارف
للمطبوعات - الطبعة الرابعة.

- دُر بحر المناقب، جمال الدين محمد بن أحمد الحنفي الموصلبي الشهير
بابن حسنيوه المتوفى سنة ٦٨٠ هـ، نقلته بالواسطة.

- الدرّة الثمينة في أخبار المدينة، للحافظ أبو عبدالله ابن النجار
البغدادي المتوفى سنة ٦٤٣هـ، مطبوع بآخر شفاء الغرام.

- الدروس الشرعية في فقه الإمامية، للشهيد الأول شمس الدين
محمد بن مكي العاملي المستشهد سنة ٧٨٦هـ، طبع مؤسسة النشر
الإسلامي - قم.

- دفع الشبه عن الرسول ﷺ والرسالة، تأليف تقي الدين الحصني
الدمشقي الشافعي المتوفى سنة ٨٢٩هـ، طبع دار إحياء الكتاب العربي -
القاهرة.

- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لابي بكر أحمد بن
الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ، طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

- دول الإسلام، للحافظ شمس الدين أبي عبد الله الذهبي المتوفى سنة
٧٤٦هـ، طبع مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

حرف الذال

- ذخائر العقبي، للحافظ محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري
المتوفى سنة ٤٥٨هـ، طبع مؤسسة الوفاء - بيروت.

حرف الراء

- ربيع الابرار، محمود بن عمر الزمخشري المعتزلي المتوفى سنة ٥٣٨ هـ، طبع منشورات الرضي - قم.
- رحلة ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المتوفى سنة ٧٧٩ هـ، طبع دار الكتب العلمية - بيروت.
- رحلة ابن جبير الكناني الاندلسي المتوفى سنة ٦١٤ هـ، طبع دار الكتاب اللبناني - بيروت.
- رشفة الصادي في فضل النبي الهادي، أبو بكر بن عبد الرحمن الحضرمي الشافعي المتوفى سنة ١٣٤١ هـ، طبع بمصر سنة ١٣١٦ هـ.
- رفع الاستار عن محيا محدرات طلعة الأنوار، لعبد الله بن الحاج ابراهيم الشنقيطي، نقلته بالواسطة.
- رفع المنارة في أحاديث الزيارة، للشيخ محمود سعيد ممدوح طبع دار الإمام النووي - عمان.
- الروض الفائق في المواعظ (الرقائق)، شعيب عبد الله بن سعد المصري المكي المشهور بالحريفش المتوفى سنة ٨٠١ هـ، طبع في المطبعة الخيرية بمصر، منشورات محمد علي بيصون - دار الكتب العلمية - بيروت.
- روضة المتقين، في شرح من لا يحضره الفقيه، للمولى محمد تقي المجلسي المتوفى سنة ١٠١٧ هـ، طبع بنياد فرهنك إسلامي - مشهد.
- الروضة الندية، للشيخ مصطفى رُشدي الدمشقي المتوفى سنة ١٣٠٩ هـ، طبع في مطبعة الخيرية بمصر.
- الرياض النضرة في مناقب العشرة، محب الدين الطبري المتوفى

٥٨٤ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟
سنة ٦٩٤هـ، طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

حرف الزاء

- زهر الادب المطبوع بهامش عقد الفريد، أبو إسحاق إبراهيم
الحصري القيرواني المالكي المتوفى سنة ٤٥٣ هـ، طبع في مطبعة الشرفية
بمصر.

حرف السين

- سُبُل السلام، لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ١١٨٢ هـ، طبع
مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده بمصر.

- سبل الهدى والرشاد، للصالحى الشامي المتوفى سنة ٩٤٢هـ، طبع
دار الكتب العلمية - بيروت.

- السلفية بين أهل السنة والامامية، السيد محمد الكثيري، طبع في
مركز الغدير للدراسات الإسلامية

- سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد القزويني المتوفى سنة ٢٧٥هـ، طبع
دار الفكر - بيروت.

- سنن الترمذي (الجامع للصحيح) لمحمد بن عيسى الترمذي المتوفى
سنة ٢٩٧هـ، طبع دار الفكر - بيروت.

- سنن الدار قطني، لعلي بن عمرا الدارقطني المتوفى سنة ٣٨٥هـ،
طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

- السنن الكبرى، لاحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ،
طبع دار الفكر - بيروت.

- السيرة الحلبية، علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي المتوفى

- ١٠٤٤هـ، طبع في مطبعة الاستقامة بالقاهرة، دار المعرفة - بيروت.
- السيرة النبوية، لابن هشام المتوفى سنة ٢١٣ أو ٢٨١هـ، طبع دار الكتاب العربي - بيروت.
- السيرة النبوية، للسيد أحمد زيني دحلان مفتي الحرمين الشريفين، طبع بهامش السيرة الخلبية في مطبعة الاستقامة بمصر.
- السيرة النبوية الشريفة، الدكتور محمد بيومي مهران استاد كلية الأدب بالقاهرة، طبع دار النهضة العربية - بيروت.
- السيف الصقيل في الرد على ابن زقيل، للسبكي مع تكملة الرد على نونية ابن القيم للشيخ محمد زاهد الكوثري، طبع لجنة علماء الأزهر - مكتبة زهران.

حرف الشين

- شذرات الذهب، لعبد الحي بن العماد الخنيلي المتوفى سنة ١٠٨٩هـ، طبع دار الفكر - بيروت.
- شرح الشمائل، للشيخ علي القاري الحنفي المتوفى ١٠١٤هـ، نقلته بالواسطة.
- شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي المتوفى سنة ٥١٦هـ، نقلته بالواسطة.
- شرح سنن ابن ماجة القزويني، أبو الحسن السندي محمد بن عبد الهادي الحنفي - المتوفى سنة ١١٣٨هـ، طبع دار الجيل - بيروت.
- شرح سنن النسائي المتوفى ٣٠٣هـ، للسيوطي المتوفى ٩١١هـ، طبع دار الفكر - بيروت.
- شرح الشفاء، شهاب الدين الخفاجي الحنفي المصري المتوفى سنة

٥٨٦ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

١٠٦٩ هـ، طبع في المطبعة العثمانية سنة ١٣١٥ هـ.

- شرح الشفا، الملا علي القاري، الهروي الحنفي المتوفى سنة ١٠١٤ هـ، طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

- شرح صحيح مسلم، للحافظ أبو زكريا النووي الشافعي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ، طبع دار الكتاب العربي - بيروت.

- شرح المواهب اللدنية، للعلامة الزرقاني المتوفى سنة ٩٢٣ هـ، طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

- شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي المتوفى سنة ٦٥٦ هـ، طبع دار الكتب العربية - بيروت.

- شعب الايمان، للحافظ أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ، طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي أبو الفضل العياض اليحصبي المتوفى سنة ٥٤٤ هـ، طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

- شفاء السقام في زيارة خير الأنام، للحافظ تقي الدين السبكي الشافعي المتوفى سنة ٧٥٦ هـ، الطبعة الرابعة.

- الشمائل المحمدية، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩ هـ، طبع ونشر مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.

- شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، يوسف بن اسماعيل النبهاني المتوفى سنة ١٣٥٠ هـ، طبع في مصر في مطبعة الميمنية.

حرف الصاد

- الصارم المنكي في الرد على السبكي، محمد بن أحمد عبد الهادي السندي المتوفى سنة ١١٣٨ هـ، طبع في مطابع الفرقان في القاهرة - توزيع

الرئاسة العامة للافتاء بالسعودية.

- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري المتوفى ٢٥٦هـ، طبع ونشر دار الفكر - بيروت.

- صحيح سنن المصطفى المعروف بسنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥هـ، طبع دار الكتاب العربية - بيروت.

- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١هـ، طبع دار الفكر - بيروت.

- الصراع بين الوثنية والإسلام، عبد الله علي القصيمي نزيل القاهرة، نقلته عن كتاب الغدير.

- صفة الصفوة، لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ، طبع دار الحديث - القاهرة.

- صلح الاخوان في الرد على من قال على المسلمين بالشرك والكفران، الشيخ داود بن سليمان النقشبندي الخالدي البغدادي المتوفى سنة ١٢٩٩هـ، نقلته بالواسطة.

- الصواعق الالهية في الرد على الوهابية، الشيخ سليمان بن عبد الوهاب من أعلام القرن الثالث عشر، طبع مكتبة حراء - دمشق - تحقيق بسام عمقية.

حرف الضاد

- الضعفاء، محمد بن عمر العقيلي المكي المتوفى سنة ٣٢٢هـ، طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

حرف الطاء

- طبقات القراء، محمد بن محمد ابن الجزري الشافعي المتوفى سنة ٨٣٣هـ، طبع في مطبعة السعادة بمصر.

- الطبقات الكبرى، لابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠هـ، طبع دار صادر - بيروت.

- طرح التثريب في شرح التقريب، للحافظ العراقي المتوفى سنة ٨٢٦هـ، طبع في مطبعة جمعية النشر بمصر.

حرف العين

- العروة الوثقى، للسيد كاظم الطباطبائي اليزدي طبع انتشارات دارالتفسير - قم.

- العقد الفريد، لابن عبد ربه الاندلسي المتوفى سنة ٣٢٨هـ طبع شركة دار الأرقم - بيروت.

- علل الحديث للحافظ عبد الرحمن الرازي ابن أبي حاتم المتوفى سنة ٣٢٧هـ طبع دار المعرفة - بيروت.

- علل الشرائع، للشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٨١هـ، طبع مؤسسة النشر الإسلامي - قم.

- العلل المتناهية في الاحاديث الواهية، أبو الفرج بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ، طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

- العلل والسؤالات العزّ بن جماعة الحموي النسافعي المتوفى سنة ٨١٩هـ، نقلته بالواسطة.

- عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد شمس الحق العظيم آبادي المتوفى سنة ١٣٢٩هـ، طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

- عمدة القاريء شرح صحيح البخاري، لمحمد بن محمود العيني المتوفى سنة ٨٥٥ هـ، طبع دار الكتب العلمية - بيروت.
- عيون أخبار الرضا، محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه القمي - الصدوق - المتوفى سنة ٣٨١ هـ، طبع مؤسسة الأعلمي - بيروت.
- عوالم العلوم والمعارف، الشيخ عبد الله البحراني المتوفى سنة ١١٣٠ هـ، طبع مؤسسة الامام المهدي - قم

حرف الغين

- الغدير في الكتاب والسنة والأدب، عبد الحسين أحمد الأميني النجفي طبع دار الكتب العربية - بيروت: ١٦٨.

حرف الفاء

- الفتاوى الحديثة، لأبن حجر الهيتمي المكي المتوفى سنة ٩٧٣ هـ، طبع دار المعرفة - بيروت، الميمنية بالقاهرة ١٠٣٧ هـ.
- الفتاوى الكبرى، للشيخ تقي الدين ابن تيمية الحراني المتوفى سنة ٧٢٨ هـ، طبع شركة دار الأرقم - بيروت.
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ، طبع دار الريان للتراث بمصر.
- فتح العزيز شرح الوجيز، عبد الكريم الرافعي المتوفى سنة ٦٢٣ هـ، طبع دار الفكر - بيروت.
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ المتوفى ١٢٨٥ هـ، طبع مكتبة السلفية - المدينة.
- فتوحات الشام، أبو عبدالله محمد بن عمر بن واقد الواقدي

٥٩٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

المتوفى سنة ٢٠٧هـ طبع دار الجليل - بيروت.

- فرائد السمطين، إبراهيم بن محمد بن المؤيد الجويني المتوفى سنة ٧٣٠هـ، طبع مؤسسة الحمودي للطباعة والنشر- بيروت.

- الفردوس بمأثور الخطاب، أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي المتوفى سنة ٥٠٩هـ طبع دار الكتب العلمية بيروت.

- فصل الخطاب، محمد بن محمود الحافظي المعروف بخواجه بارساي البخاري المتوفى سنة ٨٢٢هـ، نقلته بالواسطة.

- الفصول المهمة، لابن الصباغ المالكي المكي المتوفى سنة ٨٥٥هـ، طبع دار الأضواء.

- فضائل التسمية بأحمد ومحمد، للحسين بن أحمد بن بكير المتوفى سنة ٣٨٨هـ، طبع دار الصحابة للتراث - طنطا.

- فضل الصلاة على النبي ﷺ، للقاضي إسماعيل بن اسحاق الجهضمي المالكي المتوفى سنة ٢٨٢هـ، طبع المكتب الإسلامي - بيروت.

- في ظل أصول الإسلام، الشيخ جعفر السبحاني طبع مؤسسة الامام الصادق - لجنة ادارة الحوزة العلمية- قم.

- الفقه على مذاهب الأربعة، جمع من العلماء المذاهب الأربعة في مصر، نقلته بالواسطة.

- الفقه على المذاهب الخمسة، محمد جواد مغنية، طبع دار التعارف للمطبوعات.

- فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد المناوي المتوفى سنة ١٠٣٠هـ طبع دار الفكر - بيروت.

- فرقان القرآن، الشيخ سلامة القضاعي الشافعي المتوفى سنة

١٣٧٩ هـ، طبع في بيروت.

حرف القاف

- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المتوفى سنة ٧١١هـ، طبع ونشر دار الجيل - بيروت.
- قرب الإسناد، لعبد الله بن جعفر الحميري المتوفى سنة ٣١٠هـ، طبع المكتبة الحيدرية في النجف، وطبع وتحقيق مؤسسة آل البيت.

حرف الكاف

- الكافي، للشيخ محمد بن يعقوب الكليني المتوفى سنة ٣٢٩هـ، طبع دار الكتب الإسلامية - إيران.
- كامل الزيارات، لابن قولويه القمي المتوفى سنة ٣٦٨هـ، طبع المكتبة المرتضوية - النجف.
- كشف الارتباب في أتباع محمد بن عبد الوهاب، للسيد محسن أمين العاملي، طبع مؤسسة أنصاريان - قم.
- كشف الأستار عن زوائد البزار، لنور الدين الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ، طبع مؤسسة الرسالة - بيروت.
- كفاية الطالب، الحافظ محمد بن يوسف الكنجي الشافعي المتوفى ٦٠٨هـ، طبع دار إحياء تراث أهل البيت - طهران.
- الكفاية لذوي العناية، الشيخ عبد الباسط ابن الشيخ علي الفاخوري الحنفي المفتي بيروت، نقلته بالواسطة.
- كنز العمال، للمتقي الهندي المتوفى سنة ٩٧٥هـ، طبع مؤسسة الرسالة - بيروت.

٥٩٢ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

- كنز المطالب، تأليف الشيخ حسن العدوي الحمزاوي الشافعي المتوفى سنة ١٣٠٣هـ، الطبعة الحجرية.

- كنوز الحقائق، الشيخ زين الدين عبد الرؤف المناوي المتوفى سنة ١٠٣١هـ، طبع في مطبعة بولاق بمصر.

حرف اللام

- لسان العرب، لابن منظور الأفرقي المصري المتوفى سنة ٧١١هـ، طبع دار صادر - بيروت.

- م -

- المبسوط في فقه الحنفية، لشمس الدين السرخسي المتوفى سنة ٤٨٣هـ، طبع دار المعرفة - بيروت.

- مثير الغرام الساكن إلى أشرف المساكن، أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي الحنبلي المتوفى سنة ٥٩٧هـ، نقلته بالواسطة.

- مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، الشيخ عبد الرحمن شيخ زاده الحنفي المتوفى سنة ١٠٨٧هـ، طبع في المطبعة العثمانية بلاستانة.

- مجمع البحرين، لفخر الدين الطريحي المتوفى سنة ١٠٨٥هـ، تحقيق أحمد الحسيني، طبع مؤسسة الوفاء - بيروت.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ، طبع دار الكتاب العربي - بيروت.

- المجموع في شرح المهذب، أبو زكريا محي الدين بن شرف الدين النووي - المتوفى سنة ٦٧٦هـ، طبع دار الفكر - بيروت.

- محاضرات الأدباء، للراغب الاصفهاني المتوفى سنة ٤٢٥هـ، طبع

إنشارات مكتبة الحيدرية - قم.

- مختصر تاريخ دمشق - لابن عساكر - تهذيب ابن منظور المتوفى ٧١١هـ، طبع دار الفكر - دمشق.

- المدخل، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري القيرواني التلمساني المالكي المتوفى ٧٣٧هـ، طبع في مطبعة معوض فريد بالاسكندرية.

- مذكرات مستر همفر الجاسوس الإنكليزي في الشرق الأوسط ترجمه إلى العربية الدكتور ج. خ.، طبع في سنة ١٩٧٣م.

- مرآة الكمال، للشيخ محمد حسن المامقاني النجفي المتوفى ١٣٥١هـ، طبع في النجف سنة ١٣٤٢.

- مراقي الفلاح بإمداد الفتاح، الشيخ حسن بن عمار الشرنبلالي المصري الحنفي، طبع منشورات محمد علي صبيح - مصر.

- مرقاة المفاتيح شرح المشكاة، للشيخ علي القاري المتوفى سنة ١٠١٤هـ طبع في المطبعة الميمنية بمصر.

- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري من أعلام القرن الرابع، طبع دار المعرفة - بيروت.

- مستدرك الوسائل ومستبطل المسائل، الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي المتوفى سنة ١٣٢٠هـ، طبع مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - إيران.

- مستند الشيعة في أحكام الشريعة، للمولى أحمد بن محمد مهدي النراقي المتوفى سنة ١٢٤٥هـ، طبع مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

- مسند أبو داود الطيالسي، لسليمان الفارسي البصري المتوفى سنة ٢٠٤هـ، طبع دار الحديث - بيروت.

٥٩٤ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

- مسند أبي يعلى، لأحمد بن علي بن المثنى التميمي المتوفى سنة ٣٠٧هـ، طبع دار المأمون - دمشق.

- مسند أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١هـ، طبع دار الكتب العلمية - ودار صادر - بيروت.

- مسند البزار، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار المتوفى سنة ٢٩٢هـ، طبع مؤسسة علوم القرآن - بيروت، مكتبة العلوم - المدينة المنورة ط الأول (١٤٠٩هـ).

- مشارق الأنوار في فوز أهل الاعتبار، للشيخ حسن العدوي الحمزاوي المتوفى سنة ١٣٠٣هـ، طبع في المطبعة العثمانية بمصر.

- مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار، للسيد عبد الله شبر المتوفى سنة ١٣٤٢هـ، طبع مكتبة البصيرتي - قم.

- مصباح الظلام، تأليف محمد بن عبد الله الجرداني الدمياطي الشافعي المتوفى سنة ١٣٠٧هـ، طبع بمصر سنة ١٣٤٧هـ.

- مصباح الظلام في المستفيثين بخير الأنام، لمحمد بن النعمان المالكي المتوفى سنة ٦٨٣هـ، نقلته مع الواسطة.

- مصباح الكفعمي الشيخ تقي الدين بن إبراهيم العاملي الكفعمي، طبع منشورات الرضي ومنشورات زاهدي - قم.

- المصنف، لأبن شيبه الكوفي المتوفى سنة ٢٣٥هـ، طبع دارالفكر - بيروت.

- المصنف، للحافظ عبد الرزاق بن همام الصنعاني المتوفى سنة ٢١١هـ، طبع توزيع الكتب الإسلامي.

- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، لابن طلحة العدوي الشافعي

- المتوفى سنة ٦٥٢هـ، طبع مؤسسة البلاغ - بيروت.
- معالم التنزيل في التفسير والتأويل، للبغوي أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء المتوفى سنة ٥١٠هـ، طبع دار الفكر - بيروت.
- مع الوهابيين في خططهم وعقائدهم، للشيخ جعفر السبحاني، طبع الإرشاد الإسلامي سنة ١٩٨٦م - طهران.
- معجم الأدباء، لياقوت بن عبد الله الرومي الحموي المتوفى سنة ٥٧٤هـ، طبع دار الفكر - بيروت.
- المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠هـ، طبع دار الكتب العلمية - بيروت.
- معجم البلدان، للحموي الرومي البغدادي المتوفى سنة ٦٢٦هـ طبع دار الكتب العلمية - بيروت.
- المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠هـ، طبع في مكتبة ابن تيمية في القاهرة، ودار إحياء التراث العربي.
- المغني، لابن قدامة المقدسي المتوفى سنة ٦٢٠هـ، طبع دار الكتاب العربي - بيروت.
- مغني المحتاج، للخطيب الشربيني المتوفى سنة ٩٧٧هـ، طبع دار إحياء التراث العربي، ودار الفكر - بيروت.
- مفتاح السعادة، عصام الدين أحمد طاش كبرى زاده المتوفى سنة ٩٦٨هـ، طبع في حيدر آباد الهند.
- مقتل الحسين، للخوارزمي - الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم - المتوفى سنة ٥٦٨هـ، طبع دار أنوار الهدى.

٥٩٦ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

- المقنعة، للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان البيгдаدي المتوفى سنة ٤١٣هـ، طبع مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين - قم.

- من لا يحضره الفقيه، لمحمد بن علي بن الحسين الصدوق المتوفى سنة ٣٨١هـ، طبع دار الكتب الإسلامية - إيران.

- المناقب، أحمد بن محمد الكردي المعروف بالبزازي المتوفى سنة ٨٢٧هـ، طبع بحيدرآباد الدكن.

- مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب السروي المتوفى سنة ٥٨٨هـ، طبع دار الاضواء - بيروت.

- مناقب أحمد، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي الحنبلي المتوفى سنة ٥٩٧هـ، طبع بمصر.

- مناقب علي بن أبي طالب، لابن المغازي الشافعي المتوفى سنة ٤٨٣هـ، طبع مكتبة الحياة - بيروت.

- المنتخب في جمع المراثي والخطب، فخر الدين الطريحي المتوفى سنة ١٠٨٥هـ، طبع في طهران والنجف.

- المنتظم، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ، طبع دار الفكر - بيروت.

- المنحول من تعليقات الأصول، أبو حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ، طبع دار الفكر - بيروت.

- منهاج السنة، لابن تيمية الحنبلي المتوفى سنة ٧٢٨هـ، طبع منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت.

- مهذب الأحكام، للسيد عبد الأعلى السبزواري، طبع مؤسسة المنار.

- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، للشيخ أحمد بن محمد القسطلاني المتوفى سنة ٩٢٣هـ، طبع دار الكتب العلمية - بيروت.
- مودة القربى، السيد علي بن شهاب الدين الهمداني المتوفى سنة ٧٨٦هـ، طبع في لاهور.
- الموطأ، لمالك بن أنس المتوفى سنة ١٧٩هـ، طبع دار الكتب العلمية - بيروت.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لمحمد بن أحمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ، طبع دار المعرفة - بيروت.

حرف النون

- نظم درر السيطين، محمد بن يوسف الزرندي الحنفي المدني المتوفى سنة ٧٥٠هـ، طبع في مطبعة القضاء.
- النقض، لأبي الرشيد الرازي، نقلته عن الغدير.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين المبارك بن محمد ابن الأثير الأجزري المتوفى سنة ٦٠٦هـ، طبع المكتبة العلمية - بيروت.
- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، لشيخ الشافعية محمد بن أحمد الرملي المتوفى سنة ١٠٠٤هـ، طبع في مصر.
- نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار ﷺ، للشيخ مؤمن بن حسن الشبلنجي من أعلام القرن الثالث عشر، طبع دار الكتب العلمية - بيروت.
- نور العين في مشهد الحسين، أبو اسحاق الاسفراييني من أعلام القرن العاشر، طبع مكتبة المنار - تونس.

٥٩٨ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، محمد بن محمود التنبكي المالكي
من أعلام القرن الحادي عشر، طبع في مطبعة السعادة بمصر.

- نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى سنة
١٢٥٥هـ، طبع دار الجليل - بيروت.

حرف الهاء

- الهدية السنية، محمد بن عبد الوهاب النجدي المتوفى سنة ١٢٠٧
هـ، طبع في مطبعة المنار بمصر.

حرف الواو

- وسائل الشيعة، للشيخ حرّ العاملي المتوفى ١١٠٤هـ، طبع مؤسسة
آل البيت ﷺ - قم.

- وسيلة النجاة، للمولوي محمد ميبين الهندي الحنفي المتوفى سنة
١٢٢٥ هـ، طبع في مطبعة كلشن فيض في لکنهو.

- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، لنور الدين علي بن أحمد المصري
السمهودي، نزيل دار الهجرة، المتوفى سنة ٩١١هـ، طبع دار إحياء التراث
العربي - بيروت - ، دار الكتب العلمية - بيروت.

- وفيات الأعيان وأنبأ أبناء الزمان، لابن خُلُكَّان المتوفى سنة ٦٨١هـ،
طبع دار الثقافة - بيروت.

حرف الياء

- ينابيع المودة، للشيخ سليمان البلخي القندوزي المتوفى سنة ١٢٩٤ هـ،
طبع مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

المحتويات

٧	كلمة الموسوعة
١١	تمهيد
١٦	منهجنا

الفصل الأول

الأدلة على مشروعية زيارة القبور

٢١	الأدلة على مشروعية زيارة القبور
٢٢	الفطرة
٢٥	الكتاب
٢٨	السنة
٣٠	الإجماع
٣٤	السيرة
٣٤	زيارة النبي ﷺ للقبور
٣٧	زيارة وصي الرسول للقبور
٣٩	زيارة بضعة الرسول فاطمة <small>عليها السلام</small> للقبور
٣٩	زيارة الحسين بن علي <small>عليهما السلام</small> للقبور
٣٩	زيارة عائشة للقبور

٦٠٠ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟
٣٩ زيارة ابن عمر للقبور
٤٠ الكلام في النهي الوارد عنه ﷺ في الزيارة
٤١ أثر الزيارة دليل على صحتها
٤٣ الكلام في زيارة النساء للقبور
٤٤ دليل القائلين بالكراهة للنساء
٤٨ أقوال علماء الجمهور في زيارة النساء للقبور
٥٠ آداب الزيارة
٥١ كيفية الزيارة

الفصل الثاني

الأدلة على جواز زيارة قبر النبي ﷺ والأئمة ﷺ وسائر الأولياء

٥٥ الأدلة على مشروعية زيارة قبر النبي ﷺ والأئمة ﷺ وسائر الأولياء
----	---

الأدلة على مشروعية زيارة الرسول ﷺ

الدليل الأول: القرآن الكريم

٦١ الدليل الأول: القرآن الكريم
٦١ مفهوم الزيارة
٦٣ كلام المامقاني في معنى الزيارة
٦٥ قصة الأعرابي

الدليل الثاني: السنة

أولاً: الأحاديث الواردة من طرق العامة

٧٧ أولاً: الأحاديث الواردة من طرق العامة
٧٨ الرسول المصطفى ﷺ يشفع لزواره
١٠٢ كلام لابن تيمية

ثانياً: الأحاديث الواردة من طرق الشيعة

- ١١٩ ثانياً: الأحاديث الواردة من طرق الشيعة
- ١٣٣ احاديث فضل زيارة الأئمة عليهم السلام
- ١٣٥ الحث على زيارة امير المؤمنين علي عليه السلام
- ١٣٦ التحذير من ترك زيارة امير المؤمنين علي عليه السلام
- ١٣٦ استحباب زيارته ماشياً
- ١٣٧ الحث على زيارة الصديقة الكبرى الزهراء عليها السلام
- ١٣٨ الحث على زيارة السبط الأكبر الحسن المجتبي عليه السلام
- ١٤١ الحث على زيارة الإمام المظلوم أبي عبد الله الحسين عليه السلام
- ١٤١ ترك زيارة الإمام الحسين عليه السلام جفاء
- ١٤٢ تأكيد زيارته عليه السلام حتى مع الخوف
- ١٤٣ ثواب من جهز الآخرين لزيارته عليه السلام
- ١٤٣ عظم ما في زيارة الحسين عليه السلام
- ١٤٥ بيان حول روايات الزيارة
- ١٤٧ زيارة الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين للحسين عليه السلام
- ١٤٧ ما روته العامة في فضل زيارة الحسين عليه السلام
- ١٦٠ حديث جابر وزيارته لقبر الحسين عليه السلام
- ١٦١ سطوع نور من رأس الحسين عليه السلام حينما كان في بيت يزيد
- ١٦٦ رؤية بعض الزوار اياه جالساً على ضريح قبره
- ١٦٦ الحث على زيارة الإمام علي بن الحسين والباقر والصادق
- ١٦٧ الحث على زيارة الكاظمين موسى بن جعفر ومحمد بن علي عليهم السلام
- ١٦٩ الحث على زيارة الإمام الضامن علي بن موسى الرضا عليه السلام
- ١٧٣ فضل زيارة الإمامين محمد الهادي والحسن العسكري عليهم السلام
- ١٧٣ زيارة امام العصر الحجة عليه السلام
- ١٧٤ فضل زيارة أولاد الأئمة وذرائعهم الصالحين

٦٠٢ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشع؟

١٧٤ فضل زيارة السيدة فاطمة المعصومة ﷺ

١٧٥ فضل زيارة السيد عبد العظيم الحسيني ﷺ في ري

الدليل الثالث: الإجماع

١٧٩ الدليل الثالث: الإجماع

١٨١ أقوال علماء المسلمين في زيارة خير المرسلين ﷺ

الدليل الرابع: العقل

٢١٩ الدليل الرابع: العقل

الدليل الخامس: سيرة المسلمين

٢٢٧ الدليل الخامس: سيرة المسلمين

٢٣٢ بعض من زار النبي ﷺ

٢٥٤ كراهة مالك

٢٥٤ كلام بعض الأعلام حول كراهة مالك

٢٥٧ نسبة المنع من الزيارة الى أهل البيت ﷺ

٢٦١ الزيارة ليست من مختصات الشيعة

٢٦٥ رأس الحسين ﷺ في مجلس يزيد

٢٦٧ نبذة من تعظيم المسلمين علمائهم

٢٧٢ مزارات المسلمين

٢٧٢ مزار بلال الحبشي

٢٧٣ مزار سلمان الفارسي

٢٧٥ مزار طلحة بن عبید الله

٢٧٥ مزار الزبير بن العوام

٢٧٦ مزار الصحابي أبي أيوب الأنصاري

٢٧٧ مزار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ في النجف

٦٠٣ المحتويات
٢٧٩ كلام ابن بطوطة في فضل زيارته
٢٨٠ مزار ابراهيم بن أدهم
٢٨٠ مزار الشهيد حجر بن عدي
٢٨١ مزار رأس الحسين <small>عليه السلام</small> في مصر
٢٨٤ كرامات قبور الأولياء
٢٨٨ الأقوال في مدفن رأس الحسين <small>عليه السلام</small>
٢٨٩ مزار نبي الله جرجيس <small>عليه السلام</small> في الموصل
٢٨٩ مزار عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي
٢٩٠ مزار ابو حنيفة النعمان بن ثابت
٢٩٢ مزار مصعب بن الزبير في مسكن
٢٩٣ مزار ليث بن سعد الحنفي
٢٩٣ مزار مالك بن أنس إمام المالكية
٢٩٣ مزار الإمام الطاهر موسى بن جعفر <small>عليه السلام</small>
٢٩٤ قصة عجيبة ظهرت من قبره <small>عليه السلام</small>
٢٩٦ مزار الإمام علي بن موسى الرضا <small>عليه السلام</small> في مشهد
٢٩٧ مزار الإمام محمد بن علي الجواد <small>عليه السلام</small>
٢٩٧ مزار معروف الكرخي
٢٩٩ مزار أحمد بن موسى بن جعفر في شيراز
٣٠٠ عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
٣٠٢ مزار ابي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي
٣٠٢ مزار ابي سليمان الداراني العنسي
٣٠٣ مزار السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن علي
٣٠٦ مزار أحمد بن حنبل امام الحنابلة
٣٠٦ مزار ذي النون المصري
٣٠٧ مزار بكار بن قتيبة بن اسد الثقفي

٦٠٤ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟

- مزار القطب ابي عبد الله حفيد المعروف بالشيخ في شيراز ٣٠٧
مزار يعقوب بن اسحاق ٣٠٧
مزار ابن طباطبا ٣٠٨
مزار الوزير اسماعيل بن عباد الملقب بالصاحب ٣٠٩
مزار ابراهيم الخريبي ٣١٠
مزار ابي الحسن علي بن ابراهيم المصري ٣١٠
مزار الفقيه نصر بن ابراهيم ٣١٠
مزار أحمد بن جعفر الخزرجي ابو العباس السبتي ٣١١
مزار الشيخ عبد القادر أبي رياح الدجاني اليافعي ٣١١
مزار الحافظ عبد الله الحاملي ٣١٢
ختام الكلام في سيرة المسلمين ٣١٤
الأمم وتعظيم الأنبياء والأولياء وتشديد قبورهم ٣١٦

الدليل السادس: ما يستفاد من الفروع والآداب المذكورة للزيارة

مسائل الزيارة دليل على مشروعيتها

- مسائل الزيارة دليل على مشروعيتها ٣٢٥
المسألة الأولى: تقديم زيارة النبي على الحج افضل ام العكس؟ ٣٢٥
نظر الإمامية في المسألة ٣٢٨
المسألة الثانية: جواز الاستنابة في الزيارة ٣٣٢
المسألة الثالثة: جواز النذر للزيارة ٣٣٦

آداب الزيارة عند العامة والإمامية

اولاً: آداب الزيارة عند العامة

- اولاً: آداب الزيارة عند العامة ٣٤١
متن زيارة الرسول المصطفى ﷺ ٣٤٨
الصلاة على النبي وآله صلوات الله عليهم أجمعين ٣٥٢

٦٠٥	المحتويات
٣٥٨	التوسل والتشفع بالنبي ﷺ
٣٦٣	زيارة الشيخين
٣٦٥	زيارة أهل البقيع
٣٦٧	زيارة شهداء أحد
٣٧٠	زيارة مسجد قبا

ثانياً: آداب الزيارة عند الإمامية

٣٧٥	ثانياً: آداب الزيارة عند الإمامية
٣٧٩	زيارة فاطمة الزهراء ﷺ
٣٨١	زيارة أئمة البقيع ﷺ
٣٨٤	زيارة سيد الشهداء حمزة عم النبي ﷺ
٣٨٦	زيارة قبور سائر الشهداء بأحد
٣٨٦	زيارة مسجد قبا والفضيخ والفتح وسائر آثار النبوة
٣٩٨	زيارة الوداع
٣٨٩	تنبيه ينبغي الالتفات اليه

ذرائع المانعين من الزيارة

٣٩٥	ذرائع المانعين من الزيارة
٣٩٦	الكلام في حديث: « لا تشد الرحال »
٣٩٧	كلام المانعين للزيارة
٤٠٤	النهي عن تكفير المسلمين
٤٠٥	كلمات الأعلام حول أحاديث شد الرحال
٤٠٦	كلام النووي
٤٠٧	كلام الفيروز آبادي
٤٠٩	كلام ابن حجر
٤١٠	كلام السبكي

٦٠٦ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أوشرع؟

٤١٠ كلام السمهودي

٤١٢ كلام الغزالي

٤١٤ ذريعة أخرى للمانعين: إن شد الرحال يفضي إلى اتخافه عيداً

٤١٦ الكلام في حديث لا تتخذوا قبوري عيداً

٤٢٠ سائر الاحتمالات في الحديث

التبرك بآثار النبي ﷺ والأئمة ﷺ والأولياء

٤٢٩ التبرك بآثار النبي ﷺ والأئمة ﷺ والأولياء

٤٣٠ حقيقة التبرك

٤٣٦ أدلة التبرك

٤٣٨ نماذج التبرك بالنبي ﷺ في حياته

٤٣٩ تبرك كثير من الصحابة به بالمسح والمس

٤٤٠ التبرك بماء وضوءه وغسله

٤٤١ التبرك بسؤر شراب النبي ﷺ وطعامه

٤٤٢ التبرك بشعره

٤٤٥ التبرك به وبآثاره بعد حياته

٤٤٨ التبرك بأصحاب النبي ﷺ فضلاً عنه

٤٥١ آراء أئمة المذاهب في التبرك

٤٥٩ تياؤل

٤٦٢ الكلمات الموهمة للمنع من التبرك

٤٦٥ طائفة أخرى من الكلمات الموهمة للمنع

٤٦٧ الجواب عن الأقوال الموهمة للمنع

٤٧٣ تنبيه: لا ينبغي الإشكال في التبرك بما يصدر من العوام

طواف القبور

النذور لأهل القبور

تعمير قبور الأولياء والصلاة عندها

٦٠٨ زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله ﷺ بدعة أو شرع؟
٥٤٩ تاريخ بناء قبور الأئمة الأطهار
٥٦٠ الصلاة عند القبور وبناء المساجد عليها أو حولها
٥٥٦٠ أولاً: ما ورد في القرآن الكريم
٥٦٢ ثانياً: من سنة الرسول
٥٧٣ فهرس المصادر
٥٩٩ المحتويات

مكتبة ابن الجوزي

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى: ١٤١٠ هـ
 مطبعة الحكيمية - بيروت

THE RITUAL VISIT OF
PROPHET MOHAMMAD
AND HIS FAMILY
IS IT AN INNOVATION
OR A DIVINE LAW?



Mawsouat Al-rasool

Al-Mostafa

(17)

Address in Lebanon:
P.O.Box 25/138
Al-Ghobairi -Beirut

Address in Iran:
P.O.Box 91375/4436
Mashhad
Fax:(0098-511) 2222483

Email: almawsouah@yahoo.com
Website: www.almawsouah.org

Published in Lebanon by: Dar-Alathar
Shahrur building - Dakkash St. Bir Al-Abed
Beirut - Lebanon
Tel: (00961-1) 270574, (00961-3) 349237

Published in Iran by: Almawsouah Publisher
Mashhad - Iran
All rights reserved
First print: 1424 – 2004
Second print in Qom: 1424 - 2004

MAWSOUAT AL-RASOOL AL-MOSTAFA

A highly informative encyclopedia
of Prophet Mohammad's life

Administered by: Mohsen Ahmad Al-Khatami

**THE RITUAL VISIT OF PROPHET
MOHAMMAD, IS IT AN INNOVATION OR
A DIVINE LAW?**

By: Abdul Majeed Mirdamadi